

البحر المتوسط
MEDITERRANEAN SEA


مجلد البحر المتوسط

GULF OF SUEZ

الصحراء الشرقية
EASTERN DESERT

عن محمد علي أحمد كمال الطوبجي سعد شعبان

GULF OF AQABA
البحر الأحمر
RED SEA


Bibliotheca Alexandrina
0147776



مصر بعد العبور

مصر بعد العصور

على محبوب أحمد كمال الطوبجى سعد شعبان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨

تصميم الغلاف

الإشراف الفني

رفيق يونس

راجية حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمَّا لَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَنَسْتَبَشِّرُ بِبِيعَةِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
بِإِعْتَمَادِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



السيد الرئيس محمد حسني مبارك

هذه الكتاب

صدرت عدة كتب عن المعركة ، أشادت كلها بدور القوات المسلحة فيها وتحدثت عن بطولات وابتكارات رجالها ، غير أن كل مطلعيلمس أن القوات المسلحة كان لها دور أعظم مما ذكرته تلك الكتب ، وأكثر إيجابية مما سجلته .

وفي هذا الكتاب ، سجل مؤلفوه دور القوات الجوية ، كأحد أجهزة القوات المسلحة الرئيسية ، بدقة وتفصيل ، كمثل أدوار الأجهزة الأخرى ، وبحكم إدراك مؤلفيه لهذا الدور .

وسيقف التاريخ العسكرى طويلاً ، بالدرس والتفحص أمام ملحمة البطولات التي سجلها جنود مصر ، وأبطالها في معركة السادس من أكتوبر . ويشرفني أن أقول أن زهرة شباب مصر من رجال القوات المسلحة الذين فدوا مصر بأرواحهم ، ستظل ذكراهم حية في ضمير هذه الأمة ، التي أعادوا لها كرامتها ، وأسمعوا العالم صوت عزتها

إن الإنصاف يقتضي القول ، بأن موضوع الكتاب ، لم يعن بالمعركة وحدها ؛ بل تطرق إلى آثارها ، وعالج كثيراً من مجالات الحياة في أمتنا . ورسم أبعاد ما فرضته المعركة من تحولات في ركب الحضارة في مصر .. لذلك فهو كتاب لكل وطني وكل مثقف .

تهنئتي للمؤلفين بكتابهم ، وأرجو لهم مزيداً من النتائج الفكرية والعسكرية .

والله أكبر والعزة لمصر

عبد الحكيم
محمدي بركات

مقدمة الطبعة الثانية

لقد اقتضت الأمور إدخال بعض التعديلات
على نصوص الطبعة الأولى من هذا الكتاب، لأن
ظروف الإصدار تأتي في ظلال السلام الذي
تنعم به مصر، وفي ركب الديمقراطية
التي تظلل مجتمعا.

وإن كان كل ما حرر عن معركة العبور
قد عني بالدرجة الأولى بالنتائج العسكرية لها،
فإن كتابنا يركز على النتائج السياسية والاجتماعية
والنفسية التي دخلت على مجتمعا.
والله ولي التوفيق

معدت

أحمد كمال الطوبجى

على محبوب

القسم الأول

الجولات العربية - الاسرائيلية

مقدمة فلسطينية

حرب فلسطين

حرب السويس

حرب ٥ يونيو

الباب الأول

مقدمة فلسطينية

القضية الفلسطينية

هي جوهر النزاع

العربي الاسرائيلي

الأطماع اليهودية

ليس هناك من جديد ، يمكن أن يضيف معلومات ، على تلك التي يختزنها التاريخ عن فلسطين ٠٠ اذ أن العالم أجمع ، والجمهير العربية بأسرها ، أصبحت بمثل المعلومات الوافية ، عن هذه المشكلة ٠

فمنذ أكثر من قرن من الزمان ، والمسألة الصهيونية ، تهدد وجود العرب في فلسطين ٠ وتنوالى الأحداث لتنتهت نصمم المخطط. الامبريالي الصهيوني الرجعي ، على « نهويد فلسطين » ، ابتداء من المؤتمرات الصهيونية ، مروراً بوعده « بلفور » ، والهجرة اليهودية ، وحرب ١٩٤٨ وعدوان ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ ٠

ولم توقظ هذه الأحداث العرب ، الا بعد وقوعها ، وكينونتها أذراً واقعاً ٠

وبالمعرفة الصحيحة لمخططات العدو وغاياته ، أمكن التعرف على مدى خطره على الحقوق العربية ٠

ويزداد الايمان ، وبصلب العزائم . ويشهد القتال ٠ وتدحوق يقظة العرب ، بحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، التي بجمع العرب حولها ، فافاقوا على نهار النصر الساطع المبين ٠

وينبثنا التاريخ عن بداية أطماع اليهود ، في خلال القرن السادس عشر ، عندما ازداد ضعف الدولة العثمانية ، فظهر مشروع « دافيد روبيني » الذي كان يدعو لليهود العرب ، الى غزو فلسطين وانتزاع أراضيها ، بمساعدة زعماء يهود أوروبا ، كخطوة لتكوين دولة يهودية في أراضي فلسطين ٠ بد أن هذا المشروع قد لاقى استنكاراً ، ولم يكتب له وجود ٠

وتمة مشروع يهودي آخر ، لتساجر من الدانمارك يدعى « أوليجر باولى » ، تقدم به الى « لويس الرابع عشر » ملك فرنسا ، الذي رفض بتضامن ملك إنجلترا ، هذا المشروع ٠

وتندلع الثورة الفرنسية ، وبحاول اليهود استغلال مبادئها الداعية الى الحرية والمساواة ٠ وحينما أصبح « نابليون بونابرت » رجل فرنسا الأول ، خرج اليهود من أحيائهم ، ليندمجوا في المجتمع الفرنسي ٠ ولكن شدة العداء بين اليهود والمسيحيين ، جعلت « نابليون » يرغم اليهود على العودة الى عزلتهم في أحيائهم ٠

وحينما أراد « نابليون » (عام ١٧٩٩) ، السيطرة على طرف التجارة بين الشرق والغرب ، رأى أن يستفيد من اليهود فأعلن في الصحف الرسمية ، عن دعوة يهود أفريقيا وآسيا ، الى موافاة جيشه بمصر ، ليدخلوا معه الى « أورسليم » . وراجت في فرنسا دعوة يهودية ، الى اغتنام هذه الفرصة لتحقيق أطماعهم . . الا أن الفضاء على الحملة الفرنسية في مصر ، وانسحاب « نابليون » منها ، قضى على أحلام اليهود .

الى أن جاء عام ١٨٤١ ، عندما احتضن الانجلز « الايرل أوف شافترى » فكرة الوطن القومي اليهودى فى فلسطين . . فوضع مشروعا أسماه « الأرض بغير شعب ، للشعب بغير أرض » .

وتشكلت جمعية « عشاق صهيون » (عام ١٨٨٤) ، التى دعت الى احياء اللغة العبرية ، للتمهيد للهجرة الى فلسطين . وتخب آمال اليهود ، حين منعت الدولة العثمانية ، اليهود من دخول فلسطين ، كما أوقفت الحكومة الروسية هجرة اليهود . . وبذلك تم تحديد الهجرات اليهودية .

ويأتى « تيودور هيرتزل » (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ، وهو صحفى ولد فى بوايست ، ليكرس جهودا للقضية اليهودية ، على أنر « مذبحه ليشبىف الشهيرة فى روسيا القيصرية التى كانت تضطهد اليهود بعنف وقسوة ، على أثر فضيحة أخرى لضابط يهودى فرنسى اتهم فى قضية جاسوسية عرفت باسم قضية « دريفوس » . . وانتهاز « هيرتزل » هاتين الحادثتين ، لاثارة عطف الدول الأوروبية ، وساعده فى ذلك كاتبان فرنسيان هما « اميل زولا » و « كليمانصو » .

وقد نادى « هيرتزل » ، أن اليهود يلاقون الاضطهاد فى كل دولة ، وأنهم لن يستطيعوا الخلاص من طبائعهم التى تنير عليهم كراهية وبغض الناس . . ولذا لابد أن يعيش اليهود معا ، فى دولة واحدة تحقق لهم السيادة على أنفسهم . ومن هنا وجد « هيرتزل » الأرضية السياسية المناسبة ليضع كتابه « الدولة اليهودية » الذى ضمنه توجيه اليهود ، الى أن يكون لهم كيان يهودى خالص لهم .

واسنطاع « هيرتزل » أن يجمع ٣٠٠ مندوب عن جميع يهود العالم وعن الهيئات اليهودية العالمية ، فى أول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة « بال » السويسرية . . وبذلك اجتمع اليهود لأول مرة فى التاريخ ، منذ ١٨ قرنا ، حول هائدة واحدة . وتدارس المؤتمر الوسائل الكفيلة باعادة بناء دولتهم التى زالت على أيدي الرومان .

وحدد المؤتمر الصهيونى الأول ، أن الصهيونية هى القومى الجديدة للشعب اليهودى ، وأنها حركة ترمى الى انشاء وطن شرعى معترف به للشعب اليهودى . . وحدد مكانه فى أرض فلسطين . ورسم المؤتمر وسائل تحقيق ذلك فى قرارانه التى جاء فيها :

١ - تشجيع الاستعمار اليهودى فى فلسطين ، والعمل على رفع مستوى اليهود المقيمين فى فلسطين فى نشاطهم الزراعى والصناعى والتجارى .

٢ - تنظيم الحركة اليهودية ، وتآليف يهود جميع الدول فى جماعات محلية .

٣ - تنمية الوعى القومى اليهودى فى كل دولة .

٤ - حث الدول على تأييد الأهداف الصهيونية .
ومن واقع هذه القرارات ، أصبحت الصهيونية ، تمثل الوجه السياسى لليهودية ، الذى يهدف الى اقامة دولة يهودية صهيونية فى فلسطين .

البحث عن وطن

وتتوالى المؤتمرات الصهيونية ، حتى كان خامسها (عام ١٩٠١) ، وفيه تقرر انشاء البنك الوطنى اليهودى ، لشراء الأراضى فى فلسطين ، واقامة المستعمرات عليها ، والسعى لانشاء جامعة عبرية فى فلسطين . وتحرك « هيرتزل » - الذى لقبوه بـ « نبي الصهيونية الروحي » - لمقابلة السلطان عبد الحميد (١) ، لبحصل منه على ما يحقق أطماع اليهود فى فلسطين . . الا أن السلطان عبد الحميد ، رفض تماما كافة المغريات والعروض التى قدمها « هيرتزل » ، والتى كان منها رشوة مغلقة على هيئة هدية للسلطان مقدارها ٥٠ مليون جنيه ذهباً لخزانة الدولة و ٥ ملايين أخرى لخزينته السلطان الخاصة ، وذلك مقابل الرجاء بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين .

واتجه « هيرتزل » الى بريطانيا . . وعرضت عليه الحكومة البريطانية « أوغندة » لانقاذها وطناً قومياً . ولكن الصهيونيين ، رفضوا العرض ، وأصرروا على فلسطين . واقترح « هيرتزل » استقرار اليهود فى جزيرة قبرص أو شبه جزيرة سيبيريا . الا أن « تشمبرلين » وزير

(١) السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى (١٨٤٢ - ١٩١٨) اعتلى عرش تركيا

(١٨٧٦ - ١٩٠٩) .

المستعمرات البريطانية ، قرر أن أهالي فرص ، لن يسمحوا لليهود بالاستمرار في جربهم ٥٠ أما عن سمناء ، فقد سلم « هيرتزل » خطاب ترصيه للورد « كرومر » المعتمد البريطاني في القاهرة ٥٠ الا أن دراسة طبيعة الأرض بمنطقة العريش لم تخفق ذلك .

وعرض « نسمرلين » اقتطاع اليهود أراض في مستعمرة شرق أفريقيا ٥٠ ثم عرض أيضا ، منح اليهود هضبة قريبة من مدينة « نيروبي » عاصمة كينيا البريطانية . ولكن « هيرتزل » رفض كل هذه العروض ونسبك بانتشاء هذا الوطن في فلسطين .

ويموت « هيرتزل » (عام ١٩٠٤) ، ويتولى الدكتور « حايم وايزمان » رعاية الصهيونية ، ويرأس المؤتمرات الصهيونية التي اعبرت « العبرية » لغة الخطاب الرسمية ، وقررت انشاء جامعة عبرية في القدس ٥٠ كما تم اقرار خطة « وايزمان » التي أطلق عليها « الصهيونية التوفيقية » ، التي تدعو الى التسلسل البطيء الى فلسطين ، باقامة المستعمرات اليهودية ، لتكون دعامة وأساس المجتمع الصهيوني . هذا وقد نجح « وايزمان » في أن يجمع شمل الصهيونيين ، وأخذت جمعية « عشاق صهيون » تنفذ نشاطها من أجل نواطين اليهود ، في أراضي فلسطين ، التي كان يبلغ عدد سكانها وقتئذ (عام ١٩١٤) حوالي ٦٩٠ ألفا ، كان منهم ٩٠ ألفا من اليهود .

وعند « بلفور » الأسود

وأنيحت الفرصة للدكتور « وايزمان » في عام ١٩١٦ ، حينما أصبح رئيسا لمعامل البحرية الانجليزية ، للاتصال باللورد « بلفور » وزير البحرية ، وعرض عليه مشكلة اليهود وآمالهم ٥٠ وكان « وايزمان » قد ساعد الانجليز بمجهوداته واكتشافه لمعادلة تحضير مادة « الاسيتون » التي تستعمل في صناعة المتفجرات ، مما أدى الى اكتسابه عطف الانجليز .

وأصغى « بلفور » الى مطالب « وايزمان » بكل اهتمام ، مما شجع الزعماء الصهيونيين ، على تقديم برنامج خاص بآدارة فلسطين وتوطين اليهود فيها ، والاعتراف بجنسية خاصة باليهود ، وانشاء شركة تنولى شراء الأراضي الفلسطينية لتوطين اليهود عليها .

وكان لزاما على بريطانيا ، بعد انتصارها في الحرب العالمية الاولى ، أن تحفظ بكيانها في منطقة الشرق الأوسط للمحافظة على طرف مواصلاتها عبر مستعمراتها ، في امبراطوريتها التي لا تغيب عنها الشمس .

النص الأصلي لم ينفذ بإسناد النظام

Foreign Office.

November 2nd, 1917

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object. It being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Y. W.
Arthur Balfour

ويتلمس « وايزمان » طريق أطماعه عبر مصالح بريطانية ، خاصة عندما نولى « لويد جورج » رئاسة الوزراء وتعين اللورد « بلفور » وزيرا للخارجية . ويتقدم الصهيونيون بمذكرة رسمية بمطالبهم في فلسطين (آخر يناير ١٩١٧) الى الحكومة البريطانية ، وعقدت جلسة رسمية للتفاوض في تلك المطالب ، حضرها « سايكس » ممثلا للحكومة البريطانية ، والذي أبدى عطفًا كبيرًا على المسألة اليهودية .

وبدأ الصهيونيون يعدون صبغة التعهد البريطاني الذي يحقق فلسطين اليهودية . وهو ما سمي فيما بعد بوعد « بلفور » الذي خرج الى الوجود في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، على هيئة رسالة رسمية ، بعث بها « بلفور » الى اللورد « روتشيلد » وأشار فيها الى عطف حكومة جلالة الملكة على الأمنى الصهيونية ، وعن عزم الحكومة البريطانية على اقامة وطن قومي يهودى ، والتمهيد لدولة يهودية في فلسطين .

وهكذا وقعت فلسطين بين شقى الرحى . .

الصهيونية التى اختارتها وطنًا قوميا لليهود . .

والامبريالية الدولية ، التى نريد أن تجعل منها « نقطة ارتكاز » فوق أرض العرب ، لتحرس منها مصالحها ، ولتقاوم بها كل متمرّد على استغلالها واستثمارها .

تحت الانتداب البريطانى

نجحت الصهيونية العالمية ، فى ضغطها على بريطانيا ، لاصدار وعد « بلفور » . . وبالتالي ، اعتبرت بريطانيا أن اصدارها هذا التصريح ، كان بمثابة اجراء حربى ضد قوات أعدائها من دول المحور ، بجانب مساندة اليهودية العالمية ، التى ضغطت على الحكومة الأمريكية ، لدخول الحرب الى جانب الحلفاء ، والى أن يصدر الرئيس الأمريكى « ويلسن » بيانًا جاء فيه :

« ان الدول الحليفة ، مع تأييد حكومتنا وسعينا لذلك - دون تحفظ - قد قررت أن تضع فى فلسطين أساسا لدولة يهودية » .

ويوافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء (٢٥ أبريل ١٩٢٠) ، على أن تقوم بريطانيا ، بالانتداب على فلسطين ، تطبيقا لوعد « بلفور » . . كما وافقت عصبة الأمم على ذلك (٢٤ يوليو ١٩٢٢) ، بعد أن أعد

وثيقة الانتداب ، خبراء الصهيونية من الانجليز والأمريكيين من أسال . .
« هيربرت صمويل » و « فيلكس فرانكفورتر » .

وفد نجح الزعيمان الصهيونيان « الدكتور حاييم وايزمان »
و « ناحوم سوكلوف » ، فى الضغط على الحكومة البريطانية لقبولها
الانتداب على فلسطين .

ودخل الانتداب البريطانى على فلسطين ، مرحلة التنفيذ الرسمى
فى ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ . وجدير بالذكر أن المادة الثانية من وبعة
الانتداب ، قد نصت على أن سلطات الانتداب :

« مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية ،
تكفل انشاء الوطن القومى اليهودى وعن تطور أنظمة الحكم الذاتى وضمان
الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس
والدين » .

ويعتبر ذلك تنفيذا كاملا لوعده « بلفور » من خلال فرض الانتداب
البريطانى على فلسطين .

هتئ شهور العرب بالخطر الصهيونى ؟

قبل الحرب العالمية الأولى ، كان السلام سائدا على أرض فلسطين،
وسائدا بين العرب واليهود بشكل خاص . . وان كان سائدا بين فريقين،
ليس لأى منهما علاقة بالآخر . ولم تكن هناك أبدا مشاكل بين العرب
واليهود .

حتى جاء « هيرتزل » فأرسى قواعد الفكر الصهيونى ، فأبرز الفرق
الشاسع بين اليهودية كدين وعقيدة ، وبين الصهيونية التى هى دين
العصابات فقط .

ان اليهودية لم تناد أبدا بطرد العرب من ديارهم . وما أن أخذ
شبح الصهيونية يزحف بخطواته الى فلسطين ، حتى زرع الحقد
والكراهية بين العرب واليهود .

وكان اليهود يتمتعون فى الدول الاسلامية ، بالمعاملة الطيبة
الشاملة لكافة حقوق المواطنين . . بل ان اليهود الشرقيين قد اندمجوا
تماما مع المسلمين فى كثير من النواحي الثقافية والاجتماعية لدرجة أنه
قد أطلق على اليهود فى العالم الاسلامى أنهم . . « عرب فى كل شئ » ،
ما عدا الدين » .

على عكس ما كان يحدث في معظم الدول الأخرى ، شرقا وغربا ، من مذابح لليهود ، وحركات مناهضة لهم نرمي الى ما يشبه القضاء على اليهودية .

ولأول مرة ، خلال عام ١٩١٨ ، أحس عرب فلسطين بخطر يهددهم ، تمثل في بعة صهيونية فدمت الى فلسطين يوم ٤ أبريل ١٩١٨ ، برئاسة الدكتور « حاييم وايزمان » . وقد أتاح كل من حاكمي القدس وبافا من الانجليز ، الفرصة للبعنة الصهيونية للاجتماع مع أعيان فلسطين .

ونحدث « وايزمان » وكان يترجم حديثه الى العربية « سنورس » الحاكم العام البريطاني . فبرز مشاعر الأخوة بين العرب واليهود ، وان عودة اليهود الى فلسطين ، لوصل الماضي بالحاضر ، واعادة خلق مركز فكري وأدبي ، وأن هذا المظهر الروحي ما هو الا المعنى الحقيقي للوطن القومي .

قد تركت هذه الزيارة ، انطبعا سيئا في نفوس العرب ، شعرت به سلطات الانتداب البريطاني واستشعر العرب خطر الصهيونية الذي سحبق بهم . فكونوا الجمعيات ، وقدموا الاحتجاجات ، وأقاموا المظاهرات ضد وعد « بلفور » والهجرة اليهودية .

تقسيم الوطن العربي

وفي عام ١٩٠٧ ، صدر قرار بالتسلل الى فلسطين ، وصدر تقرير « كاميل بنرمان » عن المؤتمر الاستعماري الذي عقد في لندن ، والذي أكد على ضرورة فصل الشرق العربي عن مغربه ، وذلك باقامة حاجز بشري . وكان من أهم ما جاء في التقرير :

« ان البحر الأبيض المتوسط ، هو الشريان الحيوى للاستعمار ، لأنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب ، والممر الطبيعي الى القارتين الآسيوية والافريقية وملتقى طرق العالم . ويكمن الخطر المهدد للعالم في هذا البحر ، ففي حوضه مهد الأديان والحضارات ، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية ، يعيش شعب واحد له من وحدة تاريخه ودينه ولغته وأماله ، كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ، وتتوافر له في ثرواته الطبيعية وكثرة تناسله - كل أسباب القوة والتحرر والنهوض . ويكمن الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية في تحرر هذه المنطقة وتنقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها وتجميعها واتحادها تحت

عقيدة واحدة . لذا على الدول ذات المصالح المشتركة ، أن تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأة ، وعلى إبقاء شعبها في حالة تفكك وحيل وتخلف » .

ثم أوصى التقرير في نهايته كضرورة سريعة بما يلي :

« ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي عن الجزء الآسيوي من هذه المنطقة ، عن طريق إقامة حاجز بشري قوى وغريب ، ويكون صديقا للاستعمار وعدوا لسكان المنطقة » .

ثم في عام ١٩١٧ كان وعد « بلفور » المشؤوم . الذي بعده ، تنكر يهود فلسطين الوطنيون لعرب البلاد ، وعلاوة على ذلك فقد اشتركوا في أعمال الصهيونيين لتهديد فلسطين .

وكان أن غدر الحلفاء بالعرب جميعا ، عقب انصارهم في الحرب العالميتين . الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

ففي الحرب العالمية الأولى ، كانت بريطانيا في حاجة الى تأييد ومعاونة العرب . فأرسل السير « مكماهون » خطابا الى الملك الحسين (١) « شريف مكة » يضمنه وعد حكومة بريطانيا باستقلال الأمة العربية ، اذا ما أيد العرب قضية الحلفاء ووقفوا الى جانبهم .

وصدق العرب . وأخلت بريطانيا بوعودها .

وتنشب الحرب النانية ، وتحتاج بريطانيا مرة أخرى ، الى معاونة العرب ووقوفهم معها ضد دول المحور . فاذا ببريطانيا تصدر « الكتاب الأبيض » في (١٧ مايو ١٩٣٩) لتطمئن العرب على مصير فلسطين .

وينتصر الحلفاء ، ومرة أخرى يخلون بوعودهم .

وأكرر من ذلك . . بلغ الغدر بالوعد بعد الحرب العالمية الأولى ، الى حد تقسيم الوطن الى وحدات سياسية :

— الحجاز للملك الحسين .

(١) الحسين بن علي ، شريف مكة (١٨٥٦ - ١٩٣١) ثار مع الانجليز على الحكم التركي (عام ١٩١٦) وبأدى بنفسه ملكا على الحجاز . كافاه الانجليز بتعيين ابنه « عبد الله » أميرا على شرق الاردن ، ابنه « فيصل » ملكا على العراق تحت الانتداب البريطاني . ثم هزمه الملك « عبد العزيز بن سعود » (عام ١٩٢٤) واستولى على الحجاز وأقام فيها المملكة العربية السعودية وهرب الملك الحسين الى قبرص .

- استولى الانجليز على العراف ، حتى اذا ما نار (عام ١٩٢٠) ولوا عليه فصل بن الحسن .
- واسم:ولت فرنسا على سوريا ولبنان .
- افطع سرق الأردن وأصبح امارة نولها الملك عبد الله بن الحسن .
- أما البجن ، فقد سلمها الأبرك الى الامام يحيى حميد الدين عقب جلائهم عنها (عام ١٩١٨) .
- أما مصر . . فقد نالت استقلالها ، بعد الغاء الحماية البريطانية عنها (عام ١٩٢٢) ، ولنى كانت قد أعلنت عليها أثناء الحرب العالمية الأولى .
- وهكذا عمل الاستعمار ، على نقويض وحدة الأمة العربية . . كما عملت كل من بريطانيا وفرنسا ، على نفوية قبضنها على الدول الحاضرة لانتدابها ، ووضعت الدولتان حدودا سياسية صناعه ، ونظما مختلفة فى السياسة والاقتصاد لنضعف من الصلات القومية بين العرب .
- وفى أعقاب الحرب العالمية النانية ، وكما هو العيد بالاستعمار ، أخلت بريطانيا بوعدا قبل فلسطين . . بل وانفقت اليهودية الصهيونية مع بريطانيا ، على اغتصاب حقوق العرب فى فلسطين ، لبحل مكانهم اليهود الوردون من شتات العالم .

اليهود وأمريكا

- اتجه الصهيونيون بنشاطهم الى الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما أحسوا بأن بريطانيا تسير فى فلسطين على طريق الحذر ، لتلافى اثاره الرأى العام العربى .
- واستغل اليهود ، جهل الرأى العام الأمريكى ، بما يدور فى فلسطين بل وفى الشرق الأوسط ، لكسب شعور الحكومة الأمريكية . . حتى أن أول عون رسمى أمريكى لاسرائيل ، قد تنفذ فى عهد الرئيس « روزفلت » ، على هيئة تصريح « بلتيمور » الذى صدر فى (مايو ١٩٤٢) ، متضمنا :
- ضرورة اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، كجزء لا يتجزأ من العالم الحر .
- اطلاق الهجرة اليهودية لفلسطين .
- انشاء جيش يهودى معترف به ، يحارب تحت رايته الخاصة .

وبعد وفاه « رورفلت » بولى « برومان » رئاسه أمريكا ، ومارس الصهيونيون ضغوطهم على الرئيس الجديد ، ليحقق لهم مظامهم وأغراضهم .
ولم يكن من الصعب على الصهيونيين ، اثناء سير الحرب العالمية الثانية ، النكهن بانتصار الحلفاء وعلى صاديهم أمريكا .
واسعداداً لما سيكون عليه عالم ما بعد الحرب ، استغلّت الصهيونية اسلوب الضغط للحصول على تأييد أصحاب النفوذ السياسى فى الحكومة الأمريكية ، لصالح المخططات والأهداف الصهيونية .
وركز النشاط الصهيونى فى قلب نيويورك نفسها .
وكان أول بجواب للتدخل الأمريكى لصالح الصهيونية ، هو ضغط الرئيس « ترومان » على « أبلى » رئيس حكومة بريطانيا ، للسماح العاجل بدخول ١٠٠ ألف يهودى من ضحايا النازية ، الى فلسطين .
ومضت الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا ، فى الطريق الذى رسمته لهما الصهيونية ، لتحقيق الوطن القومى لليهود فى فلسطين ولخلق دولة يهودية بها .

بؤادر النكبة

كانت حكومة فلسطين الانجليزية ، تحت التصرف المطلق للوكالة اليهودية ، خلال فترة الانتداب البريطانى (١٩٢٠ - ١٩٤٨) .
فى الوقت الذى أهملت فيه حقوق العرب ، وهم أغلبية السكان الاصليين لفلسطين .
وأصبحت فلسطين ، فى حدودها الصغيرة ، تضم ثلاث لغات رسمية هى العربية والانجليزية والعبرية ، فى وقت كان اليهود فيه لايزيدون عن ٧٪ من سكان فلسطين الأصليين .
وأخذت بريطانيا تمهد لقيام الدولة اليهودية الموعودة . وتكون فى فلسطين ، حكومة انجليزية عسكرية ، قامت فى ظلها ، الجمعية الصهيونية برئاسة « وايزمان » التى تتألف من يهود انجلترا وفرنسا وإيطاليا ، ووضعت هذه الجمعية ، البرنامج الصهيونى الذى يجب أن تتبعه بريطانيا ، من أجل انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين والتمهيد لدولة اسرائيل .
وكافح عرب فلسطين كثيراً ، لمواجهة الأطماع اليهودية ، وكانوا بين نارين . . الوكالة اليهودية من جهة ، وحكومة الانتداب المتحيرة تماماً لليهود من جهة أخرى .

واندلعت نيران الثورة العربية ٠٠ وبوالت ثورات عرب فلسطين لمدخل طورها الايجابي ٠٠ فكانت ثورة القدس (عام ١٩٢٠) - وبوره « يافا » المشهورة (مايو ١٩٢١) - واضطرابات القدس (٢ نوفمبر ١٩٢١) - وحوادث « يافا » (مارس ١٩٢٤) - واضطرابات (أغسطس ١٩٢٩) التي سادت جميع أنحاء فلسطين وقتل فيها حوالي ٢٠٠ يهودي أكثرهم في الخليل والقدس ويافا ، وكان سببها اعتداء اليهود على البراق النبوي الشريف وثورة الشيخ « عز الدين القسام » (٢ نوفمبر ١٩٣٥) والتي تحولت الى حركة عصيان مسلح ضد اليهود وحكومة الانتداب .

حتى كانت الثورة العربية الكبرى ، التي بدأت في (١٧ أبريل ١٩٣٦) بتحركات اليهود بعرب « يافا » ، وتدخلت القوات البريطانية لحماية اليهود والبطش بالعرب العزل من السلاح . وشمل الجهاد عموم فلسطين في نوره عارمة لتحرير البلاد من الاستعمار والصهيونية ٠٠ ووصلت قوات متطوعة من سوريا والعراق منضمة الى عرب فلسطين ، وطالبت « اللجنة العربية العليا » برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين في ثورة عارمة لتحرير البلاد من الاستعمار والصهيونية ٠٠ في وقف الهجرة اليهودية ، وتشكيل حكومة دستورية تمثل الشعب الفلسطيني بأكثريته العربية الساحقة .

وانتصر الثوار الفلسطينيون ، في معظم ما خاضوه من معارك ، مع قوات بريطانيا العظمى بدباباتها وطائراتها ومدافعها . ودام الاضراب العام ستة أشهر ، قدم فيها عرب فلسطين أعظم التضحيات . ويئس الانجليز تماما من اخماد الثورة ، بعد أن استعملوا جميع أنواع البطش والوحشية والارهاب .

وأخيرا توسل الانجليز بالمركر والحيلة والدسائس ، وأقنعوا ملوك العرب بالتوسط لانهاء الاضراب ، واعدين بالنظر في مطالب العرب . وبالفعل تدخل ملوك العرب وامراؤهم في (١١ أكتوبر ١٩٣٦) لانهاء الاضراب .

وكم من لجان تدخلت للتخفيف وتهديئة الجو بين العرب واليهود في فلسطين ٠٠ ولكن كانت لها مآرب استعمارية وصهيونية ، هي الوصول الى الهدف المرسوم لانشاء دولة اسرائيل . بل اجتهدت معظم هذه اللجان في ابراز رأى بعض اليهود لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

وكان للعرب استنكارهم ووفقاتهم في وجهه منسدر المماررا -
المكشوفة •

استعداد اليهود

استغلت الصهيونية ، الحرب العالمية البانية ، لتقوى اقتصادا وعسكريا وتنظيما • فمتلا :
- استغل اليهود فرصة اقرب الجيش الألماني من فلسطين ، للنسليح والتدريب وتكوين جيش دفاعي ومنسمرات حصية •
- الاستفادة من عطف العالم على اليهود الذين عذبهم البارية الألمانية •

- قامت جمعيات سرية يهودية تعمل على شكل منظمات عسكرية مثل • عصابات « الهاجانا » و « الأرجون » و « نسر » و « المكابي » •
وأقبل يهود فلسطين على حمل السلاح ، وأخذوا يسعدون منذ عام ١٩٤٤ ، وأعلنوا باسم « الجمعية العسكرية اليهودية » فتح أبواب فلسطين لليهود • وفي خريف عام ١٩٤٧ ، أعلنت الجمعية عن عزمها على انشاء دولة يهودية كبرى في وطنهم التاريخي •

فلسطين وهيئة الأمم المتحدة

ودخلت مسألة فلسطين الى قاعات هيئة الأمم المتحدة ، وتألفت لجنة دولة (٢٨ أبريل ١٩٤٧) للتحقيق في تلك المشكلة • وانقسم أعضاء اللجنة الى فريقين ، أحدهما يؤيد تقسيم فلسطين ، والثاني يؤيد إقامة اتحاد فيدرالي بين العرب واليهود في فلسطين • وكانت الأغلبية • مع الرأي الأول •

ونتيجة لضغط أمريكا والصهيونية ، أقرت اللجنة في (٣ سبتمبر ١٩٤٧) بصفة مبدئية ، فكرة التقسيم ، وأحالت الموضوع الى لجنة أخرى رأت أن تجتمع مع جميع ممثلي اليهود • فأخذت وجهة النظر اليهودية ، دون أن تحصل اللجنة على أي وجهة نظر عربية •
وقد تضمن تقرير اللجنة :

- انتهاء الانتداب على فلسطين •
- تقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل •
- إبقاء القدس وما حولها تحت وصاية الأمم المتحدة •

وفاز قرار تقسيم فلسطين بأغلبية ثلثي الأصوات .
وكان الأمم المتحدة ، بهذا العمل ، قد أنهت وصاية عصبة الأمم على
فلسطين لعطيها لليهود .

أنهار الدماء العربية

وفرضت الصهيونية وجودها بالارهاب في فلسطين . وراحت
العصابات اليهودية تفرض الذعر والابادة والدمار في جميع القرى
الفلسطينية ، وأخذت تكيل للعرب ضرباتها بكل وحشية وحقد وتجرد
من الضمير الانساني .

وكان ذلك بقصد بث الذعر في صفوف العرب وحملهم على الفرار
من ديارهم وقراهم واحلال اليهود بدلهم .

وكانت مذبحه « دير ياسين » الرهيبة (٨ أبريل ١٩٤٨) ، حيث
اتمعت فيها عصابات « الأرجون » و « الهاجاناه » أحدث أساليب الاجرام
الدموي .

وقد قامت عصابة « الأرجون » بقتل جميع سكان القرية ، رجالا
ونساء وشيوخا وأطفالا ، بما يبلغ ٢٥٤ نفسا ، قطعت أوصالهم ومنلت
بحث القتل .

وكانت السيارات اليهودية في القدس ، تعلن بمكبرات الصوت ،
« اهربوا من القدس قبل أن تقتلوا » . . . و « ان لم تتركوا منازلكم ، فان
ما حل بدير ياسين سيكون مصيركم » .

وهنا كان اليهود ينفذون تعاليم التوراة . . . « اذاعة الذعر عن
طريق مذابح مرسومة » .

وعقدت عصابة « الأرجون » مؤتمرا صحفيا ، أعلنت فيه تفاصيل
المذبحة وما أنجزته من وحشية ، ولتعلن بأن ذاك هو بداية غزو
فلسطين .

وسرعان ما انتشرت أخبار المذابح في طول فلسطين وعرضها ،
واستشعر العرب الخطر ، فأخذ الاهالي يفرون بأرواحهم تاركين خلفهم
دورهم ، الأمر الذي دفع العرب الى الهجرة على أوسع نطاق .

وقد تباهى « مناحيم بيجن » في كتابه « التورة » بهذه الوحشية
قائلا :

» . . سيطر العرب على عرب فلسطين نتيجة لمذبحة دير ياسين ،
التي كان لها من التأثير ، ما يساوى قوة ست كتائب من الجنود . . أما
فى بهبة أنحاء فلسطين ، فقد بدأ العرب يهرون هلعاً . .

ولولا مذبحة دير ياسين لما كانت اسرائيل . .

ونبلغ جرائم الانجليز واليهود بشاعتها العظمى فى فلسطين .
وتبدأ جامعة الدول العربية فى انشاء جيش الانقاذ الفلسطينى من
المتطوعين العرب .

وتمر الأيام بسرعة تفوق سرعة الأحداث الدامية التى نمر على
أرض فلسطين . حتى يقترب يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ .

قيام دولة اسرائيل

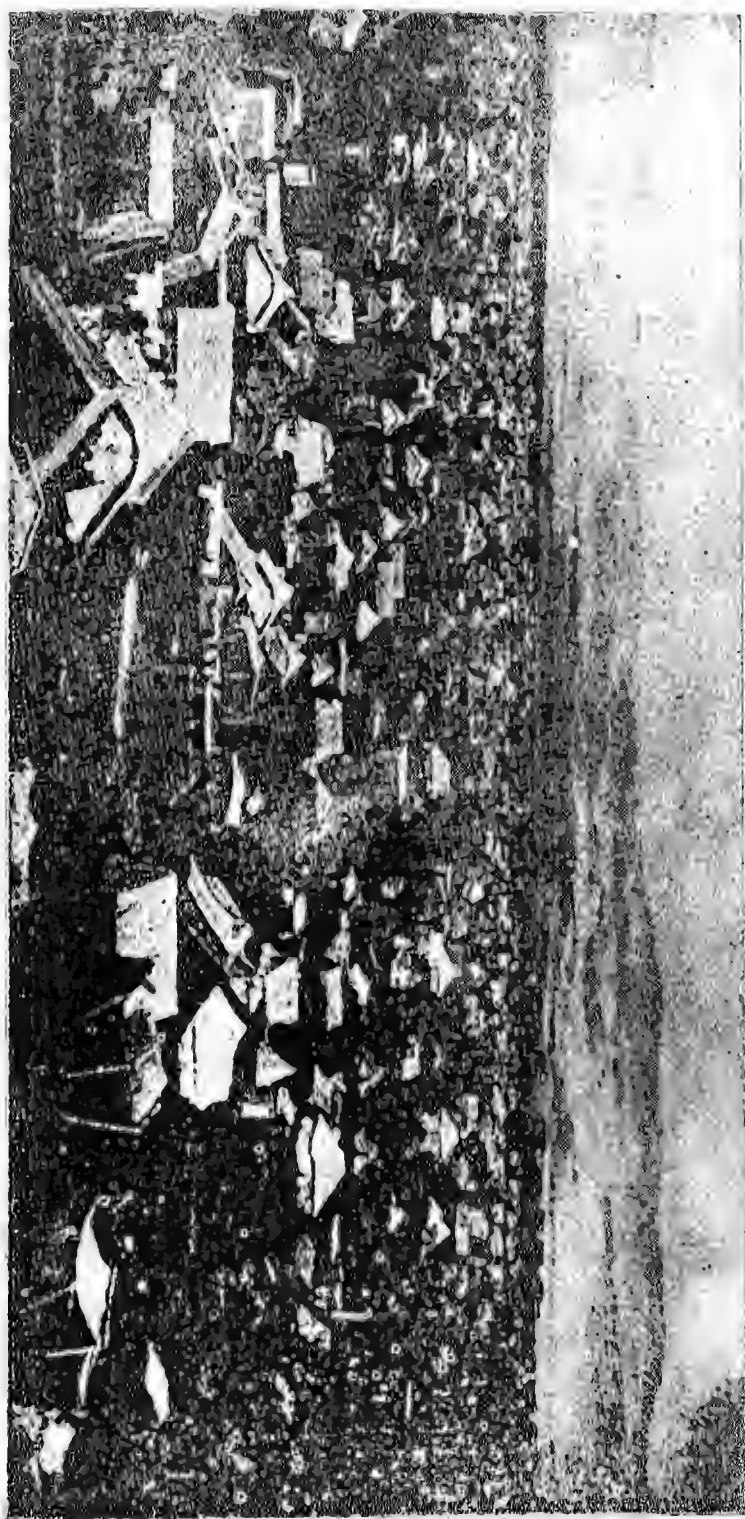
وعندما أعلنت الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعية ١٤ مايو
١٩٤٨ فى تل أبيب . . اجتمع أعضاء المجلس القومى اليهودى وممثلو
الحركة الصهيونية ومندوبو الصحف ، فى قاعة « الموزيون » . ووقف
« بن جوريون » ليعلن قيام دولة اسرائيل ابتداء من الدقيقة التى يسمي
فيها الانتداب البريطانى . . ليلة (١٥ مايو ١٩٤٨) .

وبعد مرور ١١ دقيقة من اعلان قيام دولة اسرائيل ، أعلن
الولايات المتحدة الأمريكية اعترافها بالدولة الجديدة ، وتبعتها «جواتمالا»
فى نفس اليوم ، ثم الاتحاد السوفيتى يوم (١٨ مايو ١٩٤٨) . . وتلا
ذلك اعترافات سائر الدول .

وقبل أن يغادر الدكتور « حاييم وايزمان » أمريكا ، لتعين أول
رئيس لاسرائيل ، اجتمع مع «ترومان» الذى وعده بتقديم كافة المساعدات
التي تحتاج إليها اسرائيل ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ، مستعدة
ل تقديم المساعدة فى حالة الحرب مع العرب .

وقد اعترفت باسرائيل ، هيئة الأمم المتحدة وقبلتها بين أعضائها
فى (١١ مايو ١٩٤٩) .

وهكذا ظهرت الى الوجود مشكلة الفلسطينيين ، الذين لحقت بهم
مأساة كونهم أصبحوا لاجئين مشتتين فى الدول العربية وفى أنحاء
العالم .



الباب الثاني

حرب فلسطين

١٥ مايو من عام النكبة الكبرى
أسمتها الصهيونية حرب التحرير
من الاستعمار العربي

الفدائيون المصريون

مساء يوم (٦ مايو ١٩٤٨) ، تحركت قوات المتطوعين المصريين تحت قيادة الشهيد البطل البكباشي « احمد عبد العزيز » . فائدت القوات الخفيفة ، و الفدائيين ، من « العريينس » الى « رفح » عابرة الحدود الفلسطينية الى « حان يونس » لنمهد الطريق أمام الجيش المصري .

وقامت هذه الجماعات الفدائية ، بشس عديد من الهجمات على المستعمرات اليهودية وفامت بتدميرها والاسيلاء على كثر من مدرعات العدو وكميات ضخمة من المؤن والاسلحة والذخائر .

وقد تميز البطل احمد عبد العزيز ، ببراعة تطبيقه لاسلوب المباغتة والمفاجأة في الهجوم . . حتى أطلقوا عليه لقب النمر .

ودمرت القوات الفدائية مستعمرة « كفار ديروم » قرب « دير البلح » ، واحتلت مرتفعات « على المطار » على مشارف « غزة » ، ومنها كانت تقوم بحارب حراسة الطريق وتمهد لتقدم القوات النظامية .

وواصل الفدائيون تقدمهم حتى دخلوا « الحليل » ووصلت معدتهم تجاه « بيت لحم » وحقت الاتصال بين قوات الأردن ومصر يوم (٢٤ مايو ١٩٤٨) ، وأخذت قوات المتطوعين ، تقوم بأخطار العمليات ، التي أصبحت فيما بعد أساسا لدراسة المواجهة والفدائيين . . وأوقعت بالعدو اليهودي أكبر نسبة من الخسائر ، خاصة في معارك (راهات راحيل) و (صور باهر) . . كما تعاونت في معارك جنوب القدس ، مع قوات الجهاد المقدس والمقاومة الشعبية الفلسطينية .

وعندما كان البطل احمد عبد العزيز ، متوجها الى « غزة » يوم (٢٢ أغسطس ١٩٤٨) في عربته الجيب للاجتماع بالقيادة ، وبالقرب من « عراق المنشية » مركز القوات النظامية المحاصرة قرب « الفالوجا » أطلقت على السيارة رصاصة من مركز مصرى للمراقبة طاشت الى صدر البطل فاخترقته وأسلم الروح . . وطيب الله ثراه في « عراق المنشية » حيث دفن بها .

وقد ذكر موقف القوات الخفيفة وتوزيعها بالجبهة الامامية في تقرير كتبه الشهيد البطل في « بيت لحم » يوم (١٨ يونيو ١٩٤٨) مقدرا فيه الموقف العسكري لهوانه :

ولم تكن هناك خطة للمعنى العسكري السليم . بل تعين لكل جنس هدف يصل اليه في وقت معين ، ومن ثم وحسب الموقف يكون أوامر المعركة .

وقد مرت حرب فلسطين بأربع مراحل :

١- المرحلة الأولى :

أبدأت يوم (١٥ مايو ١٩٤٨) يوم دخول الجيوش العربية فلسطين ، وانتهت يوم (٩ يونيو ١٩٤٨) أول أيام الهدنة الأولى . وكان النصر حليف الجيوش العربية إذ حاصرت القوات المصرية القدس الجديدة وقبها نحو ١٠٠ ألف يهودي (٥ يوسو) واقتربت الجيوش العربية من « تل أبيب » .

٢- المرحلة الثانية :

أبدأت بانتهاء الهدنة الأولى يوم (٩ يونيو ١٩٤٨) . وانتهت عند قبول الهدنة الثانية (١٨ يوليو ١٩٤٨) . ولم ترجح كفة الجيوش العربية لعدم التنسيق فيما بينها . خاصة وقد نخلي الجيش الأردني عن « اللد » و « الرملة » وعن مواقع في المنطقة الجنوبية وتركها لليهود وانضج في هذه المرحلة أن بعض القوات العربية كانت ملزمة بتنفيذ سياسة حكوماتها وهي عدم التعدي على خطوط التقسيم وبذلك وضع لليهود أن الجبهة الوحيدة التي تقايلهم هي جبهة الجيش المصري .

٣- المرحلة الثالثة :

أبدأت يوم أن خرق اليهود الهدنة يوم (١٤ أكتوبر ١٩٤٨) بهجومهم المفاجئ على القوات المصرية في جنوب فلسطين ودار القتال بعنف في أكثر من موقع وسندد اليهود ضغط هجومهم على « المجدل » وحاصروا « الفالوجة » وبحماس ذاتي حاولت القوات العراقية الاتصال بالقوات المصرية بالفالوجة ، إلا أن « جلوب » قائد القوات الأردنية حال دون ذلك .

وفرضت هدنة ثالثة يوم (٧ يناير ١٩٤٩) وبحضور وسيط هيئة الأمم « رالف بانس » اجتمع في جزيرة رودس ، مندوبون عن مصر واسرائيل حيث تم الاتفاق على هدنة بغرض انهاء عمليات القتال يوم (٢٤ فبراير ١٩٤٩) ، وتم انسحاب قوات الفالوجة ، وتم تبادل الأسرى ، ووضع قطاع غزة تحت إدارة القوات المصرية .

٢٦ - المرحلة الرابعة :

وقد تمت في (مارس ١٩٤٩) ٠٠ وفيها ساء الجبال ، جنوب ، لليهود ، الجزء الجنوبي من النقب ، كما سلبهم مبناء « ام السراسر » (وأسموه ميناء « ايلات » فيما بعد) على خليج العقبة . ولاول ٠٠ في التاريخ ، يتم فصل الوطن العربي في آسيا ، عن قرينه في افريقيا . ٠٠ وكفى ادراكا لأهميه النقب بالنسبة لليهود ، ان تذكر ان اليهود ٠٠ فنلوا « برنادوت » (سبتمبر ١٩٢٨) حينما أوصى في مذكراته أن يكون النقب في الدولة العربية ٠٠ فقتله اليهود رسماً لأن القتله معروفون . وإذا أجبر لنا المعلق على هذه الهدنات ٠٠ فان الهدنة الاولى التي فرضتها الدول الكبرى ، وأعلنتها من قاعة مجلس الأمن (٩ يونيو ١٩٤٨) ٠٠ حولت نتائج الحرب الى جانب اسرائيل . ومن هذا التاريخ ، واسرائيل تعتمد على هذه المساومة واعميرها من اقوى ركائز امنها القومي ودعم وجودها ٠٠ واصبحت اسرائيل البادئة في جولانها ضد العرب ٠٠

واغتصب من نصرها - في ١٩٤٨ - بفا وعشرين الف كسار ٠٠ ربع من الأرض العربية الفلسطينية ، بزيادة ٣٠٪ عن نصيبها من مزار التقسيم الجائر ، الذي أصدرته الأمم المتحدة في (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) ٠٠

وكان رد فعل الهزيمة في فلسطين ، في اوساط الجيش المصري بالمرارة ، الدرجة ألهمت حماس الضباط الاحرار الذين بدأوا يحركون تنظيمهم ويمدون نطاقه ٠٠ وننتهي حرب فلسطين (عام ١٩٤٨) ٠٠ ١٠٢ أرادوا لها أن تنتهي ٠٠

ويصرح « بن جوريون » :

« أما السيف الذي أعدناه الى غمده ، فانه لم يعد الا مؤفقا ٠٠ اننا سمسنته حين تتهدد حريتنا في وطننا ، وحينما تتهدد رؤيا أنبياء المودة ٠٠ فالشعب اليهودي بأسره سيعود الى الاستيطان في ارض الآباء والاجداد ، الممتدة من النيل الى الفرات » ٠٠

الباب الثالث

مرب السويس

٢٩ أكتوبر

من عام العدوان ١٩٥٦

أفضل عدوان في التاريخ

حدث العدوان الثلاثي الغادر على مصر . يوم (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) .
في أكبر مؤامرة استركت فيها إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا .

ونعتبر الأحداث التي مرت بها مصر ، خلال الأعوام السابقة لعام ١٩٥٦ ، بمثابة ناقوس الخطر الذي تعالت دقاته ، فكان له دوى أفرع أعداء الأمة العربية .

وانسندت الحرب الباردة في منطقة الشرق الأوسط العربي ، وشاقق فيها الصراع بين الاستعمار وبين مصر .

ونمة أحداث من جانب حكومه الثورة المصرية ، هزت الاستعمار وأفقدته السيطرة على أعصابه . . كان من أبرزها : .

- ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، وقع الرئيس عبد الناصر بالأحرف الأولى على اتفاقية الجلاء . ويبدو رد فعل هذه الاتفاقية على إسرائيل واضحا نى نصريخ رئيس وزرائها من أن مثل هذه الاتفاقية بين مصر وبريطانيا معنى . . « التخلي عن إسرائيل لتواجه قدرها وحبرها » .

- ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ، أحس الاستعمار الغربى والصهيونية العالمية ، بأن مسيرة الثورة المصرية ، تقضى على أحياءهم ومشروعاتهم في المنطقة العربية ، وكان لزاما على الأعداء أن يتحركوا ليخلصوا من الرئيس عبد الناصر . . وبالفعل جرت محاولة لاغتياله في مساء ٢٦ أكتوبر بينما كان يشرح لجمهور الشعب في ميدان المنشية بالاشكندرية . نصوص اتفاقية الجلاء .

- أول نوفمبر ١٩٥٤ ، أعلنت ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسى . . وفتحت مصر أبوابها على مصراعها مرجبة بأحرار الجزائر ، وقدمت لجيش التحرير الوطنى الجزائرى كافة المساعدات واستقبلت المعسكرات المصرية نوار الجزائر لتدريبهم . . حتى انطلق قادة فرنسا ينادون بأن القاهرة ولست الجزائر ، هى المكان الذى يمكن أن تنتهى فيه ثورة الجزائر .

- ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، شنت إسرائيل على غزة حملة انتقامية ، وازدادت حوادثها الاستفزازية خلال عام ١٩٥٥ .

- ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ ، الانتصار في معركة احتكار السلاح .
وكان بونر الموقف على خطوط الهدنة مع اسرائيل ، من أهم البواعث التي دفعت الرئيس عبد الناصر ، الى البحث عن مصادر جديدة للحصول على الأسلحة منها ، بعد فشل المحاولة التي بذلت مع الدول الغربية . وعقدت صفقة الأسلحة مع الكملة السرفنة وكانت ضربة صائبة اذ اناحت لمصر ، وللمرة الأولى في تاريخها ، أن تنحدر من سيطرة الغرب من الناحية العسكرية .
- في أوائل عام ١٩٥٦ ، استقبلت القاهرة جميع الزعماء الجزائريين الذين حكمت عليهم فرنسا بالاعدام أو السجن ، حيث كانوا « لجنة التحرير الوطني » . وردا على ذلك قامت حكومة فرنسا بشن حملة كراهية ضخمة ضد مصر وركزت كراهيتها في شخص الرئيس عبد الناصر .
- ١٦ مايو ١٩٥٦ ، اعترفت حكومة البورة المصرية بدولة الصين الشعبية ، فكانت مصر أول دولة عربية تعترف بها . ولم يعجب أمريكا هذا الاعتراف ، لأنه أفسد خطط الاستعمار الأمريكي الذي يعمل على عزل الصين الشعبية عن دول العالم .
- ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، تم جلاء القوات البريطانية المحتلة (٨٠ ألفا) من الأراضي المصرية ، ورفع العلم المصري فوق أرض القناة .
- السد العالي ٠ وبرز مشروع تمويل تنفيذه الى الوجود ، وهو من أهم المشروعات الاقتصادية التي عنيت حكومة البورة المصرية بتحقيقها .
- ١٩ يوليو ١٩٥٦ ، أصدرت لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا حظرت بموجبه تقديم أى معونة مالية لبناء السد العالي . كما سحبت الحكومة الأمريكية رسميا عرضها بمبلغ ٥٦ مليون دولار لتمويل مشروع السد العالي .
- ٢٠ يوليو ١٩٥٦ ، سحبت بريطانيا عرضها بمبلغ ١٥ مليون جنيه تقريبا لتمويل المشروع . كما أعلن رئيس البنك الدولي ، انه نظرا للقرار الانجلو - أمريكي فان البنك لا يستطيع أن يقرض مصر مبلغ ٢٠٠ مليون دولار التي وعدها به منذ أسبوع سابق .
- ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس . اذ لم يكن هناك أمام مصر الا أن تعتمد على نفسها كلية لتمويل مشروع السد العالي . ولم يكن ليتم ذلك الا بضربة صائبة ، نستعيد بها مصر حقها أساسيا من حقوقها .

رد فعل التأميم

كان اعلان تأميم قناة السويس بمثابة انفجار سميد أتاح بمحور سياسة الغرب ، الذين اغتبروا فرار الرئيس عبد الناصر ، من أكبر الازمات منذ الحرب الكورية .

وفى اليوم التالى للتأميم ، بينما كانت وزارة الخارجية البريطانية تصل بفرنسا حليفها فى حلف شمال الاطلسي ، وكان خبراء الخزانة البريطانية بحسبون نتائج التأميم بحساب الجنيهاً وبراهيل الجول والمناقص العديدة التى يفوقها التأميم على بريطانيا . وبنت الأرقام أن استعادة مصر لقناة السويس ، تعتبر بمسألة الضربة القاضية على المصالح البريطانية فى الشرق الأوسط .

وفى يوم الجمعة (٢٧ يوليو ١٩٥٦) اتصل « ايدن » بليفوناً ، بمنسيو « بينو » وزير خارجية فرنسا الذى اوعز الى « ايدن » ان يطلب من قادة قواته المسلحة ، اعداد الخطة اللازمة للقيام بعمل عسكري ضد مصر . وكسبت صحف بريطانيا وفرنسا عن ضرورة تزويد اسرائيل بمزيد من الأسلحة .

أما فرنسا . . فكانت فى ثورة أشد وأعنف من ثورة بريطانيا . إذ كان احساسها بقرار التأميم ، كأن مصر قد هاجمت فرنسا واحتلها . . فقد كانت سرقة قناة السويس آخر معقل دولى هام للراسمالية الفرنسية . أما أمريكا . . فكانت مشغولة بالحملة الانتخابية . . فقد كان « اينزهاور » - الذى كان يعتمد فى دعاياه الانتخابية على وصفه « أمبرا للسلام » - يعمل على إعادة انتخابه فى شهر (نوفمبر ١٩٥٦) .

الا أن قرار التأميم لم يؤلم أمريكا بنفس القوة التى تأثرت بها فرنسا وبريطانيا ، إذ لشركة القناة أجمل الذكريات التاريخية بالنسبة لهما . أما اسرائيل . . فمنذ عقدت مصر صفقة الأسلحة التشيكية ، و « بن جوريون » يردد دائماً أن مصر تشكل الخطر الأكبر الذى يهدد كيان الدولة اليهودية ويزعزع مستقبل اسرائيل . ولذا اعتزمت اسرائيل أن تقوم بحرب وقائية لتدمير الجيش المصرى وأسلحته الجديدة .

وانتهزت اسرائيل مشكلة قناة السويس ، وراحت تزيد المشكلة اشتعالاً ، وتوغر صدر فرنسا ضد مصر . . وتمكنت اسرائيل من اقناع فرنسا التى أقنعت بدورها بريطانيا ، لهيئة مشروعاتها العدوانية . وهكذا كان حلف التواطؤ الاسرائيل الفرنسى البريطانى ، الباعث على العدوان الثلاثى على مصر .

بدء العدوان

وفي الساعة الرابعة والنصف مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ . .
بدأ الهجوم الاسرائيلي القادر على الأراضي المصرية .

- دخلت الوحدات المدرعة الاسرائيلية بسرعة الى مراكز الحدود في
القطاع الجنوبي من الحدود الاسرائيلية المصرية .

- تم اسقاط ٣٩٥ من جنود المظلات الاسرائيليين في مصر مثلا .

- قامت ١٢ طائرة ميسنير بدوريات فوق القناة .

- طارت الى اسرائيل وحدات من سلاح الطيران الفرنسي ، من التي
كانت تخدم أغراض حلف شمال الاطلسطي .

- قامت من قبرص طائرات النقل الفرنسية لاسقاط الاسلحة والتجهيزات
للقوات الاسرائيلية المتقدمة .

وصدر الانذار البريطاني الفرنسي ، الذي سماه كل من السفيرين
المصري والاسرائيلي يوم (٣٠ أكتوبر ١٩٥٦) الذي جاء فيه ، بأن يستحب
كل من الطرفين المصري والاسرائيلي ١٠ أميال من القناة في ظرف ١٢
ساعة ، والا ستحتل القوات البريطانية والفرنسية بورسعيد والاسماعيلية ،
والسويس .

وقبلت اسرائيل الانذار . . ورفضته مصر بالطبع . .

وفي يوم (٣١ أكتوبر ١٩٥٦) . . بدأ الهجوم الجوي على مصر .
فقد انطلقت من حاملات الطائرات البريطانية والفرنسية ومن قاعدة قبرص
العسكرية حوالي ٢٠٠ طائرة بريطانية وفرنسية .

وبحركات قطع الاسطول البريطاني والفرنسي لاسيما خط العزو ،
التي كانت في البداية تهدف الى نزول القوات البريطانية والفرنسية في
ميناء الاسكندرية ، ثم تغير مكان النزول لسكون في بورسعيد .

وفي ليلة ٣١ أكتوبر . . اصعد الرئيس عبد الناصر وامره
بالانسحاب العام للجيش من سيناء . ووقف اشتراك القوات الجوية المصرية
في هذه المعركة غير المتكافئة .

ونسف الجيش السوري ثلاث محطات لدفع البترول على خط أنابيب
البترول العراقي . وقطعت المملكة العربية السعودية علاقتها مع بريطانيا
وفرنسا ، وقررت وقف بيع البترول السعودي لهما .

وفى أول نوفمبر ١٩٥٦ ٠٠ سدت قناة السويس وبوقفت الملاحة بها
عبرها .

واسستدت العارات الجوية البريطانية الفرنسية على المطارات المصرية ،
قامت بها أكثر من ٢٠٠ طائرة منخالفة بمعدل غارة جوية كل ربع ساعة .
وأمام قوى التحدى الاسعمارية ، قبل الشعب المصرى التحدى
وعقد العزم على احراز النصر أمام القوى الغاسمة .
وسمت بنجاح خطه انسحاب الجيش المصرى من سيناء .

وفى يوم ٥ نوفمبر ٠٠ استتدت الغارات على بورسعيد مهيذا للهجوم
عليها ، غارات جوية وبحرية ، لتغطية انزال القوات البريطانية والفرنسية
من الجو والبحر .

وبم الاسقاط الجوى بينما كانت هناك قافلتان بحريتان بريطانيه
وفرنسية ، فى طريقهما لانزال قوانهما على شواطئ بورسعيد وبورفؤاد .
واستطاعت قوات العدوان أن تحتل أجزاء من بورسعيد وبورفؤاد
ورأى الرئيس عبد الناصر أن يتأخر فى الرد على العدو ، ليكسب الوقت
الكافى ، الذى نتمكن فيه الدول الكبرى من التدخل لوقف العدوان ، ولانارة
أعضاء هيئة الأمم المتحدة .

وبالفعل أرسلت روسيا الى مجلس الأمن لعقد جلسة طارئة ، ليمح
التدابير الفورية الواجب اتخاذها لوقف عدوان بريطانيا وفرنسا واسرائيل
على مصر .

وأرسل رئيس وزراء روسيا رسالة الى الرئيس الأمريكى « ايزنهاور »
والى « جى موليه » وبرسالة جافة الى « بن جوريون » ، كما نسلهم السفير
البريطانى فى موسكو مذكرة من وزير خارجية روسيا . لابلاغها الى « ايدن »
والتى كانت تتضمن انذارا بالتدخل العسكرى السوفمى .

وتحول العدوان الملانى على مصر ٠٠ الى أزمة دولية ، تهدد بنشوب
حرب عالمية نالشة .

ولمس أطراف العدوان . جدية الانذار الروسى ٠٠ مما دفع اسرائيل
الى الانسحاب من مغامرة العدوان متخلفة بذلك عن بريطانيا وفرنسا ،
ووضعتهم فى أسوأ وضع .

واجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى لدراسة الموقف ، الذى وصل
الى ضغط أمريكا على بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، لوقف اطلاق النار فوراً .

واذعت بريطانيا وفرنسا لإرادة غالبية الأمم المتحدة ، وقررنا إبقاء
القرار اعتباراً من منتصف ليل (٦ نوفمبر ١٩٥٦) .

وبحت الضغوط المزدوجة . . . والتي من أهمها الجحيم الذي أعده
المقاومة الشعبية في بورسعيد ، والشعب المصري لقوات العدوان . .
لم يجد فرنسا مقراً ومعها بريطانيا من الجلاء تدريجياً بمجرد وصول قوات
الأمم المتحدة . كما اتفق على قيام الأمم المتحدة بالمعاونة في تطهير القناة ،
بعد انسحاب المعتدين نهائياً من منطقة القناة .

ووصلت القوات الدولية إلى مطار « أبو صوير » وبورسعيد يوم ٢١
نوفمبر . .

وفي منتصف ليل ٢٢ نوفمبر . . كان آخر جندي من قوات الإغناء
يركب آخر سفينة للانسحاب عن بورسعيد التي عادت حرة لمصر .

وحطم أهالي بورسعيد تمثال ديليسبس . . وارتفع علم مصر عالياً .
هذا وفد من اسحاب إسرائيل ، في أعقاب دخول قوات الطوارئ
الدولية التي وصلت إلى مشارف غزة يوم ٦ - ٧ مارس ١٩٥٧ ، وكانت
هذه القوات قد تسلمت « سِرم الشيخ » يوم ٢ مارس .

وهكذا لم يزد دور إسرائيل في هذه الجولة ، عن مجرد مخلب قطن
لفرنسا وإنجلترا :

- لاختداد أنفاس النحر .
- وإعاقة ركب السطور العربي .
- وكبت الانتفاضات التحررية .
- ووقف ببار المد النوري لتطهير أرض العرب من الاستعمار والاستغلال .
- ووقف العالم أجمع - حكومات وشعوباً - بدين هذا العدوان الإمبريالي
الغربي المتواطئ مع إسرائيل ضد العرب . . ولأول مرة في التاريخ .
تتكاتف أمريكا مع روسيا ، على سحق هذا العدوان بعنف وجدية .
- وانزعت إسرائيل عام ١٩٥٦ ، حق الملاحة البحرية والجوية عبر خليج
العقبة العربي .

ولم يرض إسرائيل ذلك . . فقد أوضحت عن مكنون نواياها
التوسعية ، على لسان « موسى شاريت » في تصريح له نشرته « جبروساليم
بوست » عام ١٩٥٥ . . إذ يقول :

« ان اسرائيل ، لن يكسب لها البقاء . ما لم تنس حربا وفائية على الدول العربية . ونعمل على مد حدودها داخل هذه الدول ، حتى نضمن سلامتها ، وحماية تحقيق الحام ، الذي طالما راود فلاسفه الصهيونية . ألا رهو امارة امبراطورية اسرائيلية . ممتدة الأرجاء ، نعرض ساطانيا قودا يختصاه الجمع » .

وخلصه غابات العدوان الابلى على مصر . نلخص أهدافه فى الآبى :

١ - نخطيم السوره فى مصر . . لايها مصدر خطر على اسرائيل ، بعد نخطيم احتكار السلاح .

٢ - ارجاع المفوذ الاسنعمارى الى قناة السويس ، وحرمان الشعب المصرى . من أكبر مورد له ، بدر عامه سنويا ، أكبر من مائة مليون جنيه اسنرلبنى .

٣ - نخطيم الحصار الاقنصادى العربى لاسرائيل . . وذلك بفتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية .

الباب الرابع

حرب ٥ يونيو

.. من عام النكسة ١٩٦٧

التخطيط الاسرائيلي

جاءت نتائج الجولة الثالثة (عام ١٩٥٦) معجبة لآمال اسرائيل .
واسمخلصت من فتنةها ، يقينا بأن نواظر بريطانيا وفرنسا معها كان السبب .
في انكسار هذه الجولة .

وقامت أجهزة التخطيط الاسرائيلية ، بمحدد الهدف السياسي
العسكري الجديد لجولة قادمة . ووضع الخطوط العريضة للعمل
المطلوب انجازه ضد العرب ، مرتكزة على :

- النهضة التكنولوجية .
- تطوير نوعي لقدراتها المسلحة الذاتية .
- بعوض النقص بمعونات مستنرة لا تكشف أمام الرأي العام العالمي .

وبحقيقا لذلك ، كان على اسرائيل أن تستبدل السلاح الجوي البريطاني
الفرنسي ، الذي حقق لها (عام ١٩٥٦) الضربة الجوية المفاجئة . بسلاحها
الجوي بمفرده وقدراته الذاتية على تحقيق هذه المهمة عام ١٩٦٧ .

ونالت بقية الأسلحة نفس التطوير والاهتمام . عدا السلاح
البحري ، اعتمادا على وجود الأسطول السادس الأمريكي في مياه البحر
المتوسط .

وقد كشف عن ذلك الاعداد والاستعداد ، تصريح العميد « مردخاي
هود » قائد السلاح الجوي الاسرائيلي في أعقاب الجولة الثالثة (١٩٦٧)
بقوله :

« ان سلفي . عازر وايزمان ، يعود اليه كل الفضل اذ بدأ الاعداد
لهذه الحرب غداة أن حرمتنا من ثمار النصر عام ١٩٥٦ » .
هذا وقد حدد مجلس الحرب الاسرائيلي ، في أعقاب جولة ١٩٥٦ ،
الهدف السياسي للجولة القادمة ضد العرب ليكون :

« تثبيت أركان دولة اسرائيل على الصعيد العالمي والاطار المحلي ،
كخطوة مرحلية في الطريق المرسوم لانشاء دولة اسرائيل الكبرى » .
وكان ذلك يشكل هدفا سياسيا مركبا ، تنبئ منه عدة أهداف
سياسية عسكرية هي :

- ايقاع نكسة عنيفة بالطرفة العربية التفرعية .

- ابقاع عريجه عسكريه ساحقه بكل القواب المسلحه العربيه الماخجه لاسرائيل ، بفعدها اللفه في النفس ، ونفقه الشعوب العربيه في فاعليهما . . كما يوفر لاسرائيل مرحله هدوء نسبي باليه ، سمنعها في تنهمه فدراب الدوله بمعدل عال ودون معومات .
- قلم نظم الحكم التقدميه في الدول المهرومه .
- جميع مشكله اللاجئين الفلسطينيين في المجال الدولي والمحلي .
- بحفبق مكاسب اقليسيه ، بافاهه عاصمه اسرائيل الكبرى في القدس . وتعديل بعض أجزاء الحدود بما يوفر لاسرائيل أمنا قوما أفضل . وتأمين الملاحة في خليج العقبة وفناه السويس .
- فرض الحل السياسي الملائم لمشكله فلسطين من وجهه نظر اسرائيل . ورمي الهدف السياسي أيضا الى سحن معنويات الجبهه الداخليه الاسرائيليه ، وزيادة ترابط أسسات سكانها المختلفي الجنسيه ، وإنارة اعجاب المائلين لها في سنى أنحاء العالم ، سعيا وراء المعونات والبرعات والتهبات .

أما العرب

- وبقدر ما أعدت اسرائيل وجهرب ، والتزمت بأسس ومبادئ الحرب في كل جولة من جولاتها الثلاث . . وبقدر ما حشدت وعبأت من قدرات مادية ومعنويه . .
- بقدر ما تهاون العرب في الاعداد والتجهير . . وبقدر ما فتنوا وشنتوا من امكانيات ، وأضاعوا من قدرات هباء وبلا مبالاه . .
- وحاجة العرب أصبحت بين القوى المضادة :
- سلامة حشد الامكانيات .
- جدية عقد المقارنات بين القوى المضادة .
- حسن استغلال القدرات .
- كفاءة وضع الخطط .
- مرونة السيطرة على المعركة .
- صلابه الارادة ورباطة الجأس في الأزمات .
- واقعية تحليل مختلف العواقب المحتمله .
- الاستعداد الجوى للملاقاة ضخامة الجهد المطلوب في الصراع .
- معرفه جذور مستقبل القضايا العربيه مع الصهيونية .

التمهيد المعنوي الاسرائيلي للعدوان

أخذت اسرائيل ، منذ اول عام ١٩٦٧ ، تعلن - مموهة على العالم ، عامه وعلى العرب بوجه خاص - عما يعاينه من ازمات داخلية وبطالة وعموط معدل استعمار رؤوس الاموال الأجنبية فيها . وارنفاع نسبة نزوح المهاجرين منها الى الخارج ، وبوقف نيار الهجرة اليهودية . بل وراح « بن جوريون » يعلن على العالم من دل أبيب .

« ان مستقبل دولة اسرائيل أصبح غير مضمون » .

واستصرخت اسرائيل الصهيونية العالمية . واستنجدت بالاستعمار الامبريالي للمحاطظة على ما أسسته حياتها ، كقاعدة يؤمن مصالحهما في منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي العنيد .

واقترنت اسرائيل ، أعمال تنظيمات الفدائيين الفلسطينيين (الفص) وجناحه العسكري (العاصفة) . لنسبغ على ما بيننه للعرب من خطط عدوانية صفة الاضطراب والحتم .

وكانت مصر وسوريا ، على رأس الأنظمة العربية ، التي تحمل شعارات الدفع الثوري ، ولهما مع اسرائيل حدود مشتركة ، واتجاهات عمل عسكري مباشر . ولهذا وقف « اسحق رابين » رئيس الأركان العامة الاسرائيلية ، يعلن من اذاعة اسرائيل يوم (١٢ مايو ١٩٦٧) :

« اننا سنشن هجوما خاطفا على سوريا ، وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها . ثم نعود » .

وهكذا خططت الصهيونية والامبريالية ، للعدوان على العرب منذ مطلع عام ١٩٦٧ . وعلى ضوء هذا التواطؤ الخفى ، جاء الهجوم على سوريا فى (٧ أبريل ١٩٦٧) - استخدمت فيه اسرائيل ، قوة متفوقة نسب بها ضربة قوية ، استمرت حوالى ٢٤ ساعة ، بغرض اسقاط الحكم النورى السورى ، ولقيام حكم آخر عميل .

ولكن لم يحقق هذا الهجوم ، أى شئ من أهداف اسرائيل - ثم نحول ذلك ، الى تخطيط لاعداد هجوم شامل على سوريا ، بحجة أنها تشجع أعمال الفدائيين داخل الأراضي المحتلة . وأخذ المسعمرون الاسرائيليون ينهجون سوريا ويؤلبون عليها الرأى العام العالمى وسارع وزير خارجية اسرائيل واجتمع فى (١٠ مايو ١٩٦٧) بجميع سفراء اسرائيل بالخارج لاقتناع الدول التى يعملون فيها بخطورة الوضع على الحدود السورية الاسرائيلية والتاكيد بأن سوريا هى المسئولة عن اراقة الدماء الصهيونية .

وفي معركة النميبند النفسى للعدوان المسب على العرب ، صرح لبيى
اسكول رئيس حكومة اسرائيل بان :

« حرب العصابات أمر لا يقبله العقل ، ولا يمكن ترك الأمر له »
اسرائيل . ومن الواضح أن سوريا هي مصدر التخريب والمخربين الذين
يهدون البنا » .

ردار عجلة استعدادات الصهيونية الامبريالية تخطط لعدوان على
العرب .

ماذا فعلت مصر ؟

وفجأة تعرضت الخطط الاسرائيلية يوم (١٤ مايو سنة ١٩٦٧)
عندما أعلنت مصر عن مؤامره تدبر فى الحفاء للهجوم على سوريا تحدد لها
يوم (١٧ مايو ١٩٦٧) .

كما علقت الدوائر السوفيتية (١٦ مايو ١٩٦٧) على التهديدات
الاسرائيلية :

« ان حشد القوات الاسرائيلية فى المنطقة المجردة من السلاح ينبت
ان اسرائيل تشكل - خلافا لمصلحتها - مصدرا للتوتر فى الشرق
الأوسط . » وانها بذلك تعمل على وضع العراقيل فى طريق سوريا .

ولم تكن اسرائيل أو الدوائر الاستعمارية ، تتوقع تدخل مصر .
علما بأنهم كانوا يعرفون بالاتفاقية العسكرية المعقودة بين مصر وسوريا
« ٤ نوفمبر ١٩٦٦ » ، اعتمادا على اتهامك مصر فى البمن بما لا يسمح
لها بمد سوريا بالعون العسكرى الكافى .

وقررت مصر يوم (١٩ مايو ١٩٦٧) استخدام حقها فى سحب قوات
الطوارئ الدولية من أراضيها ، وعلى طول خط الهدنة بينها وبين اسرائيل .
واستجاب سكرتير هيئة الأمم المتحدة لهذا الطلب . وأعقب ذلك الانسحاب
اعلان من جانب مصر يوم (٢٢ مايو) بغلق خليج العقبة فى وجه الملاحة
الاسرائيلية .

وجاء قرار مصر قاسيا على اسرائيل . وكان على الامبريالية
والصهيونية العالمية المتآمرين على العرب ، أن تقف مع اسرائيل فى البحث
عن خطة جديدة .

وبعد أن حضر ملك الأردن الى القاهرة ووقع اتفاقا عسكريا مشتركاً
يوم (٣١ مايو ١٩٦٧) .

- وجدت اسرائيل أن نبادر بالمفاجأة ٠٠ وكان ما كان يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .
- وكانت الجولة العربية الاسرائيلية المالمه .

مَكْسِيَّةُ الهَزِيمَةِ

- فى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠٠ سمحت اسرائيل حربا حاصلة عادره على مصر ، امتد لهبها الى سوريا والاردن .
- وتمكنت اسرائيل من التقدم فى الاراضى العربية فاحتمت
- الضفة الغربية للمملكة الاردنيه بما فيها القدس .
- مرتفعات الجولان السورية حتى القنيطرة .
- قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء حتى الضفة الشرقية لقناة السويس .
- وأغارت الطائرات الاسرائيلية على منطقة قناة السويس ، وعلى المطارات المصرية ٠٠ وفى أقل من ثلاث ساعات ، تحول السلاح الجوى الى حطام ٠ وفى سيناء ٠٠ كانت القوات المسلحة المصرية ، بمعظم أعدادها وعتادها ٠٠ تدهلهم مفاجأة الحرب ، ثم يزداد ذهولهم تماما عندما تصدر اليهم الأوامر المتضاربة من قيادتهم بالاسراع فى سحب القوات .
- وعلى الرغم من أنه كان عدد من التوحدات النسي سيطر عليها فادبها فتماسكت وصمدت وقاتلت قتال الأبطال ٠٠ الا أن الكارثة قد حاصت بجأتى القوات ، فأودت بكافة معداتها وبحياة آلاف من صفوف الضباط وخبره الجنود .
- كارثة أحوالت جيشا نظاميا الى أسنات ليس له هم الا الاطلاق المنجاة صوب القناة .

النظرة الدولية

- وبمعايرة هذا العدوان بموانيق الأمم المتحدة ، نجد أنه يعسر خرقا فاضحا لاتفاقيات الهدنة ، وانهاكا اتيما لمنافى الأمم المتحدة .
- ولذلك ، انعقدت جلسة طارئة لمجلس الأمن يوم (٥ يونيو) ووضع « أوثانت » السكرتير العام أمام المجلس نفريرا ضمنه قيام اسرائيل بالبده بالعدوان ٠٠ وبدلا من ادانة هذا العدوان ، رضخ المجلس لمشينة أمريكا وبريطانيا وأنصارهما ، حتى توصل يوم (٦ يونيو) الى قرار بالاجماع تضمن اتخاذ الحكومات المعنية تدابير عاجلة لوقف اطلاق النار فورا وانهاء النشاط الحربى فى المنطقة .

وتغاضت اسرائيل عن هذا القرار واستمرت فى عدوانها وعاود المجلس بحث الأمر يوم (٧ يونيو) ٠٠ ولا تبالى اسرائيل بإجماع الآراء وتسير فى عدوانها على المرتفعات السورية .

ويعاود المجلس يوم (٨ يونيو) بحث مشروع قرار روسى آخر بادانة اسرائيل والمطالبة بوقف الأعمال العسكرية الاسرائيلية ضد الدول العربية . وهنا قاومت أمريكا هذا المشروع لأنه يدين اسرائيل ، ثم قدمت أمريكا مشروع قرار طالبت فيه :

— بوقف اطلاق النار فقط .

— واجراء مفاوضات بين الأطراف المعنية للوصول الى اتفاقات تشمل الانسحاب وتباعد القوات العسكرية .

ونظرا لاحتمال عدم الموافقة على هذا المشروع ، تقدم رئيس مجلس الأمن أخيرا بمشروع قرار ، تمت الموافقة عليه بالإجماع يوم الجمعة (٩ يونيو) ويقضى بوقف العمليات الحربية فورا .

استفادت اسرائيل — من خلال عدم احترامها لقرارات مجلس الأمن التى استمرت طوال أربعة أيام — استفادت امتداد اعتداءاتها على الأرض السورية حتى وصلت الى « القنيطرة » .

وبلا أى جدوى ، يتنقل موضوع أزمة الشرق الأوسط التى خلقتها حرب ٥ يونيو بين جنات هيئة الأمم المتحدة بمجالسها ولجانها المختلفة .

وتتمادى اسرائيل فى غيها ، وتتصرف فيما استولت عليه من أراض عربية وكأنها باقية عليها الى الأبد امتدادا لسياستها التوسعية .

مغانم اليهود

فى خطاب ألقاه « موسى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى السابق يوم (٥ يوليو ١٩٦٨) أمام اتحاد شباب الكيبوتز فى هضبة الجولان السورية جاء فيه :

« ان آباءنا قد وصلوا الى الحدود التى اعترف بها مشروع التقسيم عام ١٩٤٧ ٠٠ وأن جيلنا قد وصل الى حدود عام ١٩٤٩ ٠٠ أما جيل الأيام الستة ، فقد وصل الى السويس والأردن وهضبة الجولان . وهذه ليست النهاية ، لأن هناك بعد خطوط وقف اطلاق النار ، خطوطا جديدة تصل الى ما وراء نهر الأردن ، وقد تصل الى لبنان وسوريا الوسطى » .

- وفي أعقاب جوله يونيو ١٩٦٧ :
- أحملت إسرائيل مساحة من الأراضي العربية تبلغ ٦٥ ألف كيلو متر مربع وهي مساحة تزيد على ثلاثة أضعاف مساحة إسرائيل الأصلية .
- نجحت في الوصول الى المياه المفتوحة للمبحر الاحمر .
- اكسبت عمقا استراتيجيا طالما عانت إسرائيل من صحاليه . أمر قلب الدوله من التهديدات المستمرة ، فاما بين تل أبيب وعربا وبيسان سرفا وحيفا شمالا .
- أصبحت حدود إسرائيل ، بما نحتله من أرض عربية ، سر فوق موانع طبيعية هامة . بين القنيطرة شمالا ، وأخدود نهر الاردن والبحر الميت ووادي عربة وخليج العقبة شرقا ، ثم خليج السويدس وفناة السموس جنوبا ، وساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا . واكسبت إسرائيل من كل ذلك مزايا عسكرية واضحة .
- استولت إسرائيل على مغانم اقتصادية ، كموارد سيماء الطبيعية من سرول وفحم ومنجنيز وخامات معدنية ، ونروة سمكة وزراعة ، علاوة على عائد سياحي مباشر . وكلها مكاسب اقتصادية يمكن أن تغطي تكاليف الاحتلال العسكري وتخفف من أعبائه على الاقتصاد الاسرائيلي على الزمن الطويل .

عواقب عربية

- كان أبرز التغيرات وأشدّها أثرا على الجانب العربي :
- انتزاع المباداة المطلقة من العرب .
- المشاكل الحادة المتخلفة عن موضوع القناة ومنطقة السوس .
- غلق ميناء العقبة بصفته المنفذ الوحيد للأردن .
- حساسية منطقة القنيطرة باعتبارها نقطة الوئوب نحو دمشق .
- انتزاع منابع نهر الأردن و منابع الليطاني والوزاني وبنماس .
- سلب مدينة القدس ذات المركز الديني الكبير بالمسبة للاسلام والمسيحية .

التوسع الاسرائيلي

يعتمد التوسع الاسرائيلي - الهادف الى انشاء إسرائيل الكبرى على النهج المرحلي ، وفقا للمخططات الصهيونية . أي بالتصاعد أو الانتقال بعد استنفاد مكاسب أحد الظروف ، الى مرحلة جديدة ، تقفز منها الحركة

الصهيونية الى مطالب أخرى جديدة ، بحيث يكون حدها الأدنى فيها ، هو ما كان حدا أقصى في المرحلة السابقة ويعنى ذلك ، فى السياسة الصهيونية ، أن يكون مبدأ « اللاتراجع » هو الحد الأدنى للمطالب الصهيونية ، فى كل وضع . . . وأن تكون « الواقعية » هى الحد الأقصى لما نطالب به الحركة الصهيونية ، فى كل ظرف طبقا لأوضاعه وإمكانياته . . . مع استغلال عنصر « المرونة » الذى يسمح لها بتكييف الوسائل واخضاعها لرغبتها . . .

وعلى ذلك فان عمليات اسرائيل العسكرية التى تعتمد دائما على ما يحيط بها من ظروف عامة . . . تركز أساسا على عاملين :

الأول : أن يكون التوسع المرحلى ، فى حدود طاقة اسرائيل ، التى ترتبط بقدرتها العسكرية على احتلال أرض جديدة والسيطرة عليها وحماية حدودها الجديدة .

(فى ٥ يونيو ، استطاعت اسرائيل أن تتقدم بسرعة داخل أراضي كل من مصر وسوريا والأردن . . . ولكنها توقفت عن التقدم عند حدود قناة السويس ونهر الأردن والقنيطرة . . . وكان فى إمكانها التقدم الى ما هو أكثر من ذلك لولا حجم طاقتها وقدرتها) .

الثانى : انزال ضربات قاصمة على ما تعتدى عليه من دول . . . عملا بتعاليم حكماء صهيون : « كلما ازدادت قوة ، وجب أن يزداد غيرك ضعفا » .

عندما احتلت اسرائيل الضفة الشرقية للقناة . أصبحت معظم المدن والمنشآت المصرية فى دائرة نيران مدفيعيتها . علاوة على اضغاع مصر اقتصاديا باقفال القناة . واحتلال الضفة الغربية من الأردن خلق للأردن مزيدا من الأعباء المالية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية . أما سوريا ، فقد لحقتها الأضرار الجسيمة اذ أن هضبة الجولان التى احتلتها اسرائيل تمثل المطرقة الفولاذية بيد سوريا تنهال بها على العدو لتحد من أطماعه . بالإضافة الى تشريد أكثر من مائة ألف مواطن) .

أى أن اسرائيل باحتلالها شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن وهضبة الجولان . . . كانت تهدف الى انزال ضربة قاصمة بالدول العربية الثلاث ، تضطرها بعد ذلك لقبول أى شروط للمصلح قد تفرضها اسرائيل عليها .

ولعل ذلك ما جعل موسى ديان يقول بعد حرب ٥ يونيو :

« أن حدود اسرائيل ، أصبحت طبيعية على جميع الجبهات . . . باستثناء لبنان » .

وليس أدل على هدف إسرائيل التوسعي ، من انخراطه المرسومه على مدخل الكنيسيت الاسرائيلي ٠٠ اذ رسمت حدودها - في هذه الخريطة - من النيل الى الفرات ، كما أطلق في الحرائط المدرسة على الدول المجاورة لاسرائيل ، تعبير « البلاد الاسرائيلية المحتلة » .

الرفض العربي

بعد هزيمة يونيو ، تركزت جهود اسرائيل والامبريالية والصهيونية العالمية على شيء أساسي هو ٠٠ احتلال الانسان العربي ٠٠
فشمة مخطط اعلامي خبيث يستهدف هذا الاحتلال الغريب لافساح الانسان العربي ، بالتخلي عن القتال والتحرير ، وجره الى الاعتراف بالامر الواقع .

وما ذلك الا ترجمة هزيمة لقبول الهزيمة والتكيف مع الاوضاع الجديدة التي أوجدتها .

فان أكثر ما يشغل بال اسرائيل والامبريالية ، هو الرفض العربي الذي يخلق مناخ الاصرار على التحرير وحرب التحرير .
والصمود هو الذي يستطيع أن يقلب كل المخططات المعادية ، ويبعث في المنطقة العربية رياح التحرر والتحرير .

حقيقة التاريخ

ان كانت اسرائيل قد انتصرت في حرب ١٩٦٧ ، فلأنها بدأت الحرب أولا ، ولأنها وجدت المجال لتركيز قوتها على جبهة واحدة ، ثم انتقلت بها الى الجبهات الأخرى .

وقد اتفق الخبراء العسكريون العالميون الذين درسوا تفاصيل حرب ٥ يونيو ، اتفقوا جميعا ، على أنه رغم الخسائر التي حاقها بالطيران المصري فانه لو كان قد تحقق التحرك العسكري العربي على طول الجبهات العربية الاسرائيلية في الساعات الأولى للحرب - وفق خطة محددة - لكانت نتيجة الحرب غير تلك التي كانت .

القسم الثاني

الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة

مقومات النصر

٦ أكتوبر والمفاهيم

العسكرية الجديدة

الجهة في الشرق

الباب الأول

مقومات النصر

الاصرار المصري

بعد ٥ يونيو ٠٠ كان لا بد من العمل بأقصى قدر من الطاقة والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحي الثوري لحرب التحرير وامتلاك أسلحتها الاستراتيجية .

وكانت التصريحات الاسرائيلية - في الفترة ما بين ١٩٦٧ الى ما قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - تكشف عن نيات اسرائيل لكسب الوقت والتسويق في السعى الى نسوية مشكلة الشرق الأوسط :

ولعل أخطر ما صرح به الاسرائيليون ، هو قولهم :

« ثمة فارق كبير بين إعادة صحراء ، وإعادة أراض يقطنها اليهود » .

فقد أقامت اسرائيل المستعمرات التي يقطنها اليهود ، في معظم الأراضي العربية المحتلة ، ابتداء من مرتفعات الجولان وانتهاء بصحراء سيناء .

وتشير مخططات اسرائيل الى استبعاد النخلى عن صحراء سيناء كلها . اذ ان تغيير وجودها في بعض أجزائها ضرورة استراتيجية لا يمكن اغفال أهميتها ومن هنا كان الاصرار الامريكي على التسوية الجزئية . الأمر الذي رفضته مصر نهائيا ما لم يقترن بتعهد صريح بانسحاب اسرائيل من الأراضي العربية المحتلة كلها . أى الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ . ودائما ما تعتمد اسرائيل على اقرار سياسة الأمر الواقع وفرضها على العرب . وذلك للأسباب الآتية :

- يعتقد الاسرائيليون أن زمام المبادرة في أيديهم دائما ، ودم بهذا الاعتبار يملكون حق تقرير ما اذا كانوا سوف ينسحبون من بعض الأراضي العربية المحتلة ، أو ما اذا كانت حدود وقف إطلاق النار هي حدودهم الآمنة .

- تعتمد اسرائيل على التأييد الامريكي لها ، الذي يبيح استخدام « الفيتو » كلما تعرضت اسرائيل لخطر الادانة .

- يشق الاسرائيليون بأن أمريكا ، قدمت وستقدم لهم كل ما يحتاجون اليه من أسلحة أو من معونات مالية بالإضافة الى الدعم السياسي . مما يوفر لها صمودا طويلا الأمد .

- سنسفيد اسرائيل من ظروف التهيدته الدوليه . للابداء على الحالة الراهنة أطول فترة ممكنة . معتقدين أن حاله الراهنة لا بد أن نتحول الى أمر واقع كما حدث عام ١٩٤٩ يوم تجاوزوا حدود النفسيم ووصلوا الى ميناء ايلات فى خليج العقبة .
- وندعو اسرائيل الى المفاوضات المباشرة مع العرب . وتدفع أمريكا الى تبني هذه الدعوة . ونعلم اسرائيل أن هذه المحاولة غير مجدية مع العرب ومن ثم فهي بذلك نكسب قطاعات كبيرة من الرأى العام الدولى . الذى يرى مرونة دعوة اسرائيل وما يقابلها من رفض العرب .

الصبر والصمت

- أما كيف تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة . « فلا سبيل الى ذلك الا بالحرب » . كما قال الرئيس محمد أنور السادات . وكان لا بد من نوافر القوى العربية من أجل التصدى لاسرائيل . وانطلاقا من هذا الواقع ، اعتمد الرئيس السادات على الحقائق بالعمل والفعل . فى ثلاثة اتجاهات :
- خطة الدبلوماسية المصرية المكثفة بهدف الوصول الى تأييد عالمى للقضية العربية فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .
- خطة الوحدة العربية بهدف جمع شمل العرب دون البحث عن تفصيلات من أجل مواجهة اسرائيل .
- خطة اعداد القوات المسلحة المصرية اعدادا كاملا لخوض المعركة المصرية الحتمية وقدم الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، هذا التحديد الواضح الى مجلس الشعب فى (يناير ١٩٧٣) من أجل النجاح فى التحرير والوصول الى السلام . وذلك بعد أن واجه الرئيس السادات الواقع بكل أبعاده فى شجاعة .
- والرئيس السادات - ابن مصر تربي سياسيا ونضاليا من خلال حركة التحرير المسلحة ضد الاحتلال البريطانى لمصر فى الأربعينيات . وقد خاض - منذ أن تولى رئاسة جمهورية مصر العربية - على رأس وحدة القوى الوطنية ، معارك شرسة متعددة الجوانب ، ضد كل من يحاول أن يتعامل مع سوق الرقيق السياسى وعناصره الانهزامية فى مصر وفى غير مصر . والذى يحاول أن يستغل تناقضات المرحلة الراهنة من ناحيتنا العربية . وقد حقق الرئيس السادات الحرية والديموقراطية والعلم

والايمان علاوة على مبدأ الصبر والصمت الذى وضعه خلال الفترة السابقة
لحرب أكتوبر .

ومن خلال الممارسة الديمقراطية الحقيقية فى مصر ، علم الشعب
المصرى أن مسئولية معركة التحرير ليست مسئولية القوات المسلحة
وحدها ، انما هى أيضا مسئولية الشعب . . ليست مسئولية شعب مصر
فحسب بل مسئولية الشعوب العربية كلها .

وقد برزت من خلال مناقشات مجلس الشعب المصرى ، ان المعركة
التحريرية ذات شقين مترابطين . . أحدهما يتعلق بالوجود العسكرى
الاسرائيلى ، والثانى يتعلق بالدعم الأمريكى الذى يضمن هذا الوجود لذلك
كان اصرار الرئيس السادات على وجوب التصدى لاسرائيل وأمريكا معا :
- التصدى لاسرائيل بالقوة المسلحة .

- ولأمريكا عبر التصدى لمصالحها التى تشمل المنطقة العربية كلها .

مقدمات المعركة

ومن البديهيات الضرورية للمعركة ، والتى تسهل وضع حساب
دقيق لميزان القوى .

- أن القوة البشرية فى مصر وسوريا ، تزيد بمراحل كبيرة عن القوة
البشرية فى اسرائيل .

- أن كبر القوة البشرية يستتبع بالضرورة قدرة قتالية توازى قيمتها
. . اذا سار التدريب فى مجراه الحقيقى .

- أن قدرة السلاح توازى أيضا القدرة البشرية مع فارق نوع السلاح
وامكانياته فالمعروف أن الحروب تعتمد على أحدث الأسلحة . وقد
استطاعت اسرائيل الحصول على أحدث الأسلحة الأمريكية فى حين
حصل العرب على بعض هذه الأسلحة . واذا كانت اسرائيل تملك
نوعا من التفوق ، فان القوة العربية تملك القدرة على ألا يحقق هذا
التفوق كل ما تزعم اسرائيل القدرة على تحقيقه .

- أن المقارنة بين ما زودت به اسرائيل وما تزودت به كل دولة عربية . .
(دون اغفال الأوضاع الجغرافية وأوضاع خطوط وقف اطلاق النار)
هذه المقارنة تفرض وجوب ألا تخوض دولة عربية بمفردها الحرب ضد
اسرائيل بل أن تشترك الجبهات العربية كلها فى القتال أو على الأقل

الجهتان المصرية والسورية لمنع اسرائيل من تركيز امكانياتها العسكرية كلها على جبهة واحدة .

- أن أنواع السلاح التي حصلت عليها الدول العربية ليس لها قدرة كافية فيما اذا استخدمت كلها على سائر الجبهات . . مع اعتبار الوضع الجغرافي ، أى أنه اذا كانت احدى الدول العربية ، تفقد القدرة على ضرب مواقع العدو فى عمق أرضه بسبب وضعها الجغرافي فان الوضع الجغرافي لدولة أخرى قد يوفر لها هذه القدرة .

- أن كل حرب لا تعتبر ناجحة الا اذا تمكن احد الطرفين المتحاربين من تسديد ضربات حاسمة الى مواقع الطرف الآخر الخلفية التي تشمل مراكز امدادانه وتمويله ومواصلاته . . ومن هنا كانت حروب الاستنزاف محدودة القيمة والأهمية ، وهي تعتبر بذلك حروبا سياسية أكثر منها حروبا فعلية .

- أن الاشتباكات البرية تلغى تفوق السلاح الجوى عندما تكون القواعد الأساسية ذات حماية كافية .

- أن الدول العربية تملك من الطاقات البشرية والاقتصادية ما يجعلها أكثر قدرة على الصمود ، فى حرب طويلة الأمد نسبيا ، من اسرائيل التي اعتمدت دائما على الحروب الخاطفة التي تعتمد أن تدور رحاها خارج أراضيها .

- أن الحرب النفسية تعتبر نصف الحرب الفعلية . . وتعتمد الحرب النفسية أساسا على المعنويات العالية وعلى الثقة بالقوات المحاربة .

- أن مجرى الحرب يتحكم بالمواقف السياسية وليس بالعكس وأن ما يؤخذ بالحرب أو خلالها لا يمكن أن يؤخذ فى حالة السلم .

ومن منطق هذه البديهيات ارتكزت السياسة المصرية التي أرسى الرئيس السادات قواعدها الحكيمة . . على بعض الخطوط العريضة التي تحقق القدرة على انتزاع المبادرة من اسرائيل بعد أن تعذر على العرب ارغام اسرائيل على الانسحاب عن طريق المبادرات والوساطات والمقررات الدولية . وتبرز أهم هذه الخطوط فى الآتى :

- عدم السماح لاسرائيل بتركيز قوتها على جبهة واحدة .

- اشغال الجبهات العربية كلها فى نفس الوقت .

- وضع الطاقات الاقتصادية والبشرية كلها فى خدمة المعركة .

- اطلاع الشعب على حقيقة ما يجرى فى ميادين القتال .

- تهيئة الشعب المصرى - مسبقا - لتقبل أمر أساسى ، وهو أن لا حرب بلا خسائر أو تضحيات ، ولا توقع انتصار من أى نوع كان فى اللحظات الأولى للمعركة .

جدية العمل العسكرى

- وكان لا بد لمصر - حكومة وشعبا - من العمل بأقصى قدر من الطاقة والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحى الثورى لحرب التحرير . . وفقا للمعطيات الآتية :
- بناء وحدة القوى الوطنية والقومية فى كل وطن عربى بحيث تنبع منها وبأسرع وقت - وحدة العمل الثورى العربى من خلال تنظيم واحد واستراتيجية مشتركة تصوغها الارادات الحرة .
- تحديد حلفاء حركة التحرير العربى . . بما فى ذلك اليهود الذين يعادون - قولا وممارسة - الصهيونية كحركة استعمارية عنصرية ويعترفون بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى .
- صياغة الاقتصاد القومى على أساس اقتصاد حرب وتوزيع التضحيات اجتماعيا .
- استخدام سلاح البترول العربى استخدامها جديدا ومخططا بأبعاده المختلفة ضد العدو .
- المساندة المادية والمعنوية ، ودون أى تحفظ للثورة الفلسطينية . . والاعتراف بحقها القومى المشروع فى استخدام الأرض العربيه الاستراتيجية من حول العدو .
- بذل المزيد من الجهد وحشد كل الطاقات والامكانيات ، للوصول الى موقف عربى متماسك موحد ينعكس على قوة عسكرية وسياسية واقتصادية ذات فعالية لمقابلة معارك المصير التحررى .
- دعوة العرب الى نبذ كل الخلافات والمعارك الثانوية والهامشية واعطاء المرتبة الأولى للمعركة الأساسية .

الاستفادة من حرب الاستنزاف والمواجهة

- ١ - اعتمدت حرب الاستنزاف على :
- (أ) أساليب عسكرية ذات كفاءة عالية فى التخطيط والتنفيذ
- (وذلك باعتراف القادة العسكريين الاسرائيليين أنفسهم) .

- (ب) المبادرات الفردية للضباط والجنود ، كما اتضح في معركة جزيرة شدوان •
- (ج) استخدام المدفعية بصورة أدق وأكثر كفاءة •
- (د) غارات القوات الخاصة وعمليات القناصة والطيران •
- (هـ) مواكبة العمليات بتدريبات مستمرة على أعلى مستوى ولمختلف الأغراض وتطعيم مستمر بروح الحرب والقتال •

٢ - وأكدت عمليات المواجهة العسكرية مع العدو :

- (أ) كفاءة الطيار المصري في ضربه لأهداف العدو بدقة واعتراض طائراته المغيبة •
- (ب) كفاءة المقاتل المصري تدريباً وتسليحاً وروحاً قتالية عالية •
- (ج) نجاح القوات المصرية الخاصة في ضرب أهداف العدو في عمق سيناء ونقل اشتباكات المواجهة إلى الخطوط الخلفية للعدو في تلاحم مباشر مع قواته (باعتراف إسرائيل نفسها) •
- (د) كفاءة وسائل الدفاع الجوي في مواجهة الطائرات المغيبة وعدم تمكينها من تحقيق أهدافها •
- (هـ) كفاءة المدفعية المصرية في إصابة أهدافها بدقة وضرب محاولات العدو المستمرة لتعزيز أو تدعيم خطه الأول إلى جانب تغطية عمليات العبور والعودة •
- (و) نجاح ويقظة أجهزة الرصد المصرية في تتبع تحركات العدو الأرضية والجوية بكل دقة •

٣ - وكان تأثير حرب الاستنزاف على إسرائيل (١) :

- (أ) تجميد حركة القوات الإسرائيلية في سيناء داخل خنادق ثابتة •
- (ب) انهك الجنود مادياً ومعنوياً وهم قابعون في خنادقهم ولا يستطيع أى منهم أن يرفع رأسه حتى لا تخرقه على الفور رصاصة قناص مصري •
- (ج) انزال خسائر يومية بالقوات الإسرائيلية •

(١) عن مجلة « بارى ماتش » الفرنسية •

(د) تركيز أنظار الحكومة الاسرائيلية على جبهة القناة ، حيث يتساقط القتلى فيها يوميا وتندوى أخبارهم فى كل اسرائيل فتزيد شعور الاسرائيليين باستحالة تحقيق ما وعدهم به قادتهم •

(هـ) عجز السلطات العسكرية الاسرائيلية عن حماية قواتها الموجودة فى جبهة القناة وانه ليس باستطاعة العدو أن يتحمل ما ينتابه من خسائر يومية لوقت طويل •

(و) ظهور علامات الضيق والتذمر الشديد على جنود اسرائيل بسبب شدة وعنف النيران المصرية •

(ز) أدى سقوط عدد كبير من طائرات « سكاي هوك وفانتوم » على جبهة قناة السويس وسوريا الى هبوط معنويات الطيارين الاسرائيليين وأسقطت أسطورة تدريبهم العالى وتفوقهم الفنى •

وكان المقاتل المصرى هو الذى خاض حروب الاستنزاف والمواجهة • وهو الذى ساهم فى كسر معنويات المقاتلين الاسرائيليين فقد تعلم المقاتل المصرى الجندية وبرع فيها الى أقصى حد برا وجوا وبحرا وسار فى منطلقاتها بنجاح وثبات •

تطوير القوات المسلحة المصرية

كان أول ما استفادت به القوات المسلحة بعد الهزيمة هو •• معرفة قوة العدو وأساليبه فى القتال والاستفادة من هذه الأساليب والفصل التام بين الاستراتيجية والتكتيك ، وسد الثغرات المفتوحة التى كان يستعملها العدو للمرور الى العمق حتى أصبح الجيش فى وضع يستطيع معه أن يرد طبقا لمبدأ العمق اذا حاول الاسرائيليون شن اعتداءات فى عمق مصر •

واستطاعت القوات المسلحة المصرية اللحاق بالتكنولوجيا العسكرية الحديثة وحصلت - فى سرية تامة - على أحدث المعدات الالكترونية البالغة الدقة بجانب القيام بالتغييرات المستمرة على المعدات والأسلحة وفقا لتقارير مراكز الاختبار ومعاهد التطوير الفنية المصرية •

وتقول التقارير العسكرية الغربية انه :

(نتيجة للدراسات التى قامت بها مكاتب الأبحاث المصرية أخرجت

الصناعات الجوية السوفيتية أسلحة تتلاءم مع حاجات مصر سواء بالنسبة لطبيعة أرضها أو بالنسبة لطبيعة أجوائها) .

وقد استطاع الطيار المصرى المقاتل أن يطوع أنواع طائراته بالشكل الذى يتناسب مع أجوائه . فقد قاتل الطيار المصرى وقام بمناورات قتالية ببراعة بطائرات الميج (٢١) وانتصر على الفانتوم الاسرائيلى . الأمر الذى حمل الدوائر العسكرية الغربية على الاعتقاد بأن مصر قد حصلت على طائرات (الميج ٢٣ قبل أن تحصل عليها فعلا) . هذا وقد طورت مصر قواتها المسلحة طبقا للأسس الآتية :

أولا : تحديد المهام والتنظيم والتخطيط

- ١ - تحديد حجم القوات المسلحة على أساس مهمة واحدة هي « القتال » مع التفرغ تفرغا كاملا ، وطبقا للإمكانيات الموجودة وقوة العدو .
- ٢ - الضغط على أهمية الدفاع الجوى ، باعتباره المهمة الاستراتيجية الأولى .
- ٣ - اعتماد هيكل تنظيمى جديد يحقق توحيد خط القيادة والسيطرة ودفع العناصر الشابّة المثقفة الى مراكز القيادة لكى تتحمل المسئولية عن طريق العلم والتمرس فى القيادة .
- ٤ - اعتماد الشورى والمناقشة فى التفكير والتخطيط ضمن مجالس حرب خاصة ، دون المساس بحق القيادات فى التصرف الفردى فى ظروف القتال .

ثانيا : مبادئ الاختيار والاعداد

- ١ - تجنيد الشباب المؤهل علميا لأداء الخدمة الوطنية الاجبارية .
- ٢ - اعتماد العلم والجهد والخبرة وحدها أساسا للترقية وأيضا للمناصب القيادية .
- ٣ - التركيز على الوحدة العنصرية للوحدة المقاتلة وهى الضابط وجنوده والمعدة والسلاح .

ثالثا : مبادئ استخدام السلاح

التدريب على استخدام السلاح بشكل مستمر وفعال ، ارتكازا على العوامل الآتية :

- ١ - التدريب
- ٢ - حجم القوات وتسليحها .
- ٣ - القدرة القتالية .
- ٤ - الروح المعنوية .

حى على القتال

قبل حرب ٦ أكتوبر ، كان الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية يصور الموقف فى الشرق الأوسط كما يلى :

« ان عوامل الانفجار موجودة ، وشحنة البارود ما زالت هناك فى المنطقة الخطرة فى الشرق الأوسط . وجميع الأطراف تتأهب . واعتقد أن الانفجار سيتأخر ، ريثما تتاح الفرصة لنا لدراسة المشكلة على الطبيعة .

ان الجميع يطالبوننا بأن نتدخل ، دون أن يحددوا لنا كيف ، والسبيل الذى علينا دخوله .

أنبقى على المشكلة مجمدة الآن ، ونضغط على الأطراف للابتعاد عن جهاز التفجير ، وبعدها نبدأ فى دراسة الحلول ؟ » .
ولكن القدر لم يترك المشكلة مجمدة ..

فقد أطلق الرئيس السادات ، فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، الشرارة نحو جهاز التفجير ، ليشتمل كل شىء لاسرائيل على ضفة قناة السويس الشرقية محطما أسطورة خط بارليف المحصن والنقط الحصينة مدمرا كل شىء فيها .. ويعبر المقاتل المصرى الى مكان الجندى الاسرائيلى ليلقنه أحدث فنون القتال بالمواجهة .

وتندفع الطائرات المصرية المقاتلة الى قلب سيناء ، فى رحلات قتالية لتدمير مطارات العدو ومراكز قياداته ومحطات الرادار ومحطات الشوشرة .

وفى نفس توقيت بدء المعركة ، أطلقت سوريا رجالها ونسورها ، ليصلوا اليهود نارا حامية ، مقتحمين عليهم قمم جبال الشيخ ومتقدمين بكل جرأة وثبات وعناد نحو الجولان .. وقامت طائرات النقل المصرية بدورها فى نقل الفرق الخاصة لتسقطهم خلف مواقع العدو فى مواقعه المتقدمة فى سيناء . لايقاعه فى شباك المباغثة المصرية . وكان يغلف هذه التحركات قصف المدافع وقذائف الضواريخ على هيئة غلالة محكمة من النيران ، على طول جبهة القتال ، لتحمى أرض مصر ورجال مصر .. وتهدى لهم جميعا أنجح معركة للعبور فى تاريخ الحروب ، تحت حماية غطاء جوى محكم يشب تفوق القوات الجوية المصرية .. وعن هذا يقول « هيرتزوج » فى إذاعة اسرائيل العبرية من القدس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (الساعة ٢٢١٥ بتوقيت جرينتش) موجهها حديثه للجبهة الجنوبية فى سيناء :

« ان أهم أمر فى تقييم قدرة العدو (أى المصريين) على التمسك بمعبره شرق قناة السويس ، هو النفوذ الجوى • وان قوة عسكرية محرومة من هذا التفوق ، ستجد من الصعب عليها أن تحفظ ذلك المعبر » •

وكانت الحرب مفاجأة استراتيجية كاملة • لم يتحملها الاسرائيليون أنفسهم •• فقد تكسر جدار الخوف العربى ، وتسرب الخوف بكل سرعة الى قلوب الاسرائيليين ، ففقدوا الثقة فى أنفسهم وفى قادتهم وراحوا يفرون وهم لا يملكون على شئ •• تاركين خلفهم كل ما لهم ، الى أصحاب الأرض الحقيقتين •

وقد بدأت فصول هذه المعركة التاريخية المجيدة فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وانتهت يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ •

وبين هذين التاريخين استعاد الجيش المصرى والجيش السورى شرفهما ، بل استعادت الجيوش العربية سؤدها •• فى الوقت التى تصدعت فيه الاستراتيجية الاسرائيلية ، وراح رؤسائهم وقادتهم يفيقون من كابوس هزيمتهم ليبحثوا عن حل لوجودهم •

وكانت معارك أكتوبر العربية ، مثار دهشة أكبر خبراء العالم العسكريين ، فقد أثبت الجيش المصرى والسورى ، فى ساحات القتال قدراتهما وبراعتهم فى استخدام أعقد أسلحة القتال الحديثة بكفاءة لم يكن يتوقعها العدو الاسرائيلى الذى ألجمته المفاجأة تماما وشلت ما قد يكون لديه من قدرات •

وجاء فى دراسة قامت بها وزارة الدفاع الأمريكية فى (٥ نوفمبر ١٩٧٣) عقب توقف القتال مباشرة :

« انه ثبت أن الدبابات كانت معرضة للاصابة بالصواريخ المصرية المضادة للدبابات بصورة شديدة » •

وعلى سبيل المثال •• قام المصريون بتدمير نحو ٢٠٠ دبابة اسرائيلية فى الأيام القليلة الأولى من الحرب على جبهة السويس باستخدام القذائف الموجهة كهربائيا •

كما ثبت - على نحو ما تقول الدراسة - مجال آخر تفوق فيه المصريون بوضوح ، وهو مجال الأسلحة الخفيفة الحركة المضادة للطائرات •• تلك الأسلحة التى نجحت فى إلحاق خسائر جسيمة بالطيران الاسرائيلى لم تكن متوقعة على الإطلاق (دمرت القوات العربية ثلث الطيران الاسرائيلى فى الأسبوع الأول من الحرب - وزادت النسبة الى

النصف بعد ذلك - بينما فشل الاسرائيليون فى تدمير المطارات العسكرية المصرية ، التى أعاد المصريون تحصينها بالدشم هذه المرة ، حتى اجبروا خصمهم على التخلي عن الاستمرار فى المحاولة) . وكانت عملية العبور الى الضفة الشرقية للقناة ، مذهلة للغاية ، اذ لم يكن أحد من الخبراء العسكريين يتوقع أن تتم بهذا القدر الذى لا يذكر من خسائر . وقد خصصت جريدة « الصنداي تايمز » فى عددها الصادر يوم (١٤ أكتوبر ١٩٧٣) مكانا بارزا لنشر وصف مراسلها فى الجبهة ، لعملية العبور المصرى . وتحت عنوان « فى ١٥ دقيقة كان الجسر يقام على القناة » كتب مراسل انجليزى يقول : « وتحت مظلة المدفعية ، وفى حيازة الضربات الجوية ، عبر المصريون فى زوارق مطاط ، ليكتسحوا أى مراكز اسرائيلية قد تكون مسيطرة على النقاط المختارة لاقامة الجسور . ووراء المشاة جاء المهندسون وكثيرون منهم مزودون بآخر طراز من الجسور العائمة التى يمكن نشرها ، بمعدل ١٥ قدما فى الدقيقة ، وبما يكفل اقامتها فى معظم أجزاء القناة فى ربع ساعة أو أقل » .

واقعد أثر قيام حرب أكتوبر « فجأة » على اختلال الموازين الاسرائيلية والدولية واثقل صراع الشرق الأوسط المتجهد الى الصدارة فى سلم الاهتمامات العالمية . وبتعبير « ريمون آرون » عالم الاجتماع الصهيونى الفرنسى المعروف فى مقال نشره فى « الفيجارو » يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٣ :

« لقد كانت حرب أكتوبر من أكبر المفاجآت العصرية » .

أما عن سير القتال فى معارك أكتوبر ، فيعلق « دور ميدلتون » الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط . . قائلا :

« تشير جميع التقارير التى وصلت الى المصادر الغربية ، الى ان الجيوش العربية قاتلت بعناد وحماسة . . وكانت القيادة على مستوى كتائب المشاة والدبابات على مستوى مرتفع . . كما كانت القيادة العربية العامة ، تتسم بالفطنة والحكمة . .

كما كان أهم تطور تكنولوجى على المستوى العربى ، وهو استخدام القوات العربية للأسلحة الخفيفة بفاعلية وكفاءة لحماية المواقع المتقدمة وحشود القوات ضد الهجمات الجوية المدرعة المضادة الاسرائيلية .

لقد أكدت عملية العبور للقناة المصرية ، ان تلك القوات قد تطورت تكنولوجيا وأثبتت تلك العملية الجريئة ، أن المصريين قادرون على تحقيق النجاح والتصرف بانضباط » .

السعودية ومصر



الملك فيصل في زيارة للجبهة

(عندما عبر الملك فيصل ، قناة السويس لزيارة الجبهة ، مع الرئيس السادات ، واستمع الى تفاصيل معارك الاستيلاء على تحصينات خط بارليف .. قال جلالته :

- ان هذا من فضل الله ، نحن معكم الى آخر هذه الأرض »
ثم أضاف جلالته :

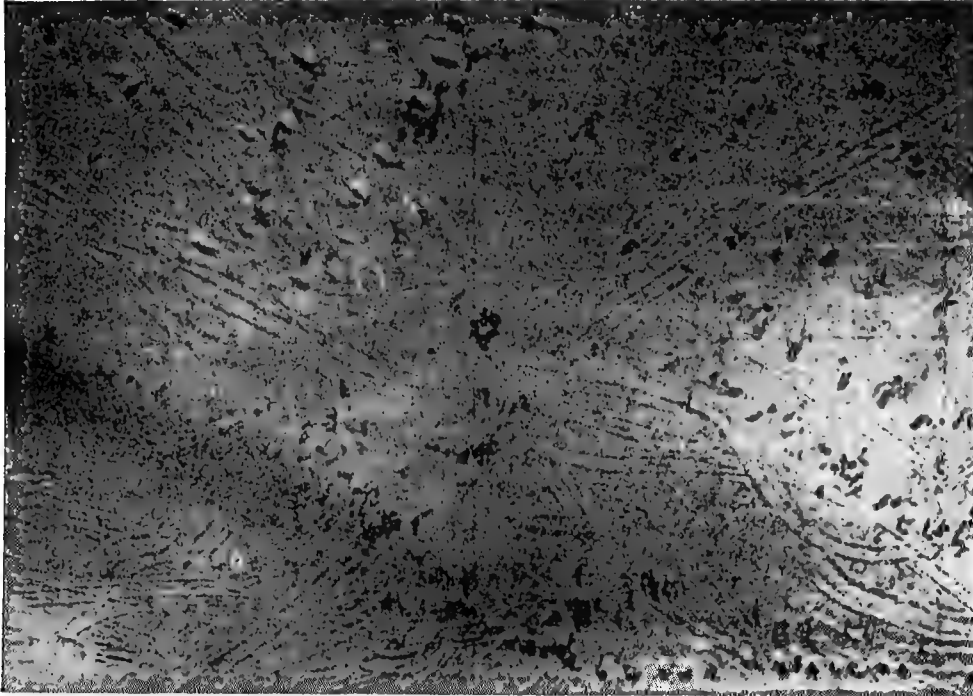
- « ان أهلى الغالى على نفسى ، هو أن أصلى ركعتين لله فى المسجد الأقصى » ..

مظاهر الهزيمة الاسرائيلية

أوردت جريدة « نيويورك تايمز » فى عددها الصادر فى (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ . صفحة ١ - ٦) .. مقالا جاء فيه أن من أدلة الهزيمة الاسرائيلية الاستيلاء على مناطق قوية حصينة لم يكن يقتحمها أى بشر ، وكان الاسرائيليون يحتلون شرق قناة السويس ، وفى مرتفعات الجولان .

وكانت نفسية الاسرائيليين بعد حرب ١٩٧٣ ، محل اهتمام واضح من الصحفيين ، وهذا ما عبرت عنه مجلة « الايكونومست » البريطانية بقولها :

- « ان حرب أكتوبر قد تركت اسرائيل فى حالة ذهول من الصدمة » .
- ومن أهم المظاهر لهزيمة اسرائيل :
- اضطرار اسرائيل الى المبالغة فى تقدير خسائر العرب ، بما يعكس الهزيمة الاسرائيلية المعنوية .
- تغيرت صورة الجيش الاسرائيلى فى صحافة العالم على اختلاف اتجاهاتها ومواقفها من اسرائيل والصهيونية العالمية . فقد أصبحت العبارات « الجيش الاسطورة » و « الجيش الذى لا يقهر » موضع رفض فى كثير من صحف العالم .
- ان الجرح الذى أصاب اسرائيل من حرب أكتوبر قد دعم مطالب أولئك اليهود الذين يتحدثون عن الحدود الآمنة التى يمكن الدفاع عنها .



القتلى الاسرائيليين فى احد المواقع

- بعد حرب ١٩٤٨ - ١٩٤٩ هوى الحقى الاسرائيلى الذى كتب الولايات المتحدة والدواى العربيه العربيه ، وحده كاهر مسمم به * وصبح السلاح الحوق الاسرائيلى يلقى ذوب ان يجمع بدمره المقدم التكمولوجى *
- بعد الحرب الاسرائيله التى كان جيز الحرب الاسرائيلى يعمد
- بعدى اسرائيل من الآثار الاقتصادية الناجمة عن حرب أكتوبر ، والى
- بعد نوبير يتكلى واصبح داخل اسرائيل *
- بعد على تراجع الجيش الاسرائيلى ادم انجيوش العربيه ، وارتفاع عدد حصاره العربيه ، اصداه بأعنه العف فى المجتمع الاسرائيلى *
- انخفضت الهجرة الى اسرائيل بنسبه ٢٣٪ فى الأشهر السه الأولى من عام (١٩٧٥) سببه لما أحدثه حرب أكتوبر من اضطراب اقتصادى وعدم استقرار سياسى * كما أن مئات الأنوف من اليهود قد غادروا اسرائيل الى مواطنهم الأصلية *
- وهكذا حطمت حرب أكتوبر ، اسطورة الجبروت الاسرائيلى ، كما
- بعد ايه المضامات سابقه عما كان يشبعه اليهود والصهيونيون من أن العرب لا يستطيعون القتال *

من نتائج حرب أكتوبر

- أدت حرب أكتوبر الى انبات وجود وبغير صورة المقاتل المصرى وقدراته *
- عبرت حرب أكتوبر ، لسنوات قادمة ميزان القوى فى الشرق الأوسط *
- أظهرت الحرب ، أن العرب قادرون على تشغيل الأسلحة الحديثة والالكترونيات المعقدة فى ميدان القتال * ومن ذلك استخدام القوات المصرية للصواريخ بكفاءة *
- فى تعليق للخبير العسكري الأمريكى * دور ميدلتون ، فى صحيفة « نيويورك تايمز » بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ * أشار الى أن « القوات الجوية المصرية قد ظهرت على مستوى عال بصورة لم تكن متوقعة حيث أظهر الطيارون المصريون أنهم لا يفتقرون الى الجسارة كما يفتق الخبراء فى شئون الطيران ، على أن القتال فى جبهه سيناء ، قد أظهر قدرة مصر على توفير دفاع جوى متماسك لقواتها البريه *
- انتهت حرب أكتوبر - كما أعلن الخبراء العسكريون - ان سلاح الصواريخ بأنواعها المختلفة ، قد غير استراتيجيه القتال التى سادت منذ الحرب العالمية الثانية ، وحد من فاعليه أسلحة الطيران والدبابات *

- كشفت هذه الحرب ، بفضل مهارة جندي المشاة المصري ، انه يمكن التغلب على الدبابات من جانب المشاة المسلحة تسليحا مكثفا بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ٠٠ (كما حدث عند تدمير اللواء المدرع بالكامل ، الذي كان يقوده العقيد عساف ياچورى) •
- كان لاستخدام سلاح الضغط البترولى العربى ، أثره الفعال ، انذى يتضح من خلال موضوع عن « حرب البترول » تناولته صحيفة « التايمز » اللندنية فى افتتاحيتها يوم (١٣ أكتوبر ١٩٧٣) ٠٠ جاء فيه :
- « ان قطع الامدادات البترولية العربية عن أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وإيابان ، سيخلق وضعاً خطيراً ٠٠ وسيؤدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، الى تولد ضغط معين على أمريكا من جانب حلفائها ، لتضغط بدورها على إسرائيل حتى تتبنى موقفا معتدلا » •
- كان للحصار البحرى الذى ضربه الأسطول البحرى المصرى ، على مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر ، أثره الفعال فى القضاء على حجة إسرائيل فى استراتيجية « شرم الشيخ » •
- كما ساعد احكام الحصار ، على وقف الواردات الاسرائيلية مثل : النفط، الوارد من ايران ، والكبريت الذى عرقل الانتاج فى مناجم النحاس الاسرائيلية •
- قضت مقاطعة الدول الافريقية لاسرائيل ، على الأحلام الاسرائيلية فى استنزاف ثروات القارة واستغلال أسواقها لتسويق الانتاج الاسرائيلى •

ما بعد الحرب

- لقد ثبت للعالم أجمع ، أن العرب دخلوا حرب رهضسان ، بقوتهم الذاتية ٠٠ وان قرار المعركة قد اتخذه الرئيس المؤمن أنور السادات •
- وجاء « هنرى كيسنجر » الى منطقة الحرب ، ودرس المشكلة على الطبيعة •
- وكان فصل القوات •
- وجرى العمل لتمهيد الطريق الى مؤتمر جنيف ٠٠
- وفتح العرب صفحة جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة ودمشق وبين واشنطن •
- لقد كان أساس المشكلة بين العرب وأمريكا ، هى الصهيونية بكل ما تحمله من نيات عدوانية •

وفى الماضى ، حاولت الدبلوماسية الأمريكية بكل ما لديها من مخططات وعقول الكترونية ومخابرات وصداقات • ان تفكك العالم العربى • ولم تفلح أمريكا فى القضاء على التجمع العربى فى أوقات الشدة • • بل انها تحالفت سرا مع عدوها الاتحاد السوفيتى ومعسكره الاشتراكى ، بأمل تقسيم النفوذ فى منطقة الشرق العربى •

ولا غرابة فى ذلك التعاون • • فاذا كانت الرأسمالية تعادى وحده العرب لتستطيع السيطرة على الوطن العربى • • فان الشيوعية أيضا ، تعمل فى اطار التفكيك لتسهل السيطرة العقائدية •

ويزور الرئيس الأمريكى « نيكسون » بعض الدول العربية ، ولأول مرة بدأ العرب يتكلمون لغة واحدة ويتخذون خطوات واحدة • • فكانت طلبات العرب التى أسمعوها للرئيس الأمريكى ووزير خارجيته ، تنحصر فى :

- احترام قرارات هيئة الأمم المتحدة •
- الاعتراف الكامل بحق الشعب الفلسطينى •
- إعادة القدس الى أهلها •
- وانتظارا لما بعد ذلك •

ما زالت القوات المسلحة المصرية على أهبة الاستعداد لآى مفاجآت فى الموقف ، واسرائيل أيضا ، تتوقع الا يدوم الحال على ما هو عليه • • فقد كتب المحرر العسكرى الاسرائيلى « ايتان هيفر » فى صحيفة « بد يعوت أحررون » مقالا ترجمته مؤسسة الدراسات الفلسطينية • • يقول فيه : « ان الدول العربية قد تحارب من جديد • • وعلى اسرائيل ان تسعى للسلام ، وتستنفذ كل احتمالات التسوية ، ضمن خطة مواصلة الهجوم • وواجبنا اليوم أن نتأهب للحرب ، وكأنها وشيكة الوقوع • لقد أخرجت حرب رمضان الجيش الاسرائيلى عن توازنه ، فقد كانت حربا قاسية جدا • لقد ولدت الحرب آلاف العبر ، ومن المهم أن نعرفها ونتعلمها ونطبقها فى أقرب وقت •

وستكون الفترة المقبلة صعبة بالنسبة الى الجيش الاسرائيلى فى السنوات القادمة ، وسيكون عليه أن يستوعب معدات لم تكن فى حيازته قبل الآن ، وأن يتعلم كيف يستخدمها على أفضل وجه • • وألا يكون نفس الجيش الذى خرج من حرب يوم الغفران • ولا بد أن نذكر دائما ، بأنه لدى مصر مفاعل ذرى •

وجاء فى خطاب ألقاه الجنرال المتقاعد « آريل شارون » أمام خريجي معهد التكنولوجيا فى حيفا :

« ٠٠ اذا حدث فى بضع سنوات ، أن أصبحت مصر على وشك الحصول على أسلحة ذرية ، فان اسرائيل لن يكون أمامها خيار ، الا شن حرب فظيعة وغير ضرورية ٠٠ وأنا متشائم بشأن فرص السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الاسرائيليين يخدعون أنفسهم ، اذا ظنوا أنهم على طريق التسوية ٠٠ » .

وهكذا ، فالمتتبع لتصريحات العدو ، على لسان المسؤولين الاسرائيليين ، يستطيع أن يكون صورة واضحة لنوايا العدو .

لقد ضمدت مصر جراح نكسة الهزيمة . وتخلصت من عيوبها وحاربت وانتصرت ، وحطمت الأسطورة ومعها الجيش السورى والبلاد العربية . ولا رجعة أبدا للهزيمة ٠٠ بل الى الأمام دائما نحو النصر .

التقصير ٠٠ من أقوالهم

ارتبطت كلمة « التقصير » فى أذهان الاسرائيليين ، بعيد « يوم الغفران » ، بسبب ما واجهته اسرائيل فى حرب أكتوبر ، من فشل عسكرى ونكسات داخلية .

ومن أسرار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ما أفصح عنه الصحف الاسرائيلية بنفسها ، وما نشرته من معلومات عن وضع الجبهة الاسرائيلية فى هذه الحرب .

وقد عبر أحد المعلقين الاسرائيليين عن الجو الذى سيطر على اسرائيل نتيجة هذه الحرب فقال : « اعتقد أن القنوط والكدر ينبعان من حقيقتين احدهما ذاتية ، اذ ان الشعب الاسرائيلي اعتاد منذ ٦٧ الشعور بأنه يستطيع أن يعمل كل ما يريد . بل جرى كلام ان اسرائيل هي الدولة الكبرى الثالثة فى العالم . وقد عكس ذلك شعورا ذاتيا بالعظمة ٠٠ والحقيقة الثانية موضوعية ، فقد اتضح لنا فى أكتوبر ١٩٧٣ أننا لسنا فى فراغ من القوى وأن هناك مقاومة عسكرية ، مدعومة من دول كبرى ، وأن هناك تيارا تاريخيا سياسيا يسير فى الاتجاه المضاد . بعد ١٩٦٧ بدلا من أن نحاول اجراء تسوية فى المنطقة دار الجدل بيننا حول الانسحاب الى كيلومتر أو عدمه ، وجرى بيننا نقاش حول أرض اسرائيل الكبرى . يعنى أننا شغلنا بأمور ثانوية بدلا من أن نجد حلا . لم نحل شيئا ، وحسبنا أن العالم سيمتوقف لكنه لم يفعل . وفى العالم مسارات تاريخية لا تتوقف . الا أننا تجاهلناها . وكان هذا فى رأى خطأ اسرائيل الأكبر » .

ومن الواضح أن حرب أكتوبر ، قد أثرت على تصرفات الجنرال « موسى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلي . ويعلق على ذلك « مارك جيفن » في صحيفة « عال هامشمار » فيقول :

« من الواضح لي دون جدل ، ان الحرب التي أدت الى انهيار فلسفة ديان ، أدت في لحظات معينة الى انهياره هو شخصيا ، وصحيح أن لديان قدرة لا بأس بها على التكيف مع كل وضع تقريبا ، ولكن ديان اليوم ليس ديان ما قبل حرب يوم الغفران . وخلال الحرب ، شاهدنا ، وسمعنا كيف تنحطم خرافة ديان انقادر على كل شيء » .

وتطرق جيفن الى لقاء ديان برؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية ، (يوم الثلاثاء ١٠/٩/١٩٧٣) ، فقال : « كان ما أذهلنا جميعا ، هو تقديره أننا سنضطر الى الانسحاب في سيناء الى خطوط جديدة ، اذ ليس في استطاعتنا صد المصريين وارجاعهم الى ضفة القناة الغربية » .

ونقل جيفن عن ديان قوله : « ربما كان في استطاعتنا محاولة ذلك ، ولكننا سندفع ثمن هذه المحاولة غاليا ، في ميزان القوى الحالي ، لأن قوة الجيش الاسرائيلي الأساسية يجب أن تدافع عن دولة اسرائيل ، وليس عن الصحراء » .

وقال جيفن ان ديان كان ينوى الظهور في برنامج تليفزيوني ، يقول فيه هذه الحقيقة الى الشعب الاسرائيلي ، واعترف جيفن بأن قرار ديان ذلك أثار ذهولا لدى الجميع ، لأن الجمهور الاسرائيلي لم يكن معدا لتقبل مثل هذه الاخبار ، لأن التقارير الصحفية كانت تنطوي على مبالغة للأفضل ، سواء بسبب نقص المعلومات الوثيقة أم بسبب الرغبة في تشجيع السكان . الا أن جولدا مائير هي التي منعت ديان من تنفيذ خطته .

ويقول جيفن : « ومن جولدا نفسها ، حصلنا على اقرار بانها هي التي أمرت ديان حقا بالامتناع عن الظهور في ذلك المساء على شاشة التليفزيون . وكانت لديها أسباب وجيهة لالغاء ظهوره التليفزيوني . فقد كانت تعلم بالكتابة التي يعيشها وزير الدفاع ، منذ مساء الأحد . ففي ذلك اليوم ، اليوم الثاني من الحرب ، وعندما لم تتحقق توقعات ديان ، وكان الوضع على الجبهات حرجا جدا ، جاء وزير الدفاع الى رئيسة الحكومة ، وعلى شفثيه اقتراح بالانسحاب من مرتفعات الجولان وسيناء معا ، ووصف الوضع بصورة مكثرة جدا ، واعتبر الانسحاب الملاذ الأخير » .

وتابع جيفن حديثه عن انهيار ديان ، فقال : « وعندما رفض اقتراح ديان المذهول بالانسحاب من الجولان وسيناء ، توقف وزير الدفاع ، عن التدخل في ادارة الحرب ، وأصيب ديان بالذعر خلال المراحل اللاحقة من

الحرب أيضا ، وكان خوفه ناجما عن احتمال عدم انتهاء هذه الحرب . لأن للعرب نفسا طويلا ، ولأنه ، فى هذه المرة ، يقف ضدنا عالم عربى كبير وموحد » .

وأورد جيفن من أقوال ديان ما يأنى :

« لا أرى دلائل على الاستسلام من جانبهم ، حتى لو دخلنا القاهرة ودمشق . العالم العربى بأسره ضدنا ، ١٠٠ - ٢٠٠ مليون عربى ، من الجزائر الى الكويت ، ولديهم الوقت والصبر . يستطيعون أن يخسروا ويرفضوا الكلام عن وقف القتال . لو عرضوا علينا العودة الى الخطوط السابقة فى سوريا ومصر كشرط لوقف القتال ، لما رفضنا ذلك . وإذا بدأت احتمالات لوقف قتال حقيقى ، فسأشعر بارتياح كبير » .

وكشف زئيف شيف المراسل العسكرى لصحيفة « هآرتس » أسراراً جديدة عن اليوم الثالث للحرب (٨ من أكتوبر) الذى ذكر انه أهم يوم فى الحرب على الجبهة المصرية ، وشبه المعارك التى جرت فيه بالمعركة حول ستالينجراد ومعركة هيدواى البحرية فى المحيط الهادى خلال الحرب العالمية الثانية .

وقال شيف :

« فى ذلك اليوم قام الجيش الاسرائيلى ، بمساعدة قوات الاحتياط ، التى استطاعت التجمع فى الجبهة ، بأول هجوم مضاد على الجبهة المصرية . وقد صد هذا الهجوم الاسرائيلى ، وتكبدنا خسائر جسيمة . وبقي الكثير من رجالنا ، سواء المصابين أم الأصحاء ، فى الميدان دون امكان انقاذهم ، ووقع قائد كتيبة مدرعات اسرائيلى فى الأسر (١) .

« كانت القيادة العليا للجيش الاسرائيلى مقتنعة بأننا سنعبر القناة فى اليوم نفسه . وأرسل تقرير الى الحكومة يفيد أن العبور بدأ . وظهر أن التقارير الواردة من الميدان غير صحيحة . وأحدث هذا الفشل هزة عنيفة . وكانت هذه هى الهزة الثانية بعد المفاجأة التى داهمتنا ظهر يوم الغفران » .

وفى الحقيقة هدد القتال ، فى ذلك اليوم ، مصير معظم تحصينات القناة التى لم تكن سقطت بعد . وفى مساء ذلك اليوم ، شعرنا للمرة الأولى ، وبصورة ملموسة ، بأننا وقعنا فى خطأ بالنسبة الى تقدير ميزان القوى ، وتأثير أنواع معينة من الأسلحة فى ميدان القتال . وأدركنا أننا أخطأنا فى بناء قواتنا » .

(١) « العقيد عساف ياجورى » .

وبحدث شيف عن « حرب الجنرالات » فى الجبهة الجنوبية التى سجت عن أحداث يوم (٨ أكتوبر) والفشل الذى منيت به القوات الاسرائيلية وتحدث عن الخلافات بين « جونين » قائد جبهة سيناء ، و « شارون » وكيف أثرت هذه الخلافات فى سير المعارك . وبالتالى ، لم تستطع قيادة الجيش الاسرائيلي تنفيذ الخطط التى أعدتها فى السابق ، لمواجهة احتمال عبور مصرى . وقال فى هذا الصدد :

« كان مفهوم الجيش الاسرائيلي هو نقل الحرب الى الجانب الثانى ، الى اراضى العدو . وكان من الواضح ، دائما وأبدا ، أنه فى حالة عبور مصرى للقناة ، سيشن الجيش الاسرائيلي هجمات مضادة فورية . وبعد ذلك يبدأ هجوما مضادا موازيا واسع النطاق ، ويعبر القناة . وكان الهدف هو العبور من خلال استغلال الهجوم المضاد . ولهذا الغرض ، أعدت القيادة ، خلال سنوات ، خططا مفصلة للعبور ، فى عهد شارون عندما كان قائد المنطقة ، حتى أنه جرى تمرين على عبور كبير فى سيناء » .

وأشار شيف الى البيانات « غير الصحيحة » التى كانت تصل من الجبهة ، فذكر أن :

« الاحساس بأن كل شئ يسير بموجب الخطة ، وأن الجيش الاسرائيلي يصد المصريين ، استمر حتى ما بعد الساعة الخامسة صباحا . وفى الساعة ١٩٠٥ ، قال « جونين » لرجال القيادة ، ان الوضع فى الجبهة الجنوبية استقر ، لذلك فهو يزعم نقل قوة « دان شومرون » الى الشمال . وبعد ذلك بدقيقة ، انقلب كل شئ رأسا على عقب . ووصلت الأخبار المقيتة التى غيرت الصورة . وهى أنه لم يبق من ٢٦٤ دبابة التى يقودها اللواء « ألبرت متدلر » ، سوى ١٠٠ دبابة سليمة . واتضح فجأة أنه لم يبق اتصال ، فى الجبهة الوسطى ، الا بجزء صغير من الدبابات . واتضح ، أيضا ، انه خلال بضع ساعات ، فى الظلام الذى خيم بين منتصف الليل وبين الساعة الخامسة صباحا ، فقد الجيش الاسرائيلي عشرات الدبابات » .

وكشف « شيف » عن أعمال رجال الصاعقة المصريين (الكوماندوز) ، فكتب قائلا :

« والآن بدأت أكثر الساعات رهبة فى الجبهة المصرية . وقال جونين لرجاله فى غرفة العمليات ان الصمد سيكون صعبا ، وقد يخسرون اراضى . وفى ذلك الوقت أبلغت غرفة العمليات أن قوات كوماندوز مصرية توغلت فى العمق وتهاجم أهدافا فى المنطقة . ولدى سماع القادة العسكريين فى غرفة العمليات هذا النبأ سارع كل منهم الى حمل سلاحه

الشخصى فى غرفة العمليات ، كما أغمى على شخص يعمل على اجهزة
اللاسلكى » .

ثم يتابع مقاله قائلا :

« ان رجال الكوماندوز المصريين هاجموا قوة الدبابات الاولى التابعة
لبيرن بقيادة نتكا ، وكان الكمين المصرى يضم ١٥٠ رجلا . وأطلقوا
صواريخ ساجر وبازوكا آر . بى . جى . ، وخلال الضربة النارية الاولى
أحرقت دبابتان وعربة مجنزرة ، وقتل سبعة أشخاص ، وجرح ٢١ ،
ونشبت معركة . ولم يستسلم أحد من المصريين » .

وأشار سيف الى فشل الميراج فى هجمة خاصة قامت بها طائرات
الميراج ضد أحد الجسور المصرية . وأضاف : « ثمة شهادة اخرى على
خطورة الوضع فى الجبهة ، ظهرت لدى وصول وزير الدفاع فى غرفة
العمليات . فقد وصل اليها (يوم ٧ أكتوبر) فى الساعة ١١:٤٠ وقبل
ذلك ، طلب قائد طائرته الهبوط هناك ، ولكن جونين اقترح أن يتخلى
وزير الدفاع عن الفكرة خوفا من رجال الكوماندوز المصريين » .

وقد تخلى ديان عن الهبوط بالقرب من غرفة العمليات ، وهبط فى
مكان آخر ، ثم جاء الغرفة بمجنزرة . وعندما اطلع ديان على خطورة
الوضع ، اتصل لاسلكيا برئيس الأركان طالبا مساعدة جوية للجنوب .
ولم يسمع من المحادثة سوى صوت ديان ، وهو يقول (فعلا ، دجانيا أهم)
خاطب ديان قائد المنطقة الجنوبية قائلا :

« هذه حرب صعبة ، وليست اشتباكا . يجب الانسحاب الى خط
ثان ، الى الجبال . والتحصن هناك . ستحصلون على مساعدة جوية ،
ولكن ليس قبل صباح الغد . يجب ترك خط المياه ، لا ينبغي الاعتماد
على التحصينات . لا أرى أن الوضع سيتغير . وليس من المنطق
مهاجمتهم ، ولا أن يحاول الرجال فى التحصينات الهجوم ليلا » .

وعندما سئل ديان عن مصير الجرحى أجاب :

« الأصحاء يحاولون عبور الخطوط ، والجرحى لا خيار الا أن يقعوا
فى الأسر » .

الباب الثاني

حرب ٦ أكتوبر

والمفاهيم العسكرية
الجديدة

فوق الأحداث

ليس يعني هنا أن نتتبع أحداث عمليات السادس من أكتوبر وتطوراتها يوما بيوم ، أو ساعة بساعة . بل يعني ما هو أهم من تسجيل الأحداث وما هو أعمق أثرا وأكثر بعدا . وهو ما أدت اليه هذه الأحداث من تغيير في الفكر العسكري ومن تحول في تكنولوجيا الحرب .

ان المفاهيم العسكرية ليست تعاليم صماء ، ولا هي نواميس ثابتة ، بل هي مزيج من اجتهادات متعددة ، تختلط فيها حنكة الادارة ، بشجاعة الرجال ، وتذوب فيها مهارة الفرد مع كفاءة السلاح ، وتتحكم الروح المعنوية للمقاتل في سرعة الأداء . ورغم ما تذخر به ترسانات الأسلحة من أنواع العتاد ، ورغم ما بلغته التكنولوجيا الحديثة من تقدم في عتاد الحرب فمازال العنصر البشري الى يومنا سيد الموقف ومازال كما قال المشير أحمد اسماعيل « **السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح** » . والدروس المستفادة من كل حرب ، أهم في الدراسة لدى القادة من مجرد تتبع الأحداث . فمنها يحللون ويستنبطون ، وعلى ضوء نتائجها يجددون السلاح ، ويغبرون أساليب التكتيك ، وخطط الهجوم ، وطرق الدفاع .

وعلى ضوء الاجتهادات العسكرية ، تتحسن نوعيات السلاح ، ويطور المصممون في صناعته . ومحك التجربة في ذلك كله ، الحروب الصغيرة أو الصراعات المحدودة .

لقد كانت الحرب الأهلية الاسبانية التي اشتعلت عام ١٩٣٦ محك تجربة ، استفادت منها دول أوروبا الغربية عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . وأثت حرب كوريا ، ثم فيتنام وعلى ضوء نتائجهما أضيف الى ترسانات الأسلحة العالمية كثير من العتاد والسلاح ، ليختلط فيها ما هو قديم بما هو جديد . وحسبنا مثال واحد أن مدرعات اليوم غير مدرعات الأمس التي كان يستعملها رومل في حرب الصحراء الغربية مثلا . لقد دخل على هذه المدرعة وحدها تطور هائل من كيانها في الذخيرة التي تتسلح بها والمعدات الإلكترونية التي تحملها ، والدروع التي تحمي جوانبها . لذلك ليس بدعا أن يستفيد المحللون العسكريون ، من أحداث الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة ، التي كانت تجربة جادة لاستخدام السلاح بكل صنوفه سبعة عشر يوما كاملة .

ولقد كان السوفييت ينظرون اليها ، نظرنهم الى حقل بجارب للسلاح
الذى يستخدمه سوريا ومصر . وكذلك كانت أمريكا تنظر الى السلاح الذى
يستخدمه الاسرائيليون . نظرة النجاح أم الفشل .

ومن منطلق عمق الادراك ، للتحويلات العسكرية التى أحدثتها عمليات
السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، أتى حديث الرئيس محمد أنور السادات يوم
١٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، « بأن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص
والدرس أمام هذه العملية » .

ويرتكز هذا الادراك على عدة حقائق من أهمها :

- أن ست سنوات ونصف سبقت الحرب ، تم فيها اعداد واستعداد
وتجهيز وتسليح وتدريب .
- ان الجزء الأكبر من الاعداد الهندسى للحرب ، ثم لعبور مانع مائى
عريض ، ذى مزايا خاصة هو قناة السويس .
- ان خط بارليف ، الذى امتد بطول القناة من شمالها الى جنوبها ، كان
يمثل عقبة كداء أمام الهجوم المصرى ، للافراط فى تحصينه ، والمغالاة
فى تسليح نقطه القوية .
- ان الصحراء المفتوحة التى دارت فيها أحداث الحرب ، لها طبيعتها
ومميزاتها التى تحكم كثيرا من قواعد الحرب ، وأصول الشكتيك .
- ان أرض المعركة حفلت بالآلاف من قطع السلاح الشرقى والغربى
المنوعة الخصائص ، بين دبابة ومدفع وصاروخ ومجنزة .
- ان سماء المعركة عجت بمئات الطائرات ، التى تقذف حممها نحو
أهداف الأرض ، وتنوعت أنواع هذه الطائرات بين مقاتلات ،
وقاذفات ومقاتلات قاذفة وهيليكوبتر ، لتؤدى مهامها متعددة ومتنوعة .
- ان أرض المعركة ، كان يحفها بحران كبيران ، هما البحر الأبيض
المتوسط والبحر الأحمر ، وكان للقوات البحرية دورها فى العمليات .
- ان دور الدفاع الجوى المصرى فى المعركة ، كان جديدا فى أساليب
الحرب الحديثة حيث تميز بشكوين حائط منيع من الصواريخ متفاوتة
المدى والارتفاع .
- ان جندي المشاة كان له دوره النفيدي كعصب لكل خطوات العملية ،
ودور جديد بالصواريخ سهلة الحمل .

- ان الحرب رغم كونها فوق رقعة محدودة وبين دول نامية فقد صلبت فيها صنوف سلاح مختلفة ، بعضها أحدث ما عرف في التكنولوجيا العسكرية ، من صواريخ محدودة المدى ، ومعدات إلكترونية .
- ان كفاءة الرجال في إدارة الحرب ، كانت تحكمها عوامل غير منظورة تتأرجح بين كفاءة القيادة المصرية ، ودقة الاعداد ، واستغلال عامل المفاجأة ، وارتفاع الروح المعنوية .

نظرة الى النتائج

عقب كثير من المحللين العسكريين ، على نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ في مختلف الدول ، سواء أمريكا أو روسيا أو أوروبا أو إسرائيل أو الدول العربية . وفي تحليلاتهم القوا الضوء على فكر جديد في الحرب ، وقواعد جديدة استحدثت استخدامها ، ونظريات حديثة بعثت الى الوجود . ولكن الذي لا شك فيه أن هذه التحليلات ، نعتمد في كثير من استنادها على نتائج معلنة ، أو وثائق صريحة أو إحصائيات ثابتة ، وتعتمد كذلك على الاستقراء والتخمين والاستنتاج .

ولذلك فان ما توصلنا اليه من تحليلات ، يمكن أن نعتبره بعضا من كل ، ونتائج لها ما بعدها من نتائج أخرى ، قد تكون أكثر دلالة ، وأعمق أثرا . ذلك أن الحرب لها اسرارها التي لم يعلن عنها بعد ، ولها دقائقها التي ما زالت تضمها الخزانات ، بل ولها نتائجها التي ما زالت طي الكتمان في صدور الرجال ، ممن أداروا رحاها ووضعوا خططها وأحصوا نتائجها . وأهم من ذلك كله ، أن الصراع الذي اشتعلت بسببه هذه الحرب ، ما زال محتدا ، وما زال قائما ، وما تم ليس أكثر من مرحلة قد يعقبها مراحل أخرى . ولذلك قد تتوالى النتائج .

وقد برز من المحللين العسكريين – غير العرب – الجنرال الفرنسي « أندريه بوفر » رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية في فرنسا ، والخير العسكري الأمريكي « دور ميدلتون » ، والباحث السوفيتي « شرايبر » . وأعلنوا آراءهم في تحول الفكر العسكري العالمي على ضوء نتائج حرب أكتوبر .

كما عكفت مراكز ومعاهد ولجان عسكرية عليا في مختلف الدول على دراسة هذه النتائج ووضع التقارير عنها ، ومنها :

- معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن .
- معهد الدراسات الاستراتيجية في استكهولم .

- مركز الدراسات الاستراتيجية في باريس .
- اللجنة العسكرية لحلف شمال الأطلسي .
- أكاديمية العلوم العسكرية الباكستانية .
- أكاديمية ناصر العسكرية في القاهرة .
- كلية القادة والأركان في دمشق .

بل لقد حضرت الى القاهرة لجان عسكرية من عدة دول ، لاجراء دراسات واقعية عن حرب أكتوبر وأبرزها وفد عسكري أمريكي ضم خمسة من كبار المتخصصين العسكريين ، ووفد آخر سوفيتي . ووفد عسكري هندي يرأسه رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة . أضف الى ذلك مئات المراسلين العسكريين ، الذين تدفقوا الى جبهة القتال من شتى الدول . ونناول كل منهم الموضوع من وجهة نظره .

ولعله من العجيب أن مئات الكتب قد طبعت عن حرب أكتوبر ، فأرحت لأحداثها وسجلت حوادثها ، وعلقت عليها ، خلال شهور قليلة ، كثير منها ظهر في أوروبا وبعضها ظهر في أمريكا . أغلبها انحاز لوجهة النظر الاسرائيلية ، وبعضها سجل الحقيقة مجردة ، وما زلنا في مصر ، نقرأ كل عدة أيام عن كتاب جديد تدفع به المطابع الى المكتبات . وما زالت مطابع بيروت النشطة ، تخرج الى الأسواق يوما بعد يوم بكتاب أو كتيب جديد يدور حول نفس الموضوع .

هذا السيل الجارف من الكلمات المفروعة ، يعالج بعضه الفكر العسكري الجديد الذي ظهر الى الوجود مع أحداث حرب أكتوبر . وليس من باب الفخر القول بأن حرب أكتوبر لم تكن فقط ملحمة في البطولات من جانب الجنود العرب ، بقدر ما هي درس للأجيال المقبلة ، يمكن أن تمددهم بنور الخبرة .

غير أن هناك حقيقة لا بد من الإشارة اليها في معرض هذا الحديث ، وهي أن المحقق يجد نفسه غارقا بين صفحات هذه الكتب ، تشده الكلمات ، وتشده الصور لأنها كلها عنيت بما كان وركزت على تسجيل الأحداث ، أما ما سيكون فلم يعرض له الا القليل منها .

لذلك كان هنا الأول هو أن نرتفع فوق تسجيل الأحداث ، فهذه مهمة المؤرخين وأن ننظر الى النتائج ، وهذا واجب المحللين . ومن ثم فإن موضوعنا هنا يعالج بالدرجة الأولى ، ما أسفرت عنه حرب أكتوبر من تحولات في منطقة الشرق العربي ، وفي الفكر العالمي وإن كان هذا قد يقتضينا أحيانا أن نلقى بالأضواء على التاريخ نستخلص منه ملامح المقارنة

بين ما كان وما سيكون . وينفرد هذا الباب بمعالجة ما طرأ على الفكر العسكرى وما سيضطر العسكريون الى ادخاله على ترسانات الأسلحة من تعديلات .

وسيقتضينا ذلك عقد مقارنات بين الأسلحة العربية . والأسلحة الاسرائيلية وتفنيد مزايا كل منها . ولكن أخذا بأسلوب عدم التعرض لما يقع تحت طائلة السرية ، لن نعرض الى أعداد ، أو الى أسماء خلاف ما رفعت عنه السرية ، ونشر عنه فى الصحف الغربية أو العربية . وقبل الخوض فى أية تفاصيل ، والتطرق الى أية نتائج نجد لزما القول بأن التحولات فى الفكر العسكرى التى أحدثتها حرب أكتوبر ، لم تقف عند نطاق التكتيكات المحددة التى لا تمتد خلف ميادين القتال ، بل تطرقت الى الاستراتيجيات التى تربط الجبهات . فقد كان أروع ما فى هذه الحرب التنسيق الكامل بين سوريا فى الشمال ومصر فى الجنوب ، ووراءهما دعم عربى منسق ، أحسن البعض فى وضعه وكأنه مارد من الامكانات المادية والاقتصادية والبترونية والمعنوية تساند المعركة مما تديرها ، وأعطتها بعدا تجاوز حدود التكتيك . ومن ثم وقف العالم يقدم احترامه للحرب حيث لا احترام الا للقوة ، وحيث لا احترام للحق اذا لم تسانده قوة .

ولكى لا يتشعب بنا الحديث ، سنمس جوانب من العمليات العسكرية لابرار ما أسفرت عنه من تحولات فى الفكر العسكرى ، عامدين الى تقسيمها وفقا لنوعيتها وخصائصها . فلا يعقل أن يختلط القول عن المدرعات بالحديث عن الحرب الإلكترونية ، أو أن ندخل الدروس المستفادة من الطيران مع ما طرأ على حرب المدرعات .

الفصل الأول

التخطيط للمفاجأة

بين المفاجأة • • والخداع

وضع بعض أساطين الفكر العسكري عدة مبادئ للحرب ، لاخصاص
دراسيتها لقواعد العلم وقد اعتبرها بعضهم كنبليون كثيرة ومتعددة تفوق
المائة مبدأ عدا ، واعتبرها بعضهم في العصر الحديث مبادئ معدودة .
لا تزيد عن العشرة بينما تختصرها المدرسة الاستراتيجية الحديثة التي يقف
على رأسها « كلاوز فيتز » الى خمسة مبادئ فقط • غير أن هؤلاء وهؤلاء
يضعون مبدأ المفاجأة ضمن المبادئ العامة التي يجب الارتكاز عليها لتحقيق
النصر ، ومن خلاله يمكن تحقيق المبادأة للسيطرة على الخصم وذلك مصداقا
لقول الرسول الكريم « **الحرب خدعة** » • والحقيقة ان التكنولوجيا الحديثة
في ظل الصواريخ والطائرات السريعة وثورة الاتصالات الاليكترونية قد
أعطت عنصر المفاجأة أبعادا جديدة ، حيث يمكن السيطرة على الميدان خلال
دقائق معدودة • ودفعت به الى مقدمة كل العناصر ، حيث يتوقف على
تحقيقه كل ما يأتي بعده • بل لقد بلغ الأمر ببعض قادة الحروب النووية ،
القول بأن النصر لمن يملك زمام المبادأة في الحرب خلال الدقائق الأولى ،
وظلوا سنوات طويلة يحسبون كم دقيقة تحقق النصر ، لو تأخر الرد
المعادي • ومع تقدم التكنولوجيا هبط العدد من عشرين دقيقة الى ما لا يجاوز
ثلاث دقائق •

ولذلك نجد هناك نظريات في علم الحرب تقسم المفاجأة الى أنواع تبعا
لحجم القوات المشتركة فيها بين مفاجأة تكتيكية على مستوى القوات المتحاربة
في ميدان ، وبين مفاجأة تعبوية على مستوى الجيش ، وبين مفاجأة
استراتيجية على مستوى الدولة •

والحق يقال أن المفاجأة في حرب أكتوبر أنت من جانب العرب على
مستوى التنسيق بين سوريا ومصر لتشمل جبهتين متباعدتين ، لتوقع
اسرائيل في لجة من الارتباك والتخبط •

ولا بد من وقفة هنا لنسترجع أن هزيمة الأمة العربية عام ١٩٦٧ ،
أثبتت على غرة ، وفي غفلة من الزمن بسبب المفاجأة الاسرائيلية التي أخذت
بأسلوب الغدر والمباغنة •

وعلى حد تعبير الأستاذ أحمد بهاء الدين في كتابه « وتحطمت
الأسطورة عند الظهر » • فإن هناك فارقا بين المفاجأة الغادرة والمفاجأة

المنسوعة التي مارسها جيش مصر وجيش سوريا • فهي من صميم العمل العسكري ، ووسط حلقات الصراع المحتوم وبحت سمع وبصر عدو نجحنا في ان نصم أذنيه للحظات ، وأن نحول أنظاره لكي نأخذ على غرة •

والحقيقة أن أساليب الخداع التي اتخذت في مصر كانت على مستويات متعددة شملت المستوى الدولي ، والمسرح السياسي ، ووسائل الاعلام ، وجيشين منتشرين على مواجهة طولها ١٨٠ كيلو • لذلك كانت من الحبكة والدقة بحيث تعتبر ضربة صائبة للمخابرات الأمريكية المركزية ، التي لا تبذ في دقة تجميع المعلومات في الخفاء • ورغم أن أمريكا تقهر العالم بالعلم والتكنولوجيا ، ونفضح أسرار كل القارات سلبا وإيجابا ، لمن يشاء ولمن لا يشاء بواسطة أقمارها الصناعية ، ولديها من وسائل التجسس والتصنت الالكتروني ما كان مضرب الأمان سواء في حرب فيتنام أو خلال معارك سيناء عام ١٩٦٧ • كمثل السفينة « بيوبلو » ، والسفينة « لوبرتي » ، فان كل هذا لم يجمع من المعلومات ما كان يمكن أن ينبىء بأخبار الحرب • والحقيقة المرة ، أن أطرافا من المعلومات تناهت الى اسرائيل • عن الحشود والنحركات المصرية والسورية ، ولكن هناك فارقا بين تجميع المعلومات • وتحليلها • فلا جدوى من المعلومات دون محاولة استشفاف ما يعنيه أمر ما يختفى وراءها من مدلولات • لذلك فهناك في أجهزة مخابرات كل دولة من يكلف بتجميع المعلومات سواء بواسطة التصوير الجوي أو الأقمار الصناعية أو العملاء أو التصنت اللاسلكي • ولكن أهم من هؤلاء من يقومون على تحليل هذه المعلومات واستخدام القياس والمنطق للولوج الى مدلول هذه المعلومات • وهذا ما حدا ببعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « بأنهم رأوا وسمعوا ولكنهم لم يفهموا » • والأمر الواضح أن الأمر لم يقتصر على عدم الفهم فقط بل لقد غرق القادة الاسرائيليون العسكريون والسياسيون على السواء في الشعور بالاستهتار والاستهانة بقدرات العرب ، مما قوى لديهم الاحساس باستبعاد أى اقدام على العمل المسلح في حرب شاملة • بعد أن ثبت في روعهم أن العرب لا يتقنون غير التناحر بالخطب والكلمات وأنهم قد استناموا الى الهزيمة ، بلا أمل في اليقظة • ولو شئنا أن نسترجع الماضي ونرى أبعاد الصورة التي أغرقتهم في هذا الاستهتار ، فسنبجد أن حالة الوفاق الدولي التي فرضت فلسفتها على العلاقات الدولية كانت نهاية المطاف في دفع الاسرائيليين الى ذلك • فقد طالت مدة الركود العسكري في المنطقة ، واصطلحوا على تسميتها بحالة « الاسلام والحرب » ، وبعد اللقاء الثانى بين قطبي أمريكا وروسيا ، طلعا على العالم بأن أنسب الحلول لقضية الشرق الأوسط هي حالة « الاسترخاء العسكري » التي يغط فيها أطراف المشكلة آنذاك • وكأن قضية

الشرق الأوسط ، أو قضية الحق العربى أصبح مكانها اللائق نلاجة الامر
الواقع القائم على بواذر استسلام العرب لسياسة القهر .

ومن ثم أتت المفاجأة العربية كوقع الصاعقة على المخابرات المركزية
الأمريكية ، وعلى الفكر الأمريكى كله بل وعلى الفكر الاوربى كذلك . وقد
ورد تقرير احدى لجان الكونجرس الأمريكى عن ذلك « ان عملية التمويه
والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للقتال ، والقدرة على كتمان هذه
الاستعدادات لفترة طويلة ، واخفائها عن أعين الاسرائيليين ، أمر يجب أن
يلقى اهتماما كبيرا » .

على مستوى الدولة

وتنعكس الأساليب فى الأخذ بأسباب الخداع الاستراتيجى على مستوى
أجهزة الدولة العليا فى مصر ، خلال عدة صور منها :

● عدم صدور أى اشارة او بادرة اعلامية من أجهزة الاعلام المصرية نشير
الى المعركة ، أو تذكى الحماس ، أو تهيب الأذهان ، رغم أن النائب الأول
لرئيس الوزراء (الدكتور عبد القادر حاتم) كان الوزير المشرف على
هذه الأجهزة .

● وجود عدد كبير من الوزراء فى الخارج بين ٤ أو ٥ وزراء ، منهم وزير
الخارجية ، (الدكتور محمد حسن الزيات) الذى كان فى لقاء مع وزير
خارجية أمريكا فى اليوم السابق لبدء القتال .

● تعتمد رئيس الجمهورية فى خطابه قبيل أيام من المعركة وفى ذكرى
وفاة الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٨ سبتمبر أن يمر فى خطابه
على ذكر المعركة ، من الكرام وفى ختام حديثه بقوله :

« أيها الاخوة والأخوات ... لعلمكم لاحظتم أن هناك موضوعا لم
أعرض له . ولكننا نعرف هدفنا ونحن مصممون على تحقيقه . ولن
ندخر فى هذا السبيل جهدا أو نبخل بتضحية . ولن أتحدث اليوم عن
هذا طويلا . ولكننى فقط أقول أن تحرير الأرض كما قلت مرارا هو
المهمة الأولى التى تواجهنا . وسوف نحقق هذا الهدف بإذن الله . إنها
إرادة هذا الشعب . بل إنها إرادة الله » .

موحيا للعالم باهتمامه بالأمور الداخلية كإصدار العفو عن المبعدين
من رجال الصحافة ، والطلبة المعتقلين رهن التحقيق فى المظاهرات .

● تعتمد أجهزة الاعلام المصرية التركيز على بصريحات الوزراء المختصين عن جهود توفير الغذاء واغراق الأسواق به بمناسبة شهر رمضان ، ايعاء بالانصراف الى عادة الاهتمام بأنواع خاصة من الأغذية خلال هذا الشهر .

والحقيقة أن الظروف الدولية قد ساعدت على اسنقطاب اهتمام أجهزة المخابرات الاسرائيلية بموضوعات هجرة اليهود عبر أراضي النمسيا . فتحولت الأنظار الى تهديدات الفدائيين الفلسطينيين لقطارات اليهود ومعسكر بجمعهم في قلعة شوناو . وأثنت قمة هذا الاهتمام في وجود مائير رئيسة وزراء اسرائيل في فيينا لمباحثات مع المستشار النمساوي كرايسكي حول هذه القلعة .

على مستوى القيادة

عمدت قيادة القوات المسلحة الى أساليب عديدة للخداع التبعوى على مستوى القوات كلها . وقد أثنت هذه الأساليب استكمالا لحلقات الحفاظ على سرية قرار بدء المعركة ، وتوقيتها .

وفي سبيل الحفاظ على هذه السرية ، عمدت القيادة العامة للقوات المسلحة الى ضغط أعداد الضباط التي تعمل في أعداد الخططة ، بالإضافة الى الدقة في انتقائهم . ولم يكن على علم بتوقيت المعركة ، الا عدد قليل منهم .

ومن الأساليب الجديدة التي ثبتت جدواها ، تعتمد عدم نسخ المكاتبات المتعلقة بالخططة على الآلة الكاتبة ، وقيام كل ضابط مسئول عن أى جزء منها بكتابتها بخط يده .

وكانت الخططة الشاملة طي دفتي مجلد يحتفظ فيه « اللواء محمد عبد الغنى الجمسى » رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة - آنذاك - والذي كان عمله بمثابة المحور الذى تدور حوله الرحى ، في مختلف الأسلحة والقوات .

ومع قلة عدد الأشخاص الذين شاركوا في وضع الخطط التفصيلية في كل ادارة أو سلاح أو قوات متخصصة ، فقد أثبت رجال مصر أنهم على مستوى المسئولية في حمل الأمانة . ولم تظهر حالة واحدة لتسرب المعلومات الى خارج القوات المسلحة ، أو الى أية أجهزة أخرى مدنية . فقد كانت التوجيهات المعنوية تعنى بتلقيح الجميع أن يبقى الأسرار حبيسة في الصدور ، عن الزوجات والأصدقاء وحتى عن الذين لا يتعلق عملهم بها . ورغم أن قرار المعركة كان قد اتخذ ، والقيادة في حالة تأهب أثناء

مرحلة العد التنازلى ، فان الأمر كان يستلزم وضع كثير من الامكانيات والطاقت المدنية فى حالة تأهب واستعداد ، كالمستشفيات والمرافق وأجهزة النقل . ولكن كانت هذه الأجهزة قد تعودت على مثل هذه الحالات فى السنوات السابقة عدة مرات . وكان هذا المطب يتكرر فى العام الواحد عدة مرات عند قيام القوات المسلحة ، بأى مشروع ، أو مناورات .

وكان الشعور السائد لدى كثير من قادة القوات المسلحة الصغار الذين لا يعملون فى الجبهة ، ولدى كثير من الأجهزة الحكومية التى يتعلق عملها بها ، أن هناك مناورة عسكرية كبرى .

ولعل هذا الظن . كان هو نفس الظن الذى ساور الأعداء ، أو الذى أوحى به الظروف للمخابرات الأمريكية . فقد كان من عادة القوات المسلحة ، أن تقوم بمناورة كبرى على مستوى القوات كلها عند حلول كل خريف .

ولقد زاد من حبكة هذا الظن مظاهر خداع ذكية ، أميط اللثام عن بعضها ، وما زال بعضها الآخر طلى السرية . ومن هذه المظاهر :

✳ تعتمد تسريح عدد كبير من الجنود قبل توقيت المعركة بمدة ثمان وأربعين ساعة . وتفننت الأجهزة فى اعلان واساعة هذا النبأ على جموع الشعب . وفى الوقت نفسه كانت عملية استدعاء آلاف الجنود الفئتين من الاحتياط قائمة على قدم وساق .

✳ أذيع على صفحات الجرائد ، فتح باب أداء العمرة للضباط ، على دفعات . وكان هذا الأمر غير متيسر من قبل ، بل كان الضابط لا ينال أجازة سنوية غير عدد قليل من الأيام قد لا تتجاوز أسبوعا .

وعلى نفس المنوال ، سمح للضباط وضباط الصف ، بدفع رسوم أداء فريضة الحج ، على أساس تنظيم السفر لأدائها على دفعات تشرف عليها القوات المسلحة .

على مستوى الجبهة

فاذا ما انتقلنا الى الجبهة ، حيث انتشرت مئات الوحدات التى تضم كل منها آلاف الرجال يمثلون فى مجموعهم جيشين كاملين ينتشران فوق جبهة يبلغ طول مواجهتها ١٨٠ كيلو مترا بحذاء قناة السويس بكاملها وأعماقها تسحب حتى القاهرة حيث قاعدة الامداد الرئيسية ، وهناك كانت التعليمات قد نفذت بصرامة لتمثل فى مجموعها محصلة خطة الخداع

كذبا . وقد كان المؤدى المنشود أن يحس العدو أن الجيش يقوم بمناورة الحروب التدريبية مثل ما تكرر خمس مرات خلال العاملين السابقين .

❖ وفي حديث للسيد وزير الحربية أدلى به لأحد محررى الصحف ، أوضح أن أسلوب حشد الوحدات وتزايدها ، كان يتم فى هدوء ووفق مخطط بدأ منذ عدة شهور قبل بدء المعركة حيث كان يدفع بوحدة كبرى كلواء الى الأمام يقوم بتدريباته ، ثم يسحب غير كامل الى الخلف بعد أيام موحيا بأنه أنهى تدريبه ولكن تتخلف منه فى الجبهة وحدة ككتيبة ، لذلك درج العدو على تعود مراقبة وحدات نسقدهم نحو الجبهة ، وأخرى تتركها .

❖ وبينما كانت مهمات العبور هى الدالة القوية التى يمكن أن يستشف منها العدو نوايا العبور ، فإن الدفع بها الى الجبهة كان يتم فى هدوء كذلك ، حيث كان يدفع بها الى الجيوش تحت جنح الظلام ، وتتحرك قولاتها من مخازنها فى صناديق خاصة ، وتحت أغطية تصور لرائيها انها من مهمات المهندسين . وفى الجبهة تودع فى حفر شأنها شأن ما يكس من تشوينات الجيوش تحت أغطية خاصة .

❖ ولقد صدرت الأوامر للقوات التى ستعبر القنطرة بعد نفخ قوارب العبور بالهواء المضغوط الا فى اللحظات الأخيرة قبل ساعة الصفر ، حيث كان صوت الهواء المضغوط يمكن أن يكتشف من الضفة الأخرى للقناة .

❖ لم تصدر الأوامر للضباط والجنود الصائمين ، أن يفطروا الا فى مرحلة الاعداد للعبور .

❖ رغم أن السباتر الترابى على الضفة الغربية للقناة ، كان يخفى أغلب تحركات القوات خلفه ، فإن قمة المداع أتت فى دفع جماعات صغيرة من كل وحدة ، أمام هذا السباتر سميت جماعات الكسل . وكلفت بمهام ، تعتبر أغرب ما يمكن أن يكلف به جندى . فقد كانت الأوامر لهم أن يستحم بعضهم فى القناة على غرار ما يفعلون كل يوم ، وأن يجلس بعضهم على حافتها حاسرى الرؤوس بلا خوذات ، يمسكون القصب أو يصطادون السمك أو يلقيون بقشر البرتقال فوق المياه ، ويلعبون كرة القدم . بينما يقوم آخرون برى الحدائق التى تكسو مساحات كبيرة من المباني أمام مدينة الاسماعيلية .

هكذا كان كل ركن فى الصورة يوحى بأن الأمور تمضى كما مضت آلاف الأيام السابقة ، فى هدوء .

التخطيط لساعة الصفر

يمثل اختيار توقيت بدء المعركة ، عملاً اتخذ فيه الأسلوب العلمى بأجلى صورة • وعن هذا المعنى عبر المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية بقوله « لقد كان تحديد يوم (ي) عملاً علمياً على مستوى رفيع • ان هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير وسوف يدخل التاريخ العلمى المحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين » •

ولو سئنا تحليل هذا العمل فحسبنا أن نعرف أن توقيت مثل هذا العمل المصرى يرتبط بعدة عوامل • تدخل فيها دراسة احصائيات عن الطقس ربما تمتد لعدة أعوام لاستخلاص نتيجة واحدة ، ويستلزم دراسة بأحوال فلكية متعلقة بالقمر والنجوم وهطول الشمس ، ويستوجب معرفة لمناسيب المياه فى المد والجزر عبر القناة •

ولعلنا نذكر أن عدوان عام ١٩٥٦ اختير له يوم ٢٩ من شهر أكتوبر لأن فصل الخريف فى مصر يتميز بجو مستقر أشبه بجو الربيع ، وبسوده طقس صحو وغير ممطر •

ومعروف أن القمر يكتمل بدراً فى اليوم الرابع عشر الهجرى ، ولكن الأيام الخمسة السابقة ليوم اكتمال البدر ، تعتبر ليلالى مغمرة يغمرها بنوره حيث يكون القمر فى التربيع الأول ، وفى منزل هذا النور يمكن للقوات المتحاربة العمل فى ضوء كاف للقيام بمثل مد المعابر ، واقامة الكبارى ، ولندفق المعدات فوقها لتحتل مواقعها •

ولقد ساعد على تحقيق المباغتة لاسرائيل — كما سبق القول — انشغال مخابراتها بقضية قلعة شوناو فى النمسا ، واستعداد حكومتها للانتخابات العامة فى الوقت الذى كان فيه قرار بدء المعركة قد تم •

ولاختيار الشهر واليوم والساعة ، تكمن الموازنة بين عدة عوامل لاختيار أنسبها •

* عن الشهر :

اختير شهر أكتوبر ، بسبب جو الخريف الصافى • ولطول فترة الليل به حيث يبلغ اثنى عشرة ساعة بما يسمح بمواصله العمل بعد العبور طوال الليل • ولموافقة حلول شهر رمضان به ، حيث يظن انشغال المسلمين بالصيام عن العمل • كما أنه فى هذا الشهر يوافق حلول ثلاثة أعياد يهودية تعطل فيها الأعمال ، ويكاد العمل يصل فيها لدى غلاة المتدينين

من اليهود الى حد التحريم . وفي أغلب هذه الأعياد يفتح اليهودى فى منزله ، أو فى دور العبادة .

✳ وعن اليوم :

اختير يوم السادس من أكتوبر ليوافق العاشر من رمضان حيث يكون الليل مقمرا . وليوافق يوم السبت ، وهو يوم عيد الغفران لدى اليهود . وفى مثل هذا اليوم يكون الفرق بين منسوب مياه القناة أثناء المد والجزر غير كبير .

✳ وعن الساعة :

اختيرت الساعة الثانية لتكون قمة المفاجأة فى عدم تعود الجيوش على ذلك حيث شاع بدء المعارك فى أول ضوء أو آخر ضوء . ولعلنا نذكر أن العدو عندما قام بضرب مطاراتنا يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ فى الساعة التاسعة ، اعتبر ذلك مفاجأة لأن المتحاربين تعودوا على بدء الحرب فى أعقاب الفجر . ولكن كان اختيار الساعة الثانية ليشيح مدة تقرب من أربع ساعات قبل غروب الشمس ، تكون كافية لتحقيق ضربات الاحباط ، التى يقوم بها الطيران والمدفعية وأفواج العبور الأولى ، وتكون كافية لنقط المراقبة وطائرات الاستطلاع لتصوير نتائج هذه الضربات . وليبدأوا بعد حلول الظلام فى مد كبرى العبور .

وخلال هذه المدة الوجيزة يصعب على العدو الرد قبل حلول الظلام حيث تكون مطاراته معطلة ويلزمه على الأقل ست ساعات لاصلاح ممراتها . ولذلك فلن يستطيع القيام بهجوم مضاد ، كما لن تتمكن طائراته من العمل بحرية الا فى صباح اليوم التالى .

وفى مثل هذا الوقت تكون الشمس كما يقول العامة فى « عين العدو » مائلة عن السحب وتميل نحو المغرب ، حيث يصعب على العدو متابعة الحركة فى هذا الاتجاه .

محصلة المفاجآت

أنت محصلة خطط الخداع ، وأخذت الحكومة والقيادة المصرية بأساليب السرية والأمن ، باحداث المفاجأة فى كامل صورتها لدى قادة اسرائيل . ولم تتحرك القيادة الاسرائيلية لاعلان حالة التعبئة العامة الا صباح يوم السادس من أكتوبر . وعندما أخذت الاذاعة تردد نداء « قدر اللحم » . لم يكن هذا النداء يصل الا للقيليين الذين يسمعون الاذاعة فى هذا اليوم .

وحسب هؤلاء الذين تركوا ملابسهم المدنية وارتدوا على عجل سترة الميدان
تجمعوا في مناطق التجميع تمهيدا لترحيلهم الى الميدان • وأصابهم الملل
قبل الظهر • عندما لم يجدوا أى بادرة تنذر ببدء الحرب •

وفي تقرير لاحدى لجان الكونجرس الأمريكى عن الحرب وما يشهرو
الى خطط المفاجأة المصرية الفقرة التالية :

« بالإضافة الى أن عملية العبور تعد فى ذاتها مظهرا مؤكدا لتحسن
القدرة القتالية ، فان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى
للمقتال والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لفترة طويلة واخفاؤها عن
أعين الاسرائيليين أمر يجب أن يلقى اهتماما كبيرا » •

الفصل الثاني

ملحمة العبور

بين تمهيد المدفعية ، وتجهيز المهندسين
وجسارة المشاة ، وبطولات الصاعقة



« سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها عزيزة صواريخها .. »

محمد أنور السادات

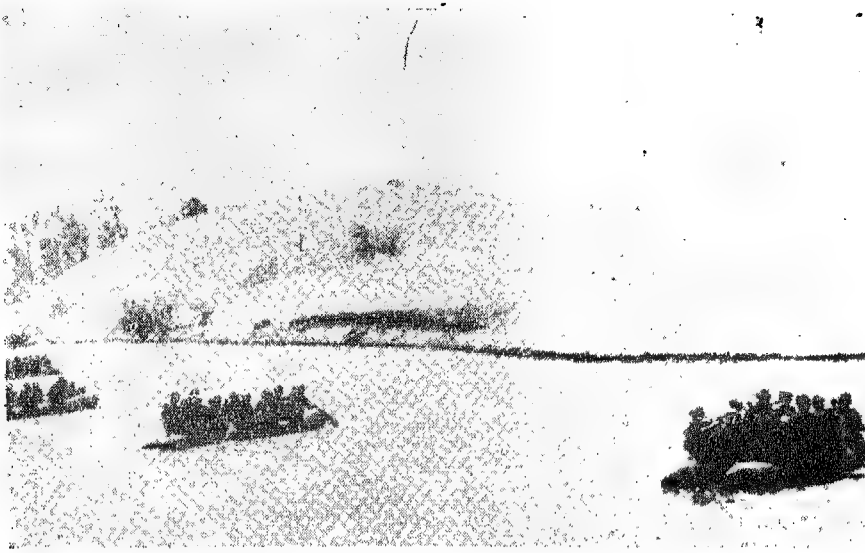
الحرب عبر أوسع الموانع المائية

تمثلت أهمية خط بارليف كخط دفاعي ، في ارتكازه على قناة السويس كمائع مائي يوازيها ولا يبعد عنها الا قليلا . فأتت جهود الهندسة العسكرية التي بذلت في تصميم نقطة الحصينة مضاعفة لاعاقة أى تقدم لعبور القناة من الغرب الى الشرق . ذلك أن قناة السويس وحدها تعتبر في العرف العسكري مانعا فريدا وصعبا يختلف عن سائر الأنهار في كونها :

- تنحدر شواطئها من الجانبين انحدارا حادا بواسطة حواف تتكون من الأحجار المتناسكة ، للاحتفاظ بالقناة كخط ملاحي بحري . ومن ثم فان اجتياز القناة بأى وسائل للعبور - كالدبابات البرمائية ، أو القوارب يلزم له اعداد هندسي مسبق .
- ان القناة تمتد لمسافة ١٨٠ كيلو مترا لتفصل بين الجيشين الثاني والثالث المصريين غربا ، وجيوش اسرائيل المتوزعة في سيناء شرقا . وتتبدل سرعة اتجاه تيار الماء في القناة أربع مرات يوميا . ولذلك يتغير منسوب ارتفاع الماء بها وفقا للمد والجزر ، حيث يبلغ أقصى مداه ١ ١/٢ متر في الجنوب . ولذلك كان لزاما اختيار أنسب الأوقات للعبور استغلالا لأنسب أوقات ارتفاع المد .
- يوجد بحذاء الجزء الشمالى من القناة جنوبى بور فؤاد وحتى جنوب رأس العش منطقة من الأراضي الطينية الرخوة المغمورة بالمياه الضحلة ، والتي تسمى « سبخة » ، حيث يصعب مرور المركبات والأفراد الا فوق مدقات سابقة التجهيز .
- يوجد بحذاء الجزء الجنوبى من القناة وشمالى بور توفيق تضاريس جبلية حادة ، بخلاف سائر المناطق ، تحد من مرونة حركة الآليات ، وتساعد على أخذ هيئات مرتفعات حاكمة .

کناری العنبر . . مدت جلال ساعات





قوارب العبور

● يتراوح عرض القناة بين ١٠٠ ، ١٨٠ مترا وفي بعض الأحيان تصل الى ٢٢٠ مترا ، بينما يتفاوت عمقها بين ١٤ ، ١٨ مترا ، وتوسع القناة اتساعا غير عادي عند بحيرتين أصغرهما بحيرة التمساح جنوبى مدينة الاسماعيليه ، والأخرى هي البحيرات المرة الأكثر اتساعا والتي تمتد لمسافة أطول قبيل البندس الجنوبي من القناة شمالى مدينة السويس .

وهذه البحيرات لاتصلح كمناطق للعبور نظرا لعرضها البالغ لامتكان تعرض القوات العابرة خلال وقت طويل للنيران المعادية .

● وجود سد ترابى بحذاء الشاطئ الشرقى للقناة ، نتج عن عمليات تعميق القناة قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ ، حيث ألقت به الكراكات المصرية عمدا على هذا الجانب غير الأهل بالسكان .

ولقد استغل الاسرائيليون وجود هذه الكميات الهائلة من الرمال وأكملوا الشغرات التى بينها ، وزادوا من ارتفاعها ، وجعلوا منها سسدا

منصلا لبرأوح ارتفاعه بين ١٢ ، ٢٠ مترا . ويصعد أحيانا فى بعض المناطق الصالحة للعبور الى ٣٠ مترا وأزاحوها غربا لتلامس حافة القناة تماما وتنحدر نحوها بزاوية ميل حادة . ومن تم أصبح هذا السد ضمن الموانع الطبيعية التى تجعل من العبور عملية صعبة لفرد المشاة والدبابات البرمائية . ولابد من الإشارة الى أن بعض أجزاء هذا السد الترابى كانت من الرمال المفككة المنهالة فى أكوام فوق بعضها . ولكن بعضه الآخر كان من الطفلة الطينية الأكثر تماسكا ، والتى تتحول الى طينة لزجة عند سقوط الماء عليها . وفى جوف هذه الرمال أقام العدو نقط مراقبة حصينة .

ولابد من أن نضيف الى ذلك أن هذا السد ، لم يكن يشكل مانعا فحسب بل كان ستارا كثيفا أيضا يخفى وراءه كل تحركات العدو ، ولابد لكشفها من وجود كل نقط المراقبة فى مستوى أعلى من ارتفاع السد .

وقد قام المصريون على الشاطئ الغربى للقناة بإقامة سد ترابى آخر لاختفاء تحركاتنا خلفه عن أعين الأعداء . ولكن كان من السهل فتح ثغرات فيه عند الرغبة . وكان لزاما أيضا أن نقيم مصاطب عالية فوق هذا السد الترابى لدباباتنا ، وهذا يعنى جمع رمال وأتربة قدرت بما يزيد على عشرة ملايين متر مكعب .

كل هذه الخصائص الطبيعية الفريدة فى نوعها جعلت من قناة السويس مانعا مائيا ، صعب العبور أمام القوات المصرية ، ومن ثم فإن الخبرات العسكرية لعبور الموانع المائية المعروفة فى العالم لم تكن تكفى لأن تحقق لمصر ما تريد . بل لم تكن عمليات العبور فى التاريخ العسكرى بالأمور المستحيلة ، وإن كانت من العمليات الصعبة التى تتميز بكثرة خسائرها . والتاريخ يحكى لنا كم من ألوف الجنود لقوا حتفهم ولم يستطيعوا أن يحققوا شيئا عند محاوله عبور المستنقعات الصناعية التى اصطنعها الألمان فى شمال فرنسا لإعاقة عرو الحلفاء فى نورماندى فى الحرب العالمية الثانية . ومنل ما اصطنعته القوات الهولندية لإعاقة تقدم القوات الألمانية عبر أراضيها المنخفضة . وحدث نفس الأمر غرب الاسكندرية عام ١٩٤٢ لإعاقة تقدم الزحف الألماني الذى كان يقوده رومل عبر الصحراء . بل أن فرقا كاملة لقبت مصرها المروع وهى تحاول اجتياز هذه المستنقعات الضحلة .

ورغم أن التكنولوجيا العسكرية الحديثة قد دلت ، كثيرا من مشاكل العبور ، وأصبحت هناك الدبابات البرمائية التى تستطيع الطفو فوق سطح الماء ، وأصبحت المعابر والكبارى العسكرية ، أكثر تطورا ، وأكثر سهولة فى تركيبها ، إلا أن الموانع المائية مازالت عقبة كأداء فى طريق الجيوش . تقف الى جانب المدافع ، وتشكل صعوبة للمهاجم .

وتحتاج الى تجهيزات خاصة ، ونسب الخسائر فيها لكل الأطراف أعلى من نسب خسائر أى عمليات تتم فوق مناطق ذات طبيعة أخرى .

ولابد من الاسارة الى ان العدو الاسرائيلي ضاعف من مشاكل عبور القناة باقامة خزانات للمواد المتهبة تحت سطح الأرض على جانب القناة يسع كل منها ٢٠٠ طن من النابالم ، أو الجازولين ولذلك كان يصعب تدميرها بالمدفعية . وجعل هذه المستودعات على مسافات متقاربة ، وأوصلها بشبكة من الأنابيب تنتهى تحت سطح مياه القناة . وهذه المواد المتهبة لها خاصية الطفو فوق المياه ، وإذا ما اشتعلت جعلت من سطح الماء أتونا طافيا يمكن أن تندلع منه ألسنة اللهب الى ارتفاع متر ، وترتفع درجة الحرارة الى ٧٠٠ درجة مئوية لتتحرق أية قوارب أو عبارات أو دبابات برمائية . كما يمكن ان يطيح بالكبارى التى نمتد ويجعلها هشيمًا تذروه الريح بعد حين . بل لقد تمادى الاسرائيليون فى وصف آثار هذه الخزانات ، بأن حرارة النيران الناجمة عن هذا السعير ، يمكن أن تشوى الأسماك التى فى قاع القناة ، وتنفخ الأشخاص الذين يبعدون عنها الى مسافة ٢٠٠ متر .

ولم تكن هذه الخزانات ، معدة لتفرغ محتوياتها مرة واحدة ، بل كان يمكن تغذيتها وتجديدها ما تفرغه فوق السطح ، عبر شبكة أنابيب ووحدات دفع يتم تشغيلها من النقاط الحصينة فى خط بارليف .

كل هذه العقبات الطبيعية ، والصناعية ، شكلت من قناة السويس مانعا مائيا أسطوري الصعوبة . وهذا ما جعل تركيز العسكريين المصريين بالدرجة الأولى على تدريب الجنود على عمليات عبور الموانع المائية . ولم تفقد القيادة المصرية ايمانها بإمكان اجتياز كل هذه العقبات . فقد صرح مسئول عسكري مصري كبير عقب احدى المناورات « ان قناة السويس تعتبر أصعب مانع مائى فى العالم ومع ذلك فاننا سوف ننجح فى اقتحامه بإذن الله » .

خط بارليف وبيت العنكبوت

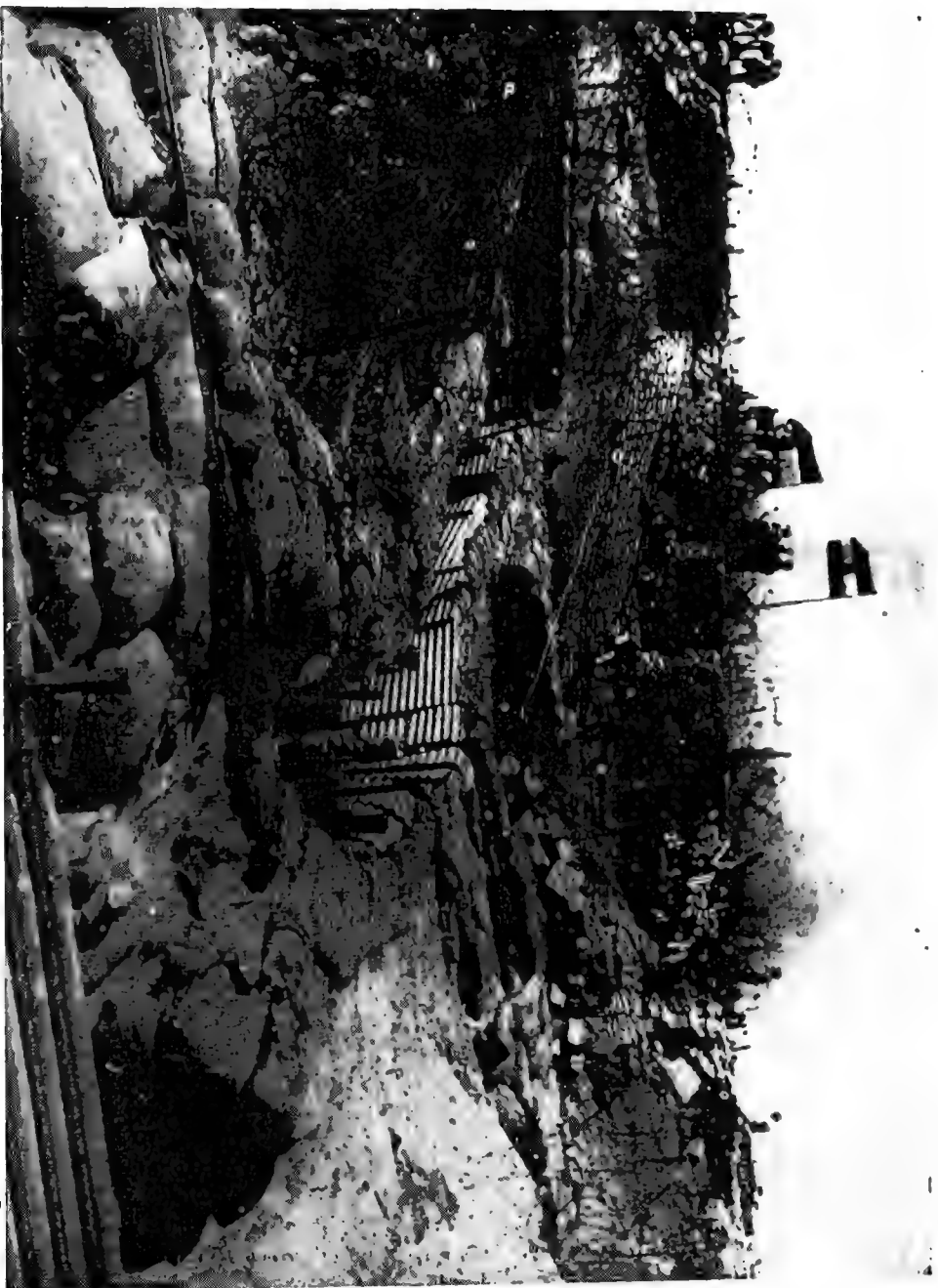
أحيا خط بارليف الذى أقيم موازيا لشاطئ القناة الشرقى موات نظرية عسكرية قديمة ، عن الخطوط الدفاعية المحصنة تحت الأرض . فقد كان آخر العهد بهذه الخطوط هو خط « ماجينو » الفرنسى الذى بلغ عمقه ثمانية أذوار وأقيم يحذاء الحدود الفرنسية الألمانية . وإزاء تحصيناته المشيعة ، لم يجد هتلر وسيلة للتغلب عليه الا تفاديه والالتفاف من حوله ، عبر أراضي بلجيكا . وأمام خط ماجينو ، كان يرق خط

« سيجفريد » ، الألماني كذلك • وكلاهما لم يلعبا فى الحرب العالمية الثانية أى دور ، وبالتالى لم تكن الأموال الطائلة التى أنفقت عليهما الا هباء ضائعا • وبعد الحرب العالمية الثانية أقام الأمريكيون الخط ، للدفاعى « مينيسونا » داخل الأراضى الكورية •

ولقد أتى خط بارليف ليعكس الفكر اليهودى الراسخ فى عقولهم منذ ما قبل الاسلام ، وليعيد الى الأذهان حصون خيبر التى وصفها القرآن الكريم « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد • تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » • والحقيقة أن خط بارليف ، الذى عصفت به القوات المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن الجهد الأول « لبارليف » بل كان المحاولة الثانية له • فقد سبق أن أطاحت المدفعية المصرية خلال حرب الاستنزاف بخطه الأول ، الذى لم يكن أكثر من حصون متناثرة على هيئة دشم محصنة يبرز أكثرها فوق سطح الأرض ، فدكتها المدفعية المصرية دكا وانتهت حرب الاستنزاف التى لعبت فيها مدفعية الميدان المصرية دورا تاريخيا خلال أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، وانتهى معها خط بارليف الأول • وعلى ضوء الدرس الذى تلقاه بارليف عن خطه الأول ، وضع تصميم خطه الثانى • وبكل المقاييس العسكرية ، وبكل موازين الهندسة العسكرية ، وبكل معايير التسليح ، يمكن القول ان خط بارليف الثانى كان أكثر خطوط الدفاع الناشئة مناعة فى التاريخ ، وكان أكثرها تحصينا وأحسنها تجهيزا • ومن ثم أغدق فى الاتفاق عليه ، اذ بلغت جملة تكاليفه ما يقرب من ٢٣٨ مليون دولار وتطل الاستراتيجية الاسرائيلية من خلف المغالاة فى تحصين هذا الخط خلال تصريحات العسكريين الاسرائيليين ، الذين اطمأنوا الى استحالة عبوره أو اجتياز نقطه الحصينة • ففى أكثر من مناسبة صرح « ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى « وبارليف » رئيس الأركان وصاحب فكرة الخط ، أن هذا الخط سيكون الصخرة التى يتحطم عليها عظام المصريين ، وسيكون مقبرة الجيش المصرى • وشط خيال الاسرائيليين فى تصور مدى مناعة الخط ، بالإضافة الى عائق السد الترابى ، وتجهيزات اتصال مياه قناة السويس ، فصرح قادتهم « ان المصريين لا يعرفون أى جحيم سوف ينصب عليهم عندما يضعون أقدامهم خارج الضفة الغربية للقناة » • وان الخط ، عر قابل للتدمير حتى بالقنبلة الذرية •

وفى غرور قالت مائير يوما « أن تصور عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية يعتبر اهانة للذكاء » •

ولعلنا لو استطلعنا خريطة الخط نفسه وطريقة تحصينه ، ترسم أمامنا صورة واضحة عن مناعته •



في ست ساعات ، حطم المقاتل المصري خط « بارليف » الذي تكلف ٢٧٨ مليون دولار .

- لم يكن الخط نفسه متصلا ، بل تكون من عدة نقط حصينة بلغت (٢٢) موقعا ، تضم (٣١) نقطة حصينة • يكسو كل منها مساحة تراوح بين ١٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر مربع •
- تمتد النقط والمواقع من رأس العش جنوبى بور فؤاد شمالا حتى الشط شمالى بور توفيق جنوبا • وبفواصل فيما بينها متفاوتة تصل الى أربعة أو عشرة كيلو مترات أحيانا • وقد أختير موقع كل نقطة لنتحكم فيما حولها من هجمات وطرق وتركز عدد كبير من النقط فى القطاع الجنوبى من القناة الذى يؤدى الى ممر مثلا •
- تتكون كل نقطة من عدة طوابق تغوص أغلبها تحت الأرض ، وتعلو حتى تصل الى ارتفاع الساتر الترابى الذى يصل الفراغات التى بينها •
- وهكذا أتت هذه النقط كأنما هى قلاع حصينة بنيت وسط هذا الساتر • ولقد وضحت المغالاة فى تحصينها بالأسمنت المسلح ، والأحجار الصلبة ، التى تحتويها شبك تجعل من مجاميعها كتلة واحدة • بالإضافة الى قضبان السكك الحديدية المنتزعة من خط سكة حديد سيناء ، الى شكاير الرمال • وكلها طبقات بعضها فوق بعض لتحمّل القصف المباشر حتى قنابل عيار ١٠٠٠ رطل •
- يضم كل موقع ، ملاجئ للأفراد مزودة بمزاغل ، مراقبة بالمناظير البيروسكوبية ، والتلسكوبية ، ومواقع للأسلحة الخفيفة والثقيلة ، بالإضافة الى ملاجئ للنوم ، ومخازن للمؤن • ويكسو الموقع من أعلاه وجوانبه أسلاك شائكة ، تمتد عبر قضبان حديدية وتوزع حوله حقول ألغام تعد بالآلاف ، لتعوق أى هجوم عليه •
- وإذا ما هبطنا الى داخل الموقع وجدنا أجزاء مختلفة ، تربط فيما بينها خنادق مواصلات محصنة الجوانب بالوواح الصاج والعوارض الخشبية ، وشكاير الرمل • وأنه مزود بالأسلحة الخفيفة من رشاشات ومدافع مضادة للدبابات ومرابض للمدافع الهاون ، والمدافع المضادة للطائرات فى تنسيق للنييران بين المواقع المتقاربة • وأغلب مداخل الموقع مزودة بأبواب من الصلب السميك والواح الحديد • وفى المواقع التى كانت مجهزة لوجود دبابات ، كانت هناك تجهيزات تسمح لهذه الدبابات بالصعود فوق مزالق لتضرب منها ، ثم تعود لتهبط فوق منحدرات لتختفى •
- وتجهز كل نقطة دفاعية بمطبخ للطعام ومياه جارية وكهرباء



علم اسرائيل .. هبط من فوق مواقع بارليف

ومستودع أغذية • وكل موقع به طبيب مقيم ومركز اسعاف
وبلدوزر لفتح الطريق عند انهيار الرمال دون طلب معونة من سلاح
المهندسين • ولتحقق له استقلال شبه ذاتي •

● يتصل كل موقع بالمواقع الأخرى سلكيا ولاسلكيا بالاضافة الى
اتصاله بالقيادات المحلية • مع ربط الخطوط التليفونية بشبكة
الخطوط المدنية في اسرائيل ليستطيع الجندي في الخط أن يحدث
منزله في اسرائيل •

العبور واجتياح الخط

قبل أن تبدأ ملحمة العبور ، كانت أكثر من مائتى طائرة مصرية تدك أهداف العدو فى سيناء بضربتها المركزة المذهلة • وكان أكثر من ألفى مدفع يلهبون خط المواجهة بالنار • وكان ثمانية آلاف جندى يقفون على أهبة الاستعداد لركوب زوارق العبور •

وما كادوا يجتاحون خط بارليف بعد دقائق من ساعة الصفر ، التى حددتها القيادة المصرية يوم العاشر من رمضان ، حتى نهاوت نقط الخط كما يتهاوى بيت العنكبوت • وخلال الاثنتى عشرة دقيقة الأولى من بدء العبور تهافت النقطة الحصينة الأولى ، لتثبت أنها على مناعتها كنمر من الورق ، يربع ولا يخمش • وارتفع علم مصر فوق أغلب نقط الضفة الشرقية • وخلال اليوم الأول دمر ١٤ موقعا ، وخلال اليوم التالى تهافت تسعة مواقع • وبعد أيام كان حلم اسرائيل قد أصبح حلما ، وتبخرت ملايين الدولارات التى تدفقت من يهود أمريكا ، مع رمال الصحراء ، عندما صدرت الأوامر بنسف كل الخط ، وترك بعض تحصيناته للمذكرى لا غير •

ومع هذا النصر ، الذى أذهل العالم فى سرعته أنكر قادة اسرائيل ما كانوا قد قالوه عن مناعة الخط وحصانته ونيارته ومناعته • وأصبح فى عرف ديان « شريحة من الجبن الجربير به من الشقوب أكثر مما به من الجبن » بينما تنصل باراييف صاحب فكرة الخط من زعمه عن مناعة الخط وقال « ان جيش الدفاع الاسرائيلى لم يستعمل اصطلاح « خط بارليف » اطلاقا ، والصحافة فقط هى التى تداولت هذا الاصطلاح • وأن أى شخص عادى ليدرك أن عشرين تحصينا لم تكن لتوقف وحدها هجوما شاملا » •

ولابد من الوقوف أمام حقيقة العبور ، وقفة تأمل ودراسة ، لأننا كما قلنا لا يعنينا تسجيل الأحداث ، بل يهمنا ما بعدها • ذلك أن الدراسة ستنتهى بنا الى التاكيد من أن مشاكل عبور قناة السويس أكبر مانع مائى عرف فى تاريخ الحروب ومصاعب اجتياز السد الترابى ومخاطر نقط خط بارليف الحصينة كأنما كانت مسألة رياضية أمام القادة العسكريين ، لها افتراضاتها ، ولها أيضا حلولها • ولكل حل طريقة بل أكثر من طريقة ، وكان عليهم اختيار أنسبها •

ولم تكن هناك فرصة لنسيان فرض من الفروض ، أو تجاهل مشكلة من المشاكل والا أثر ذلك على بلوغ الحل • ومن ثم أتت حلول كل مشكلة على حدة ثم تجمعت الحلول ، لتنسج قرارا كان معلقا به مصير أمة ، وكرامة

القومية العربية كلها ، ومكانة جيش تدريب وأعد نفسه ستة أعوام كاملة ،
لهذه اللحظة الحاسمة .

ومن حقنا ونحن ننظر الى النتائج أن نلقى الضوء على هذه الحلول ،
لكي ندرك أن أغلبها كان ابتكارا في الهندسة العسكرية يستحق من
العسكريين وقفة لا للتأمل ولكن للدراسة .

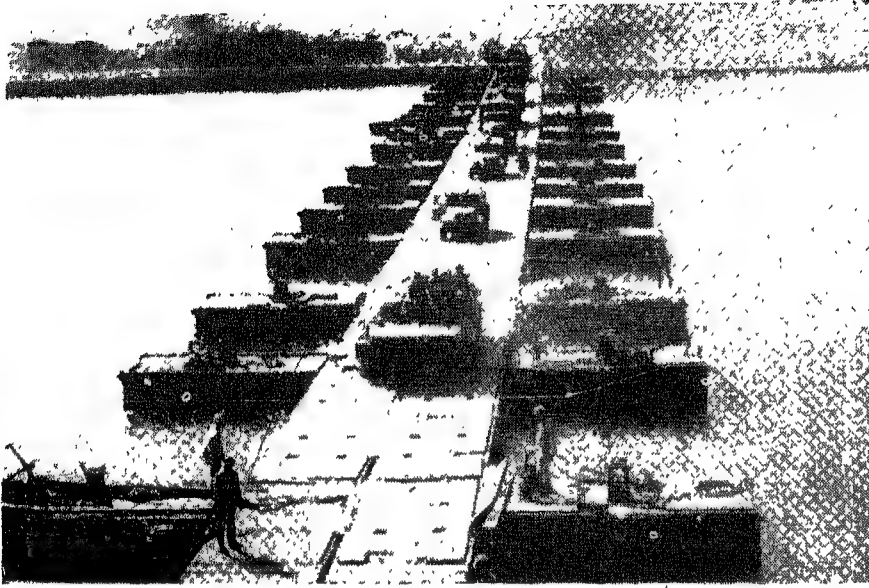
وهنا لابد من الاشارة بأن سلاح المهندسين المصري ، قد لعب دورا
تاريخيا في ترجمة هذه الحلول للمواقع ، والتدريب على سرعة العمل بها
تحت نيران المعركة . وفي الوقت الذي احتدم فيه سعي القتال ، كان مدير
هذا السلاح « **اللواء مهندس جمال محمد علي** » يشرف بنفسه على مد
جسور العبور أمام الجيش الثالث ، وبينما كان نائبه « **اللواء مهندس
أحمد حمدي** » يمد الجسور في منطقة أخرى ، ولقى ربه كأبل ما يمضي
الرجال في لحظات أداء الواجب .

✳ تسلل أفراد من جنودنا قبل بدء العبور وسدوا مواسير خزانات المواد
الملتهبة المنتهية الى الماء ، بواسطة حقن من الأسمنت سريع الشك .
فأصبحت مئات الأطنان من هذه المواد حبيسة داخل خزاناتها ولم
يفلح العدو في اشعال حريق واحد .

✳ جرت دراسة دقيقة مسبقة لاتجاهات التيار في القناة ، كان من
نتيجتها أن مئات القوارب التي أخذ الجنود يعبرون بها القناة تهجر
وهي فوق الريح ، ليلبغوا الجانب الآخر من القناة ، ويستلقوا السد
الترابي فوق سلالم ذات عوارض خشبية تربطها الجبال وزلاقات من
الصاج بعد أن كانت آلاف المدافع قد دكت الحصون بمقذوفاتها ،
ومهدت لمقدمهم .

✳ ابتكرت طريقة حديثة لفتح الثغرات في السد الترابي ، هي طريقة
مبتكرة اقترحها ضابط مهندس شاب ، وأثبتت فاعليتها ، في فتح
الثغرة الواحدة في السد الترابي خلال ٣ - ٥ ساعات . سميت
هذه الطريقة باسم « التجريف » أو « مدافع الماء » وتعتمد على ضخ
المياه من القناة نفسها بواسطة طلمبات تحت الضغط العالي . وخلال
ساعات كانت عشرات الثغرات قد فتحت في السد الترابي ، وأزالت
٩٠ ألف متر مكعب من الأتربة التي كد العدو في تكديسها خلال
سنوات . أزالها المهندسون بالمياه المضخوخة عبر ٦٠ ثغرة مختلفة
وكانما كانوا يستخدمون مدافع مائية .

✳ وبالتدريب المتوالى استطاع المهندسون خفض الزمن اللازم لاقاءة
الكبارى والمعابر عبر القناة من أيام الى مدد قصيرة هبطت الى



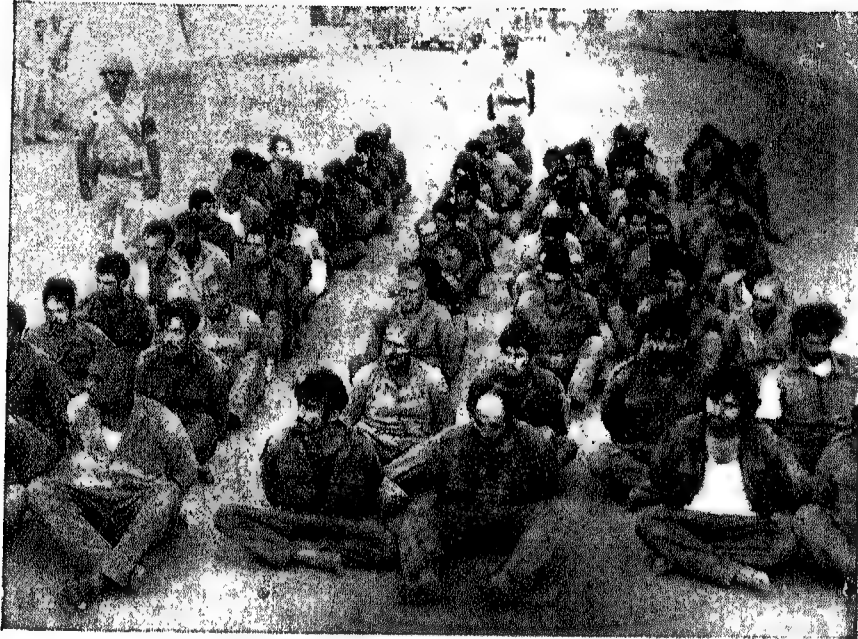
سيظل ما قام به المهندسون العسكريون المصريون - قبل وأثناء حرب أكتوبر - بمثابة صفحة فخار جديدة في تاريخ الحروب . فقد قاموا ببناء المواقع الحصينة كوحدة الصواريخ وما يقابلها من المواقع الكاذبة ، شمل إقامتها ١٢ مليون متر مكعب في أعمال الحفر والردم ، ونحو ٢ مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة ، وإقامة آلاف الملاجئ تحت الأرض وإقامة الطرق الداخلية بهذه المواقع فاهزت أطوالها ٤٠٠٠ كيلومتر (ما يعادل المسافة من القاهرة الى طرابلس الغرب) .

در ٦ ساعات • وخلال سنوات النكسة أمكن لهم تصنيع أجزاء كثيرة من معدات العبور محليا بواسطة شركات القطاع العام المدنية • وكانت شبكة طويلة من الطرق المرصوفة على الضفة الغربية بلغت أطول من ألف كيلو متر قد تشابكت خطوطها لتسهل تحركات قواها • كما كانت منازل خاصة للمعدات قد أقيمت بطول القناة على مسافات متقاربة لكي لا يستطيع العدو تحديد اتجاه الهجوم •

✳ لذلك لم تكد جماعات الاقتحام تتدفق وتؤمن رؤوس الجسور في الضفة الشرقية ، حتى بدأت وحدات المهندسين في تهديد الأرض اللازمة لرأس كل جسر ، وخلال ساعات ليوم الأول ، كان ١٢ جسرا عائما قد أقيمو • • وعليها تدفقت جموع الدبابات والمضخات والمدافع الثقيلة الى سيناء •

هكذا أتت الجهود المصرية من قبل المهندسين والعسكريين لوضع الحلول لمصاعب العبور ابتكارات تتسم بالبساطة القائمة على ذكاء ووضوح الرؤية ، وليس استعراض العضلات • ولكن وراءها حقيقة مضنية عن تدريب قاس • وحسبنا أن نتصور كم مليون متر مكعب كن إزاما تجميعها على هيئة سد ترابي يمثل ارتفاع السد الحقيقي ، لكي تندرب عليها جماعات الاقتحام والعبور • وكم مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة استخدمت ، ومن البازلت رصفت ، ولذلك اتيج للجندى المصرى ، تنفيذ خطة مواجهة العدو فى حصونه من الأمام وليس من الخلف ، أو بالالتفاف حوله • وهذا ما عمدت القيادة اليه عند وضع الخطة ، رغم انه أصعب الحلول • وبدأت الملحمة بين الشجاعة والمناعة ليثبت للعالم أن الشجاعة أهم • وانقلبت فى غمضة عين حصون بارليف المنيعه مصايد كمصايد الجرذان ، يحتبس الاسرائيليون داخلها • وانتهت فكرة بالية الى العدم ، لتثبت أن بارليف لا يملك الا عقلية بالية ، عمدت الى فكرة بالية وتمسكت بها فى محاولة بلهاء للعودة الى حصون الأجداد فى خيبر وبنو قريظة •

والحقيقة التى لا يمكن اخفاؤها أن الابتكارات الهندسية المصرية المتغلب على ما خلقه الاسرائيليون من المصاعب ، اتسمت بالبساطة • فحفنة صغيرة من الأسمنت سريع الشك كانت قادرة على إيقاف اشتعال ٢٠٠ طن من النابالم • وسلم من الحبال والخشب ، كان قادرا على أن يصنع طريقا لشجاع ليعتلى السد الترابى • وظلمبات توربينية تضخ الماء كانت قادرة على تقويض السد نفسه • وهذه كلها وسائل ليست فى سجلات التكنولوجيا الحديثة ، ولا تحتاج عقولا إلكترونية لتشغيلها ولكن



كشفت معارك حرب العصور ، عن المعدن الحقيقي للمقاتل الاسرائيلي
.. واسفرت عن مئات الاسرى في كل موقع *

كان الرجال المؤمنون بعدالة قضيتهم ذوى عقول أكثر قدرة من كل العقول
الالكترونية على الحل فى بساطة ، وبهدوء .

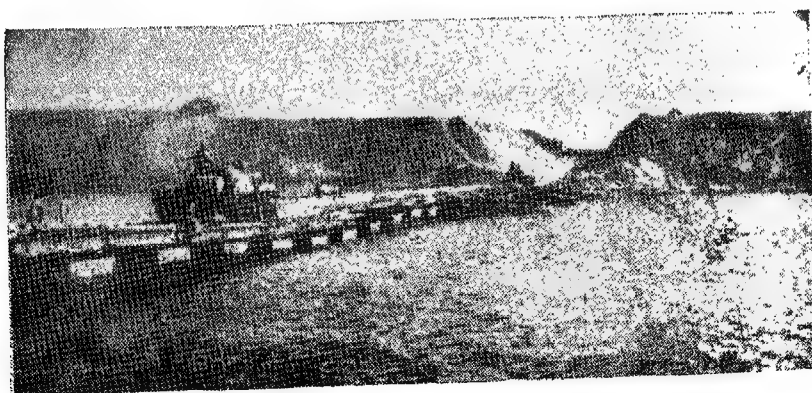
وهناك حقيقة أخرى لابد ألا تغيب عن البال . . أن الفضل كله فى
نجاح خطة العبور ، وما توالى بعدها من انتصارات مرجعه الى استغلال
عنصر هام من عناصر الحرب وهو عنصر المفاجأة . . وتدير حسن
استخدام للوسائل . . وأتى الأئبن الاسرائيلى أمام هذه المفاجأة على لسان
الجنرال ديان بعد أن فقد العدو توازنه خلال أقل من ست ساعات :

« هنا حرب صعبة . . معارك المدرعات قاسية . . ومعارك الجوى
فيها مريبة . . . انها حرب ثقيلة بأيامها . . . ثقيلة بدمائها » .

هضام التاريخ

ان ملحمة العبور ، عمل مشترك جهز له المهندسون ، ومهدت له
المدفعية وكان طليعته المشاة والصاعقة .

لقد شهدت الجبهة قبل المعركة حشدا مدافع الميدان ، قل أن وجد
فى التاريخ مثله ، اذ حشد (٢٠٠٠) ألفا مدفع بمواجهة طول القناة ،
وعندما بدأ القصف فى الساعة ١٤٠٥ أى فى ساعة الصفر ، بغرض تمهيد
أرض المعركة ، ظن العدو هذا الزئير حرب استنزاف جديدة . لقد كان



شقت مدافع الماء ثغرات فى السد الترابى خلال ساعات

معدل تساقط القنابل بمعدل ١٧٥ قنبلة كل ثانية . أخذت تتساقط فوق حصون العدو في عملية التمهيد اللازمة للعبور . فاستهدفت تدمير تحصينات خط بارليف ، وفتحت ثغرات في حقول الألغام ودك مراكز المراقبة ، وتغطية عملية العبور .

وبينما كانت المدفعية تقوم بأعمال « تمهيد النيران » ، كان ٨٠٠٠ ثمانية آلاف جندي من المشاة يستعدون لاقتحام القناة بقوارب المطاط ، وهم يمثلون موجة الاقتحام الأولى حاملة أسلحتها الخفيفة ، ميممة وجهها شطر الثغرات التي فتحتها المدفعية في حقول الألغام . وفي الساعة ١٤٢٠ بدأت هذه الموجة الأولى نتدفق عبر القناة ، وتعالى هتافاتها المؤمنة « الله أكبر . . . الله أكبر » . وتحقق معها قلوب خمس فرق مشاة تنوزع على طول القناة على هيئة جيشين يحتلان المنطقة غرب القناة وبطولها ، وبأعماق متفاوتة . هما الجيش الثاني في الشمال حتى الاسماعيلية ، والثالث في الجنوب من الاسماعيلية حتى السويس . وما فتئت موجات الاقتحام الأولى تتوالى على الضفة الشرقية ، تحمل معها سلالم الحبال لتتسلق الحاجز الترابي ، وتجتر خلفها عربات خفيفة ، معبأة بالذخيرة ، حتى ارتفعت الأعلام المصرية فوق الروابي بعد دقائق من بدء العبور . لقد ارتفع أحدها بعد عشر دقائق وآخر بعد ١٧ دقيقة ، وآخر بعد ٢٢ دقيقة .

كانت مدفعية العدو ، قد خرسست تماما ، فقد أجهزت عليها مدفيعتنا ، وأثنى التمهيد النيرانى بشماره . وكانت مواشير المدافع ابان العبور ، مشرعة الى عمق أكبر في سيناء ، لتصب نيرانها على العمق التكتيكي فتدك حصون الخط ، وتحيل قلاعها الى مقابر بلا مداخل ، ولا مخارج ، وتنزل به الشلل .

ومن المدهش ألا يسجل التاريخ أن مدفعا إسرائيليا واحدا لم يستطع الرد على مدفيعتنا حتى مرور ساعة على بدء العبور .

لقد ظلت المدفعية تمهد مسرح المعركة بالنيران أمام قواتنا . وكان من أعظم الآثار قيام بعض ضباط المدفعية بالعبور مع الافواج الأولى ليعملوا في نقط توجيه النيران من الضفة الشرقية ، بالإضافة الى نقط المراقبة التي انتشرت خلف خطوط العدو وفي أعماقه .

كما سيذكر التاريخ أن مصر قد استطاعت بهذه الحفنة من الجنود أن تستخلص الأرض من غاصبها في حرب تقليدية ، يخطط فيها السلاح الأرضي ، بالقنبلة اليدوية ، بالمدفع الرشاش وبمدفع الميدان والصاروخ .

لقد كان الهدف تحرير الأرض ، ومن ثم فقد كان جل الاعتماد على جندي المشاة ، عصب الحرب ، يسانده التفكير العلمى . لقد تطورت رسالة المشاة بتطور التكنولوجيا العسكرية وأصبح جندي المشاة ، لا ينطلق على رجله طوال الوقت ، بل يحمل على المجنزرات وفى المصفحات ، ويطوى الأرض بها . كما أصبح لا يحمل نفس السلاح الذى كان يحمله أسلافه ، بل تطورت أسلحته الى قاذفات اللهب والصواريخ . لقد استخدمت قوات المشاة فى الخطة المصرية بغزارة ، وبأسلوب لم يختلف كثيرا عن أساليب الحرب التقليدية . ولكنه اعتمد الى حد كبير على كفاءة الرجال ، وغزارة أعدادهم . ان جنديا واحدا يقود جماعة صغيرة هو الرقيب « محمد عبد العاطى » استطاع أن يصطاد ٢٣ دبابة معادية . ذلك بفضل عاملين أولهما ، رباطة الجأش التى تنطلق من روح معنوية عالية ، وبفضل سلاح مستحدث هو الصاروخ المضاد للدبابات الذى يستطيع حمله فرد ويعمل عليه بمفرده دون حاجة الى تجهيز هندسى خاص ، أكثر من حفرة يقبع فيها ، ويستطيع حفرها خلال دقائق ليحمى نفسه .

لقد لعبت هذه الصواريخ دورا بارزا فى الحرب ، جعل قوات المشاة تستطيع الوقوف وحدها فى الميدان قبل أن تتدفق مدرعاتنا الى الضفة الشرقية .

وبانطلاق موجات الاقتحام الأولى عبر القناة ، وتمرركزها على الضفة الشرقية لها وبخاصة فى اقتحام حصون خط بارليف ، أصبحت المهمة المباشرة قد نفذت باقتدار وأهم ما فيها تأمين رؤوس الكبارى التى أخذت نيران المدفعية تزيد من اتساعها . وان مهام المشاة التالية كانت صد أى هجوم مضاد يحاول العدو القيام به للتقدم نحو هذه الرؤوس .

لقد بدأ عبور الموجات الأولى من المهندسين العسكريين الى الضفة الغربية بعد ٢٠ دقيقة من بدء العبور لتأمين عبور المترجلين فى حقول الألغام التى أجهزت على أغلبها المدفعية ، ثم تلا ذلك عبور أمواج أخرى من المهندسين لتجهيز الأرصفة للمعدات وتجهيز معدات الكبارى ، وتوسيع الفتحات فى الساتر الترايبى ولم تمض ساعتان بعد ساعة الصفر حتى كان رجال سلاح المهندسين يعملون على الضفة الشرقية للقناة ، فى تخصصاتهم العلمية المتشعبة .

ولعل أهم هذه الأعمال كانت عملية تثبيت التربة فى الممرات لتستطيع المركبات والمدرعات السير فوق أرض غير زلقة ، وقد استخدمت

فى ذلك مواد متباينة بين أخشاب وأحجار وشكاير رمل وألواح من الصلب والشباك • وفى نفس الآونة كانت عمليات اسقاط مهمات كبرى العبور ، تمضى قدما وفق خطة محسوبة • وخلال ست ساعات استطاع المهندسون اقامة أول كوبرى للعبور أمام نطاق الجيش بينما أخذت عمليات انهاء الكبارى الأخرى تتوالى فيما لا يتجاوز تسع ساعات رغم حلول الظلام • ورغم أن ضوء القمر كان كافيا ، إلا أن بعض العوامل الطبيعية وخاصة سرعة تيار المياه فى القناة عطلت انشاء بعض الكبارى أمام الجيش الثالث حتى أقيم خلال ١٦ ساعة •

ولم يبرز نهار السابع من أكتوبر الا وكان عدد كبرى العبور الثقيل قد أصبح عشرة ، بالإضافة الى عشرة كبرى أخرى للمشاة وعدد كبير من المدرعات ولكن بين هذه الكبارى والمدرعات أقام المهندسون بعضها من خامات هيلكية صب على أغلبها العدو هجماته الجوية التى ضاعت سدى •

وكان أفراد المهندسين يقيمون الأجزاء التى تصاب من القصف المعادى خلال زمن قياسي ليستمر تدفق المعدات •

وخلال ساعات كانت رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية قد عززت ، وأمكن رص الألغام على أجنابها • وأصبح للمهندسين واجب آخر جديد ، هو التفريغ للتجهيز الهندسى للمعدات بعمل حفر لها ، وإقامة السواتر ورص الألغام •

وأخذت القوات من كافة الأسلحة تندفق فوق هذه المعابر التى ركن العدو هجماته عليها ، ولكن مقاتلات القوات الجوية والصواريخ تكفلت بصدد هجماته الجوية بينما تكلفت المدرعات وقوات الصاعقة بصدد هجماته الأرضية •

وخلال الأربع والعشرين ساعة الأولى من بدء القتال كان ثمانون ألف جندي مصرى يقفون فوق رمال سيناء ، ومع فجر السابع من أكتوبر كانوا قد طؤوا ثمانية كيلو مترات من رمالها الحبيبة • وخلال هجماتهم كانت خطوط بارليف الثلاثة التى يفصل بين كل منها ٣ - ٤ كيلومترات ، قد تقوض أغلبها وأصبحت بقاياها لا تمثل الا جيوبا أضعف من أن تقاوم •

وأصبحت قواتنا فى وقفة تعبوية لتطوير الهجوم شرقا •



كانت قوة ايمان المقاتل المصري ، وكفاءته القتالية ، في معاركه اكتوبر
الساحقة ، ثروة التدريب الشاق ، والاصرار على تحقيق النصر .

الفصل الثالث

ضربات الطيران

تحقيق السيطرة الجوية

ان خصائص السرعة التي تتميز بها عمليات أية قوات جوية في العالم والقدرة التدميرية التي تتسلح بها الطائرات ، تجعل لهذه القوات دورها البارز في ميدان القتال . وهناك فارق كبير بين جيش برى أو أسطول بحرى يعمل تحت غطاء جوى يحمي رأسه ويظلل سماءه ، وبين افتقاد مثل هذا الغطاء . ومن ثم فان احراز السيطرة الجوية ، مبدأ من مبادئ تحقيق النصر ، بالاضافة الى كونه باعثا معنويا يشيع الثقة في نفوس المقاتلين في الميدان ، ويحقق الأمن لجموع المواطنين المدنيين البعيدين عن حلبة الصراع . والحق يقال ، أن تحقيق السيطرة الجوية كان السمة الرئيسية التي تفرق بين موقفينا في معارك الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، ومعارك الساعات الست عام ١٩٧٣ ، ففي الأولى فقدنا هذه السيطرة في ساعات ، وطائراتنا على الأرض ، وفي الثانية أحرزناها ، رغم أن العدو يمتلك قوة جوية لا يستهان بها ، ولديه أنواع من الطائرات هي أحدث ما وصلت اليه ترسانات الأسلحة في العالم .

ورغم أن عمليات العاشر من رمضان قد دامت ما يقرب من سبعة عشر يوما ، فان الكثيرين يحلو لهم أن ينعتوها بأنها حرب الساعات الست . لأن الساعات الأولى في المعركة كانت حاسمة ، الى الدرجة التي أفقدت العدو توازنه خلال هذه الفترة الممدودة ، وانعكس ذلك على كل عملياته التالية .

ولا شك أن دور القوات الجوية ، خلال هذه الساعات ، كان حاسما ، الى الحد الذي حقق ترنح العدو ، وتخبطه .

وتوالت عمليات القوات الجوية ، مع ايقاعات سيمفونية النصر ، التي عرفت قواتنا المسلحة مجتمعة ، حتى ايقاف اطلاق النار .

ومن أبلغ ما قيل في وصف هذا الدور قول الفريق محمد عبد الغنى الجهمسى رئيس أركان القوات المسلحة ، « أن القوات الجوية ، هي التي بدأت الحرب ، وهي التي أنهتها » .

وهذا القول يعكس في طياته الاعتماد على خصائص الطيران ، الذي جعل أول نيران عملية (الشرارة) ، وأول عمل لتحقيق المفاجأة والأخذ بزمام المبادأة ، هي الضربة المركزة التي جعلت من ساعة الصفر جحيما يستعر فوق كل أهداف سيناء في لحظة واحدة .

نظرة الى الوراء

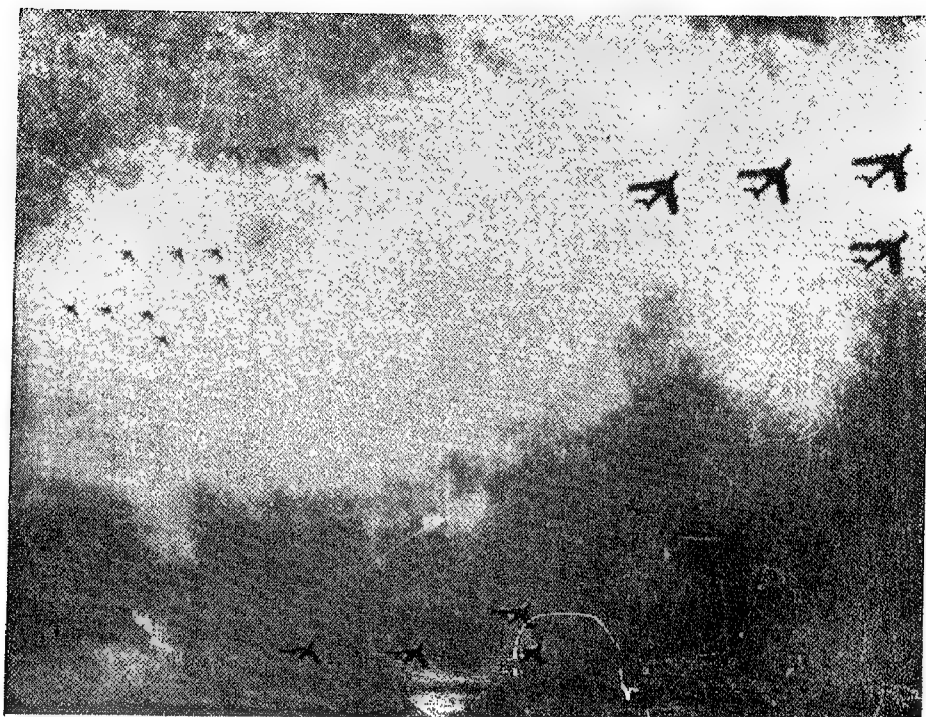
ان الدروس المستفادة من عمليات السادس من أكتوبر لا حصر لها ، وهى محل دراسة من قبل أجيال العسكريين المعاصرة ، والمقبلة . ولا شك أن هذه العمليات ، قد غيرت كثيرا من المفاهيم العسكرية ، ووضعت علماء الاستراتيجية والتكتيك أمام حقائق جديدة بالبحث والتمحيص . ولقد عبر الرئيس أنور السادات عن ذلك بقوله :

« ان التاريخ العسكرى سيتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام عملية السادس من أكتوبر ١٩٧٣ » *

والحقيقة أن الدروس المستفادة من الحرب ، لا يمكن أن نستقيها من المعارك التى دارت وحدها ، ولا أن نستوحىها من ملاحم البطولة التى نضرب بها الأمثال فحسب ، ولكن لابد أن ننظر الى جذورها وأعماقها . لنرى كيف تم الاعداد وكيف كان التجهيز والتخطيط ، وكيف توالى التدريب ، وكيف تم التنسيق فى اعداد الخطة . ويأتى هذا سعيًا وراء الحكمة التى تقول : النصر لا يكتسب خلال العمليات ولكن قبلها . والحقيقة التى لا تغرب عن بال ، أن النصر لا يأتى عفوا ولا يسوقه الله للكسالى والمتواكلين ، ولكن يؤيد به المجتهدين مصداقا لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ولولا أننا قد غيرنا من أمرنا على ضوء الدروس البليغة التى استفدناها من نكسة عام ١٩٦٧ ، وسعيًا الى تلافى كل نواحي القصور ، ما كانت الصورة قد تغيرت عام ١٩٧٣ .

لذلك لابد لنا من نظرة الى الخلف ، لنلقى الضوء على ما كان من قبل حتى تتضح لنا صورة ما تم ، على غرار ما يعتمد اليه رجال السينما برجميتهم الى الوراء (زووم باك) ترسم مبلغ الجهد ، وتوضح حجم العمل ، وأبعاد التخطيط .

✳ لقد ضاعفت القوات الجوية من رجالها على مختلف تخصصاتهم ، بين طيار وملاح ومهندس وادارى وفنى . أن الطائفة الواحدة ، قد يستقلها طيار واحد ، ولكن تتضافر جهود لفيف من المتخصصين بين ٢٠ ، ٢٤ على الأرض لتحقيق أمن وسلامة مهمتها . ومن ثم فإن تأهيل هذه الأعداد الكبيرة من الرجال ، استلزم فتح مئات من فصول التعليم ، فيها احترام العلم ، ومئات من المعامل فيها احترمت التجربة . وذلك لترجم فى النهاية الى مئات من ساعات طيران ، يطيرها كل طيار خاض المعركة .



الى العلى فى سبيل المجد

استمرت القوات الجوية المصرية - بعد قيامها بالضربة الجوية المفاجئة ومنذ صباح ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، وعلى امتداد ٢٢ يوما - فى قتال نشط وتآدية الحماية الجوية بكفاءة قتالية بالغة ، شملت ٥٠ معركة جوية ، منها ٨ معارك تاريخية ، اسقطت فيها ما يقرب من ٩٠ طائرة للعدو ، فوق شمال الدلتا وبورسعيد وفاجد والسويس . هذا بجانب قصف احتياطيات العدو ، بلا هوادة والحث به افدح الخسائر فى الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد ، وتدمير الأهداف العادية ، فى نحو ١٠٠٠ طلعة جوية .

* وفى الوقت الذى كان فيه اعداد الرجال يمضى على قدم وساق ، كانت الطائرات تتضاعف وتتزايد عددا ، ويتزايد معها اعداد المعدات الفنية المكملة لحلقات التعامل معها .

* وكان لابد أن يزيد عدد القواعد الجوية والمطارات ، فوق رقعة الجمهورية ، لتستطيع الطائرات أن تنشر حمايتها على ربوع الدلتا والصعيد ، وأن تطاول قوات العدو من أماكن متفرقة . ولتنتشر الأعداد الكبيرة من الطائرات بلا تكديس فوق مواقع عمل عديدة .

* وقد صاحب جهد انشاء العديد من المطارات الجديدة ، هنا وهناك جهد التجهيز الهندسى ، الذى مهما حاولنا وصفه فلن نستطيع رسم أبعاد ما بذل فيه من فكر وعرق وتعب . وأقل ما يوصف به أنه أهرامات العصر الحديث أقيمت فى كل مطار ، متمثلة فى (دشمة) لكل طائرة ، وملجأ لكل معدة فنية ، وموقع محصن لسكل مركز عمليات أو مجموعة قيادة ، وخندق لكل جندى أو عامل .

ولابد ألا نغفل أن هذا التجهيز لم يكن تصميمًا هندسيًا نقل عن الدول الغربية بحذافيره بقدر ما كان فكراً مصرياً أتى ابتكاراً وتوالى تطوره على مر الزمن ، بل ليس من قبيل المغالاة القول بأن حلف الأطلنطى ، قد غير من تصميمات دشمة على ضوء ما أنجزه المهندسون المصريون فى دشمةهم .

* كانت الأهداف الرئيسية للتدريب ، هى تحقيق الواجبات التى ستلزم فى العمليات ، ومن ثم أعطى التدريب التعبوى عناية قصوى على هيئة مشروعات مشتركة ، لتحقيق الدور الذى تلعبه القوات الجوية فى معاونه الجيوش والتشكيلات البحرية بالإضافة الى تنسيق جهود الدفاع الجوى بين المقاتلات والصواريخ .

* أوليت عناية خاصة لتدريب الطيارين على أنواع خاصة من الطيران ، كالطيران المنخفض للافلات من شبكات الرادار ، ولمباغطة بطاريات الصواريخ المعادية . وتركز التدريب على عمليات مهاجمة الأهداف الأرضية ، بنيران المدافع والصواريخ أثناء الطيران المنخفض . وقد اقتضى ذلك اقامة عديد من ميادين الرمي المزودة بأهداف هيكلية كالمعادية تماما ، يوجه اليها الطيارون مدافعهم وصواريخهم ، ويقذفونها بقنابلهم .

* درب طيارو كثير من أسراب المقاتلات على التخلي عن واجبهم التقليدى فى الحماية ، والاعتراض ودوريات الحراسة ، لكى يستطيعوا القيام بدور المقاتلات القاذفة اذا اقتضى الأمر ذلك .

✳ تم التركيز على تدريب الطيارين - وخاصة المكلفين بمناوبة حالة الاستعداد الأولى - على الاقلاع في أزمان قياسية قصيرة ، هبطت الى أن بلغت دقيقتين .

✳ كان لزاما تنسيق تدريب أسراب المقاتلات على عمليات الاعتراض والتوجيه . وفي هذا المجال تم اعداد جيل من الطيارين والملاحين والمراقبين الجويين ذوى الخبرة ، كانوا قادرين على توجيه مقاتلاتنا لاعتراض الطائرات المعادية تحت مختلف الظروف بما فيها ظروف التداخل الالكتروني المعادى .

كما أوليت عناية كبرى لتدريب التخصصات الفنية المختلفة العاملة في حقل الاتصالات والاصلاح الهندسى للطائرات والملاحية الجوية والاستطلاع والتصوير الجوى وتفسير الصور الجوية وتشغيل المعدات الفنية الخاصة التى تكمل عمل الطائرات كخزانات الوقود ، والمقومات الكهربائية ، وضغطات الأوكسجين ، وأعمال الورش والتسليح .

✳ اقتضت ضرورات تدريب كل طيار على العمل من مختلف المطارات ، اعادة تمرکز الأسراب ، فى أدوار متلاحقة بين مطارات الجيوب والشمال . ومع هذه الحركة الدائمة فى تغيير مكان العمل ، اكتسب الطيارون والملاحون والمهندسون والفنيون خبرة العمل فوق مختلف الأراضي ، وفى مختلف الأجواء .

✳ أضيف الى ذلك سيل منهم من أساليب الشحن المعنوى للأفراد فى كل المواقع ، بين الحديث بالكلمة والصورة وعبر الكتاب والكتيب ومن خلال الحديث والخطة والاجتماع . للاطلاع على حقائق الموقف واستجلاء كل مستغلق ، لتعميق دراسة القضايا المختلفة .

وكان من أثر ذلك وضوح هذه الشحنة فى مظاهر الايمان التى تعلى بها طيارونا وضباطنا خلال المعارك . فقد كان أغلبهم يثمنون بلفظ. « لا اله الا الله » على صدورهم أو فوق خوذاتهم . وعمد كثير منهم الى قص شعورهم قبل المعركة تشبها بصحابة الرسول الكريم فى غزوة بدر . ولم يكن نداء أى منهم خلال المعارك الجوية الا « الله أكبر » ترديدا لنداء اخوانهم على الأرض ، عند اقتحام خط بارليف وترديدا لنشيد ارتضته جموع شعبنا معبرا عما فى قلوبهم .

التطوير كان غاية

واستكمالا لجهود الاعداد ، لابد من الاشارة الى أن أساليب جديدة ، أخذ بها ، ليس لها نظير في قوات جوية أخرى ، أوجدتها الممارسة فكانت وليدة شرعية للتجربة والحاجة .

وحسبنا في نطاق ما تستلزمه السرية ، والحفاظ على الأسرار الاشارة الى :

✳ أنشئ في أغلب المطارات أكثر من ممر واحد ، بعضها متواز ، ليسهل الاقلاع والهبوط في مختلف الظروف الجوية لعدد كبير من الطائرات ، وليكون كل منها بديلا للآخر .

✳ موهت الدشم بذكاء ، باستغلال البيئة المحيطة بها ، كما موهت بعض الممرات بما يجعلها صعبة الرؤية من الجو ، على من لا يعرف اتجاهها ومعالم نقط الاقتراب اليها .

✳ ابتكر استخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية عن المطارات ضد الطيران المنخفض . رغم أن فكرة البالونات قد توارت مع النسيان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

✳ استحدثت استخدام طائرات اعادة الاذاعة ، لنقل المعلومات الى الطائرات أثناء الطيران المنخفض ، حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جدا الا للطائرات ذات الارتفاع العالي .

✳ اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتي لكل مجموعة طائرات في اعادة الملء للتزود بالوقود والتحميل بالقنابل والصواريخ في زمن بلغ قصره أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها بلا توقف .

✳ توصل مهندسو المطارات بالتنسيق مع أجهزة القطر العام الى تركيب خلطة ساخنة يستطيعون بها سد الحفر التي تحدثها القنابل في الممرات خلال ساعات معدودة بعد أن كان ذلك يقتضي وقتا طويلا .

في البدء • • كادت الضربة المركزة

لو تتبعنا أعمال القوات الجوية خلال المعارك فيمكن ايجازها في الأعمال التالية التي أنهت الى غير رجعة أسطورة التفوق الجوي الاسرائيلي والتي أثبتت أن التفوق التكنولوجي ، ليس هو وحده عنصر اكتساب النصر ، ولكن يجب أن توازره عزائم الرجال . كما ثبت أن خطوات الاعداد والتجهيز في السنوات الست قبل المعركة كانت خطة هادفة من أعمال القيادة العليا ، لها أعماقها ولها خطواتها .

✳️ أتت الضربة الجوية المركزة كأول عمل لتنفيذ الحطة « بدر » بواسطة أكثر من ٢٠٠ طائرة ، عبرت كلها خطوط الكشف الرادارى فى ساعة الصفر متجهة الى أهداف سيناء المختلفة . وبعد دقائق كانت مراكز القيادات الاسرائيلية قد أصبحت فى خبر كان ، وتعطلت بطاريات الهوك وعطلت ممرات المطارات والقواعد الجوية ، وتقوضت مراكز الشوشرة ، ومراكز الارسال ، والورش الميدانية ، ومعسكرات تجمع الأفراد .

وهكذا سكت مركز قيادة « أم مرجم » ، وتعطل مركز شوشرة « أم خشيب » وانسحبت الفلول الناجية الى العريش ، وتعطل مطار « المليز » وظل معطلا مدة ثلاثة أيام ، وكتمله أصبح مطار تمادة .

وأنت الضربة الجوية ، بنتائج الاحباط المرجوة منها ، بل بأكثرها مما كان يتوقعه أحد ، وحقت مع نجاح اقتحام خط بارليف افقاد العدو توازنه . ومن ثم قررت القيادة عدم تكرار هذه الضربة ، بهذا العدد الهائل من الطائرات كما كان موضوعا فى الحطة .

✳️ بعد تطوير الهجوم عبر قناة السويس ، قامت القوات الجوية بالتركيز على حماية رؤوس الكبارى والمعابر ، بالاضافة الى تشكيل الغطاء الجوى فوق القوات التى عبرت الى الضفة الشرقية .

✳️ شاركت المقاتلات القاذفة فى ذلك حصون خط بارليف التى لم تستسلم لقواتنا العابرة ، مثل نقطة شرق بورفؤاد الحصينة ، وكذلك أهداف العدو التى أقامها بعد الضربة المركزة ووحداته التى دفع بها من الخلف للأمام وخاصة القوات المدرعة .

✳️ شكلت المقاتلات مع صواريخ الدفاع الجوى جدار الحماية حول المطارات والمنشآت الحيوية ، والمدن لصد الهجوم عليها .

✳️ وضعت نسبة من مجهود المقاتلات فى معاونة قيادات الجيوش البرية والقيادات البحرية ، تطلب مباشرة بواسطة جماعات معاونة جوية ألحقت على هذه القيادات ، وكانت هذه الجماعات على اتصال دائم بمطارات الجبهة لتنسيق التعاون المطلوب .

✳️ قامت القاذفات البعيدة المدى بدك الأهداف الاستراتيجية فى عمق سيناء شمالا وجنوبا كمطارات العريش وشرم الشيخ .

✳️ نجحت تشكيلات الهليكوبتر فى اسقاط رجال الصاعقة وعمليات الابرار فى عمق سيناء ، تحت جناح الظلام ، كما واصلت عمليات الامداد لهذه الوحدات خلال مراحل المعركة .

- * استتبسل الطيارون من كافة التشكيلات فى التعامل مع المدرعات والصواريخ المعادية التى تسربت الى الشجرة ، وأصلتها نارا حدت من توغلها وعددت من خسائرها .
- * حقق طيارو الهليكوبتر طلعات ناجحة لامداد الجيش الثالث بالطعام والماء والدواء .
- * وقفت كل الأجهزة الفنية والادارية من كافة التخصصات فى خدمة المعركة على قدم وساق ، ليل نهار .

لغة الأرقام الهيكلية

من تقارير القتال ، ومن خلال تقريرى السيد وزير الحربية وقائد القوات الجوية أمام مجلس الشعب من تصريحات المسئولين تكشف للعالم مقاييس جديدة فى حروب انقوات الجوية . ووقف العالم أمام ملحة من حماس الرجال هزت كثيرا من معايير الحروب الجوية . وعلى سبيل المثال لا الحصر :

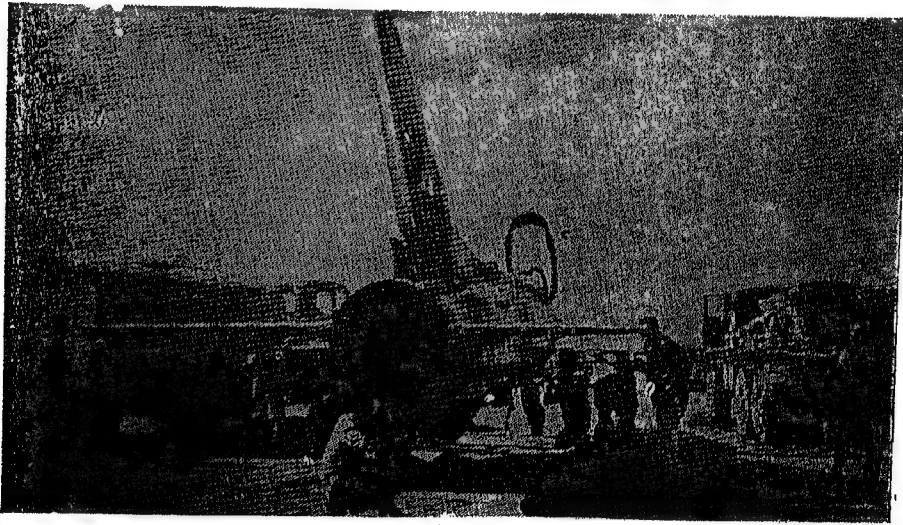
- * حقق كثير من الطيارين بين (٦ ، ٧) طلعات فى اليوم ضاربين الرقم القياسى المعروف فى العالم وهو (٣ أو ٤) طلعة .
- * دامت بعض المعارك الجوية وخاصة تلك التى تركزت حول بورسعيد ما يقرب من ٥٠ دقيقة . رغم أن الزمن التقليدى لى اشتباك لا يزيد عن (٧ - ١٠) دقائق . وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو تعدد الطائرات المعادية بكثافة بلغت أحيانا (٦٠ - ٧٠) طائرة فى أونة واحدة فضلا عن توفر الوقود لدى طائرتنا لأن المعارك كانت تتم فوق مناطق غير بعيدة عن مطاراتها .
- * لم يتعطل مطار واحد أو قاعدة جوية واحدة خلال المعركة أكثر من (٦ - ٨) ساعات ، رغم تعدد مرات قصفه بالقنابل لمبادرة مهندسى المطارات الى سرعة اصلاح الممرات .
- * انخفضت المدة اللازمة لاعادة تزويد الطائرة الواحدة بالوقود والمخيرة الى ٦ دقائق ، وكان الرقم القياسى الذى تشدقت به اسرائيل عام ١٩٦٧ هو (٨) دقائق .
- * كان تدمير الدبابات الواحدة فى جداول التدمير النظرية يستلزم من (٢ ، ٣) هجمة/طائرة ، غير أن نسورنا حققوا امكان تدمير أكثر من دبابة واحدة فى هجمة واحدة .
- * حققت التشكيلات أرقاما خرافية فى عدد الطلعات خلال أيام قليلة ، فأحد الألوية الجوية قد أنجزت عدة آلاف من الطلعات خلال أيام المعركة التى لم تتعد سبعة عشر يوما .

ملحمة البطولات

أعادت العمليات الجوية الناجحة ، الثقة الى نفوس نسورنا ، أمام
وهم صقور اسرائيل . ومنذ اللحظات الأولى للمعركة كشف رجالنا عن
أصالة في المعدن ، نسجت ملحمة من البطولات النادرة في الجو .

وفي كل تشكيل جوى ، كانت التضحية بالنفس غاية ، والشهادة
قربى الى الله ، وفداء للوطن . ومن أجل ذلك توالى صور للبطولة يجعل
عن الحصر عدها ، ويجعل عن الوصف شرحها . وفداء لمصر وللعروبة مضى
رجال في الجو وعلى الأرض ، للقاء ربهم شهداء كأنبل ما ينهى الرجال
الحياة في سبيل أداء الواجب . وصدق الله العظيم في قرآنه الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى
نحوه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .



حقق المهندسون والفنيون في القواعد الجوية ، أعلى درجات الكفاءة ،
فحافظوا على نسبة صلاحية الطائرات ، ونجحوا في إعادة ملء
الطائرات بالوقود ، وتزويدها بالتمنابل والذخيرة ، في وقت
قياسي .

✱ أنبت طيارونا ما قاله المشير أحمد اسماعيل « السلاح بالرجل ... وليس الرجل بالسلاح » ، فقد أفلحت طائرة (ديج ١٧) في إسقاط طائرة فانتوم .

وذهل الكنيرون عندما علموا أن طائرة هليكوبتر أسقطت طائرة فانتوم معادية . ولم يكن ذلك من قبيل المغالة ، بل كان حقيقة تعكس صورة من صور الجسارة .

✱ عمد كنيرون من طيارينا الى تكرار عدد الهجمات فوق الأهداف الأرضية التي تعاملوا معها بنيران طائراتهم ، رغم أن عرف القتال الجوي يستلزم هجمة واحدة . لكن كان ذلك للأجهزة على الهدف كله .

✱ كثر من الطيارين أصيبت طائراتهم أثناء المعارك الجوية ، واضطروا للقفز منها بالمظلات ، لكنهم واصلوا الطيران في نفس اليوم بلا عرض على الأطباء ، واكتفوا بوضع رباط ضاغط على ظهورهم .

✱ في معركة جوية قوامها (٨٠) طائرة معادية تقريبا اسقط طيار مصرى واحد خمس طائرات فانتوم وهو يهدف بالاسلحة «الله أكبر» .

✱ مهندس مصرى يعمل على تطهير ممر جوى من القنابل التي سقطت عليه ، فيلقى ربه ، فيخلفه التالى له فى الرتبة فيلقى نفس المصير ، ويتوالى الأمر حتى يقود الوحدة ملازم أكمل تطهير أجانب الممر من (٧٥) قنبلة وأصبح المطار صالحا مرة أخرى .

✱ جندى سائق يرى قنبلة اهتزازية بجوار الممر ، ويعرف أنها ستنفجر اذا اقترب منها أحد لتتأثر منها كرات البلى لتصيب الأفراد ، فيتحرك بعربته ليصبح فوقها فيمتص جسده أغلب هذه الكرات .

✱ مساعد ميكانيكى يلتقط قنبلة معادية بيديه وهى تتدحرج فوق منزلق يؤدي الى دشمة طائرة ويجرى ليلقى بها فى فضاء بعيد عن الدشمة ، وما يكاد يتركها حتى تنفجر خلفه .

✱ ولعله ليس سرا القول بأن القوات الجوية اضطرت أن تدخل المعركة بعد حدوث ثغرة الدفرسوار بطائرات التدريب ، وبواسطة الطيارين مدرسى الكلية الجوية .

انها طائرات بطيئة بالنسبة لطائرات القتال ، وتجهيزها بالأسلحة ليس على مستوى المقاتلات أو المقاتلات القاذفة . ولكن الحقيقة أن ادخال هذه الطائرات فى المعارك الجوية لقصف الأهداف المعادية فى الثغرة ، لم يكن بسبب قلة فى عدد الطائرات ، ولكن بسبب أجل وأهم .



قدمت أسراب الهليكوبتر المصرية ، المعونة الكاملة للقوات الخاصة ،
طوال مدة حرب أكتوبر



احدى القاذفات المصرية (ميغ ١٧) أثناء قصفها طابورا مدرعا
اسرائيليا من أقصى ارتفاع منخفض
(منعت الرقابة العسكرية الاسرائيلية نشر هذه الصورة) •

« بعد روح المعنى ، الى المت بأغلب مدرسى انكلية الجوية من
« بعد الحضور ، أعرب أعينهم عن رغبتهم فى الانضمام لأسراب
« بعد ، وأدبهم أوفوف من المعركة وفقه المنفرج .

وسنة احد فرار هجوم هذه التشكيلات ، فوجيء العدو بأعداد
حزيرة من هذه الطائرات ذات السرعات المحدودة ، ولعل أجهزة الانذار
والاستشعار لم تكن قد ألفت وجودها فى المجال الجوى . غير أن النتائج
مهمرة الى أحزروها يمكن أن تكون مضرب المنل . وعلى قمتها نجاح
أحد هؤلاء المدرسين فى إصابة المعبر الرئيسى للتسلل ، وقصفه بالقنابل ،
لم يستشهد .

« بعد المنحة من البطولات التى لا يتسع المقام لحصرها هى التى
« بعد المنحة وزير الحربية أمام ممثلى مجلس الشعب الى الكشف
عن هذه البطولات بقوله :

« قامت القوات الجوية ، بقيادة اللواء محمد حسنى مبارك ، بأداء
مهامها كإروع وأقوى ما يمكن الأداء . وأنى لا أنسى ما قدده طيارو مصر
من تضحيات وجهد ، حتى بلغ عدد الطلعات اليومية ، لبعض الطيارين ،
سبع طلعات فى اليوم الواحد ، محطمين بذلك الرقم القياسى الذى وصل
اليه أكفا والوى الطيارين فى جيوش العالم .

لقد كانوا - بحق - النصور الذين هموا أجواءنا ، وقصفوا مواقع
العدو فى كل مكان فى جبهة القتال ، وفى الأعماق البعيدة . . فقفوا على
أسطورة الطيران الاسرائيلى ، الذى طالما تغنت به إسرائيل » .

دروس لا تنسى

« ان منحة البطولات التى نسجها الطيارون والفنيون المصريون فى
فسادة الطائرات ، وتشغيلها ، لم تكن هى مفاجأة المعركة الجوية من جانب
مصر ، وكل الأرقام القياسية التى تمسك بها المصريون وانتهى اشرفنا اليها
سافنا لم نأت وليدة ساعة ، بل كانت حصيلة تدريب شاق ، وثمره شحنة
معوية ضخمة ، جعلت الطيارين جسورين جسارة الأسود ، وجعلت الأطقم
الأرضية من مهندسين وفنيين وإداريين فى مثل دقة العلماء . وعلى أيدي
هؤلاء حدثت صورة المعارك الجوية التقليدية ، وأصبح العالم أمام مفاهيم
جديدة فى تكنولوجيا إدارة الحروب الجوية ، تأكد منها :

« نحاح عصر الحشد فى الطيران ، باستخدام أعداد غزيرة من
الطائرات فى آن واحد لتوجيه ضربة جوية مركزة الى أهداف العدو .
« وإن كان ذلك قد تم من قبل القوات الجوية بأكثر من ٢٠٠



طيارو الهليكوبتر أقاموا جسور
الأبرار والاسقاط والامداد

طائرة فان كل طائرة من هذه
الطائرات قد أصابت هدفا
معينا - وكان من نتيجة ذلك
أن كثيرا من المطارات الاسرائيلية
- كالمليز ورأس نصراني وتمادا
والعريش - أخرجت من المعركة
منذ لحظاتها الأولى . وبذلك
اكتسبنا السيطرة الجوية وحالة
الشلل التي أصابت القيادة
الاسرائيلية في الساعات الأولى
للمعركة كن مرجعها إصابة
مراكز قيادته بواسطة الطائرات
وخاصة تلك الأهداف التي كانت
دون متناول المدفعية لكونها في
العمق .

★ ثبتت أهمية الروح
المعنوية في رفع الكفاءة للقتالية
سواء بين الطيارين أو غيرهم
من الأطقم الأرضية وأكد ارتفاع
هذه الروح أن الأطقم الأرضية
التي تدير حركة العمل في
تجهيز الطائرات واصلاحها
وعادة تزويدها بالوقود
والذخيرة ، تقوم بواجب

خطير . وأن عملها يجب أن يكون منسقا الى الحد الذي
يضمن قيام الطلعات في مواعيدها المقررة وبأسرع ما يمكن . ومن ثم
وجدنا أن دور المهندسين والفنيين الميكانيكيين والسائقين وعمال الصلاح
المدنيين ، ورجال الادارة برز في استمسال وبايقاع منظم خدم جميع
أهداف تحقيق السيطرة الجوية .

وسام شرف وفخار

ان القوات الجوية وقد تحررت من عقدة الذنب التي الصقت بها
ظلما في نكسة عام ١٩٦٧ ، تحس ازاء ما قدمته في معارك رمضان بكثير
من الفخر . فقد استطاع قادتها ورجالها أن يشبثوا للعالم أن التجهيز



آثار القصف الجوي على أحد الأهداف الاسرائيلية في سيناء

السليم والتخطيط الدقيق ، أهم لوازم المعارك • وان أوضاع الارتجال التي سبقت نكسة ١٩٦٧ لم يكن للقوات الجوية دور فيها ، ولكن كان قدرها أن تتحمل أوزارها •

ولذلك أفصح الفريق طيار محمد حسنى مبارك فى كلمة له أمام الرئيس محمد أنور السادات عن ذلك بقوله :

« ان قيادتك يا سيادة الرئيس هي التي جعلت الأمانة واقعا والبعيد قريبا • وقد رفعت شعار العلم والايمان وجعلت من هذا الشعار نبراسا لعملك • وبالعلم جعلت الحرب تخطيطا لا ارتجالا • وبالايمان جمعت المؤمنين تحت لوائك جيشا وشعبا فى معركة المصير ، فأكدت للعالم أجمع أن إيماننا عمل وليس تشدقا » •

ولعل أهم وسام شرف رد للقوات الجوية اعتبارها ، ثناء الرئيس « محمد أنور السادات » على بطولات القوات الجوية بقوله : -

« ان ما قمتم به وما أنجزتموه خلال معركة أكتوبر عمل من أدوع ما قامت به أية قوة جوية عبر التاريخ منذ أن عرف العالم القوات الجوية وحروب القوات الجوية » •

ولقد فند الرئيس صورا فريدة ، للتخطيط الهادى الذى اتسمت به أعمال القوات الجوية والتى يعتبر كل منها وساما بمفرده ، ويحق أن نبقي على الزمن فخرا للأجيال القادمة • ومن المعروف أن ذلك كان أثناء زيارة سيادته عام ١٩٧٤ لحدى القواعد الجوية فى ذكرى يونيو • وحسبنا أن نحيط بهذه الصور :

« كنت فى غرفة العمليات •• وكنت مندهشا •• قائد سلاح الطيران يعرض على الجيوش أن لديه احتياطيا من الطلعات •• ومستعد جاهز •• والجيوش بتقول لا •• احنا مكتفين • والعادة اللي جرت فى تاريخ العالم كله ان الجيوش دائما تصرخ •• تصرخ للقوات الجوية •• وتصرخ تطلب النجدة من القوات الجوية ما بتلاقيهاش لا فى الوقت ولا بالكمية اللي هي عايزاها » •

« فى حرب أكتوبر اتغيرت الموازين بالكامل •• قائد سلاح الطيران المصرى يعرض على قادة الجيوش ان لديه احتياطى من الطلعات •• يقولوا له متشكرين » •

« ليوم وأنا أمر فى الجيش الثانى بيحكى لى قائد الجيش الثانى بعدما دخل وأخذ القنطرة وجاى عليه هجوم بلواء مدرع من الشمال ، يطلع ويطلب سلاح الطيران فيطلع سلاح الطيران • ويقول لى قائد الجيش الثانى ان أد كده وقفت مكاني مبهور ونسيت لاني قعدت أتفرج • الطيارين بينزلوا على الدبابات دبابة دبابة وواخدين راحتهم خالص • بياخذ اللفة بتاعة الثيرن (الدوران) مضبوطة ويبيجي ويقرب ويطلع اللي وراه وهكذا وكل هجمة بعمود نار • بيحكى لى بيقول لى كنت واقف أتمرج عليه • عمود نار بيطلع بعد كل قصفة من طيار من طيارنا » •

الفصل الرابع

حرب المدرعات

موجات الدبابات المصرية

تعمل الجيوش في تسليحها التقليدي على الدبابات أو المدرعات عامة باعتبارها القلاع المتحركة التي تحمي الرجال وتطوى الأرض وتسدك التحصينات البسيطة ، وتصب النيران في نفس الوقت من مدافعها . وصناعة المدرعات ليست في مثل بساطة تصنيع الأسلحة الأخرى ، إذ تحتاج تدريباً خاصاً لاجنابها ، ونوعية خاصة لجنازيرها . ومن عجب أن يكون أضعف ما في الدبابة جنزيرها الذي يحتاج للتبديل بعد عمل عدة ساعات . ولقد أدرك القديثيون ورجال العصابات نقط الضعف في الدبابات وعملوا في شتى الدول على اصطياد الدبابات من استغلال مواطن ضعفها . ولقد سمعنا كثيراً عن القنبلة التي تستطيع أن توقف الدبابة لو أحسن دسها بين وصلات جنزيرها ، وعن قنابل مولوتوف الزجاجية التي تستطيع أن تلهب سطح الدبابة بالنيران ، فتجبر طاقمها على الخروج منها .

وفي حروب الجيوش النظامية استخدمت منذ الحرب العالمية الثانية أنواع خاصة من المدافع المضادة للدبابات التي تستطيع داناتها اختراق الدروع ، وأصبحت مدافع م/د ضمن تسليح الوحدات الصغرى حتى مستوى الجماعة المشاة .

غير أن حرب أكتوبر بدلت كثيراً من هذه المفاهيم ، وأولتها الجيوش النظامية في الدول الكبرى نظرة اهتمام إلى الحشد الكبير من الدبابات الذي اندفع ليتطاحن فوق رمال سيناء . إن مثل هذا الحشد لم يعهده العالم منذ حروب رومل فوق رمال صحراء المغرب العربي ، وفوق رمال صحراء مصر الغربية ، ومنذ حروب ستالينجراد في روسيا في أواخر الحرب العالمية الثانية . لقد كانت المدرعات في الحرب العالمية الثانية تعد بالآلاف ، ولكن في حربنا هذه أصبحت تعد بالآلاف . ولكن النظرة ليست نظرة مجردة إلى تصارع أعداد غزيرة من الدبابات قدرها المعلقون بأنها أكثر من ٣٠٠٠ دبابة على كلا الجانبين ، فوق أرض صحراوية مكشوفة . وإلى مقارنة بين الأنواع حيث تستخدم مصر من الأنواع السوفيتية أنواعا ثقيلة مثل (ج س - ٣) ، ومتوسطة مثل (ت - ٥٤) ، (ت - ٥٥) ، (ت - ٦٢) ، (ت - ٣٤) وأنواعا برمائية مثل (ت - ٧٦) . بينما القوات الإسرائيلية تستخدم أنواعا أمريكية مثل (م - ٦٠ أ) ، (سنتوريون - ٥) ، (سنتوريون - ٧) ، و (باتون - م ٤٨ - ٢١)

(بانون - م ٤٨ - أ ٣) ، (شيرمان م - ٤) ، (شيرمان - ٥٠)
و (سويرشيرمان - ٥١) .

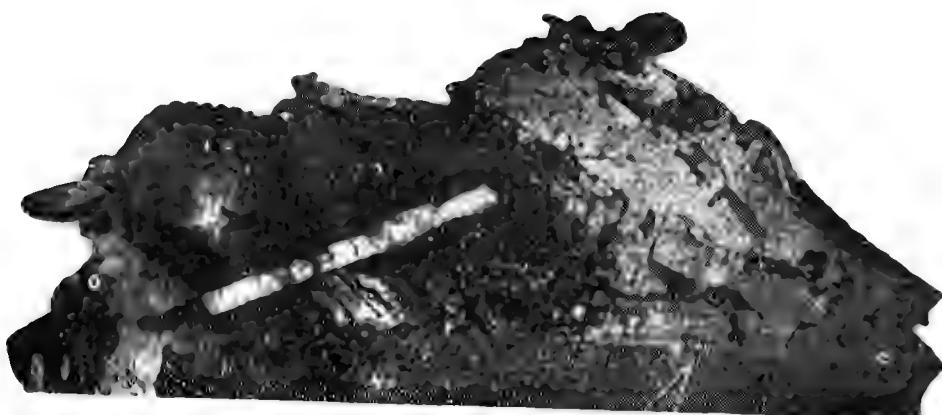
ولكن الحق يقال ان هذه النظرة الى الأعداد والنوع افترقت أهم عناصرها وهو الرجل . لقد استلقت الانظار أن إسرائيل خسرت خلال الثلاثة أيام الأولى للمعركة ما يناهز ٦٠٠ دبابة في محاولات يائسة للتقدم نحو رؤوس الكبارى المصرية . وأعجب من ذلك أن أغلب هذه الدبابات لم يفند في حرب تصادمية بين دبابات معادية ، بل فقدت بجهد الجندي الفرد القابع في حفرة خلف صواريخ فهد البسيطة المضادة للدبابات وبمسالة جندي الصاعقة أو المشاة الذي يجسر على تعويق حركة الدبابة بالارتقاء في حفرة أثناء عبورهم فوقها ، ودس شحنة ناسفة في جنزيرها .

لقد تمزقت الدبابات الاسرائيلية فوق الرمال كما يتمزق النورق ، وحفلت الصحف بصور الدبابات وقد التوت أجزاؤها وانفصلت أبراجها وتمزقت أجنابها وكأنها كانت من الكرتون المقوى . والحقيقة أن تطور تكنولوجيا الصواريخ وضع العالم أمام حقيقة جديدة أن الصاروخ الصغير الذي لا يتجاوز مداه ٢ - ٣ كيلومتر ، يستطيع أن يمزق المدرعة ويجعلها حطاما ، ويحول طاقمها الى كتلة من الكربون . ولقد سبق الإشارة في الفصل الثاني الى بطولات فردية تجل عن التصور ، كمثال الجندي المصرى (محمد عبد العاطى) الذى استطاع تعطيل ٢٣ دبابة بمفرده . لقد كان كل صاروخ يطلق يدمر دبابة معادية .

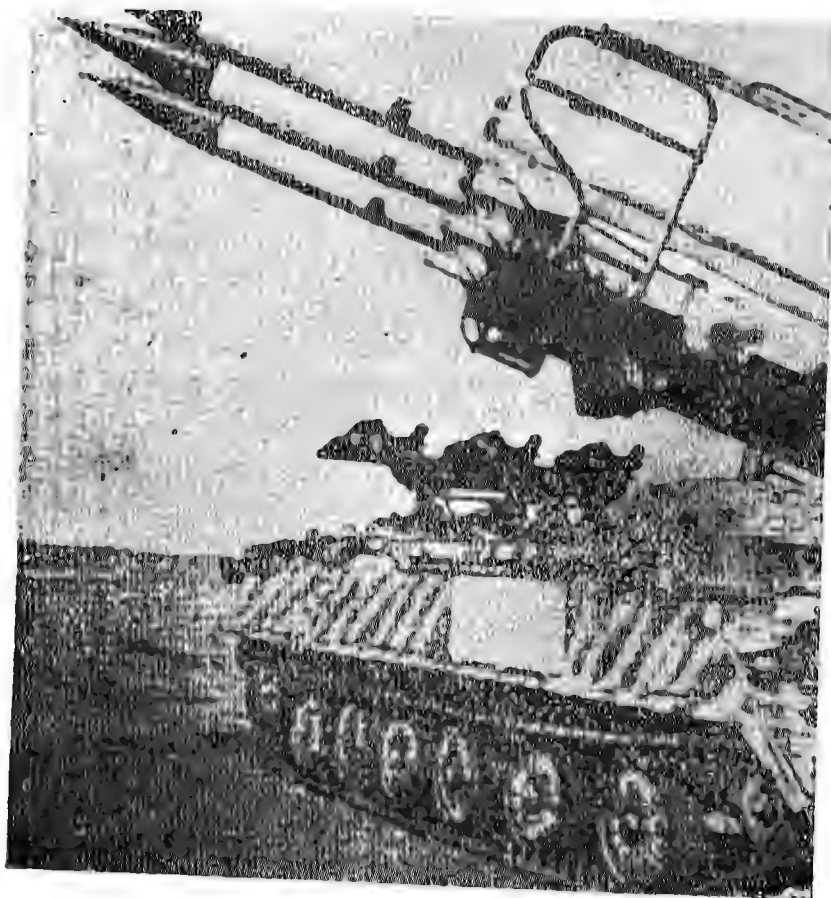
لقد كانت الدبابات الاسرائيلية تستهدف التقدم نحو رؤوس الكبارى المصرية ، وتحاول جاهدة تطويق أجنابها وكانت الخطة المصرية تمضى فى ببطء محسوب لمقاومة كل محاولات جر القوات بعيدا نحو الشرق بغرض تعزيز هذه الرؤوس ، وتحقيق الحماية بالصواريخ فوقها .

وفي اليوم التاسع من أكتوبر أمكن تدمير اللواء المدرع ١٩٠ الاسرائيلى وأسر قائده (عساف باجورى) وهو يمضى فى هذه المحاولات اليائسة ، وكان ذلك بمثابة كسر ذراع إسرائيل التى كانت تهاجم بقوة لواءين مدرعين وكتيبتى دبابات ، ففقدت نصف هذه القوة تماما .

وظلت دبابات العدو خلال الأسبوع الأول للقتال تندفع ارتالها نحو رؤوس الكبارى وتكر عائدة من حيث أتت بعد أن يصاب عدد كبير منها . لقد كان الجنود المصريون لها بالمرصاد . وكانما كانت إسرائيل تهدف الى جر الدبابات المصرية بعيدا عن قواعد لها لتعطيل خطوط امدادها ولكن هذه كانت أكثر التصاقا برؤوس الكبارى لتأمينها ، وكانت قواتنا أكثر ادراكا



وتمزقت الدبابات الاسرائيلية كما يتمزق الورق



دبابة مصرية من حاملات صواريخ « سام 6 »
تقصف طائرات العدو

بأن الهدف هو تحويل المعركة الى بعيد نحو المضائق لكي تبعد القوات عن غطاء الصواريخ .

والحقيقة ان معارك الدبابات أخذت تتطور بالتدريج ، حتى وصلت الى قمته بعد الأسبوع الأول من المعركة . ويمكن القول ان المعركة التصادمية الكبرى بالدبابات تمت يومى ١٤ ، ١٥ أكتوبر عندما حاول العدو (تليين) جانب الجيش الثانى الجنوبى ، لفتح الثغرة نحو المدرسوار .

وهناك حقيقة يجب عدم اغفالها هى أن العدو كُثف من استخدام سلاح الصواريخ المضادة للدبابات عندما أدرك فعاليتها ضده . فقد نفذت الصواريخ الأمريكية على أجنحة مباشرة من العريش ، ونشطت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تقل هذه الصواريخ من حاملات الطائرات التى كانت تقف بحذاء العريش مباشرة الى ميدان القتال . كما نشطت طائرات الهليكوبتر كذلك فى نقل أطقم إطلاق هذه الصواريخ من مكان لآخر بحذاء خط الجبهة الفاصل بين القوات .

ولقد نشطت الاشاعات بأن العدو استخدم العديد من طائرات الهليكوبتر المجهزة للعمل بصواريخ SS 11, TOW المضادة للدبابات . وبذلك دخلت حرب المدرعات فى طور جديد ، اذ أصبحت مقاومتها أسهل من الجو .

ولقد دفع العدو فى اتجاه المدرسوار بسرية من الدبابات البرمائية التى عبرت البحيرات المرة تحت جناح الظلام وتسللت الى مطار المدرسوار المهجور ، وتوالت من بعدها وحدات مدرعات معادية أخرى أحدثت الثغرة التى تركزت على الضفة الغربية للقناة حتى أوقف القتال .

ولقد تسللت مدرعات معادية الى مدينة السويس وحاصرتها ، ولكن جنودنا يساندتهم رجال الدفاع الشعبى ، لقنوا العدو درساً بليغاً هو أن الرجل أكثر تدريعا من الدبابة ، فقد تحطمت على مشارف السويس عشرات الدبابات وأجبرتها على أن تقف خارجها .

لقد انتهت حرب الشرق الأوسط بسيادة الدبابة على أرض المعركة . وانتقلت منها الى الصواريخ . والحقيقة الكبرى أن تكنولوجيا الصواريخ هى حرب المستقبل .



التقى عماد ناجوى باليهود المشرقيين أثناء أسى وصل معهم في أحد معابد اليهود بالقاهرة

الفصل الخامس

جدار الصواريخ

غابة الصواريخ المصرية

منذ عام ١٩٦٧ اعتمدت اسرائيل اعتمادا كبيرا على سلاحها الجوى، وأسمته ذراعها الطويل الذى استطاعت به التسيّد على سماء المنطقة . وبهذا السلاح أخذت تعربد فى المنطقة بلا رادع ، بل أخذت تزيد من قوة هذا السلاح باستخدام أنواع متقدمة من الطائرات كالفانتوم الأمريكية التى نسجت عنها الأساطير لتخويف العرب .

وقبل عام ١٩٦٧ كان الدفاع الجوى عن مصر يعتمد على عدد محدود من المدافع المضادة للطائرات وعدد محدود من الصواريخ تخدمها شبكة عتيقة من محطات الرادار . وكانت قوات الدفاع الجوى تتبع عضويا للقوات الجوية . حتى أخذ قرار عام ١٩٦٩ بفصل هذه القوات وتكوين قوة مستقلة تتمثل فيها مناعة الدفاع . ومنذ ذلك التاريخ والعمل قائم على قدم وساق فى اقامة قواعد للصواريخ لحماية المنشآت الحيوية ، والقواعد الجوية والمطارات ، والمدن وخط الجبهة فوق القناة . ولكى تعمل الصواريخ لا بد من أن تخدمها شبكة من المحطات الرادارية لكى توجه الصواريخ الى أهدافها المعادية وتستطيع توجيه المقاتلات أيضا لاعتراض الطائرات المعادية . ذلك أن الدفاع الجوى يعتمد أساسا على الصواريخ والمقاتلات معا ، وينسق دفاعه على أساس استخدام أيهما فى الوقت الواحد . والحق يقال ان التاريخ لم يشهد حشدا فى اقامة قواعد للصواريخ ، كمثل غابة الصواريخ المصرية التى أقيمت فى منطقة القناة وعلى أنساق متفاوتة . لقد مثل هذا الحشد ، جدار حماية ظللت سماء المعركة الى عمق يقرب من ٢٠ كيلو مترا داخل سيناء . وبذلك كان اقتراب المقاتلات الاسرائيلية منه بمثابة نطح لصخرة عاتية . وكان طيارى المقاتلات المعادية لم يكونوا يصدّقون مناعة هذا الجدار ، فركزوا اغارتهم نحوه ، فأصابهم الدمار وحق عليهم قول الشاعر :

**كنساطح صخرة يومها ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل**

ولقد وقف المعلقون العسكريون أمام مناعة هذا الجدار ، بالدراسة والتحليل للنتائج الباهرة التى أحرزها وجوده . ان الصواريخ (أرض - جو) التى استخدمت بالجدار صواريخ سوفيتية من طراز « سام - ٢ » للتغطية العالية ، « سام - ٣ » للتغطية المنخفضة ، « سام - ٦ » المتحرك على سيارات أو مجنزرات للتغطية الأكثر انخفاضا ، ومثل هذه الصواريخ

تعرفها ترسانات الأسلحة ، ولكنها لم تخص حربا أو تشترك فى معركة فعلية . فمنذ الحرب العالمية الثانية لم يتقارع سلاح الصواريخ بمثل ما حدث فى حرب الشرق الأوسط .

وكتبت مجلة النيوزويك الأمريكية :

(لقد سقطت ثقة اسرائيل فى تفوقها التكنولوجى على العرب ، تماما مثلها تهافت طائراتها بفضل شبكة الصواريخ المصرية العملاقة) .

والحقيقة السافرة ان اسرائيل لم تعط سلاح الصواريخ القدر الكافى من الاهتمام ، كمثل ما أولته مصر . ولكن الواضح أن التقارب بين انساق قواعد الصواريخ المصرية كان من الغزارة الى الحد الذى قلب تكتيكات العدو ، فقد تهافت طائراته كأوراق فى الأيام الأولى للمعركة وقيادته فى ذهل ، وكأنها لم تصدق أن الجدار من المناعة الى هذا الحد . ومع هذه المناعة تبخرت أسطورة الفانتوم التى لا تسقط ، والميراج التى لا تسبق . وبذلك أصبحت قواعدنا الجوية فى مأمن ، لا يستطيع أن يصل اليها الا نزر يسير من الطائرات المعادية ، يتسلل ضمن أسراب يهوى أغلبها الى رمال الصحراء . ومن ثم استطاعت مقاتلاتنا أن تكمل دور الصواريخ فى نسج شبكة الدفاع الجوى المتكامل ، وأصبحت السيادة الجوية لنا فوق سماء المعركة .

لذلك حاول العدو التسلل من منطقة شمال الدلتا حيث تقل كثافة الصواريخ ، اعتمادا على الاقتراب على ارتفاعات منخفضة فوق مياه البحر المتوسط . وخلال يومى ٩ و ١٠ أكتوبر أغارت ٢١٤ طائرة على بورسعيد وصبت فوقها ما يزيد على ١٥٠٠ طن وكان متوسط عدد الطائرات المغيرة عليها خلال الأسبوعين الأخيرين للمعركة بين ٦٠ و ٧٠ طائرة يوميا . ولقد فوجئ العدو فى المعركة بوجود صواريخ « سام - ٧ » التى تطلق من أكتاف الجنود ، وتتعامل مع الطائرات شديدة الانخفاض .

وأصبح الجنود من الحنكة بحيث كانوا يصيبون من الطائرات المعادية فدرا كبيرا بهذه الصواريخ ذات المدى المحدود ، ويجبرون ما يفر منها على الارتفاع لتصبح فى متناول صواريخ « سام - ٣ » ، « سام ٢ » .

وهكذا كسرت مصر ذراع اسرائيل الطويل المتمثل فى قواتها الجوية ، وأصبح لها ذراع أكثر طولا تلطم به هذا الوجه القبيح .

وعندما أدرك طيارو اسرائيل استماتة قوائنا فى الدفاع عن بورسعيد وامدادها أولا بأول بالصواريخ ، عمدوا الى قطع الطريق البرى ، الممتد اليها بالقصف بالقنابل . ولكن ذلك لم يجد فتىلا وظلت المدينة صامدة .



أحد الصواريخ المصرية المحمولة على الكتف

ولا يفوتنا أن ننوه بأن جدار الصواريخ لم يصمم ليظل سماء قناه السويس وحدها ، بل امتد الى مسافة ٢٠ - ٢٥ كيلو مترا داخل سيناء .
ولذلك عملت قواتنا التي تدفقت بعد العبور الى سيناء ، تحت حماية هذا الغطاء الذي ظلل سماء المعركة بالتعاون مع المقاتلات . ولم تجد محاولات العدو في جر قواتنا بعيدا عن هذا الغطاء . ولقد لاحظ الكثيرون أن القوات لم تتدفق شرقا نحو المضائق في الأيام الأولى للمعركة ، والحقيقة أنها كانت وقفة محسوبة ، لها أهدافها . فالتجهيز الهندسي لقواعد الصواريخ يجب أن يتم ، وكان نزاما دفع انساق من الصواريخ الى شرق القناة فوق المعابر وتجهيزها للاطلاق . كل ذلك يقتضى وقتا ويستلزم اعدادا .

والحقيقة التي أدركها العدو أنه لا بد من سلاح جديد يتعامل به مع صواريخ هذا الجدار ، ومن ثم ظهرت فى الأفق الصواريخ الأمريكية جو - أرض من طراز **المافريك** والتي تعمل بالتوجيه التليفزيونى .

وتدافقت هذه الصواريخ باعداد غزيرة مع طائرات الفانتوم الجديدة التي ظهرت فى سماء المعركة لأول مرة بطلانها الفضى وبعضها ليس عليه علامة نجمة داود الاسرائيلية دليلا أنه أتى مع الامدادات الامريكية العاجلة لاسرائيل .

وكان رد جنود مصر بسيطا على هذه القنابل الدقيقة التوجيه ، ردا يعبر عن الذكاء والتصرف . لقد أطلقوا سحب الدخان حول قواعدهم عند اقتراب الطائرات ، فأصبح توجيه صواريخ « المافريك » مستحيلا ، بينما أصبحت الطائرات فى أيديهم .

كما أعمل العدو صواريخ « **شرايك** » الأمريكية ضد محطات رادار الصواريخ ، اذ يوجه اليها من الطائرات عند التقاطه نبضاتها . لكن تقدما الكترونيا استطاع مهندسونا الوصول اليه فى هذا المجال ، عطل أغلب الصواريخ من هذا النوع لاستطاعتهم المناورة بترددات هذه المحطات فى الوقت المناسب .

ان الدروس المصرية المستفادة من حرب أكتوبر فى حقل الدفاع الجوى تعتبر اثراء للعسكرية فى العالم ، لأن الفرصة لم تسنح من قبل لاستخدام الصواريخ بهذه الغزارة . ولم تكن اسرائيل تعتمد فى دفاعها الجوى الا على كفاءة مقاتلاتها الحديثة بجانب صواريخ الهوك أرض - جو .

لذلك ليس بدعا أن نجد أن خلاصات التجربة قد أصبحت من الغزارة الى الحد الذى دفع مصر الى انشاء كلية جديدة للدفاع الجوى ، تستطاع ن تعلم أبناء مصر تجربة لم يشهدها العالم من قبل .

الفصل السادس

معارك البحرية

رجال يفخر البحر بهم

نطل أراضيها على بحرين هما البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، وسواحلنا تمتد الى ما يزيد على ١٦٠٠ كيلومتر ، وعلى الجانب الآخر لا يزيد طول سواحل اسرائيل عن ٤٠٠ كيلو متر .

ومن ثم كان الواجب المنوط بالقوات البحرية المصرية في المعركة ، واجبا تقريبا ينوزع بين مهام متشعبة . تتمثل في تدمير القطع البحرية المعادية . ضرب الموانئ الاسرائيلية وقطع خطوط المواصلات البحرية للعدو . الى جانب الدفاع عن موانئنا وخاصة ميناء بورسعيد الملاصق لخط الجبهة ، وحراسة الشاطئ الشمالى للميناء الذى يمثل جزءا هاما من مسرح العمليات . وبالإضافة الى ذلك كله معاونة الجيوش الميدانية في أعمالها في المناطق الملاصقة للبحر ، مثل منطقة بورفؤاد ، والسويس .

وازاء هذه المهام نجد القطع البحرية المصرية ، تتنوع في أنواعها وخواصها وتسليحها بين المدمرات والبوارج والغواصات ولنشات الطوربيد ولنشات الصواريخ الموجهة والحررة . أضف الى ذلك نوعية خاصة للقوات التى تعمل معها مثل قوات الصاعقة البحرية ، وقوات الضفادع البشرية كل ذلك تسانده المدفعية الساحلية .

وخليق بنا أن نفخر بهذه القوات التى لها تاريخ مجيد في الجولات المصرية الاسرائيلية السابقة .

ففى عام ١٩٥٦ سمع العالم عن جسارة شهيدنا المصرى ، « جلال دسوقي » وشهيدنا السوري « جول جمال » فى معركتهما مع البارجة الفرنسية « جان بارت » التى أغرقت أمام سواحل رشيد . وفى عام ١٩٦٧ سمع العالم ، ولما يفيض على حلول النكسة بالعرب أربعة شهور عن بطولات رجال لنشات الصواريخ المصرية الذين أغرقوا المدمرة الاسرائيلية « أيلات » أمام سواحل بورسعيد .

لقد فاخر الرئيس محمد أنور السادات بذلك ، وأعلن سرا خطيرا فى يونيو ١٩٧٤ ، بأن الصاروخ الذى دمرت به أيلات كان أول صاروخ من نوعه فى العالم بقوله فى حفل للقوات البحرية المصرية : « ان التاريخ

سيذكر لكم أن أول صاروخ أطلق في تاريخ البحرية العالمية كان يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٦٧ حين أطلقت زوارقكم صواريخها على المدمرة ايلات بعد أربعة شهور فقط من الألم والمرارة في يونيو ١٩٦٧ . ومنذ ذلك التاريخ تغيرت الاستراتيجية العالمية وسطر التاريخ ان أول صاروخ بحرى كان مصرىا » .

وللبحرية المصرية أمجاد في حرب الاستنزاف ، تشهد بها موقعة جزيرة شيدوان في البحر الأحمر ، والتي كشفت للوجود عن نوعية الجندي البحري المستهسلة .

وفي يونيو ١٩٧٤ أيضا ، كشف الرئيس محمد أنور السادات عن سر من أسرار الحرب لم يعلن من قبل ، هو أن ساعة الصفر في المعركة كانت بالنسبة لكل القوات الساعة الثانية يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بينما كانت بالنسبة للقوات البحرية وحدها قبل ذلك الموعد بعشرة أيام .

« ان القوات البحرية اتخذت في صمت وفي سرية تامة وفي كفاءة وفي روعة أوضاعها القتالية قبل بدء المعركة بعشرة أيام » .

ذلك أن تحريك القطع البحرية الى مواقعها اللازمة في البحرين الأحمر والأبيض كان يستلزم وقتا . ويقتضى تحميلها بالألغام والصواريخ أعدادا .

ولقد كانت ضربة استراتيجية من الدرجة الأولى قيام القطع البحرية المصرية باغلاق خليج « باب المندب » في أقصى جنوب البحر الأحمر منذ بدء المعركة . لقد تحركت اليه القطع البحرية المصرية من مدمرات وغواصات قبل ساعة الصفر بعشرة أيام . ووفقا لاحكام خطة الخداع كان الاعلان بالقيام بمناورات الخريف السنوية ، وتوجه احدى الغواصات الى باكستان للاصلاح ، وقيام احدى المدمرات بزيارة ودية لليبيا .

لقد كان ذلك ضربة موجهة الى اسرائيل لخنق خطوط امدادها من أقصى جنوب البحر الأحمر ، وخاصة بترول ايران الذي يتدفق اليها عبر هذا البحر الى ميناء ايلات . وبالتالي كان ردا عمليا على تبجح القادة الاسرائيليين الذين ركبهم الغرور بامتلاك الفانتوم فأعلنوا أن البحر الأحمر أصبح بحيرة اسرائيلية . هكذا خنق البحر الأحمر من مدخله ، وأصبح بحيرة عربية . وتمخرت استراتيجية شرم الشيخ المغالى فيها من جانب العصاة الصهيونية ، بالنسبة للملاحاة في خليج العقبة وانتقلت الى أقصى الجنوب في باب المندب .

وبهذه الحركة أيضا ، توقفت التجارة الاسرائيلية المتسللة الى افريقيا حيث سد أمامها المنفذ الوحيد اليها • وبذلك قضت مصر على حجة اسرائيل فى ان تسيطر على مضائق تيران وشرم الشيخ ، وهما يمتلان أمرا حيويا لتأمين ملاحتها البحرية عبر البحر الأحمر •

وما بدأت المعركة حتى قام عمالقة البحرين الأبيض والأحمر بأروع أدوارهم والتى نوجز تسجيل أهمها فى النقاط التالية :

✳ عملت القوات البحرية فى معاونة الجيوش الميدانية ، ففي القطاع الشمالى قامت القطع البحرية بقصف النقطة الحصينة شرق بورفؤاد •

✳ كما قامت بقصف التجمعات المعادية فى « رمانة » ، و « راس برون » ، بشمال سيناء ومناطق شرم الشيخ « و « رأس محمد » • و « رأس سدر » ، « ورأس مسلة » ، بالبحر الأحمر •

✳ ادارت البحرية المصرية معركة بحرية طاحنة بين البرلس ودمياط يومى ٨ ، ٩ أكتوبر ١٩٧٣ بقطع لنشات الصواريخ بحر - بحر تلاحمت فيها مع ثمانية زوارق اسرائيلية أغرقت منها أربعة •

✳ فى ليلة ١٥/١٦ أكتوبر التحمت البحرية مع داورية مكونة من أربعة لنشات اسرائيلية حاولت التسلل الى ميناء الاسكندرية ، فاصطادتها بحذاء خليج أبى قير وأغرقت منها لنشين وأعطبت لنشاً ثالثاً تعطل أمام رشيد • وأمكن التقاط صاروخ جبرائيل كامل اسرائيلى الصنع من حطامه •

✳ أغرقت سفينة تجارية اسرائيلية قرب مرفأ بورسودان بواسطة غواصة مصرية فى البحر الأحمر • وأعطبت سفينة انزال جنود أمام شاطئ بورسعيد •

✳ قامت الضفادع البشرية باغراق حفار فى مرسى نلمت يعمل فى التنقيب عن البترول فى البحر الأحمر • وكذلك كان الشأن بالنسبة لآبار بلاعيم للبترول حيث تم تعطيل الحفار الذى يعمل به •

- * جنوبى مدخل خليج السويس ، كانت البحرية قد ثبتت أعدادا غزيرة من الألغام البحرية ، تسببت فى اغراق عدد (٢) حاملة بترول أولها السفينة « سيروس » الاسرائيلية وحمولتها ٤٦٠٠٠ طن ، والثانية قطعة صغيرة حمولتها ٢٠٠٠ طن . وهما تحاولان فهب بترول آبار بلاعيم .
- * أغارت قوات الصاعقة البحرية على مناطق « أبو درية » فى خليج السويس والشيخ « بيتان » جنوب مدينة الطور .
- * لم تكن اللنشات الاسرائيلية تستطيع العمل الا تحت غطاء جوى يحميها وخلال معارك اللنشات تمكنت المدفعية البحرية من اسقاط ١٢ طائرة هليكوبتر معادية . بينما تمكنت مقاتلاتنا من طراز ميج ٢١ من الاجهاز على بعض طائرات الحماية الأخرى وأجبرت كثيرا منها على الفرار .

الباب الثالث

الجبهة في الشرق

تخطيط مسبق

بدأت الحرب على الجبهة السورية فى نفس الوقت الذى بدأت فيه على جبهة قناة السويس ، تطبيقا لأمر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية « الفريق أول أحمد اسماعيل » • وتنفيذا لأوامر القيادتين السياسيتين فى الدولتين سوريا - مصر • وفى اطار التعاون داخل دول اتحاد الجمهوريات العربية •

ولقد كان الهدف الرئيسى بلا شك فى تنسيق العمل بين الجبهتين • هو حصر العدو بين شقى الرحى لتشتيت قواه ، وضغطه بين فكى الكماشة • واجباره على توزيع قواته ومجهوده الجوى بين جبهتين متباعدتين •

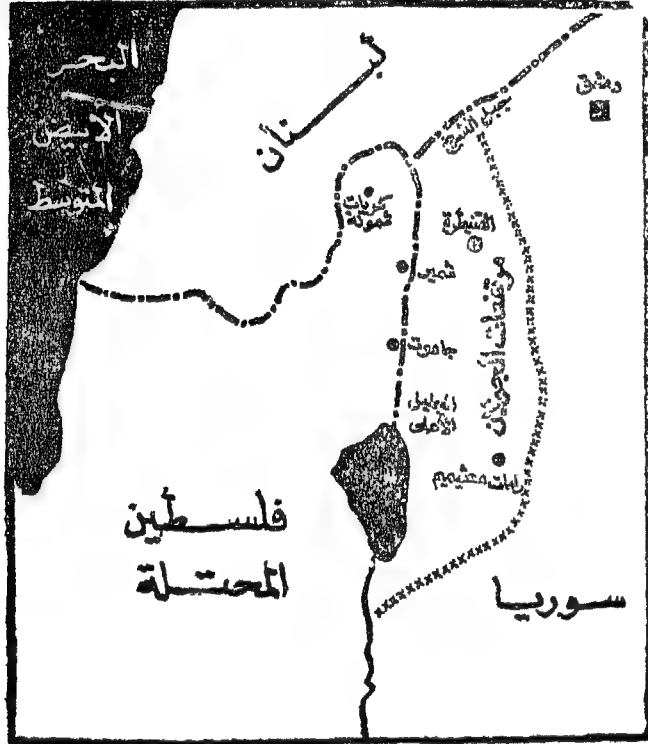
ولا شك أن تخطيطا مسبقا قد تم بين مصر وسوريا فى مجال تنسيق العمل لوضع الخطة ، واحكام عناصر المفاجأة ، فتحققت كاملة على كلا الجبهتين • والمتتبعون لمراحل العمليات يلحظون عناصر تشابه كثيرة بين هذه العوامل فى كلا الجبهتين • وان كانت العمليات فى سوريا قد انفردت بصور وخصائص مميزة •

عوامل معنوية

ويرجع القتال على هذه الجبهة الى عدة أسباب وعوامل • ذلك أن هضبة الجولان محتلة منذ نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ومن قبل هذه النكسة لم تكن اسرائيل تخفى اطماعها فيها، نظرا لموقعها المرتفع المطل على المستعمرات الواقعة شمال الأرض المغتصبة ، ولكونها موقعا استراتيجيا هاما يطل على وادى الأردن •

وهى بالنسبة لسوريا فوق انها أرض سلبية ، تستوجب كل مقومات الكرامة استردادها مهما غلا الثمن فانها أرض خصبة لها خيراتها ، ولها زراعتها وبها مدن وقرى أهلة بالسكان •

وهي غنية بسهول صالحة للزراعة ، يشقها في الجنوب نهر اليرموك وينتهي بها فرع نهر بانياس في الشمال ، وتحف بها بحيرتا طبريا ، والحولة في الغرب ، حيث يهدر نهر الاردن ، وتنحدر بعده الأرض نحو المستعمرات الاسرائيلية المتكاثفة في شمال فلسطين المحتلة .



الجبهة الشمالية في المرتفعات السورية

أهمية هضبة الجولان

كما تتمثل أهمية الجولان بالنسبة لسوريا في كونها خط الدفاع الأول عن العاصمة دمشق التي لا تبعد عنها غير ٤٠ كيلو مترا والتي لا يزيد بعدها عن خط الحدود الفاصلة مع الأرض المحتلة عن ٧٥ كيلومترا . وهي تضم واحدة من أهم المدن السورية القنيطرة ، التي عمل العدو على أحكام يده عليها امعانا في الضغط معنويا على السوريين .

ونتميز هضبة الجولان بشكل أقرب ما يكون الى كونه مسنطولا ذا طول يبلغ ٧٠ كيلو مترا ، وعرض ٢٥ كيلو مترا ، وتنحدر من حافتها الغربية نحو فلسطين ومن جانبها الشرقى بسهول الاردن حتى دمشق . وهي مرتفعة في الشمال حيث جبل الشيخ ، ومنبسطة الى حد ما في الجنوب حيث وادي نهر اليرموك ، وتتخللها وديان غائرة يصل عمق بعضها حتى ١٥٤ مترا .

ونرجع الأهمية الاستراتيجية للهضبة الى سببين رئيسيين . أولهما أنها موقع حاكم تلتقي فيه حدود الأردن وجنوب لبنان بالإضافة الى الافضاء الى السهول المنتهية بدمشق . ومن ثم فهي تفضي الى حيث تمرركز الفدائيون الفلسطينيون في جنوب لبنان ، وإلى حيث يقف الجنود الاردنيون كاحتياطي لقوات المعركة في حدود الاردن مع سوريا . وثانيهما أن الطبيعة الصخرية الوعرة للمنطقة ، تضم ذروة جبال مرتفعة شديدة التضاريس ، يشمخ فيها جبل الشيخ أو (حرمون) الى ارتفاع ٢٨٠٠ متر . بينما تمتد في باقى الهضبة مرتفعات تتراوح بين ١٠٠٠ ، ٥٠٠٠ متر . لذلك فهي نطل على المستعمرات الاسرائيلية الشمالية بما لا يقل عن ٣٠٠ متر ، حيث يمكن أن تصلها بنيران المدافع ، وتدمرها بالصواريخ .

ولقد استغلت اسرائيل احتلالها لهضبة الجولان منذ حرب يونيو ١٩٦٧ وقامت بتجهيزات هندسية تزيد من مصاعب استرداد السوريين لها . فقد عمدت الى حفر خندق صناعي بحذاء الحدود الشرقية لخط وقف اطلاق النار وبطنته بالاسمنت المسلح ، يبلغ طوله ٣٠ كيلو مترا عرضه ستة أمتار بينما يغوص عمقه الى أربعة أمتار ، وذلك لاعاقبة تقدم المدرعات .

كما أقامت اسرائيل مرصداً عالياً فوق جبل الشيخ ، بلغت قممه الظاهرة ثلاثة أدوار ، بينما يغوص بعمق ٤٠ متراً في الصخر ، وحصنها على غرار دشم خط بارليف ليكون منيعاً يقاوم القصف ويحوى الاسلحة الثقيلة . ولتطل منه أجهزة المراقبة فتكشف أية تحركات عبر سوريا وفي سهول لبنان .

ولقد كانت الهليكوبتر التي تعمل كخط مواصلات بين اسرائيل وهذه النقطة العالية للمراقبة ، تشهد بوضوح من دمشق .

كما عمدت اسرائيل الى حفر بعض خنادق عميقة في انساق الجبهة ، زودتها بخزانات النابالم كمثل تلك التي كانت مقامة على حافة قناة السويس ، لتقلب هذه الخنادق الى أتون مشتعل يعوق كل تقدم .

ولقد أملت طبيعة الجولان الصخرية الوعرة ، على الجيشين السوري والاسرائيلي ، قيودا خاصة على الحركة ، جعلت الاعتماد الأول على المدرعات والمجنزرات تحت غطاء جوى ، حيث تصعب الحركة ، ويعز وجود الأرض المفتوحة لذلك شهدت هذه الرقعة الضيقة والتي لا تتجاوز مساحتها ١٢٠٠ كيلو متر مربع نزالا بين آلاف الدبابات فاقت في عددها ما استخدمه رومل ومونتجمري في حرب العلمين بكثير .

حيث دفعت سوريا بما يقرب من ١٤٠٠ دبابة في أول أيام المعركة وزاد عددها بعدة مئات بوجود التعزيزات العراقية . وقابلتها اسرائيل بعدد يقرب أن يكون مماثلا .

وفى ميزان القوى تقدم سيل منهمر من الجنود السوريين ، يؤازرهم اخوة مغاربة وقوات جيش التحرير الفلسطيني فاكثسحوا خط الجبهة الفاصل ، ومضوا كالطوفان المندفع في شتى الاتجاهات يخلصون الأرض من غاصبيها .

وبعد أيام من بدء المعركة لحقت قوات عراقية ، بالجبهة تقود الآليات وتوجه المدافع وتنقض بالطائرات .

المحاور الثلاثة

ويمكن القول بأن العمليات قد تمت على ثلاثة محاور رئيسية عبر الجبهة هي المحور الشمالى ذو المرتفعات والجبال العالية . والمحور الأوسط الأقل ارتفاعا ، وأهم المحاور عسكريا واستراتيجيا . والمحور الجنوبي المنبسط نحو سهول نهر اليرموك المنتهية في الأراضي الاردنية .

وترجع أهمية المحور الأوسط الى كونه أقصر هذه المحاور بعدا عن دمشق . ولأنه يفضى الى مدينة القنيطرة التى استقطبت كثيرا من اهتمام السوريين لاستردادها ومن عناد الاسرائيليين امعانا فى النخطيم المعنوى لعدم استثمار السوريين للنصر . ولقد شهد القطاعان الأوسط والشمالى لعبة الدفع والجذب بين السوريين والاسرائيليين ، فى هجوم سورى مكثس وهجوم اسرائيلي مضاد . بينما لم تكثف كثير من المعارك فى القطاع الجنوبي .

ولقد كان هدف اسرائيل الحقيقي ، فى التركيز على القطاع الأوسط من جبهة الجولان بالذات هو محاولة الاقتراب من دمشق ، أو الدخول اليها .

خصائص المعركة

ولقد أتت المعارك السورية ملحمة للبطولات ، وشاركت فيها كل أسلحة القوات المسلحة حيث هاجم السوريون بما يكاد يقرب من ربع مليون جندي بين سورى ومغربى ثم عراقى .

والمتنبعون للمعركة السورية ، يمكنهم تقسيمها الى ثلاث مراحل مختلفة ، تدرجت من الهجوم السورى المكثسح ، الى الهجوم الاسرائيلى المضاد الى مرحلة التوازن بين القوتين التى انتهت بوقف اطلاق النار .

وتجدر الاشارة الى ملامح خاصة وضحت خلال مراحل المعركة فأضيفت عليها طابعا خاصا هى :

- ان السوريين والمغاربة ناضلوا فى استبسال ، عبر عنه اكتساحهم للجبهة فى الايام الأولى للمعركة وقد احتفظوا بروح معنوية عالية ، أكسبت معاركهم ضراوة وشراسة بهرت جنود العدو وقادته .

- بينما على الجانب الآخر كان الاسرائيليون قد أخذوا بعنصر المفاجأة ، وفقدت القيادة الاسرائيلية توازنها ، وتوزعت قواها بين جبهة قناة السويس والجولان معا . فأجبرت اسرائيل عددا من الطيارين المرتزقة لدخول المعركة قسرا . ووضح ذلك عندما سقط بعض هؤلاء الطيارين ووجدت جثثهم مقيدة بالسلاسل الى مقاعد الطائرات حتى لا يتعجلوا القفز منها أمام جدار الصواريخ السورية .

- ان المعركة بلغت حدا كبيرا من الضراوة الى الحد الذى دفع اسرائيل الى ضرب الأهداف المدنية فى محاولة لانهاؤها ، ولتحويل المعركة عن الجبهة الى الداخل ، مع شل الاقتصاد السورى . وذلك حتى تفرغ من هذه الجبهة وتركز على العمل فى جبهة قناة السويس .

ومن ثم فقد عمدت الى ضرب أغلب الموانى السورية فى اللاذقية وطرطوس ومصافى البترول والاحياء السكنية فى دمشق وحمص وبانياس .

١١



الدبابات العراقية كان لها دور بطولى خارق فى الجبهة السورية

وكان الرد السورى حاسما حيث قصفت المدفعية السورية المستعمرات الشمالية لاسرائيل ، والواقعة أسفل جبهة الجولان . كما عمدت سوريا الى توجيه بعض الصواريخ أرض - أرض الى بعض هذه المستعمرات فأصلتها وابلا من حممها واضطرت سكانها الى الرحيل عنها . كما قصفت الطائرات السورية مصافى البترول، فى حيفا .

- ان الخسائر على الجانب الاسرائيلى فاقت كل تصور ، فقد خسرت اسرائيل خلال ثلاثة أسابيع ما يقرب من مائتى طائرة ، وستمائة دبابة وثلاثة آلاف رجل فضلا عن جرح ما يقرب من عشرة آلاف .

ولقد أوجع إسرائيل الحسارة الضخمة فى اعداد الطيارين ، فقد أبليت المقاتلات السورية بلاء حسنا فى صد الغارات الاسرائيلية ، كما كان جدار الصواريخ السورى فعلا ، بحيث تساقط الطيارون

الاسرائيليون بالعشرات كل يوم . ولقد تهكم أحد المراسلين الحربيين على ذلك بقوله « هذه أول مرة في التاريخ ، يجد فيها الطيار الهابط بالمظلة ، احتفالات ضخمة لاستقباله » . فقد اعتاد شباب دمشق وضواحيها تتبع هؤلاء الطيارين وانتظارهم وهم هابطون في الجو .

-- ان الوحدة العربية تجلت في صورة طيبة أزاء المعركة السورية ، فقد شارك فيها منذ أولها جنود مغاربة الى جانب اخوانهم السوريين والفدائيين الفلسطينيين ثم ما لبثت القوات العراقية أن انضمت الى الصراع وشاركت فيه مشاركة فعالة بالمشاة والمدركات والطيران بينما وقفت قوات من السعودية وقوات من الأردن الشقيق على أهبة الاستعداد على حدود الأردن مع سوريا ترقبا لتطورات الموقف .



مراحل الصراع

واذا ما تتبعنا مراحل الصراع الثلاث فان المرحلة الأولى كانت كلها في صالح الاخوة السوريين ، وانتهت باكتساحهم لعدة مواقع على المحاور الثلاثة . وقد بدأت هذه المرحلة في الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر المجيد ، وبدأت على غرار ما تم على جبهة القناة بضربة جوية مركزة قامت بها أكثر من مائة طائرة قاذفة - مقاتلة دكت الأهداف الاسرائيلية في هضبة الجولان المحتلة .

وعاونها الف مدفع في توجيهه وابل من النيران قلبت خط الجبهة الى جسيم مستعر ، وقامت بتمهيد النيران ، للقوات البرية وفي أثر ذلك

صاروخ سورى ينفجر بطائرة العدو

اندفعت جموع من المهندسين والمشاة والمغاوير (الصاعقة السورية) مهدت لوضع الكبارى الهيدروليكية فوق الخنادق الاسرائيلية . فحاصوا معارك تميزت بالتلاحم بالسلاح الأبيض ، وانقنابل الشديدة الانفجار . وأفلح هؤلاء فى اكتساح انساق الخنادق وتمهيد المعابر لعدد ١٢٠٠ ألف ومائتى دبابة تدفقت على المحاور الثلاثة للهجوم السورى .

بينما تم فى نفس الأونة اسقاط جوى فى عمق الجولان، وتركز حول المرصد المرتفع فوق جبل الشيخ ، فدعم القوات المعادية التى كانت تحتله وجعل المرصد مقبرة لهم واستولى عليه المغاوير السوريون بعد قتال وحشى ، تم شبرا بشبرا .

واندفعت قوات المشاة المحمولة على المجنزرات الى شتى المواقع الاسرائيلية فاكنتسحتها وأصبحت القوات السورية على مشارف القنيطرة نطوقها . ومنيت القوات الاسرائيلية بخسائر كبيرة فى المدرعات والمشاة . ورغم تركيز غطاء جوى اسرائيلى كثيف على الجبهة فان المقاتلات السورية حرمت العدو ميزة السيطرة الجوية ، وفقد العدو فى الأيام الأولى لهذه المعركة الكاسحة عددا كبيرا من الطائرات .

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة الهجوم الاسرائيلى المضاد فقد بدأت بعد خمسة أيام من بدء الحرب ، وقام فيها العدو بهجوم مضاد محموم . وركز هذا الهجوم على المحور الأوسط هادفا مع السوريين من التقدم للاستيلاء على القنيطرة وفى نفس الوقت عامدا الى التهديد المعنوى باحتلال دمشق حيث لا تبعد أكثر من ٤٠ كيلو مترا من أقصر الطرق اليها .

ولقد عزز العدو سبل مدرعاته المتدفق ، مستغلا تكثيف الغارات الجوية على المواقع التى احتلتها القوات السورية . ولقد وضع أن هذه القوات لم تكن قد أخذت فرصة الوقت الكافية بعد النضال المبرير الذى خاضته لكى تدعم تجهيز مواقعها ، كما أن تدفقها نحو الغرب كان قد أبعداها عن غطاء الصواريخ أرض - جو التى لم تستطع ملاحقة الهجوم بتغير مواقعها ، حيث يستلزم التجهيز الهندسى لها وقتا أطول .

ولقد لحقت القوات العراقية بالقوات السورية خلال هذه المرحلة . وجد السوريون والعراقيون معا فى ايقاف حدة الزحف الاسرائيلى ، وخسرت اسرائيل عديدا من الدبابات .

وما أتى يوم ١٤ أكتوبر حتى كان الزحف الاسرائيلى قد أجبر على التوقف .

غير أن السوريين عاجلوا في اليوم التالي بهجوم مرير نان اسسنجر. ثلاثة أيام ودارت رحى حرب طاحنة بين أكثر من ألفي دبابة تركز أغلبها في القطاع الشمالي وبعضها في القطاع الأوسط .

أما المرحلة الثالثة فقد بدأت بعد أن ظل القتال مستعرا احد عشر يوما كاملة . فقد بدأ العدو في تكتيف امداداته من الدبابات بنعريزات أتت اليه من أمريكا فأفلح في فتح « ثغرة » في الخطوط السورية . ودار قتال مرير حول جبل الشيخ استرد العدو فيه نقطة المراقبة .

واستمر المد والجزر بين القوتين تحت مساجلات بالمدفعية والصواريخ وواضح ان اسرائيل ارهقت في هذه المرحلة بقدر كبير ، وكانت خسائرها في المدرعات والطائرات قد فاقت كل تصور .

بينما كانت القوات السورية والعراقية تحرر المواقع شهرا شهرا . وما أتى قرار وقف اطلاق النار الا وكانت الحدود الفاصلة بين القوات مختلطة الى الحد الذي دفع كيسنجر الى وصفها بأنها مائعة . ولكن النتيجة العامة أن خط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ قد تغير في الشمال وفي الوسط والجنوب . حيث انبجج لمسافة عشرة كيلو مترات في القطاع الأوسط بعذاء القنيطرة ، بينما انحسر الى الداخل بتحرير السوريين في القطاع الجنوبي بشرط طويل يمتد أكثر من ٢٠ كيلو مترا وبعمق خمسة كيلو مترات .

وبتعبيرات الدبلوماسية ، نعت المراقبون هذا الانبجج والانحسار ، بأنه ضرب من التوازن . ووصف آخرون الموقف بأن سوريا كسبت المعركة ولكن بالنقط .

ولقد دارت بعد ذلك معركة سياسية حامية الوطيس بين سوريا واسرائيل ، كان فرس الرهان فيها كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية لفك الارتباط بين قواتهما واضطر للانتقال بين عاصمتي الدولتين ما يقرب من ٣٤ مرة .

القسم الثالث

الجولات العربية الاقتصادية

ضربة البترول

رأس المال العربي

« الفاضات البترولية »

الأرصدة العربية

قناة السويس

الباب الأول

ضربة البترول

كل نقطة من البترول
تساوى نقطة من الدم
« كليمانصو »

البتروول والسياسة

بعد الحرب العالمية الأولى ، تمكنت بريطانيا وحلفاؤها من بسط نفوذهم على منطقة الشرق الأوسط ، حيث يوجد القسم الأكبر من منابع البتروول العربى . وقد اتسمت سياسة الاستعمار فى هذه المنطقة من العالم ، بالمحافظة - أولا وقبل كل شىء - على الامتيازات البتروولية . وذلك عن طريق تجزئة العالم العربى وتفتيت قواه وعرقلة نهضته الاقتصادية والسياسية .

فقد أثارت بريطانيا ، العرب ضد الأتراك ، فتمكنت بذلك من السيطرة على الدول العربية وتوصلت الى منابع البتروول العربى . ولكى تؤمن استغلالها لهذه المنابع لجأت بريطانيا الى سياسة « فرق تسد » ، فعمدت الى خلق دويلات عربية مستقلة ارتبطت معها بانفاقيات امتياز طويلة الأمد . وتدخلت عسكريا تحت ستار حماية استقلال الدول المنتجة للبتروول . وحرصت تماما على أن تبقى هذه الدول بعيدا عن تيارات الدولة العربية الموحدة . كما وقفت بريطانيا والاستعمار الغربى ، فى وجه حركات التحرر العربى ، وقيام الوحدة العربية ، باعتبارها تهديدا لامدادات الغرب وتمويله بالبتروول .

وأصبح واقعا ، بعد الحرب العالمية الأولى ، ارتباط التاريخ السياسى للوطن العربى ، بتسابق الشركات الكبرى ، والدول التى تساندها ، لأحكام السيطرة على مصادر النفط العربى واستغلالها . بل ان خريطة الوطن العربى ، قد رسمت على ضوء تقسيم الدول العربية الى مناطق نفوذ تتبع المصالح البتروولية الغربية .

وقد جاء قيام دولة اسرائيل فى قلب المنطقة ، نتيجة طبيعية لمصالح الاستعمار البتروولية ، فقد ساعدت على قيامها الدول الغربية الكبرى . المسيطرة على صناعة البتروول فى الوطن العربى . وهى نفسها التى أصدرت البيان الثلاثى (عام ١٩٥٠) لضمان وجود اسرائيل والتى كانت - وما تزال - تمد اسرائيل بالسلاح وبكافة وسائل الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى . فأصبحت اسرائيل بذلك ، حليفا طبيعيا للنفوذ الغربى فى المنطقة ، وقاعدة عسكرية أجنبية ، يستعملها الغرب لضرب الحركات التحررية فى العالم العربى واضعاف قوته ، واحكام السيطرة عليه واستنزاف ثرواته البتروولية .

كما ساعد قيام اسرائيل . على استقطاب اهتمام الراى العام العربى ،
حول القضية الفلسطينية واستنزاف طاقاته فى النزاع العربى الاسرائيلى ،
واطلاق يد الشركات البترولية ، لممارسة نشاطها وفق مصالحها .

وهكذا عزلت قضية البترول عن محور السياسة العربية ، على الرغم
من أنها حجر الزاوية فى سياسة الدول الغربية فى الدول العربية ، ومن
ارتباطها الوثيق بالقضية الفلسطينية .

وعليه ، فانه لا يمكن بأى حال ، تجاهل معالجة موقف اسرائيل
بمعزل عن قضية البترول ، لارتباط السبب بالنتيجة . وكل نىء عدا
ذلك ، فانما قصد به اقضاء الراى العام والمسئولين العرب ، عن الوضع
الراهن لاستثمارات ترواتهم البترولية والهاثهم بالمهانرات السياسية
العقيمة .

وبذلك ، أصبحت حياة وقوة العالم العربى . مرتبطة بالبترول .

البترول يحدد مواقف الدول

ويختلف موقف الدول من النزاع العربى الاسرائيلى ، باختلاف نظرة
كل دولة منها ، الى أساليب تأمين مصالحها البترولية ، فى الدول العربية .

وينعكس هذا الاختلاف ، على سياسة الدول الغربية تجاه العالم
العربى ، وتبرز أهمية الدور الذى لعبه ويلعبه البترول العربى فى التأثير
على السياسة الغربية .

وعلى الرغم من أن بريطانيا وأمريكا ، كانتا من الدول التى تمتعت
حتى الآن بأوفى نصيب من امتيازات البترول . إلا أنه من المشاهد ،
أنهما كانتا دوماً من أشد الدول تحيزاً مع اسرائيل .

على عكس ايطاليا وأسبانيا وألمانيا الغربية واليابان . وكلها قد
باشرت فى الماضى القريب ، نشاطها البترولى فى منطقة الشرق الأوسط ،
وتحتاج باستمرار الى كميات متزايدة من البترول العربى لسد حاجتها
الاستهلاكية ، فتتخذ هذه الدول مواقف ودية أو حبادية أو على الأقل أخف
عداء من أمريكا وبريطانيا .

أما فرنسا فقد انتهجت سياسة مماثلة لسياسة بريطانيا ، واشتركت
الى جانب اسرائيل وبريطانيا فى العدوان على مصر (عام ١٩٥٦) . إلا

أنها عقب عودة الجنرال « ديجول » الى الحكم (عام ١٩٥٨) فراجعت عن موافقتها ، بعد أن رأت أن سياسة القوة التي مارسها ضد مصر والجزائر ، لا يمكن أن تؤمن مصالحها البترولية .

البترول العربي والمصالح الأمريكية

أنشاء انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر (٥ سبتمبر ٧٣) .
أدى الرئيس الأمريكي « نيكسون » بتصريحات ، قصد بها تخويف العرب ومجموعة الدول المصدرة للبترول المشتركة في المؤتمر . الا انه قد جانبه التوفيق ، فقد ازداد تمسك العرب بسياساتهم ، ومعهم أصدقاؤهم من دول المعسكر الثالث .

ونحتاج أمريكا ، الى ما يعادل ٨ ملايين برميل من البترول يوميا من الحقول العربية . اذ أنه لا يوجد مكان في العالم ، يمكنه توفير هذه الكميات في الوقت الحاضر ، غير الدول العربية . وتبلغ نسبة استيراد أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان وبلاد الشرق الأقصى ، لبترول العرب والشرق الأوسط ، ما مقداره ٧٢٪ من صافي وارداتها من البترول .

وسوف يستمر الاعتماد الرئيسى للعالم ، في مجال الطاقة ، على البترول ، خلال الفترة المتبقية من السبعينيات . اذ أنه ليس من المنتظر ، دخول وسائل الطاقة النووية ، في مجال التنافس لمصادر الطاقة الأخرى ، قبل الثمانينات بل ويحتمل ذلك في التسعينات . وذلك لأن الأمر سوف يحتاج الى أموال ضخمة لتغيير الأساس الكلى لجميع وسائل الامداد بالطاقة القديمة . ومن ثم سيبقى بترول الشرق الأوسط هو المصدر الأساسى لاستهلاك العالم .

وتضم الدول العربية في أراضيها ، النسبة العظمى من احتياطي البترول العالمى ، في الوقت الذى يتزايد فيه اعتماد العالم - خاصة أوروبا الغربية واليابان ، بل وأمريكا نفسها على البترول العربى .

فمخزون البترول الموجود في جوف الأرض العربية ، يمثل ٦٢٪ من مخزون البترول العالمى ، خارج دول المعسكر الشرقى .

وتعتمد دول غرب أوروبا على البترول العربى ، في ٧٠٪ من استهلاكها . كما أن اليابان تعتمد عليه في أكثر من ٨٥٪ من استهلاكها .

وتتزايد أهمية البترول العربى مع السنين ولا تتناقص . لأن المخزون في أمريكا ذاتها يقل ، ولأن الاستهلاك العالمى للبترول ، يزيد

بمعدل اكبر من معدل الاكتشافات البترولية الجديدة ٠٠ يضاف الى ذلك .
أن تكاليف استعمار البترول العربى أقل بكثير من تكاليفه فى أى مكان
آخر من العالم .

هذا بجانب ما نؤثر به العائدات البترولية ، على الاقتصاد الأمريكى ٠٠
اذ أن معظم الاحصائيات العالمية ، تشير الى أن أرباح أمريكا من البترول
هى أهم من أرباحها فى جميع أنواع استثماراتها فى العالم الخارجى ٠٠
ففى نمتل ٣٣٪ من كل استثمارات أمريكا المباشرة فى العالم الخارجى .

ويشكل البترول العربى نسبة تتراوح ما بين ٢٠ - ٢٥٪ من
مستوردات أمريكا البترولية ٠٠ أو ما يعادل مليون برميل فى اليوم من
البترول الخام . ومعنى الحظر الفعلى ، هو حرمان أمريكا من هذه النسبة .

وفى احصائية نسبية أمريكية ، نجد أن المستوردات البترولية
الأمريكية حتى نهاية ١٩٧٣ تبلغ حوالى ١٣٠ مليون برميل شهريا ،
توزيعها كالتالى :

<u>المصادر</u>	<u>مليون برميل</u>
كندا	٧١٠٠٠٠٠٠٠
فنزويلا	٢١٨٣٧٠٠٠
نيجيريا	١٨٠٧٧٩٠٠٠
أندونيسيا	٨٠٤٣٧٠٠٠
إيران	٧٠١٤٦٠٠٠

<u>الدول العربية</u>	
السعودية	١٩٠٧٩٤٠٠٠
الكويت	٢٠٢٨٩٠٠٠
مصر	١٠١٤٢٠٠٠
ليبيا	٦٠١٣٥٠٠٠
الجزائر	٥٠١٣٦٠٠٠
دولة الامارات	٣٠١٠٢٠٠٠
تونس	٩٩٣٠٠٠
عمان	٤٥٠٠٠٠
العراق	٣٤٣٠٠٠
قطر	١٦٣٠٠٠

هذا عدا المشتقات البترولية المتفرعة التي تستوردها أمريكا ، والتي تشكل ٣٠٪ من مجموع المستوردات ٠٠ والجزء الأكبر من هذه النسبة من مصادر عربية .

ونشير دراسة معهد « أنتربريز » الأمريكي لبحوث السياسة ، أن البترول العربي ، يؤثر في حياة عدد لا يحصى من الأمريكيين :

« فهناك آلاف الأمريكيين العاملين في شركات البترول ذاتها ، وفي معامل التكرير وشركات النقل جوا وبحرا ، والبنوك والخدمات التي قامت وتمارس نشاطها بسبب البترول ٠٠ ثم هناك ملايين الأمريكيين ، من حملة الأسهم في هذه الشركات كلها ، وكلهم لهم مصالح هامة في العالم العربي . لا يعرفون قدرها » .

والمصالح الأمريكية في البترول العربي ، تعتبر مصالح ضخمة ولها أبعاد عميقة اقتصادية وسياسية واستراتيجية ٠٠ هي وان كانت مصدر قوة في الحياة الأمريكية ، إلا أنها قد أثبتت في ذات الوقت ، أنها أسلحة عربية للضغط على أمريكا .

وتتمثل المصالح الأمريكية في الآتي على سبيل المثال :

- يشكل انتاج شركات البترول الأمريكية ، نسبة ٦٠٪ من اجمالي الانتاج العربي .
- تتركز المصالح الأمريكية البترولية ، أساسا ، في الدول العربية الكبرى المنتجة للبترول (السعودية ، الكويت ، ليبيا) ٠٠ وتمثل تلك المصالح شركات بترول أمريكية أهمها خمس شركات (أسو ، موبيل ، جلفا ، تكسناكو ، سوكال) .
- تحقق شركات البترول الأمريكية من البترول العربي ، أرباحا طائلة في مرحلة انتاج الخام (قدرت بنحو ١٦٠٠ مليون دولار) ٠٠ وذلك نظرا لقلّة رأس المال المستثمر في البترول العربي . علاوة على ما تحقّقه أمريكا من أرباح طائلة من البترول العربي ، في المراحل المتعاقبة بعد مرحلة الانتاج في أوروبا وغيرها .
- يعود جانب كبير من عائدات الحكومات العربية من البترول ومن دخول المواطنين العرب ، الى الدول الغربية وخاصة أمريكا ، على هيئة ودائع ومداخرات في البنوك واستثمارات وأسهم وسندات وخلافه . وتقدر قيمة الودائع العربية في بنوك أمريكا بنحو ١٥ بليون دولار ٠٠ كما

تقدر قيمة الواردات العربية من السلع الأمريكية بنحو ٨٠٠ مليون دولار سنوياً .

- يحصل أوروبا الغربية على كامل احتياجاتها البترولية من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، ونحصل اليابان على ٩٠٪ من احتياجاتها من الخليج العربي . وبالتالي فإن صادرات أمريكا من البترول العربي تشكل نسبة كبيرة في حركة تجارة البترول العالمية وفي واردات أوروبا الغربية واليابان .
- يصع الفكر الأوروبي والأمريكي - منذ زمن بعيد - في تخطيطه السباسي والاستراتيجي ، تأمين الاحتياجات البترولية والاعتماد المتزايد على البترول العربي . ومن مظاهر ذلك في أوروبا قيام « السوق الأوروبية المشتركة » في عام ١٩٥٧ .

الوزن الاستراتيجي للمصالح الأمريكية

كانت اتفاقية « الخط الأحمر » في يوليو ١٩٢٨ هي الطريق الذي دخلت منه المصالح الأمريكية الى العالم العربي . وفي تلك الاتفاقية نحددت نسبة هذه المصالح في بترول المنطقة ب ٢٣٧٥٪ .

وتضم المنطقة المشمولة بالخط الأحمر . العراق وشبه الجزيرة العربية (عدا الكويت) وفلسطين ولبنان وسوريا .

وحدث - بعدئذ - أن زادت نسبة المصالح الأمريكية ، بتغلغل شركات البترول الأمريكية في عمليات البحث والتنقيب والانتاج في أراضي باقي دول الشرق الأوسط . فاستحوذت الشركات الأمريكية على بترول السعودية ، كما حصلت على نصف بترول الكويت ، ونصيب في البترول الإيراني .

وبعد حرب السويس (عام ١٩٥٦) ، حصلت المصالح الأمريكية على أكثر من ٩٠٪ من البترول الليبي .

هذا ونعبر أي زيادات في أسعار البترول الخام العالمية ، دعماً لصناعة البترول المحلية الأمريكية ذات التكاليف المرتفعة أيضاً .

أما من الناحيتين السياسية والعسكرية ، فإن أمريكا ، بتحكمها في موارد البترول العربي ، إنما تسيطر على أهم مصدر ، يستمد منه حلفاؤها

ودول العالم النال . حاجتهم من الطاقة ٠٠ التى تعتمد عليها حياتهم ويتوقف عليها تقدمهم .

وقد أصبحت الزاوية البترولية ، هى الدافع الرئيسى للسلوك الأمريكى ، فى تعامله مع العالم العربى ٠٠ اذ أن القوة الأعظم فى هذا الزمان . قد بدأت تعاني من مجاعة ، بينما يملأ الخير رحاب أراضيها .

وهذا الجوع وسط الوفرة ، جاء كنتيجة منطقية ، لعدد من الأوضاع المصطنعة التى فرضتها السياسة الأمريكية ، وسخرت العالم لخدمتها .

ولمناقشة نقطة بداية ما وصل اليه موقف الطاقة فى أمريكا ، يستلزم استعراض هيكل مصادر الطاقة الأمريكية ، كما هو الآن والتغير المتوقع حدوثه فى المستقبل المنظور ، وذلك من واقع التقارير الأمريكية نفسها .

وعلى ضوء المؤشرات الاحصائية (عام ١٩٧٠) ، بلغ معدل استهلاك أمريكا اليومى من الطاقة باسكالها الخمسة الرئيسية ٠٠ كما يلى :

النسبة المئوية	معدل الاستهلاك	
٤٤٦	١٤٧٠٩	الزيت الخام
٣١٥	١٠٤١٧	الغاز الطبيعى
١٩٧	٦٤٩٧	الفحم
٣٧	١٢٤٧	القوى المائية
٠٥	١١٠	الطاقة النووية
١٠٠	٣٢٩٨٠	

ومن الواضح أن الزيت الخام والغاز الطبيعى ، يمدان الاقتصاد الأمريكى والحياة اليومية الأمريكية ، بأكثر من ثلاثة أرباع الطاقة اللازمة لها ٠٠ وأخذت الفجوة تتسع بين الانتاج المحلى لهذين الصنفين والطلب عليهما . مما عرض شعار الأمن القومى الأمريكى للاهتزاز العنيف .

ولو أخذنا بأخر تقديرات تطوير الاستهلاك الأمريكى من الطاقة ، يتضح أن السنوات حتى عام ١٩٨٥ ، سوف تشهد تغييرا كبيرا فى الاستهلاك نسقا وحجما ٠٠ فعلى الرغم من التطوير السريع ، لمحطات الطاقة النووية ، فإن استهلاك البترول ، سيتزايد بمعدلات تفوق معدلات السنوات العشر الأخيرة ، وسيزيد اسهام البترول فى سوق الطاقة الأمريكية من ٤٤٦٪ الى ٤٧٣٪ .

ويضيف هذا الموقف ، بعدا ثالثا الى أهمية المصالح الأمريكية في العالم العربي ، اذ يجعل وجهة النظر الرسمية الأمريكية ، تنفتح على نقطتين :

- ان اعتماد أمريكا على بترول الشرق الأوسط ، يضع أمنها في يد دول أخرى ، ويفقدها مكانة القوة الأعظم . وهذا ما حدث بعد حرب ٦ أكتوبر ، بتكامل الجهد البترولي العربي .
- ان اعتماد أمريكا المطلق على الاستيراد البترولي ، يلحق أضرار بميزان مدفوعاتنا .

وعليه تكون نتائج الحرب الأمريكية الاسرائيلية على العالم العربي ، تحت رحمة سلاح البترول العربي .

وبعد حرب ٦ أكتوبر ٠٠ أدركت اسرائيل تماما ، أن التطورات الجارية في أوضاع سياسة الطاقة الأمريكية ، قد قلصت الزمن المتاح لاستمرار العنف الأمريكي . ومن هنا يمكن تفسير موقف السلوك الاسرائيلي الحالي ، والذي يتميز بالعصبية والتشنج في مواجهة الصمود المصري . اذ أن موجة المد في التأييد الأمريكي تقترب الآن من ذروتها ، ولا بد أن تبدأ في الانحسار بعد حرب ٦ أكتوبر ، ومع موقف المقاطعة البترولية العربية . وسيطور الخطر مضاعفا ، عندما يدب اليأس في قلب سياسة اسرائيل من تحقيق أهدافهم ، مع مرور الأشهر القادمة . خصوصا . وتقدر الدوائر الأمريكية المختصة أن صادرات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الى أمريكا سترتفع من ٢٥٠٠٠٠ برميل في اليوم (١٢٥ مليون طن) عام ١٩٧٠ ، الى ما لا يقل عن ١٠ ملايين برميل في اليوم (٥٠٠ مليون طن) عام ١٩٨٥ . وهذا سينخفض الانتاج المحلي الأمريكي خلال هذه الفترة من ١١٣ مليون برميل في اليوم عام ١٩٧٠ الى ١١٠ في اليوم عام ١٩٨٥ بما في ذلك انتاج « ألاسكا » .

هذا بجانب استيراد أمريكا المتزايد من الغاز الطبيعي ، اذ سترتفع حاجات أمريكا من هذه المادة بسرعة من (٦٤٥ مليار متر مكعب) عام ١٩٧٠ الى (١٠٠ مليار متر مكعب) عام ١٩٨٥ . أي أن هناك عجزا قدره (٤٩٠ مليار متر مكعب) .

وقد بدأت أمريكا بعد صفقات طويلة الأجل لشراء الغاز الطبيعي العربي تم منها حتى الآن عدة صفقات ، مع الجزائر مجموعها (٢٧ مليار متر مكعب) في السنة ٠٠ ومن المنتظر عقد صفقات أخرى مع الجزائر وغيرها من الدول العربية لمواجهة العجز الأمريكي .

هذا وقد أعلن « جيمس أكينز » مدير دائرة الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الأمريكية ، في محاضرة ألقاها (٢٩ يونيو ٧٢) بجامعة « جورج تاون » بواشنطن : « ان الطاقة الانتاجية غير المسبعملة في حقول البترول الأمريكية ، قد أصبحت شبه معدومة الآن ٠٠ ولم يعد باستطاعة أمريكا أن تساعد حليقاتها الغربية ، وتمدها بالبترول ، في حال انقطاع البترول العربي عنها » .

لقد أخذت احتياجات أمريكا للطاقة تزداد بشدة ، ويعتقد كثير من الخبراء ، أن ذلك سوف يجعل أمريكا - للمرة الأولى في التاريخ - تعتمد الى حد كبير ، على البترول العربي لتأمين حاجات استهلاكها المحلي المتزايد .

وتثير هذه الاحتياجات المتزايدة من واردات البترول الى أمريكا ، الشكوك حول مدى قدرة هذه الدولة (أمريكا) ، على انتهاج سياسة خارجية مستقلة . كما يشكل الاعتماد على الشرق الأوسط (الذي يمتلك نحو ثلاثة أرباع احتياطي البترول المعروف في العالم ، بينما يبلغ احتياطي أمريكا (٦٪) ضرورة إعادة تخطيط علاقات أمريكا مع دول منطقة الشرق الأوسط .

أما اذا استغنت أمريكا (عام ١٩٨٠) عن استيراد كميات كبيرة من بترول الشرق الأوسط ، اعتمادا على ما لديها من مخزون احتياطي وعلى بترول ولاية آلاسكا الذي اكتشف أخيرا ٠٠ فان ذلك سيكون على حساب تكاليف كبيرة للاقتصاد القومي الأمريكي .

الأهمية الاستراتيجية للبترول العربي

للبنترول العربي ميزاته وخصائصه الفريدة واقتصادياته النسبية ، وله قدرة عالمية في الانتاج ٠٠ اذ أن الدول العربية وحدها ، تنتج حوالي (١٠ ملايين برميل) يوميا ، بينما تنتج أمريكا (٩ ملايين برميل) يوميا ، وتنتج الكتلة الشرقية (٦٠ ملايين برميل) يوميا ٠ وهذا الانتاج العربي لا يمثل سوى ١٥٪ من مخزون البترول في الأراضي العربية ،

مما يجعل الدول العربية ، تستمر فى انتاجها للبترول ، اعتمادا على هذا المخزون الضخم ، الذى يمثل ثلاثة أرباع الاحتياطي العالمى لفترة ٧٠ سنة أخرى قادمة هذا عدا ما يستجد من اكتشافات بترولية عربية جديدة .

ويتميز البترول العربى . . بـغزارة الانتاج ، اذ أن أضعف الآبار انتاجا فى العالم العربى ، تفوق فى المتوسط ، انتاج أحسن الآبار فى مختلف مناطق البترول فى العالم . . كما يتميز بانخفاض تكلفة الانتاج ، سواء بالنسبة لمقدار الاستثمارات اللازمة للانتاج ، أو بالنسبة لتكاليف التشغيل .

وبجانب غزارة الانتاج وانخفاض تكلفته ، تسهيك البلاد العربية المنتجة له ، كميات قليلة . . بمعنى أن الفائض منه للتصدير أصبح كبيرا جدا ، مما جعل البترول العربى ، من أكبر السلع المتداولة فى التجارة الدولية .

وفضلا عن القدرة العالمية لانتاج البترول العربى فان الموقف يتحول لصالح الدول العربية . . ذلك لأن دول غرب أوروبا قد زاد استهلاكها عن طاقاتها الانتاجية من البترول . . كما أن روسيا ، على الرغم من أن لديها احتياطيات هائلة من البترول ، الا أن أغلبها موجود فى مناطق بعيدة فى سيبيريا ، كما أن انتاجها من البترول لا يكفى احتياجات حلفائها فى حلف وارسو ، بل ان روسيا قد بدأت بالفعل منذ (عام ١٩٧٢) فى استيراد البترول العربى من سوريا والعراق .

وينتاب الخوف الدوائر الأوروبية والأمريكية المستهلكة للبترول العربى ، والذى مبعثه المركز المتميز الذى يكتسبه بترول الشرق الأوسط والعالم العربى . . وكذلك الاعتماد المتزايد من جانب أمريكا والعالم الغربى على هذا البترول .

ويشكل البترول العربى ، موردا ماليا حيويا للاقتصاد الغربى ، وينشأ هذا المورد من مصادر مختلفة . . منها :

— أرباح الشركات العاملة فى الدول العربية . . وتقدر هذه الأرباح فى مرحلة الانتاج ب (٤ مليارات دولار) عام ١٩٧١ ، مضافا إليها أرباح النقل والتكرير والتوزيع .

— الرسوم والضرائب التى تستوفىها حكومات الدول المستوردة ، على البترول العربى المستهلك عندها . . وتقدر هذه الضرائب والرسوم

فى دول أوروبا الغربية بـ ٧٥ر أضعاف عائدات الدول العربية من
نصيريرها للبترول الخام .

— يقدر حاليا مجموع رؤوس الأموال الحكومية العربية الموظفة فى الدول
العربية بـ ٧ — ٨ مليارات دولار .

— ان زيادة استهلاك البترول العربى فى الدول الصناعية ، يرافقتها
نمو سريع فى صناعات التكرير والبتروكيماويات ، وغيرها من
الصناعات والنشاطات الاقتصادية . المرتبطة بشكل مباشر أو غير
مباشر بالقطاع البترولى . لذلك فان دور البترول العربى فى
اقتصاد الدول الصناعية لا يقتصر على كونه مصدرا من أهم مصادر
الطاقة ، بل يتعدى ذلك الى كونه عاملا رئيسيا من عوامل التقدم
الصناعى والانماء الاقتصادى الغربى .

وعلى ضوء هذه الحقائق ، يتضح أن البترول سيعمل الى أمد طويل ،
محور العلاقات الاقتصادية والسياسية بين العرب والغرب . وأصبح
فى إمكان العرب ، أن يؤثروا بكل ثقلهم على العلاقات الدولية . وأن
يستفيدوا من وضعهم التفاوضى الممتاز ، الذى تمنحهم اياه سيطرتهم على
هذه السروة البترولية الضخمة ، فى أن يفرضوا حقوقهم المشروعة فى
حوارهم مع الدول الغربية بشأن النزاع العربى الاسرائيلى . وفى
الضغط على الدول التى نساند اسرائيل ، خاصة أمريكا التى تحصل على
أكثر من (٢٥ مليار دولار) أرباحا سنوية من استغلال البترول
العربى ، وتقدم جزءا كبيرا من هذه الأرباح على شكل معونات عسكرية
ومالية واقتصادية لاسرائيل .

الصهيونية والبترول العربى

يتجسم الخطر الصهيونى المباشر على البترول العربى ، فى نغلغل
الرأسمال الصهيونى فى الشركات البترولية الأجنبية العاملة فى الوطن
العربى ، وفى افلات اسرائيل من شبكة المقاطعة العربية وامتداد سيطرتها
الى منشآت البترول العربى .

ومن المعروف أن المؤسسات المالية اليهودية ، الموالية لاسرائيل ،
تمكنّت من شراء كثير من أسهم الشركات البترولية الغربية التى تعمل
فى قطاع البترول العربى . كما أن بعضها الآخر يساهم فى تمويل هذه

الشركات بعروض بعيدة الأجل • وعلى رأس هذه المؤسسات اليهودية ،
المصارف وشركات التمويل التي تسيطر عليها عائلة « روتشيلد »
اليهودية الصهيونية (١) •

ويذكر « جان بوفيه » أستاذ التاريخ في جامعة « ليل » الفرنسية
في كتابه عن « عائلة روتشيلد » •• ان شراء هذه العائلة لأسهم الشركات
البنوكية العاملة في البلاد العربية . يتم أحيانا بصورة مباشرة وأحيانا
أخرى بصورة مستترة • عن طريق شركات التمويل التابعة لهذه العائلة
وأهمها « الشركات الفرنسية للتمويلات البترولية » • كما ساهمت عائلة
رونشيلد • في تمويل خط الانابيب الاسرائيلي بين مينائي ايلات وحيفا •

وبمه مؤسسات يهودية أخرى وثيقة الصلة بإسرائيل تملك
مساهمات مالية في استثمار البترول العربي ومنها « مؤسسة صموئيل »
و « مؤسسة لازار اخوان » •

وقد تمكنت إسرائيل من التغلب على مصاعب المقاطعة العربية ،
بوسائل لا يمكن للدول العربية أن تؤثر فيها •• فإسرائيل تستورد خام
البترول من فنزويلا وإيران واندونيسيا (وهم أعضاء في منظمة الدول
المصدرة للبترول التي تضم ٧ دول عربية) •• كما أن بعض
الشركات الأجنبية المستترة للبترول العربي ومنها شركة « شل » قد
وقعت عقودا طويلة المدى مع إسرائيل لتزويدها بالبترول الخام •

(١) من دراسته أعدها الخبير البترولي « الدكتور نقولا سركيس » بعنوان البترول في
ميزان القوى بين العرب وإسرائيل •

البترول في مصر نهر من « الذهب الأسود » يجري تحت أراضيها

وبعد د نوسو ١٩٦٧ . اسولت اسرائيل على آبار البترول فى
سنة حريه سماء . واسمغلها بمعدل (٦ ملايين طن) فى السنة .
ولاسرائيل حط أنابيب سعة (٦٠ مليون طن) فى السنة ، لنقل
البترول من ايلات الى ميناء عسفلان على البحر الأبيض المتوسط . وقد
حصلت اسرائيل على ضمانات الشركات الاجنبية لاستعمال هذا الخط ،
ولو حرييا ، محل قناة السويس . وهذا يعنى أن اسرائيل سنجنى فوائد
اقتصادية وسداسية طائلة بالاضافة الى أرباح النقل التى حرمت منها
الدول العربية . هذا بجانب اسماطة اسرائيل من البترول (الايرانى)
لتطوير صناعة الكبريت والبروكسماويات ، التى سجلت فى اسرائيل
نعدما سريعا . زعم امكانيات اسرائيل الضيفة .

ونذكر مجلة « النيوزويك » الأمريكية (فبراير ١٩٧٣) أن « موسى
ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى السابق ، كان سباقا الى تقدير حجم تهديده
البترول العربى ، على أمن اسرائيل . فى اجتماع بالقدس . مع مجموعة
من اليهود الأمريكين الراسماليين البارزين . سألوا « ديان » بصراحة ،
عما اذا كان يخشى من أزمة الطاقة المنتشرة فى العالم ونعطش أمريكا
المزايد للبترول ، الذى قد يدفعها الى الارتماء بين أذرع أعداء اسرائيل
الأغنياء بالبترول . فأجاب « ديان » بجفاء قائلا :

« اى أفكر كثيرا جدا فى أمريكا ، لاعتقادى أنها تضغط على سياستها
الخارجية . لامتلاك بعض الملوك العرب للبترول » .

وقد قلل هذا التهمك - بعض الشئ - من منانة العلاقات التقليدية
الأمريكية الاسرائيلية .

فهل ستصبح أمريكا فى النهاية ، مجبرة على أسلوب أكثر ليونة مع
العرب ، حتى ولو كان فى ذلك الاسراع فى تسوية ، للنزاع العربى
الاسرائيلى بشروط فى غير صالح اليهود ؟ . لقد سلمت بعض الجهات
الحكومية الاسرائيلية بهذا الاحتمال قائلة . « انها وجهة نظر لا يمكن
استبعادها » .

ويعلن أحد خبراء اسرائيل قائلا . « نحن حقيقة ننتظر لئرى
ما الذى ينوى أن يفعله الرئيس نيكسون حيال المشكلة » .

حقائق عن البترول

ولابد من إبراز بعض الحقائق عن البترول (١) والتي سوف تسرى على مدى العشر السنوات القادمة ٠٠ وتشمل هذه الحقائق :

— تستهلك الدول الصناعية ٠٠ أمريكا وأوروبا الغربية واليابان معا ٠٠ حوالى (٨٠ ٪) من الطاقة فى العالم ٠٠ ومن المحتمل أن تتزايد هذه النسبة حتى عام ١٩٨٥ ٠ اذ سوف لا يقل اعتماد هذه الدول عن (٥٠ ٪) من مطالب طاقتها على البترول ، عدا اليابان اذ يتوقع أن تزيد النسبة الى (٨٥ ٪) ٠

— تستخدم الدول الصناعية ، حوالى (٨٠ ٪) من انتاج البترول اليومى العالمى ، والذي يبلغ (٤٣ مليون برميل) ٠٠ وسيزيد هذا الرقم ليصبح (١٠٠ مليون برميل) عام ١٩٨٥ ٠

— تعتمد هذه الاقتصاديات الصناعية ، على البترول المستورد لتحقيق مطالبها ٠٠ وتعتمد اليابان وأوروبا على واردات البترول ، بينما تكتفى أمريكا باستيراد (٢٥ ٪) فقط ، من احتياجاتها البترولية ٠

— بالنسبة لروسيا ٠٠ يقدر اجمالى رأس المال اللازم لمقابلة مطالب البترول حتى عام ١٩٨٥ ، بحوالى ٤٠٠ مليون دولار ٠

— فى عام ١٩٨٥ ، ستعتمد اليابان ودول أوروبا الغربية تماما على البترول المستورد ٠٠ وسيبلغ ما قد تستورده أمريكا حوالى (١٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يعادل الانتاج الحالى لبترول الشرق الأوسط ٠

— تملك الدول الأعضاء فى منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » حاليا نحو (٨٥ ٪) من احتياجات العالم من البترول الخام (عدا روسيا) ٠ وحتى عام ١٩٨٥ ، سيبقى امتلاك هذه الدول لمعظم احتياطى البترول فى العالم ٠

— من كل الاحتياطى (المؤكد) العالمى الضخم من البترول (٥٥٠ بليون برميل) ، وجد (٩ ٪) فى أمريكا الشمالية — (٥ ٪) فى أمريكا اللاتينية (٩ ٪) فى أفريقيا — (١٢ ٪) فى دول الكتلة الشرقية —

(١) عن مجلة « سيرفايال » يناير ١٩٧٣ ٠

(٦٢٪) من احتياطي بترول العالم المؤكد لدى دول الشرق الأوسط بمفردها .

- بالنسبة لروسيا . كأحد أعضاء مجموعة الدول الصناعية الكبرى فان لديها اعتبارات تتعلق بنوع وسعر وصلاحية وامكانية الحصول على البترول من احتياطات بترولها المحلي . مما يجعل روسيا تستكمل احتياجاتها البترولية من المصادر الأجنبية .

وقرب روسيا من احتياطي بترول الشرق الأوسط ، يعطيها مميزات جغرافية وسياسية خاصة ، تميزها عن باقي الدول الصناعية الأخرى .

- ان جميع دول العالم الصناعية ، سوف تعتمد باستمرار على الشرق الأوسط ومنطقة الخليج ، بصفتها من أهم وأكبر مصادر البترول . وفي حالة فقد الثقة في استمرار توفير البترول اللازم ، سوف تلجأ الدول الصناعية الى بدائل أخرى مفتوحة لديها ، لضمان حصولها على هذا الخام الحيوى . وثمة منافسة بين ايران والعراق والكويت والسعودية ، قد تأخذ أبعادا جديدة عند اللزوم .

- حتى الآن لم تبدأ الدول الصناعية الكبرى ، فى تنفيذ برامج اكتشاف مصادر الطاقة الجديدة ، التى سيستغرق اكتشافها سنوات من الجهد المضى ويحتاج الى مبالغ ضخمة ، قبل أن تظهر أية نتائج ، يتوقع الحصول عليها قبل من ١٠ الى ١٥ سنة . وفى خلال هذه السنوات ، سيزداد الاعتماد الرئيسى على بترول الشرق الأوسط .

- من قبل كان اهتمام أمريكا الاستراتيجى ببترول منطقة الشرق الأوسط مبنيا على ضمان استمرار تدفقه الى أوروبا واليابان . أما مستقبلا ، فان أمريكا ذاتها ، ستحتاج الى ضمان وصوله اليها هى الأخرى مباشرة .

- يحتمل أن تصبح روسيا ، فى خلال العشر السنوات القادمة ، منبع رئيسيا للغاز الطبيعى . وبذلك تصبح مصدرا هاما للطاقة بجانب أن روسيا ستحتاج الى بترول الشرق الأوسط لاستكمال احتياجاتها البترولية . أى أنها ستدخل فى منافسة الامداد بالبترول مع أوروبا وأمريكا واليابان .

الاستنزاف الاستراتيجي للبتروال العربى

فى صناعة البترول ، يقصد بالاستنزاف الاستراتيجى ، تطبيق سياسات انتاجية أو تصديرية أو استثمارية للعائدات ، قد لا يترتب عليها مضار فنية أو اقتصادية ، بل ربما تحقق مكاسب مؤكدة على المدى القريب .. الا أنها تضر بالأهداف القومية العليا ، أو بمصالح الأجيال المقبلة على المدى البعيد .

ويختلف ذلك عن الاستنزاف الاقتصادى ، الذى قد يتخذ شكل زيادة المعروض من مجموعة دول ، عن حاجة الاستهلاك فى أسواقها الرئيسية .. مما يؤدى الى تعرض الأسعار للهبوط . وقد يلجأ المنتج الى تسويق البترول بأسعار منخفضة عن الأسعار السائدة ، بغية فتح أسواق جديدة .

هذا وقد وضعت منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبك » خططا لتقنين الانتاج وتنظيم الزيادة السنوية منه بين أعضائها ، كوسيلة لوقف تدهور أسعار التصدير .

ويتعلق الاستنزاف الاستراتيجى للبترول ، بالأهداف القومية العليا للدولة .. فقد تطبق الدولة ، سياسة انتاجية ، تستهدف زيادة الانتاج بمعدلات لا تحدث استنزافا فنيا للبترول المخزون فى باطن الأرض ، وتحقق بذلك عائدات بترولية أكبر ، وتشجع تدفقات نقدية أسرع ، مما لو أنتج البترول على عدد أطول من السنين .

ولكن كيف توجه هذه العائدات ؟ هل تستثمر فى التنمية القومية الشاملة لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلية ؟ أو نودعها فى بنوك غير عربية ندعم بها تقدم غيرنا مقابل فوائد تلك البنوك ؟ وبذلك يكون التصرف الأخير « استنزافا استراتيجيا » .

وإذا كانت العائدات الزائدة ، تجد مجالا للاستثمار القومى ، أليس من الأفضل الإبقاء على هذا البترول فى باطن الأرض ، حتى تتاح لعائداته فرصة الاستثمار فى الأجيال القادمة ؟ ..

وإذا كان الدخل القومى ، فى كثير من الدول العربية المصدرة للبترول ، يعتمد على البترول بنسبة تزيد عن (٧٥ ٪) .. وإذا كان عمر الاحتياطى المخزون من البترول فى هذه الدول محدودا بسنوات قليلة .. فماذا يبقى للأجيال ؟ ..

لقد تعرض البترول العربى للنهب سنوات طويلة ، ويعتبر ذلك خسارة استراتيجية ، يجب على العرب أن يعملوا على تلافيتها ، بتنوع مصادر احتياجاتهم من السلع وتنوع أسواقهم ٠٠ وبذلك يكون العرب قد حققوا هدفا استراتيجيا حيويا .

وقد لجأت الدول العربية ، الى تنظيم انتاج البترول ، محافظة منها على الثروة البترولية ٠٠ على أساس :

- أهداف قريبة ٠٠ لتحقيق موازنة العرض فى الأسواق بالطلب وحاجة الاستهلاك .
- أهداف بعيدة (استراتيجية) ٠٠ تتضمن المحافظة على المواد بصورة فعالة ، لاتاحة الفرصة للأجيال القادمة ، للاستفادة بدورهم ، من موارد بلادهم الطبيعية .

وقف الاستنزاف

ومن أهم أمثلة الاستنزاف الاستراتيجى الحاد ، الذى يتعرض له البترول العربى ٠٠ ما يلى :

- تزايد الانتاج من بعض الدول العربية ، بمعدلات كبيرة على حساب عمر الاحتياطى وصالح الأجيال المقبلة .
- تزايد حجم المخزون السلقى البترولى فى أوروبا وأمريكا لمدة تزيد عن ٩٠ يوما فى بعض الحالات وعن ستة أشهر فى حالات أخرى ٠٠ لمواجهة احتمالات توقف الضخ من منطقة الشرق الأوسط . وكذلك المخططات التى تنفذها أمريكا ، لاعادة تخزين البترول المستورد فى باطن الأرض لديها كمخزون استراتيجى .
- التلويح من جانب أمريكا واسرائيل بالسيطرة العسكرية المباشرة على منابع البترول العربى .
- الترحيب الذى تبديه بعض الدوائر الغربية ، بسياسة منظمة «أوبيك» فى زيادة الأسعار .
- الحديث عن أزمة الطاقة ، وتكتل الدول المستهلكة للبترول ، لتغطية الاستنزاف الاستراتيجى .

ومن أجل القضاء على هذا الاستنزاف ، تطلب الأمر تحديد الأهداف الاستراتيجية البترولية العربية بوضوح ٠٠ فانعقد بالجزائر مؤتمر البترول العربى الثامن (٢٨ مايو - ٣ يونيو ١٩٧٢) .

وكان من أهم قراراته ، ما جاء بالتوصية الرابعة ، التى تدعو الدول العربية المنتجة للبترول ، لوقف جميع أنواع الاستنزاف ، التى يتعرض لها البترول العربى ٠٠ وتنص هذه التوصية على :

« ان الاستنزاف السريع ، الذى مارسته شركات البترول الدولية لموارد البترول العربى على امتداد السنين - ولا سيما فى السنوات الأخيرة - بما يخالف الأصول الهندسية والفنية والعلمية ٠٠ ودون مراعاة للأمانة الواجبة نحو البلاد العربية ، التى عهدت الى الشركات المذكورة باستغلال ثرواتها ، أصبح يشكل خطرا شديدا على مستقبل الشعوب العربية ومصلحة أجيالها المقبلة » .

وفى مواجهة هذا الموقف الخطير ، أوصى المؤتمر بما يلى :

أولا : أن تبادر حكومات البلاد العربية ، لتقييم حالة مكامن البترول ، والتأكد من سلامة معدلات الانتاج ، تمشيا مع الطاقات الحقيقية لتلك المكامن ، ومع أفضل المعدلات المكتملة ، حسبما تقدره الدول المنتجة المعنية .

ثانيا : أن تبادر الدول العربية المنتجة ، الى اتخاذ كافة الوسائل الكفيلة بتحقيق الاستفادة القصوى من الغاز الطبيعى المرافق للبترول .

أهمية البترول الصناعية

وتنبثق عن البترول أثناء مراحل تكريره ، أنواع من الزيوت الخفيفة ، التى استطاع العلماء ترويضها وتحويلها الى مركبات ذات جزيئات عملاقة ، منها تشتق الغازات المختلفة ٠٠ ومن أهمها : -

- غاز الوقود ٠٠ المستخدم فى الطهى ، وهو الغاز الطبيعى الخفيف الناتج عن عملية التكرير .

- البترول ٠٠ الذى كان من المنتجات الفرعية قبل عصر السيارة . أما الآن ، فهو يؤلف الجانب الرئيسى من مبيعات شركات البترول .

- وقود الطائرات النفثة ٠٠ فقد أخذ الكيوسين يسترد أهميته بوصفه
العنصر القاعدى فى وقود النفثات الحديثة .
 - وقود الديزل ٠٠ خاصة عندما أصبحت محركات الديزل أهم وسائل
حركة القطارات ٠٠ كما أن زيت الديزل يستخدم فى النقل البحرى
والبرى .
 - زيوت المواقد ٠٠ زاد استهلاكها المتدفئة المنزلية ٠٠ والخفيف من
زيوت المواقد يماثل زيوت المحركات النفثة .
 - المزلاقات والمترسبات ٠٠ اذ يتحول واحد فى المائة تقريبا من الحام
الى زيت تزيلى ثقيل ، كما تشمل المترسبات ، زيت الوقود الثقيل
والأسفلت والقطران ٠٠ وغيرها .
 - أصناف البنزين العالية الأوكتين .
 - المنتجات البتروكيماوية الفرعية ٠٠ كالدائن والأنسجة الصناعية .
- وتعتبر الصناعة البتروكيماوية ، من أعظم ما حققه العلم لصالح
البشرية فى العصر الحديث ، وأصبحت منتجاتها تمثل البدائل عن كثير
من المنتجات الطبيعية ٠٠ فهناك المطاط الصناعى ، والألياف الصناعية ،
ومواد البلاستيك المتنوعة ، والمنظفات الصناعية ، والنايلون وغيرها ،
حيث قد ظهرت امكانيات هائلة فى انتاج العديد من الكيماويات التى
يربو عددها الآن على ٥٠٠٠ منتج .
- ويهدف العلماء الى أن تواصل الصناعة البتروكيماوية تقدمها
بحيث تتفوق على الصناعتين البترولية والكيماوية .
- وتتقدم أمريكا ، وغيرها من الدول ، فى مجال الصناعة البتروكيماوية
اذ أنها تضم أكثر من (٥٨٠ مصنعا) بتروكيماويا . وتستهلك هذه
الصناعة (٤٪) من اجمالى استهلاك أمريكا من البترول .

سلاح البترول

يعتبر البترول سلاحا هاما ومؤثرا فى ميزان القوى بين العرب
واسرائيل وفى علاقاتنا الاقتصادية والسياسية مع الدول الغربية
وشركاتها البترولية .

وخطة تصدير المواد الاستراتيجية ، والتى يعتبر البترول من

أهمها ، هى تدبير تلجأ اليه سائر دول العالم فى أوقات الحرب والسلم على السواء . . وثمة أمثلة لذلك ، تتضح فى :

– المقاطعة التى فرضتها أمريكا – فى الماضى – على التجارة مع كوبا والصين .

– الحظر الذى فرضته ألمانيا الغربية (عام ١٩٦٢) على تصدير أنابيب البترول الى روسيا .

– الحصار الذى فرض على تموين روديسيا بالبترول .

ومن البديهي ، أن الدول العربية لا تقل عن غيرها من الدول ، باستعمال مثل هذا السلاح ، الذى يسد طريق البترول العربى ، فى وجه الدول التى تساند إسرائيل وتحرضها على العدوان ، على الرغم من أن هذه الدول ، هى نفسها التى استنزفت الجزء الأكبر من ثروات البترول العربية وتستغل الارصدة العربية وعائدات البترول العربية ، لدعم اقتصادها ، والمحافظة على ثبات وقوة عملاتها الوطنية .

المقاطعة البترولية العربية

وتعتبر المقاطعة احدى وسائل الردع ، التى تستخدم للضغط على الدول المعادية أو التى تساند الأعداء . . بشرط أن تنفذ المقاطعة بعزم وجدية وصمود .

هذا ولا بد أن تقترن المقاطعة ، بسياسة عربية متماسكة ، مبنية على تكثيف علاقاتنا البترولية بالغرب ، على ضوء الخطر الصهيونى ، وعلى أساس موقف الدول الغربية من النزاع العربى الاسرائيلى ، مع الاستفادة من القوة التفاوضية الهائلة التى يحتفظ بها العرب بالنسبة الى سيطرتهم على ثلثى احتياطى البترول العالمى .

وفى عام ١٩٤٨ . . قررت الحكومات العربية ، أن تحرم الدول – التى ساعدت على قيام الكيان الصهيونى . . من البترول العربى . . ولكن بسبب تراجع احدى الدول عن التنفيذ ، لم ينفذ القرار على الرغم من احتدام القتال على أرض فلسطين .

وفى عام ١٩٥٦ . . تم قطع البترول فعلا ، وعانت أوروبا شهورا من الحرمان البترولى العربى ، ولكن كان ذلك بقرار من العمال العرب وليس من الحكومات .



عودة عربات الخيل الى أوروبا

- وفى عام ١٩٦٧ ٠٠ حاول العمال العرب قطع تدفق البترول
- ولكن لم يدم ذلك طويلا ، بل تم اعدام بعض العمال فى احدى الدول
- وفى أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ وعلى مستوى الحكومات وجميع الشعوب
- العربية تنفذ قرار القطع بالاجماع العربى ، بدقة وشكل تعدى الشعارات
- والتصريحات الكلامية ، الى اتحاد الكلمة والتنفيذ الايجابى المحكم .

فقد قرر وزراء البترول العرب فى (١٧ أكتوبر ١٩٧٣) خفض الانتاج البترولى فورا بحد أدنى ٥% ، تزداد بنسبة ٥% أخرى كل شهر ، الى أن يتم الانسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى . وتقرر أن يطبق هذا الحظر فى المقام الأول على أمريكا (١). وعلى الدول التى تساند اسرائيل ،

(١) بدراسة بعض خبراء البترول ، ما نشر عن أساليب وقف الضخ ، انضح أن هناك ثغرتين فى هذه الأساليب ، نفذ منهما البترول الى أمريكا ٠٠ (الأولى) عن طريق جزر « الباهاما » و « أمريكا الوسطى » . اذ أنهما لم ينقطع عنهما البترول . ومن المحتمل جدا أن يحوله الى أمريكا لعلاقتها بها . ومصدر البترول لهما ليبيا والسعودية . (الثانية) عن طريق شركاء بعض الشركات الكبرى ، الذين مازالوا يتسلمون حصصهم البترولية . فلعل الدول البترولية العربية ، تدقق فى أساليبها ، لاحكام الطوق على أى دولة ترعى اسرائيل وتدعم مخططاتها .

على أن تمنح الدول الصديقة للعرب معاملة خاصة ، تمكثها من الحصول على نصيبها من البترول العربى .

ثم تطورت المقاطعة ، بأن قرر المجلس الوزارى للدول العربية المصدرة للبترول ، تخفيض انتاج البترول بنسبة ٢٥٪ ، من أساس معدل الانتاج فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ . وكان المجلس قد قرر تصنيف الدول بالنسبة لتصدير البترول العربى ، الى ثلاثة أصناف :

- الدول الصديقة للعرب .
- الدول التى لها علاقات باسرائيل .
- الدول التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل .

كما قرر المجلس ، الحرص على الا يتأثر حجم امدادات البترول العربى ، التى تصدر الى الدول الصديقة ، عما كان عليه قبل البدء بخفض الانتاج .

ثم قررت المملكة العربية السعودية وليبيا والكويت وأبو ظبى ، قطع البترول نهائيا عن أمريكا وهولندا .

وبذلك يكون العرب قد استخدموا ، سلاح البترول بأسلوب علمى فعال . بل وأصبح من الضرورى ، استخدام أسلحة الحرب الاقتصادية العربية الأخرى بنفس الأسلوب الذى اتبع فى البترول . وذلك لأن أمريكا :

— تصدر للدول العربية من مختلف السلع والبضائع ، ما قيمته ألف مليون دولار سنويا . ولو قاطع العرب البضائع الأمريكية ، لسبب ذلك عجزا كبيرا فى ميزان المدفوعات الأمريكى .

— تحصل على (٢٢٪) من أجمالى دخلها ، من استثمارات فى العالم العربى . وأنهاء هذه الاستثمارات ، يعنى انهيارا جديدا فى قيمة الدولار بجانب انهيار آخر فى ميزان المدفوعات الأمريكى .

هذا وترى أمريكا ، أن إبقاء عائدات البترول لدى العرب ، كاف لإيقاع الضرر بالاقتصاد الأمريكى . وقد شنت جريدة « نيويورك تايمز » حملة على دول الشرق الأوسط المصدرة للبترول ، تدعو فيها الى ضرورة

استخدام هذه العائدات (بلغت ٩ بلايين دولار في ١٩٧٣/٧٢ ، وستبلغ حوالى ٥٠ بليون دولار عام ١٩٨٠) لاصلاح مركز الدولار المتدهور .
• الا أن الدول العربية المصدرة للبترول قد رفضت ذلك .

ولعل الخسائر المتتالية ، التى تعرضت لها مدخرات الدول العربية (١) على أثر تخفيض سعر الدولار ، تدعوها الى اعادة النظر فى النظام النقدي ، الذى تتعامل به فى تجارتها الخارجية ، وتدفعها الى تبني فكرة تحقيق وحدة نقدية عربية ، أى استخدام دينار عربى كوحدة نقدية عربية ودولية .

وعندما قطع العرب بترولهم عن أمريكا ، فقد أثروا على : -

- قوتها الدفاعية بالنسبة لأساطيلها (الأسطول السادس الذى كان يشترك فى المعركة ضد العرب مباشرة) وأحلافها (كحلف شمال الاطلسي) .

- أصبح الأمريكى يدفع ضعف ما كان يدفعه ثمننا للبترول .

- أصبح من المألوف أن ترى مئات من محطات البترول فى أمريكا وقد أغلقت أبوابها .

- تقييد الاضائة والاعلانات المضئية .

- قامت شركات الطيران الأمريكية ، بتخفيض عدد رحلاتها بنسبة كبيرة ، لتخفيض أستهلاك البترول .

هذا وقد بدأت الاعلانات تظهر فى التليفزيون والصحف الأمريكية :

* لا تسرع وانت تقود سيارتك ولا تستعمل الآلات الكهربائية كثيرا .

* لا تأخذ حماما كل يوم ، لئلا تستهلك مزيدا من القوة الكهربائية .

(١) قدرت خسائر الكويت بنحو ٢٠٠ - ٥٠٠ مليون دولار ، وليبيا بحوالى ١٥٠ مليون دولار . وقياسيا على ذلك يمكن تقدير قيمة الخسائر (غير المعلومة) التى لحقت بمدخرات باقى الدول العربية :

أما الموقف العربي تجاه هولندا

تستورد هولندا حوالى ١٣٠ مليون طن من البترول سنوياً ،
مها ٩٤٪ من البترول العربى ، ومن هذه الكميات ، تقوم هولندا
بإعادة تصدير حوالى ٨٠٪ . لذلك فإن قرار قطع البترول العربى عن
هولندا ، كان ضرورياً للمكثى العرب من التحكم فى تنفيذ القرارات
الخاصة بدول أخرى ، بالإضافة الى موقف هولندا المؤيد لإسرائيل .

وكانت أمريكا قد أخذت تؤلب دول أوروبا واليابان (باعتبارهما
من كبريات المناطق المستهلكة للبترول العربى) على المنطقة العربية التى
يمكن أن تتحكم فى اقتصاديات الدول الغربية ، عن طريق التحكم فى ضخ
البترول وتحديد الكميات المنتجة منه .

بل أن أمريكا قد دعمت الى تكوين حلف « أمريكى - أوروبى -
يابانى » ، لوضع سياسة مشتركة ، تهدف الى حماية مصالح الدول
المستوردة للبترول والوقوف فى وجه أى إجراء تتخذه الدول المنتجة
للبنترول ، سواء بوقف ضخ البترول أو تخفيض الكميات المنتجة منه ،
أو فى حالة رفض قبول الدفع بالدولار ثمناً للبترول ، أو أن تسحب
الدول العربية أرصدها من البنوك الأمريكية .

ولعل غرض أمريكا من هذا الحلف المقترح ، هى خوفها من أن
يستمر تعامل الدول العربية من أوروبا واليابان . فتصبح بذلك
المقاطعة خاصة بأمريكا وحدها .

ومن المؤكد أن هناك شيئاً واحداً ، هو أن شهية أمريكا للطاقة ،
تتزايد بنسبة هائلة ، فى الوقت الذى لم يتمكن إنتاجها المحلى من أن يفى
باحتياجاتها . وهذه هى أزمة أمريكا .

تحذير للسياسة الأمريكية

أبلغ الدكتور « هاير » (المدير المساعد لمركز هارفارد لدراسات
الشرق الأوسط) الكونجرس الأمريكى . بالآتى :

- أن الكثرين من الزعماء العرب ، وخاصة الذين يخططون منهم
للسياسة البترولية ، يعتقدون أن تأييد أمريكا لإسرائيل ، سوف
يهدد وصول أمريكا الى بترول وغاز الشرق الأوسط فى المستقبل .

- ان انقطاع تدفق البترول والغاز من الشرق الأوسط ، لأسباب سياسية وعسكرية ، هو عامل قد يؤدي الى أزمة طاقة في أمريكا .
- ما لم تكن أمريكا مستعدة لدفع نفقات خيالية لحلول بديلة للطاقة ، فانها ستعتمد بصورة متزايدة على الدول العربية ، من أجل حاجتها من البترول والغاز الطبيعي *
- وبالنسبة الى سياسة العرب وواضعى السياسة البترولية العربية ، فانهم يعتبرون موقف أمريكا من أزمة الشرق الأوسط ذا جانب واحد وضد العرب . والكثيرون منهم يعتبرون هذا الموقف محرجا لهم ، بصفتهم أصدقاء لأمريكا منذ زمن بعيد . ولكنهم يعتقدون أن موقف أمريكا فى هذه الحالة قد ينقلب بالدمار على أمريكا نفسها .
- هذا وقد تكهن رئيس شركة « كونتيننتال » الأمريكية للبترول . . بالآتى :
- بأن ازدياد الاعتماد على بترول الشرق الأوسط ، سيكون ذات تأثير كبير فى اقتصاد أمريكا وسياستها الخارجية .
- ان أمريكا قد تضطر فى عام ١٩٨٥ ، الى استيراد بين (٤٠ - ٥٠ ٪) من حاجاتها البترولية من مصادر أجنبية ، (أى أربعة أضعاف ما استوردته فى عام ١٩٧٣) . وسيأتى الجزء الأكبر من الكميات الإضافية المستوردة من منطقة الشرق الأوسط .
- ان على أمريكا وبقية الدول الغربية ،، بذل المساعى الدولية لاقامة علاقة صحيحة طويلة الأمد ، مع منظمة الدول المصدرة للبترول أوبيك التى تتكون من إحدى عشرة دولة ، أغلبها دول عربية ، ولذلك فهى تسيطر على (٨٥ ٪) من مخزن البترول الخام فى العالم غير الشيوعى خارج أمريكا وكندا . كما أن بترولها يشكل (٩٠ ٪) من صادرات البترول التى تباع فى الأسواق العالمية .
- ولعل كل ذلك ، يفرض على أمريكا والدول الأوروبية ، القاء نظرة جديدة على سياستها الخارجية ، تجاه منطقة الشرق الأوسط بما فيها من دول عربية .

تأثير سلاح البترول

كانت وقائع حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، موضع درس وتحليل فى معظم الأكاديميات العسكرية بالعالم .

وفى أوائل أكتوبر ١٩٧٤ ، كانت هذه الحرب ، الموضوع الرئيسى فى المؤتمر السنوى المعلق للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن (١) . وتركزت الدراسات على تقييم نتائج الحرب من الوجهة الاستراتيجية ، وأزمة الشرق الأوسط ، وتأثير سلاح البترول - الذى استعمل فى هذه الحرب - على النظام الدولى .

وكانت اتجاهات الآراء خلال مناقشة تأثير سلاح البترول (٢) كالآتى :

١ - ابرز سلاح البترول أن العرب اصبحوا قوة على المسرح الدولى ، وأن أرادتهم المتميزة ، كفيلة بالتأثير على ظواهر تتعدى خطورتها الشرق الأوسط وحده ولها الآن أثر اكيد على استقرار وأمن وماسك العالم الغربى . من هنا برزت الحاجة الى رسم خريطة استراتيجية لعلاقة العالم الأول (الدول الصناعية فى الغرب) بالعالم الثالث بوجه عام ، والعالم العربى بوجه خاص . والا كان العالم الثانى (الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية) هو وحده المستفيد من الشروخ التى قد تصيب التماسك الغربى من جراء تجاهل هذه الخريطة الجديدة .

٢ - كان رأى السائد أن العرب قد أحسنوا استخدام سلاح البترول . دون الذهاب الى الحد الذى يهدد استقرار النظم العربية التى أخذت على عاتقها هذا القرار ، بل بما دعم مركزهم عربيا وعلى الصعيد الدولى ، ودون الوصول به الى الحد الذى قد يحفز على التفكير فى تدخل عسكري قد يهدد السلام العالمى . بل استخدم العرب سلاح البترول بالفعالية التى أشعرت دول الغرب (أوروبا واليابان بالذات) بتبعيتها للبترول العربى ، على الرغم من الجهود التى بذلتها شركات البترول لاعادة توزيع أنصبة الدول

(١) دامت جلسات هذا المؤتمر ثلاثة أيام فى جامعة « ساكس » قرب لندن .

(٢) ملحق جريدة « الانوار » اللبنانية العدد رقم ٤٩٩٨ فى أكتوبر ١٩٧٤ .

بما يخفف أثر الحظر ، وأثر الحد من ضخ البترول على الدول المستهلكة • ولقد استخدم العرب سلاح البترول كرادع لا كعقاب ، وبمرونة ألزمت أطرافاً مستهلكة عديدة ، بانتهاج موقف من أزمة الشرق الأوسط أكثر تفهماً لوجهة النظر العربية •

ولأول مرة ، خلافاً للمحاولات السابقة ، أقدم العرب على الحد من الضخ ، وهم يستندون إلى أرصدة مالية تسمح لهم بخطوة لها هذه الخطوة دون تهديد اقتصادياتهم بأضرار جسيمة ، بل بما أتاح لهم فعلاً مضاعفة أسعار البترول أربعة أضعاف • كما ربطوا الحد من الضخ بهدف سياسى محدد ، وهو تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، مما اكسب الاجراء «قوة تصديق» وفعالية سياسية •

٣ - كان لاستخدام العرب سلاح البترول دور كبير فى تنشيط الدبلوماسية الأمريكية (١) للحد من مضاعفات استخدام هذا السلاح ، والسيطرة عليها قبل استفحالها الى حد يتعذر ضبطه •

٤ - أوضح استخدام سلاح البترول ، أن مصالح أمريكا ومصالح حلفائها فى الغرب ، ليست متطابقة ، بل وصل التباين أحيانا الى حد التعارض •

وارتفعت أصوات أوربية لتؤكد بقوة ، أنها ترفض التذرع بحجة تضامن الغرب لالزام أوروبا بتقبل وجهة النظر الأمريكية ، أو أى تصرف أمريكى دون ابداء أى تحفظ • بل وأصبح لأوروبا الحق فى السعى الى إقامة تضامن استراتيجى مع أمريكا ، دفاعاً عن مصالح الغرب وكيانه السياسى •

٥ - أبرز استخدام سلاح البترول اهتزاز مركز اليابان بالذات ، من الوجهة الاستراتيجية ، رغم انتمائها الى الدول الصناعية المتطورة • ان معاهدة التحالف بين أمريكا واليابان ، تحملت بنداً فريداً ينص على التعاون الاقتصادى لا مجرد التضامن العسكرى بين البلدين • ولو كان من شأن الانفراج الدولى تخفيف حاجة اليابان الى المظلة

(١) تجسم هذا النشاط الدبلوماسى الأمريكى الجديد ، فى الجاز عمليتى فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية ، وتمهد أمريكا بضرورة الاسراع عن تسوية للنزاع مرضية لشتى أطرافه •

النووية الأمريكية ، فإن حرب أكتوبر قد طرحت أمامها ، ضرورة الحصول على مصادر طاقتها من العالم العربى ، بغض النظر عن مصالح الحليف الأمريكى . ولم تجد اليابان مقرا من الانحياز أكثر الى العرب ، وأن تواصل جهودها مستقبلا لتوجد ارتباطات أكثر ايجابية مع العالم العربى .

٦ - أثر استخدام سلاح البترول على دول العالم الثالث تأثيرا ملموسا ، ليس فقط بسبب ارتفاع أسعار البترول ، بل لاحجام الدول الصناعية الكبرى وبباطئها فى تلبية حاجات هذه الدول الفقيرة اقتصاديا وفتيا ، بعد أن استبدت الازمة بها هى الأخرى .

وعليه ، فإن تقدم البنك الدولى بعروض للتخفيف من حدة هذه العجوة ، التى أصبحت تفصل دول العالم الثالث بعضها عن بعض . كما أبدت آروه فى المؤتمر تؤكد ضرورة أن تضطلع هيئات دولية مماثلة (بما فى ذلك الأمم المتحدة ووكالاتها) بهذا الدور . ولكن وجد ممثلو العالم الثالث فى ذلك ، ما يزيد من تبعية الدول الفقيرة للدول الصناعية ، فى وقت تتعرض فيه لازمات متفاقمة .

وبوجه عام ، كان رأى ، أن إعادة استخدام سلاح البترول لن نأنى بنتائج ذات مضاعفات مماثلة ، لتلك التى أنتجها خلال حرب أكتوبر . فلن ينطوى فى المرة القادمة على عنصر المفاجأة ، اذ أن استخدامه مرة واحدة يعتبر تحذيرا كافيا لاتخاذ تدابير من أجل تخزين احتياطي وتوزيع مصادر الحصول عليه ، لدرء خطر تأثيراته كرادع سياسى حالى ، فضلا ، عن تنشيط البحث جغرافيا وتكنولوجيا عن الطاقات البديلة .

معدل الانتاج الشهري والعربي والعالمي من البترول الخام والغاز الطبيعي

الوطن العربي

الغاز الطبيعي (ملايين الاقدام المكعبة)			البترول الخام (آلاف البراميل)	
يونيو ٧٣	مايو ٧٣	يونيو ١٩٧٣	مايو ١٩٧٣	
٠٠	٠٠٠	١٢٩٨٠	١٣٨٤٠	أبو ظبي
٢٨١	٣٠	٦٨٧	٦٨٤	البحرين
٠٠٠	٠٠٠	٢١٠٠	٢٣٩٠	دبي
٥٨١	٦٨١	٢٨٥٥٠	٢٨٢٥٠	الكويت
١٥٨١	١٦٨١	٢٠٢٠٠	٢٠٤٦٠	العراق
٠٠٠	٠٠٠	٢٨٦٠	٢٨٨٠	مسقط وعمان
١٠	١٨١	٥٦٠٠	٥٨٢٠	قطر
٠٠٠	٠٠٠	٧٥٥٤٨	٨٣١٨٠	السعودية
٠٠٠	٠٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	سوريا
٨٠	٨٧	١١١٠٠	١١١٠٠	الجزائر
٢٠	٢٨١	٢١٠٠	٢١٦٠	مصر
٢٨٤	٢٨٩	٢٢٨٩٠	٢٢٦٤٠	ليبيا
٢٠	٢٨٤	٠٣	٠٣	المغرب
٠٢	٠٣	٨٥٠	٨٥٠	تونس
٠٢	٠٤	١١٠٠	١١٠٠	الأرض المحتلة
٢٨٠	٤٣٨١	١٨٧٧٦٨	١٩٦٥٩٧	المجموع

البلاد غير العربية فى الشرق الاوسط

ايران	٥٨٤٣٠	٥٨٢٧٠	١٤١٢	١٤٢٧
تركيا	٧٠٠	٧٠٠
المجموع	٥٩١٣٠	٥٨٩٧٠	١٤١٢	١٤٢٧

البلاد غير العربية فى افريقيا

أنجولا	١٣٠	١٣٠	١٣٠	١٧
كابيندا	١٣٢٠	١٣٢٠
الكونغو برازافيل	٤٧١	٤٨٠	٠٢	٠١
جابون	١٤٨٧	١٤٨٠	٠١	٠١
نيجيريا	١٩٤٧٤	١٩٩٨٠	٥٧	٥٦
المجموع	٢٢٨٨٢	٢٣٣٩٠	٧٩	١٧٥

نصف الكرة الغربى

الأرجنتين	٤٢٢٠	٤٢٢٠	١٩٢	٢٠٢
بوليفيا	٥٠٠	٥٠٠	١٢٤	١٣٦
البرازيل	١٦٥٠	١٦٥٠	٤١	٦٢
كندا	١٧٣١٠	١٩٠٠٣	٢٦٧٤	٢٥٢٧
شيلي	٣٥٠	٣٥٠	٢٠٧	٢٤٠
كولومبيا	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١١٧	١٢٨
أكوادور	١٥٠٠	١٩٢٥	٠٥	٠٨
المكسيك	٤٧٥٠	٤٧٥٠	٥٤٤	٦٠١
بيرو	٧٠٠	٧٠٠	٤٠	٦١
ترينيداد	١٦٥٠	١٦٥٠	١٢١	١٣٦
فنزويلا	٣٤١٥٠	٣٣٧٣٠	١٣٨٧	١٤٠٠
المجموع	٦٨٧٨٠	٧٠٤٧٨	٥٤٤٦	٥٥٠١

الدول الأوروبية

٦ر٢	٧ر٨	٤٧ر٠	٤٧ر٠	النمسا
١٨ر١	٢ر٠	٣ر٠	٣ر٠	فرنسا
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٤ر٠	٤ر٠	الدانمارك
٥٠ر٢	٥٦ر٠	١٣ر٠	١٢٩ر٧	ألمانيا الاتحادية
٤١ر٠	٤١ر٩	٢ر٠	٢ر٠	إيطاليا
٢٤٦ر٢	٢٤٦ر١	٣ر٠	٣ر٠	هولندا
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٤ر٠	٣٨ر١	النرويج
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٢٣ر٠	٢٣ر٠	أسبانيا
١٠١ر٧	١٠٠ر٧	٢ر٠	٢ر٠	المملكة المتحدة
٦ر٠	٧ر٩	٧ر٠	٧ر٠	يوغوسلافيا
٤٦٨ر٤	٤٨٠ر٤	٣٩٦ر٠	٣٩٤ر٣	المجموع

جنوب شرق آسيا والمحيط الهادئ

٦ر٧	٧ر٥	٠٠٠٠	٠٠٠٠	أفغانستان
١٢ر٥	١١ر٤	٤٣٦ر٦	٤٣١ر٠	إسبانيا
٠ر٦	٠ر٧	٢ر٠	٢ر٠	بورما
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٣٢ر٠	٣٢ر٠	بروني وماليزيا
١ر٠	١ر١	١٥ر٠	١٥ر٠	الهند
١١ر٠	١١ر٩	١٣٥ر٠	١٣٢ر٥	إندونيسيا
٧ر٦	٧ر٨	١٥ر٠	١٥ر٠	اليابان
١١ر٠	١٢ر٤	٩ر٠	٩ر٠	باكستان
٢ر٠	٢ر٨	٢ر٠	٢ر٠	تايلاند
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠ر٣	٠ر٣	تايوان
٥٢ر٤	٥٥ر٦	٢٣٠٢ر٩	٢٢٧٢ر٣	المجموع

العالم غير الشيوعي

١٢٥٩ر١	١٢٧٢ر٨	٣٦٧٥٩ر٥	٣٧٤٠٥ر٥	العالم غير الشيوعي
١٨٨٩ر٣	١٩١٠ر٤	٩٢٠٦ر٠	٩٢١٦ر٠	الولايات المتحدة
٢١٤٨ر٤	٣١٨٣ر٢	٤٥٩٦ر٥	٤٦٦٢ر٥	المجموع

الكتلة الاشتراكية

١٢ر٠	١٢ر٩	٦٠٠ر٠	٦٠٠ر٠	الصين الشعبية
١١٠ر٩	١١١ر١	٢٧٥ر٠	٢٧٥ر٠	رومانيا
٦٨٨ر٤	٦٨٨ر٣	٨٣٧١ر٠	٨٣٨٩ر٠	روسيا
٤٩ر٩	٥٩ر٨	١٠٥ر٠	١٠٥ر٠	بلاد أخرى
٨٦١ر٢	٨٧٢ر١	٩٣٥١ر٠	٩٣٦٩ر٠	العالم
٤٠٠٩ر٦	٤٠٥٥ر٣	٥٥٣١٦ر٥	٥٥٨٩٠ر٥	المجموع

الاحتياطي العربي من البترول الخام والغاز الطبيعي

الغاز الطبيعي (بليون قدم مكعب)	البترول الخام (ألف برميل)	
٧٥٠٠	١٨٠٠٠ر٠٠٠	أبو ظبي
١٠٠	١٧ر٠٠٠	البحرين
٥٠٠	١٠٠٠ر٠٠٠	دبي
٢٠ر٠٠٠	٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠	العراق
٣٩١ر٠٠	٦٩ر٠٠٠ر٠٠٠	الكويت
١٥٠٠	٢٥٠٠ر٠٠٠	عمان
٤٠٠٠	١٥٠٠٠ر٠٠٠	المنطقة المحايدة
٧٣ر٠٠	٣٨٧٥ر٠٠٠	قطر
٤٣ر٠٠٠	٧٧ر٠٠٠ر٠٠٠	السعودية
٥٠٠	١٥٠٠ر٠٠٠	سوريا
١٣٥ر٠٠٠	٧ر٠٠٠ر٠٠٠	الجزائر
٢٨ر٠٠	٢١٠٠ر٠٠٠	مصر
٢٠ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠	ليبيا
٢٠	٨ر٠٠٠	المغرب
٥٠٠	٤٦٨ر٠٠٠	نونس
٣٩١ر٨٢٠	٣٠٩٦٢١ر٠٠٠	المجموع (١)

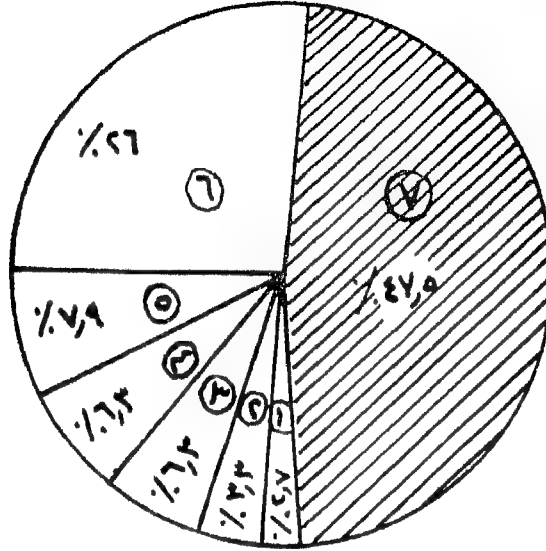
(١) يفسر الاحتياطي ، على أنه حجم البترول الباقى فى باطن الأرض ، والذي تؤكد المعلومات الجيولوجية والهندسية - الى حد معتدل - إمكانية الحصول عليه من الآبار المعروفة ، تحت الظروف الاقتصادية والعملية القائمة .

واردات أمريكا البترولية

معدل سبعة أشهر من يناير الى يوليو ١٩٧٤
(بآلاف البراميل يوميا)

هشتقات البترول		البترول الخام		الدولة
النسبة المئوية	المعدل اليومي	النسبة المئوية	المعدل اليومي	
٠.٥	١٣	٣.٥	١٢٦	الجزائر
—	—	٠.٩	٣٤	انجولا
٦.١	١٥١	٢.٤	٨٥	الباهاما
٨.٠	١٨٧	٢٧.٢	٩٦٦	كندا
٠.٥	البحرين ١١	٢.٢	٨١	اكوادور
٠.٢	فرنسا ٥	٠.٢	١٠	مصر
٤.٣	ايطاليا ١٠.٢	٦.٤	٢٢٨	اندونيسيا
٢.٣	هولندا ٥٥	١٢.٤	٤٣٩	ايران
٠.٥	اسبانيا ١٣	٠.٣	١١	الكويت
١٩.٧	٤٦١	٢.٨	١٠١	جزر الانتيل
٠.٩	٢١	١٥.٥	٥٥١	نيجيريا
٠.٧	روسيا ١٨	٠.٣	١٣	قطر
٠.٧	١٨	٤.٨	١٧٢	السعودية
٧.٠	١٦٥	٢.٩	١٠٥	ترينيداد
—	—	٠.٨	٢٩	تونس
٦.٤	٦١٧	١١.٧	٤١٧	فنزويلا
—	—	٠.٨	٣٠	امارات
١٤.١	٣٢٩	١.٢	٤٤	الجزر العذراء
٦.٩	١٦٠	٢.٨	١٠٤	دول أخرى
١٠٠.٠	٥٨٧٧	١٠٠.٠	٣٥٤٦	المجموع العام

توزيع سعر بيع برميل البترول للمستهلك في أوروبا الغربية
(على أساس متوسط السعر عام ١٩٦٧ (١))



بالدولار		%	
٢٨٥	٢٧		١ - تكاليف الانتاج
٣٥٠	٣٣		٢ - تكاليف التكرير
٦٨٠	٦٣		٣ - سعر النقل البحري
٦٨١	٦٣		٤ - صافي ربح شركة البترول
٨٥٣	٧٩		٥ - عائدات الدول المنتجة للبترول
٢٩٠	٢٦		٦ - تخزين - شحن وتفريغ - توزيع - مصروفات أخرى
١٠٠	٤٧		٧ - ضرائب غير مباشرة على رقم المبيعات في الدول المستهلكة
١٠٧٣٩	١٠٠		

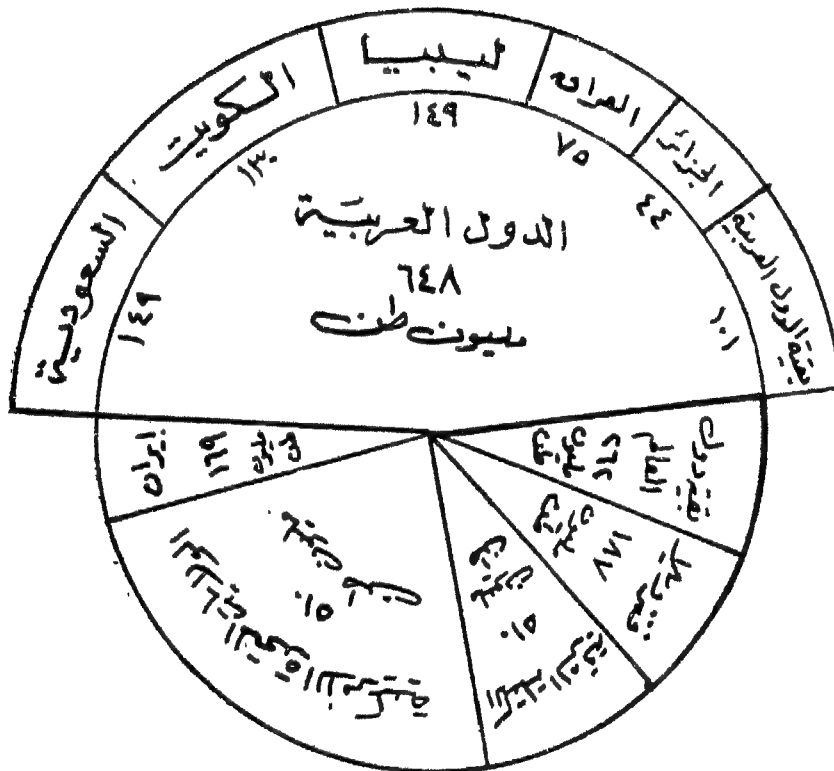
يتبين من أجمالي سعر برميل الزيت ١٠٧٣٩ دولار ، لا تحصل

(١) المصدر : نشرة « أوبيك » سبتمبر / أكتوبر ١٩٦٩ .

الدول المنسجة للبتروول نفسها ، الا على عائدات لا تتعدى ٨٥٣* دولار
 اى ٧٩٪ من اجمالي السعر . بينما تحصل حكومات الدول المستهلكة
 فى غرب أوروبا على نصيب قدره ١٠٠ره دولار أى بنسبة ٤٧٥٪ .

الانتاج العالمى للبتروول

(بملايين الأطنان - بلغ ٢١٣٨ طنا فى عام ١٩٧٠ (١))



(١) المصدر « البترول واقتصاديات موارده » تأليف د. محمد أمين .

صافي دخل شركات البترول الأمريكية

(خلال الربع الأول من عامي ١٩٧٣ ، ١٩٧٤)

نسبة الزيادة المئوية	يناير - مارس ١٩٧٤ ١٩٧٣ (مليون دولار)		اسم الشركة
٣٨	٧٠٥	٥٠٨	آكسون
٧٦	٢٩٠	١٦٥	جلف أويل
٦٦	٢٥٨٦	١٥٥٨	موبيل
٩٢	٢٩٣	١٥٢٨	سوكال
١٢٣	٥٨٩٢	٢٦٤	تكساكو
٣٦	٤٩٩	٣١٦	امراداهس
٢٢	١٩٤	١٥٩	اشلانداويل
٨٧	٩٣٩	٥٠٢	اتلانتك روتسغيلد
٨٧	٨٢٨	٣٦٨	سيتز سيرفس
١٣٠	١٠٩٢	٤٧٥	كرنتننتال أويل
١٧٣	٧٣٦	٢٧	جتي أويل
٩٩	٢٣٦	١١٩	كيرماك جي
٥٣	٣٠٦	٢٠١	ماراثون
٧١٥	٦٧٨	٨٣	اكسدنتال
٥٢	١٢١٨	٨٠٢	شل أويل
١٥٠	١٠٨٦	٤٣٤	فليبس
٨١	٢١٩	١٢١١	ستاندارد انديانا
٢٩	٢٢٦	١٧٥	ستاندارد أهيو
٨٥	٩٠٨	٤٩١	صن أويل
٩١	٧٣	٣٨٣	يونيون أف كاليفورنيا
	٣٣٠٨٦	١٨٤٩٦	المجموع الكلي

— المصدر : « ذي پتروليوم ايكونوميست » (يونيو ١٩٧٤)

الكتاب التاسع

رأس المال العربي

ـ الفائضات البترولية
ـ الأرصدّة العربية

العائدات البترولية

تضاعفت نروة البترول العربى نتيجة :

— اغلاق قناة السويس ، وأثره على رفع أسعار النفل ، وبالتالي رفع أسعار بيع البترول العربى .

— حرب أكتوبر وأنها فى تغيير موازين القوى . فأصبحت دول البترول العربى صاحبة الارادة والتحكم فى المنع والمنح ، مما ترتب عليه مضاعفة الطلب على البترول العربى .

ولعل من أكثر ما يخيف الدول الغربية عموما ، وأمريكا بوجه خاص ، هو احتمال تحول العالم العربى ، الى قوة مالية ضخمة ، بفضل عائداته البترولية المتزايدة . وتمكنه نتيجة لذلك ، من التحكم فى النظام النقدى العالمى ، وبالتالي فى سياسات الغرب .

والدول المصدرة للبترول تجمعها منظمة « أوبيك » وهذه الدول الأعضاء هى :

الجزائر — العراق — ايران — الكويت — المملكة العربية السعودية — دولة الامارات العربية المتحدة — ليبيا — نيجيريا — فنزويلا — أندونيسيا — قطر — جابون (عضو منتسب) .

كما أن هناك أعضاء فى منظمة الدول العربية المصدرة للبترول وهم خارج منظمة « أوبيك » وهم :

مصر — سوريا — دى — البحرين .

وقد طرأ تغيير فى المعادلة الاقتصادية العالمية ، بفعل البلدان المنتجة للبترول فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . ففى أقل من سنة واحدة ، ارتفعت أسعار البترول الى أربعة أضعاف ما كانت عليه ، فزاد ذلك من الارصدة المتجمعة فى خزائن الدول العربية وايران ، الى حد يفوق الخيال .

وعى سنة ١٩٧٤ وحدها ، سوف تبلغ إيرادات البترول فى الثمانى دول
(٧٢ مليار دولار) مقابل (١٧ مليار) فى سنة ١٩٧٣ . ومن المتوقع
أن يصل عائداتها الى ١٥ بليون دولار فى سنة ١٩٧٥ .

ومن المحمل أن تتضاعف هذه العائدات مرة أخرى فى عام ١٩٨٥ ،
لأن الولايات المتحدة الأمريكية ، قد تنضم الى أوروبا الغربية واليابان ،
كمستوردة كبرى لنفط الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، اذا تفاقمت أزمة
الطاقة فيها .

وقد جاء فى التقرير السرى للبنك الدولى ، أن الأرصدة المتجمعة لدى
جميع دول « اوبك » قد ترتفع الى ٦٥٠.٠٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٨٠ ،
رحوالى ١٢٠٠.٠٠٠ مليون دولار (١) فى سنة ١٩٨٥ .

وعلى هذا ، سوف تتدفق كميات كبيرة من هذه الأموال لتوظيفها فى
استثمارات خارجية . حيث سيكون لديها من الأموال أكثر مما يمكن أن
نمتصه اقتصاداتها المحلية فى المدى القصير .

وتقوم تلك الدول باستغلال ثرواتها البترولية ، بما يدر عليها دخلا
سنويا يمكنها من أن تحقق :

- نموا عاليا جدا فى الدخل القومى .
 - معدلات ادخار مرتفعة .
 - الاستثمارات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .
- وعلى الرغم من كل هذا الاستغلال ، فإنه يكون لديها فائض سيبقى
متزايدا باستمرار .

ولقد سمحت العائدات البترولية المرتفعة للدول المنتجة للبترول ،
بتكوين احتياطي من النقد الأجنبى ، يقدر بحوالى من ١٢ - ١٥ مليارا من
الدولارات وذلك فى خلال الستينيات . ومن المتوقع أن يزداد هذا الرقم ،
خلال السنوات العشر القادمة ، نتيجة لارتفاع أسعار البترول ارتفاعا كبيرا
وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

(١) وهذا يعادل عشرة أضعاف القيمة الدفترية للاستثمارات الامريكية فى الخارج
كما تعادل أيضا ، ضعف قيمة الذهب الذى تملكه الآن الحكومة الامريكية .

ويمثل مجموع سكان دول « أوبيك » ٠٨٪ من مجموع سكان العالم ونمثل ٧٨٪ من مجموع مسنودعات البترول المعروفة في العالم ، و ٦٢٪ من الانتاج العالمي ، وحوالي ٨٥٪ من تجارة البترول العالمية . وهذا ما يعطيها قوة اقتصادية تفوق حجمها .

ولذلك لزم أن تكون قرارات دول « أوبيك » في غاية الدقة ، إذ أنه يمكن ان تؤثر على :

- معدل نمو الاقتصاد العالمي .
- توزيع الدخول العالمية .
- مستوى الاستثمارات وتوزيعها .
- أسواق النقد ورؤوس الأموال وفي كيان نموها الاقتصادي .

ويوضح البيان التالي ، توزيع عائدات البترول على دول الشرف الاوسط وشمال أفريقيا ، الأعضاء في منظمة « أوبيك » ، من واقع تقديرات سنة ١٩٧٤ :

بليون دولار	
٢١٠٠	المملكة العربية السعودية
١٨٥	إيران
٨٠٠	الكويت
٧٩	ليبيا
٦٥	العراق
٤٨	أبو ظبي
٣٧	الجزائر
١٥	قطر

وقد أدى هذا التحول الكبير في الثروات ، الى خلق مشكلات ضخمة ، لموازين المدفوعات للدول المستهلكة للبترول . ومن المتوقع أن تزداد هذه المشكلة في المدى القريب . إذ تشير بعض التقديرات الى أن إيرادات البترول في الشرق الأوسط ، قد تنمو خلال عشر سنوات الى ٥٠٠ مليار دولار كتقدير البنك الدولي (أو الى ألف مليار من مصدر آخر) .

ومن الواضح ، أن الأموال التي تدفعها الدول المستهلكة للبترول ، تمثل عجزا في ميزان مدفوعاتها الدولي ، ما لم يعد إليها على هيئة أثمان سلع وآلات ، قد تشتريها منها الدول المصدرة للبترول .

وتوضح الأرقام الآتية قيمة المدفوعات ، من واقع تقديرات سنة

١٩٧٤ :

بليون دولار	
٢٠	الولايات المتحدة الأمريكية
٨٥	بريطانيا
٥٠	فرنسا
٦٠	ألمانيا الغربية
٨٠	إيطاليا
٦٠	اليابان

وفيما يلي بيان تطور عائدات الدول المنتجة للبترول وفقا لتقديرات البنك الدولي ومقدرة بملايين الدولارات :

١٩٧٤	١٩٧٣	١٩٧٢	١٩٧٠	١٩٦٥	
١٩٤٠٠	٤٩٠٠	٣١٠٧	١٢٠٠	٦٥٥	السعودية
١٤٩٠٠	٣٩٠٠	٢٣٨٠	١١٣٦	٥٢٢	إيران
١٠٠٠٠	٢٨٠٠	١٩٤٨	١٤٠٦	١١٣٥	فنزويلا
٨٠٠٠	٢٢٠٠	١٥٩٨	١٢٩٥	٣٧١	ليبيا
٧٩٠٠	٢١٠٠	١٦٥٧	٨٩٥	٦٧١	الكويت
٧٠٠٠	٢٠٠٠	١١٧٤	٤١١	غير معروف	نيجيريا
٥٩٠٠	١٥٠٠	٥٧٥	٥٢١	٣٧٥	العراق
٤٨٠٠	١٠٠٠	٥٥١	٢٣٣	٣٣	أبو ظبي
٣٧٠٠	١٠٠٠	٧٠٠	٣٢٥	غير معروف	الجزائر
٢١٠٠	٨٠٠	٥٥٥	٢٣٩	غير معروف	أندونيسيا
١٢٠٠	٤٠٠	٢٥٥	١٢٢	٦٩	قطر
					دول أخرى عدا
					دول أمريكا
					الشمالية
١٧٠٠	٥٥٠	٢٢٢	١٥٠	١٦	والدول الشيوعية
٨٦٦٠٠	٢٣١٥٠	١٤٧٢٢	٧٩٣٣	٣٨٤٧	
					معدل الدخل عن
					البرميل المصدر
٧٦٦٩	٢٠٠٥	١٤٤٧	٠٩٢	٠٧٧	(بالدولار)

مخاوف أمريكا من قوة العرب المالية

فى السنوات الماضية ، ظهرت تحذيرات عدة فى بريطانيا وأمريكا ، من أجل توفير مصادر جديدة للطاقة ، قبل سنة ١٩٨٠ ، وهو الموعد الذى ينوقع فيه جميع الخبراء ، أن تصبح فيه أمريكا مرغمة على استيراد أكبر جزء من بترولها ، من المصادر الرئيسية للبترول الموجودة فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٠٠ اذ أن الانتاج المحلى الأمريكى ، قد بدأ يتعثر وأوشك أن يخف بشكل متزايد خطير .

وستبلغ قيمة واردات أمريكا من هذا البترول ، ما يوازي ألف مليون دولار سنويا ٠٠ وبدأ يتضاعف هذا المبلغ اذا ما واصلت الدول المنتجة للبترول رفع أسعارها كما بدأت تفعل ٠٠ وربما تصل قيمة مجموع واردات أمريكا من البترول فى سنة ١٩٨٠ الى ٢٠ بليون دولار سنويا .

ونخشى أمريكا على نظام مدفوعاتها المتداعى والمصاب بعجز دائم . اذا وجدت نفسها معتمدة فى بترولها على دول أخرى .

ومن هنا يتحرك العلماء فى أمريكا لاستخراج البترول من مصادر أخرى كالزيت الحجرى ورمال القار والفحم ، وللأسراع بمد خط الأنابيب من آلاسكا ، والتنقيب السريع عن البترول فى الجرف القارى للولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وتسعى أمريكا جديا ، للعثور على وسيلة ، تمكنها من المحافظة على تدفق البترول إليها ، دون أن يؤدى ذلك الى تفويض نظام النقد العالمى ، وإشاعة الاضطراب وعدم الاستقرار فى الأسواق المالية .

فالولايات المتحدة الأمريكية ، يمكن أن نحرم من مصدر حيوى لبترولها ، ليس فقط نتيجة لفعل الدول المنتجة للبترول ، بل قد يكون نتيجة لقوة قادرة على التدخل فى عمليات التمويل . وقد تواجه أوروبا اليابان تهديدا كهذا ٠٠ وقد تضطر الى الاختيار بين مساعدتها فى وقت تواجه فيه هى نفسها المتاعب (كما حدث أثناء حظر البترول الى أمريكا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣) ٠٠ أو خسارتها كحليفتين .

الاستثمارات العربية

وقد أصبح من الحقائق المعروفة ، أن هناك أموالا عربية طائلة ، يمكن الاستفادة منها ، فى تحقيق التنمية العملية المشتركة ٠٠ الا أنه يجب أولا

كفالة الضمانات اللازمة لها ، مما يؤدي الى اناحة الفرص أمام الأموال العربية لكي تستثمر في المشروعات العربية ، وخصوصا وأن معظم وجهات النظر العالمية ، تجمع على ضرورة اعتماد الدول النامية على نفسها ، في مجال التنمية الاقتصادية ، وأن تزيد من نسبة اكتفائها الذاتي فيما بينها .

ولذلك فإن السبيل الوحيد للدول العربية ، لكي تحقق ذلك ، هو انشاء تكتلات اقتصادية اقليمية فيما بينها .

ويمكن تقسيم الدول العربية الى :

- دول لديها فائض كبير من الأموال .
- دول لا تمتلك كل ما تحتاج اليه من أموال ، وقد يكون لديها بعض عناصر الانتاج الأخرى .

ومن المفروض أن تستثمر دول المجموعة الأولى أموالها ، لدى دول المجموعة الأخرى . اذ بغير ذلك ، فإن الأموال العربية سوف تجد طريقها الى أسواق الدول الأجنبية ، حيث تجد دائما الاغراء الكافي ، على الرغم مما قد تتعرض له من خسائر كبيرة ، كما حدث ، من قبل ، نتيجة للازمات النقدية المتعاقبة التي مرت على العالم الغربي .

وقد تذهب الأموال العربية ، الى دول عربية أخرى ، عن طريق وسطاء أجانب ، يستفيدون على حساب الدول العربية المصدرة والمستوردة لرءوس الأموال ، في الوقت الذي تعتبر فيه هذه الدول ، أحق بكل ربح يتولد عن استثمارات الخاصة .

وقد خطت الدول العربية ، خطوة موفقة ، باقرارها مشروع « المؤسسة العربية لضمان الاستثمار » (برأسمال مبدئي قدره (١٠ ملايين دينار كويتي) . وسوف تساعد هذه المؤسسة ، على بث مزيد من الثقة في نفوس المستثمرين العرب ، عن طريق ضمان الاستثمارات بين الدول العربية ، ضد ما قد يهددها من مخاطر غير تجارية في الدول المضيفة . هذا بالإضافة الى المهام الأخرى المكملة التي ستنبثق عن هذه المؤسسة ، مثل . القيام بالأبحاث الخاصة باعطاء أولويات الاستثمار في الدول العربية ، والتعاون مع الهيئات المحلية والاقليمية والدولية العاملة في حقل التنمية والتأمين ، والسعي نحو تحسين مناخ الاستثمار بعقد اتفاقيات تحدد قواعد معاملة الاستثمارات في الدول المتعاقدة .

هذا ومن المعروف أن « اتفاقية استثمار رؤوس الأموال العربية » قد أصبحت سارية المفعول منذ (فبراير ١٩٧٢) بعد أن صدقت عليها كل من مصر وسوريا والعراق والسودان وليبيا .

وتهدف هذه الاتفاقية ، الى أن تبذل كل دولة عربية - مصدرة لرأس المال - جهودها لتشجيع الاستثمارات فى الدول العربية الأخرى على سبيل التفضيل ، وتقديم ما قد تلزم به فى هذا الشأن من خدمات وتسهيلات .

كما تبذل الدول العربية المستوردة لرأس المال ، كل جهد وتيسير استثمار رأس المال العربى على سبيل التفضيل ، وفقا لخطة التنمية الاقتصادية فيها .

وتعمل الدول الأعضاء ، على تشجيع استثمار رأس المال العربى ، فى المشروعات الاقتصادية المشتركة دعما للتكامل الاقتصادى بين الدول العربية .

وتلزم الاتفاقيات الدول الأعضاء ، بالمعاملة فيما بينها ، بما لا يقل عن معاملة أى استثمارات أجنبية ، قد تمنحها الدول مزايا خاصة ، على أن تتمتع الاستثمارات العربية تلقائيا بتلك المزايا نفسها فور منحها .

وتعطى الاتفاقية المستثمر العربى ، الحق فى تحويل صافى رأسماله كاستثمار وصافى عوائده والتعويضات المستحقة ، وكذلك الحق فى الإقامة فى أراضى الدولة المضيفة لرأسماله ، لممارسة نشاطه الاستثمارى .

والوطن العربى ، الذى يأتى فى مرتبة جيدة بين دول العالم ، من حيث المساحة وعدد السكان ، تعادل مساحته مساحة القارة الأوروبية ، ويأتى بعدد سكانه فى المرتبة الخامسة بين دول العالم كثافة بالسكان .

أرض كبيرة ، وسكان كثيرون ، وموقع استراتيجى ممتاز ، فهو يطل على منافذ عدة لواجهة العالم . ففيه قناة السويس المورد الاقتصادى والموقع الاستراتيجى الهام ، ومضيق جبل طارق صلة الوصل بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسى ، وباب المندب الذى بات يضيق خناقا على اسرائيل (كما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى الحصار البحرى على اسرائيل الذى فرضه الأسطول البحرى المصرى) .

والاقتصاد بوجه عام متخلف تبعى فى الوطن العربى ، من جراء التخلف الفنى الذى أحله الاستعمار فى الدول العربية .

ومن هنا كان من الضرورى الالتزام بالاقتصاد المتكامل بين الدول العربية والسعى وراءه لتنميته . فالوطن العربى يملك الموارد ورعوس الأموال الضخمة ، التى تمثلها الودائع الموجودة فى بنوك الدول الأجنبية . والتى لا بد من استغلالها فى مشروعات التنمية فى الدول العربية .

ولا شك فى أن جهودا كبيرة تبذل ، لخلق المناخ المناسب للأموال العربية . لاستثمارها داخل الدول العربية نفسها . ولا ينقص الا التحرك

الفعلى الواسع لرؤوس الأموال العربية لخدمة الاقتصاد العربى وتنفيذ المشروعات المتفق عليها لتحقيق المؤسسات المقامة أغراضها بين الدول العربية .

وبذلك ، لا بد من أن يكون لهذه التطورات ، انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على اقتصاديات وماليات الدول العربية ، التى يلزمها خطوات معينة للتكيف معها ولتفادى أى آثار سلبية قد تنجم عن بعض هذه التطورات .

منازل الاستثمار

ان معظم الدول المنتجة للبترول ، عاجزة عن امتصاص صادرات العالم العربى اليها ، على مستوى مماثل لمستوى صادراتها البترولية . . وانها مهما فعلت ، فانها لا تستطيع أن تخلق قوة شرائية جماهيرية كبيرة . نظرا لأن العائدات البترولية تصب فى الحكومات ، مع قلة عدد السكان فى معظم دول الشرق الأوسط .

واذا أصبحت الدول المنتجة للبترول قوة مالية ، فانها ستتمكن من الاشتراك فى المنافسات الدولية الكبرى .

واذا قامت بنقل أموال من دولة الى أخرى ، فانها ستؤثر على النظام النقدى الدولى .

نما كما سيؤدى الاختلاف فى ايجاد منافذ استثمارية لهذه الأموال ، الى حدوث انعكاسات اقتصادية .

ولكن . . أين وكيف سيعيد منجمو الشرق الأوسط استثمار ثرواتهم البترولية ؟!

والجواب الطبيعى ، أن تركز دول الشرق الأوسط ، على تعزيز اقتصادياتها البنائية ، بالاستعانة بالتكنولوجيا والخبرة والمعدات الغربية . . ولكن اقتصاديات المنطقة ، لا يمكنها أن تستوعب الا جزءا من أموالها .

وحتى الدول القادرة على الاستيعاب ، أكثر من غيرها ، مثل :

ايران والجزائر . . وهما أكثر دول البترول سكانا ، سوف تحقق فائضا ، على الرغم من برامجها الواسعة للانماء الاجتماعى والعسكرى والصناعى -

أما الدول القليلة السكان ، والقليلة القدرة على استيعاب أموال الاستثمار ، فانه لا يمكنها الانفاق على مشروعاتها الداخلية ، الا نسبة صغيرة من إيراداتها البترولية .

ونعتبر المملكة العربية السعودية من أكبر الدول المنتجة للبترول في المنطقة وتنفق أمريكا واليابان في أرصدها النقدية ٠٠ إلا أن عدد سكانها لا يتجاوز ٨ ملايين نسمة ، ومهما تجاوزت حدود الانفاق في أى مشروعات طموحة ، فسوف لا تغطي الا ٢٥٪ على الأكثر من العائدات البترولية .

هذا وتقدر الأموال الزائدة عن حاجة الدول العربية المصدرة للبترول عام ١٩٧٤ كما يلي (١) :

بليون دولار	المملكة العربية السعودية
١٩	ليبيا
٤	الكويت
٦	أبو ظبي
٣	العراق
٣	الدول العربية الأخرى المصدرة للبترول
٩	المجموع
٤٤	

مصالح العرب الاقتصادية

وقد وافق وزراء الاقتصاد العرب ، في المجلس الاقتصادي العربى ، الذى انعقد أخيرا بالقاهرة ، على اقتراحات هامة تضمنها التقرير الذى أعده المجلس ، عن المصالح الاقتصادية وعلاقتها بالدول الأجنبية .

وقد بلغت الأرصدة النقدية العربية من ١٢ - ١٥ مليار دولار حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وقد تمكن الغرب بفضلها ودون حساب خلال ربع قرن ، من إعادة بناء اقتصاده بعد الحرب العالمية الثانية ، وتحقيق ازدهار عرقه فى تاريخه .

هذا وقد تأثرت هذه الأرصدة تماما ، من جراء التخفيضات المتتالية لعملات الدول الغربية الرئيسية ، فبلغت خسائر الدول العربية ما يعادل ٣ مليارات دولار .

والوطن العربى ، يضم أقطارا تعاني من نقص كبير فى رأس المال اللازم لتنفيذ مشروعاتها الانمائية .

وعلى ذلك ، فقد طالب تقرير المجلس الاقتصادي العربى ، بضرورة تنسيق العمل العربى فى مجال استخدام المصالح المالية العربية والبترولية ،

(١) حديث السيد / عبد الله الطريقي - مجلة « نطق العرب » أكتوبر ١٩٧٤ .

نخـدمـة القضايا العربـية ، من خلال خطة استـراتـيجـية ، تنفق عليها الدول العربية .

وينضمـن التـقـرير الاقتـراحـات الآتـية :

- انشاء مراكز مالية عربية في الخارج . . سواء عن طريق فتح فروع لبنوك عربية في الدول الأجنبية ، أو التعاون في تأسيس شركات مصرفية عربية أجنبية مشتركة في الخارج .
 - انشاء سوق مالية عربية .
 - توجيه جزء من الأرصدة العربية الخارجية نحو دول صديقة .
 - انشاء صندوق الدعم المالي لمساعدة الدول العربية المتضررة .
 - انشاء صندوق مالي خاص ، يقدم قروضا وتسهيلات مالية للبلدان العربية لتعويضها عن قروض تمنعها عنها دول أجنبية . . علاوة على منح قروض وتسهيلات مالية للدول النامية .
 - المساهمة في أكبر الشركات الأجنبية ذات المركز الاستراتيجي العالمي .
- وقد طالب المجلس ، توجيه جزء كبير من الموارد المالية العربية في الخارج ، لحاجة المتطلبات العسكرية والسياسية .
- أما بالنسبة للأرصدة العربية الخارجية ، فانها يمكن أن تؤدي دورا هاما في السيولة النقدية . . والفائض المالي العربي الذي يتراكم على شكل دائنية من الدول الغربية ، يستطيع أن يؤثر على مدفوعاتها واحتياجاتها من الذهب والعملات الحرة .
- وقد جاء في احصائيات صندوق النقد الدولي (آخر يونيو ١٩٧١) .
- أن حصة الدول العربية من السيولة النقدية (باستثناء قطر واتحاد الامارات) قدرت بنحو ٨ مليارات دولار ، وانها تمثل ١١٪ من سيولة الدول الصناعية ، و ٤١٪ من سيولة الدول النامية .
- وتستغل معظم الدول المنتجة للبترول ، القسم الأكبر من عائدات بترولها ، والتي لا تستطيع استثمارها محليا في دولهم . . في استثمارات جديدة السيولة ، وعلى الأخص في سوق الدولارات الأوربي القصير الأجل .
- ولا تعرف بدقة أرقام هذه المبالغ ، ولكن يبلغ من ضخامتها ، أن المصارف الغربية أخذت تشعر بأنها مكشوفة . . فالمشكلة أن البنوك تقترض من العرب قروضا قصيرة الأجل ، ثم تقترض هذه البنوك عملاءها قروضا طويلة الأجل . وعلى ذلك ، فإذا اسنرد العرب مالهم ، وقعت البنوك تحت ضغط السيولة .

وتملة تدابير تتخذها البنوك الغربية ، لتخفيض حدة هذه المخاطرة . ومنها أن بعض البنوك خفضت ٢ أو ٣٪ من سعر الفائدة المعروض على ودائع الدولارات الأوروبية قصيرة الأجل . وإذا استمر هذا التخفيض ، فقد يكون على المستثمرين العرب أن يختاروا بين :

— اما أن يقبلوا سعر فائدة منخفضا على أموالهم السائلة المودعة لأجل قصير .

— أو يجمدوا أموالهم فى استثمارات طويلة الأجل ذات فائدة مجزية .
واجتذبا لاستثمار الأرصدة العربية فى الخارج ، تعتمد وزارات المالية فى الحكومات الغربية ، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية ، الى ابتكار وسائل جديدة ، لتشجيع العرب على إعادة استثمار أموالهم فى استثمارات طويلة الأجل .

فمن المنتظر أن تنشئ واشنطن ، اصدارا خاصا — خارج سوق الأوراق المالية — من سندات دين الحكومة الاتحادية ، يخصص لاستثمارات السلطات النقدية الأجنبية . أى حكومات دول البترول العربية . وفى هذه الحالة فإن المشترين — فى الواقع — يقوون بسد العجز فى ميزانية أمريكا . كما يقلل ذلك ، من المبالغ التى تحتاج وزارة المالية الى اقتراضها من السوق المفتوحة ، مما يخفف الضغط على أسعار الفائدة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى خارج العالم العربى ، أخذت بعض العائدات الإيرانية والعربية تتجه الى الاستثمارات العقارية فى الخارج ، على الأخص فى أمريكا . فمثلا :

— يملك العرب ، جزيرة أمام شاطئ ولاية كارولينا الجنوبية كما يملكون بعض العمارات فى « الفيفث أفينيو » الشهير فى نيويورك ، وفى الحى التجارى فى « لاس فيجاس » وفى ولايات جيورجيا وكنتاكي وكاليفورنيا .

— استمرت إيران ربع أسهم مصانع كروب فى ألمانيا الغربية .

— بدأ العرب ، وفى مقدمتهم الكويت ، الاستثمار خارج حدودهم . خصوصا فى الدول العربية المجاورة التى لا تملك بترولا . فالفنادق الجديدة تقام فى القاهرة وبيروت والسودان .

اما الكويت التى تضم ٩٠٠ ألف نفس على رقعة من الأرض على الخليج فانها تتطلع الى أماكن بعيدة لاستثمار أموالها . ولديها مجموعة

من المستثمرين الغربيين في شئون الاستثمار ، ومجموعة من شركات الاستثمار وعمليات المشاركة وأخذ هؤلاء يوظفون المال الكويتي في :

- مشروعات الملاحة والتعدين في أفريقيا .
- مصانع الأسمنت في كندا .
- الأملاك العقارية في أمريكا .
- شراء جزيرة « كياواه » أمام سباطي ، كارولينا الجنوبية بمبلغ ١٧ مليون دولار . وكلفت إحدى الشركات الكبرى بتحويل الجزيرة الى منتجع رائع .
- وفي مدينة اثلاثا ، يجري بناء مجموعة من الفنادق والمساكن . نبلغ تكاليفها ١٠٠ مليون دولار ، بتمويل من شركة الاستثمار الكويتية .

الهجوم على الدول المنتجة للبترول

يزداد هجوم الدول الصناعية ضد ، الدول المصدرة للبترول ، لمسا تبذله الأخيرة في رفع أسعار البترول .

والواقع ، أن السنوات الثلاث الأخيرة ، شهدت تحولات هامة في تاريخ صناعة بترول الشرق الأوسط . وتتمثل هذه التحولات في قدرة ليبيا على رفع أسعار بترولها الخام (عام ١٩٧٠) . وتأزر دول الخليج وبجاءها في تحقيق مستويات جديدة للأسعار المعلنة (عام ١٩٧١) . ثم توصلت دول الخليج الى اتفاق جنيف (عام ١٩٧٢) الذي عوض الدول المعنية آثار خفض سعر الدولار . وأسس قواعد تعديل الأسعار المعلنة ، للتعويض عن أى خفض لاحق بسعر الدولار . واقدام العراق على تأمين منشآت شركة نفط العراق وموجوداتها (عام ١٩٧٢) بعد تردد الشركة طوال عشر سنوات في قبول مطالب العراق . وتحقيق أبو ظبي وقطر والسعودية والكويت ، لمطلب المشاركة (عام ١٩٧٢) . وتأميم ليبيا ٥١٪ من الشركات المنتجة (عام ١٩٧٢) واعتبار نسبة الملكية هذه الحد الأدنى المقبول لمشاركة الدول في ملكية البترول فوق أراضيها .

ثم تأتي مبادرة الجزائر ، بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لعقد دورة استثنائية حول الموارد الأساسية والتنمية (ابريل ١٩٧٤) فكانت أفضل سبيل لوضع الحوار بين العالم الصناعي والدول المنتجة للبترول في اطاره العربية . وقد قدمت الجزائر في مذكرة الى مؤتمر الجمعية العامة ، الحقائق الآتية :

- اعطاء الأولوية للتنمية .
- وضع نظام اقتصادى جديد ، لأن النظام الحالى هو العائق الاساسى أمام التنمية .
- ضرورة فهم منطق العالم الثالث فى مساعيه لاسنرداد خيرانه والجهود الكبيرة التى امتدت طيلة سنوات لاستعادة هذه الثروات .
- الايمان بأن تنمية العالم الثالث تخدم أيضا الدول الصناعية ، لأن تنمية العالم الثالث وتحريره اقتصاديا يخدم الانسانية جمعاء .
- وتشكل المذكرة الجزائرية الى المؤتمر ، وثيقة للتنمية ، وبرنامج عمل لانفاق كل قرش من العائدات البترولية الضخمة ، التى يفتح العالم الصناعى عينيه ، للبحث عن سبل لاعادة حقنها اليه من أبواب خلفية .

شركات الاستثمارات والخدمات البترولية

أما وقد بدأت العائدات البترولية ، تتدفق الى أصحابها الشرعيين بعد مناقشتها على المستوى الدولى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وبعد أن توفرت الخطط والدراسات لامتنصاصها واستغلالها ، فقد بات الأمل كبيرا نحو مستقبل عربى أفضل ، مع الشعور القوى والترابط وتبادل المسئولية فى اجتماع منظمة الدول العربية المصدرة للبترول « أوبيك » .
الذى انعقد بالقاهرة (١٠ - ١١ يوليه ١٩٧٤) اتفق على مشروعين من أهم مشروعات المنظمة وهما :

١ - انشاء الشركة العربية للاستثمارات البترولية برأس مال قدره (١٠١٤ مليون دولار) دفع منه بصفة مبدئية (٣٣٨ مليون دولار) .
وهدف هذه الشركة ، المساعدة فى اعداد وتقويم وتنفيذ المشروعات الخاصة بالبترول والغاز ، مثل التكرير والأسمدة والبتروكيماويات .
وغيرها من الصناعات المتفرعة من البترول . وذلك بأن تقوم الشركة بتمويل هذه المشروعات عن طريق تقديم القروض أو المساهمة فى رأس المال .

٢ - انشاء شركة عربية لبناء السفن وترهيمها واقامة حوض حاف فى البحرين . وقد اتفقت على انشائه كل من المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وليبيا والبحرين وقطر ، وستنضم الى هذه الدول دولة اتحاد الامارات . وتقرر لهذا المشروع رأس مال قدره (١٠٠ مليون دولار) .

هذا وقد كان بين موضوعات البحث فى مؤتمر (أوبيك) مشروع

(تأجل بحنه) يرمى الى انشاء شركة الخدمات البترولية . . وهو يرمى الى انشاء شركة مشتركة ذات فروع متخصصة في كل من الخدمات البترولية المختلفة ، مثل . . عمليات دراسة طبيعة الأرض ، والحفر ومعالجة الآبار واختبارها ، وتحليل قلب التربة ، وهندسة الخزانات وخلافه ، ومن المنتظر تذليل الصعوبات الفنية والقانونية في الاجتماع القادم حتى يمكن التوقيع على انشاء هذه الشركة .

اتساع صناعه انتكريب

وجدير بالملاحظة ، أن الزيادة الأخيرة في أسعار البترول (عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣) . . قد شجعت كثيرا من البلدان المنتجة ، على البحث في انشاء مجمعات واسعة لمصانع البتروكيماويات في الشرق الأوسط .

ويعتبر المراقبون الاقتصاديون الغربيون ، أنه لا مجال لاضافة مصاف جديدة للبترول في أوروبا الغربية ، بل أن أوروبا نفسها سوف تعتمد أكثر فأكثر ، على الشرق الأوسط للحصول على منتجات البترول المصفاة .

وهناك مخططات لانشاء مصفائين في المملكة العربية السعودية وانتئين في إيران ، وواحدة في كل من مصر والعراق والجزائر .

ومن المعروف أنه توجد مصاف كبيرة للبترول في الكويت والبحرين وقطر والمملكة العربية السعودية والامارات المتحدة ، تبلغ طاقتها جميعا حوالى نصف مليون برميل تقريبا .

ومن المشاهد ، الازدياد المستمر على الطلب المحلي للمنتجات البتروكيماوية ، في الدول ذات الفائض البترولى . . ومن هنا كان المقصود بالانشاءات الجديدة في هذه الصناعات ، هو التوسع في انتاجها لغمر الأسواق الدولية . وفي هذه الحالة ، فهناك خطر كبير من ازدياد طاقة الانتاج عن حاجة الاستهلاك ، اذا ما اعتبرت بعض هذه الدول ، أن انشاء مجمعات الصناعات البتروكيماوية ، من قبيل الهيبة الوطنية .

الا أن صناعة البتروكيماويات — وهى امتداد طبيعى لصناعة ضخم البترول — تغرى بانماؤها ، لأنها تساعد فعلا على زيادة القيمة الاضافية للبترول ، وتتيح فرصا واسعة لتحسين نوعية الموارد التكنولوجية المحلية . . وعلاوة على ذلك ، فان صناعة البتروكيماويات ، تتيح قوة دافعة ضخمة لمشروعات التصنيع الأخرى التى تتفرع من صناعة البترول ، مثل استغلال نفايات البترول وخصوصا الغاز الطبيعى الذى يستغل لانتاج الغاز السائل ، وكذلك الصناعات التى تعتمد على الهيدروكربونات ، كمصانع الأسمدة التى تنتج « الامونيا » و « الأوريا » . وتتجلى أهمية الرابطة بين

تنمية الصناعات البتروكيماوية وبين تنمية الصناعات الاخرى . في المملكة العربية السعودية بوجه خاص . . فالمملكة العربية السعودية لا تتميز فقط بضخامة وارداتها البترولية ، التي جعلها أكبر دولة بترولية في الشرق الأوسط ، بل هي تتميز أيضا بعدد سكانها الكبير نسبيا - وبوجود مواد خام أخرى بها غير البترول . . وهذه العوامل مجتمعة ، تعنى أن التصنيع مشروع عملي وقابل للتنفيذ .

ولكن هناك بعض الجدل . حول الشكل الذي ينبغي أن يتخذه هذا التصنيع . . وان كان لا يوجد هناك حد للتمويل (اذ تقدر إيرادات البترول في السعودية بحوالى ٢٣ مليار دولار في عام ١٩٧٤) الا أن هذا يساعد في توسيع مجال اختيار مشروعات التصنيع ، والتي منها ، الرغبة في المشاركة في تطوير صناعة البترول التي تتضح في اتفاقيات المشاركة التي عقدتها المملكة العربية السعودية مع شركات البترول ، وفي تحركاتها المستقلة في ميدان البتروكيماويات .

وفيما يلي بيان تقديري (١) بإيرادات البترول للمملكة العربية السعودية والكويت والامارات المتحدة من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨٠ بمليارات الدولارات ومليارات البراهيل في السنة :

١٩٨٠	١٩٧٨	١٩٧٦	١٩٧٤	المملكة العربية السعودية
٩ ر ٦	٥ ر ٥	٤ ر ٤	٥ ر ٣	الانتاج
٤ ر ٨	٨ ر ٧	٢ ر ٧	٦٠٤ ر	العائد الحكومى
٩ ر ٥٧	٩ ر ٤٢	٧ ر ٣١	٢٣٢٤ ر	الدخل
				الكويت
٦٦ ر ١	٥ ر ١	٣٤ ر ١	٢٤ ر ١	الانتاج
٤ ر ٨	٨ ر ٧	٢ ر ٧	٦٦٨ ر	العائد الحكومى
٩ ر ١٣	٣ ر ١١	٠٠ ر ١٠	٢٨ ر ٨	الدخل
				الامارات المتحدة
٠٠ ر ٢	٦ ر ١	٢ ر ١	٩٧ ر ٠٠	الانتاج
٢ ر ٩	٥ ر ٨	٩ ر ٧	٢٦ ر ٧	العائد الحكومى
٤ ر ١٨	٦ ر ١٣	٧ ر ٨	٠٤ ر ٧	الدخل

(١) دراسة أعدتها جامعة « درهام » البريطانية نشرتها جريدة الأنوار اللبنانية العدد ٤٩٥٤ يوم الجمعة ٢٣ أغسطس ١٩٧٤ . . وصدر الإحصائية مجلة « الاقتصاد العربى » فبراير ١٩٧٤ . . وتمت الدراسة بالنسبة لثلاث دول المذكورة فقط .

حول استثمار الفائض

ومهما يكن من تفاؤل الخبراء الاقتصاديين بشأن التصنيع في الدول ذات الفائض البترولي ، فليس هناك من يستطيع التنبؤ بأن التصنيع سوف يمتص كل الفائض من إيرادات البترول .

ولهذا فإن الاستثمار في الخارج . سيظل عاملا مهما في السياسات الاقتصادية للدول البترولية . ومن المحتمل أن يتخذ هذا الاستثمار ثلاثة أشكال :

١ - شراء السندات بنوعها الطويلة والقصيرة الأجل .

٢ - شراء عقارات ثابتة .

٣ - المساهمة في تمويل مشروعات التنمية في الدول العربية .

ومن المقدر أن يبلغ مجموع الفائض في إيرادات البترول في دول الخليج (فقط) ، أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في عام ١٩٨٤ ، أى ما يوازي مجموع ما يملكه العالم حاليا من أرصدة العملات الأجنبية .

ومن المتوقع توجيه جزء كبير من هذه الأموال ، الى أسواق العملات في أوروبا وأمريكا . ويتوقف ذلك على نوعية إدارة الأموال . فلو وجهتها إدارة جيدة لزادت من استثمارها بنجاح ، أما اذا وجهها سوء الادارة فمما لا شك فيه أن النتيجة ستميل نحو خفض انتاج البترول مما سيؤثر حتما على مشروعات التصنيع المحلية التى قد تشمل اتفاقيات مشاركة أجنبية .

وكثير من الدول المنتجة للبترول ، ملتزمة بصناديق التنمية الإقليمية . غير أن جملة الالتزام تعد صغيرة قياسا الى جملة الإيرادات البترولية ، فمثلا ٠٠ زادت الكويت - حدينا - رأس مال صندوق الكويت للتنمية العربية الى مليار دينار كويتي ، ولكن هذا المبلغ لا يمثل الا ١٥٪ من مجموع الفائض السنوى في إيرادات البترول .

ولعل الفقرة التالية ، الواردة في خطة التنمية السعودية عام ١٩٧٠ ، نعبّر بكل دقة عن أمانى جميع الدول ذات الفائض البترولى فى التصنيع :

« ان الهدف الأساسى للصناعة ، هو أن تحقق الطاقة العالية للنماء .

الصناعى ، بالسرعة التى تسمح بها الاعتبارات التنظيمية والتكنولوجية .
والعمالية والمالية . وبذلك تسهم اسهاما كبيرا فى الاقتصاد وتنوعه .

ولكل من هذه الدول القدرة المالية على تنفيذ برامج التصنيع الكبيرة
. ولكن قليل منها من لديها الموارد الضرورية لتحقيق هذا التصنيع .

ان جميع هذه الدول غنية من حيث معدل دخل الفرد ، وسيبلغ هذا
المعدل فى كل من المملكة العربية السعودية والكويت عام ١٩٨٠ أعلى المعدلات
العالمية كما تبدو المفارقة فى معدل دخل الفرد ، بما يعادل الفرق فى حجم
سكان كل من الدولتين وهذا عامل حيوى فى مجال التصنيع . ولكن الكثير
من هذه الدول ، تفتقر الى الموارد الاقتصادية الأخرى .

وفى إطار هذا التصنيع ، يبدو دور الاستثمار الأجنبى واضحا . على
ان الاستثمار الأجنبى المباشر فى الدول ذات الفائض البترولى قد لا يكون
هاما ، لأنه حتى اذا كانت هذه الدول تملك موارد بترولية فائضة ، فان
مجرد حجمها سوف يكون عقبة فى طريق الاستثمار الأجنبى الكبير .
فما تحتاج اليه هذه الدول ، هو خدمات فنية واسعة النطاق ، من المشورة
الفنية فى استثمار الأموال ، الى المساعدة التكنولوجية فى المشروعات
الصناعية .

... هذا ما لم تهبط موارد البترول (فى حالة تحول العالم العربى
الى مصادر بديلة للطاقة) فعندئذ يلزم حتما الاستثمار الأجنبى المباشر .
الذى سيكون له الأهمية القصوى ، فى ربط اقتصاديات هذه الدول بالنسبة
لمشاريع التصنيع ذات المشاركة الأجنبية .

ضرورة دراسة المشاريع

وقد أصبح العالم العربى ، أكثر من أى وقت مضى ، فى حاجة الى
مؤسسات لدراسة المشاريع العربية الكثيرة دراسة فنية واقتصادية ، اذ
أنه فى أغلب الأوقات ، تصطدم عملية تمويل المشاريع ، بنقص الدراسات
الفنية لهذه المشاريع ، مما يحول دون تنفيذ تمويلها .

ونظرا لوفرة أموال البترول العربى ، فقد أخذ المغامرون والبصايون ،
يحاولون الحصول على قطعة -ولو صغيرة - من كعكة المال العربى . وأصبح
من الصعب ، التمييز بين الأشخاص الصالحين وغير الصالحين ، عندما
يفدون الى إحدى الدول العربية لعرض الصفقات . ويعلق على ذلك أحد

الوزراء السعوديين ٠٠ « ان شوارع جدة تعج بأصحاب المصارف والمصوص ،
ولا نستطيع أن نميز بعضهم عن بعض » •

وعلى هذا كان من الضروري الاتجاه الى دراسة المشاريع ، على أساس
التأكد من جدية مقدميها ، حتى ولو تطلب الأمر الحصول على ضمانات
حكومية بالنسبة لقوة أصحاب المشاريع وطاقاتهم المادية وكفاءتهم الفنية
وقدرتهم على تنفيذ ما يكلفون به •

وأصبح من الضروري تدعيم « مركز التنمية الصناعية » فى القاهرة ،
وتزويده بالخبراء والفنيين ، حتى يصبح عمله بالفعل متكاملًا ومحققًا
للأهداف التى أنشئ من أجلها ، ولكى يستقبل أية مشاريع للتصنيع قد
تقدم الى المركز لدراستها وتقديم التقارير الفنية بشأنها •

الأغنياء الجدد بين شعوب العالم

(الاحتياطي النقدي والذهبي وحقوق السحب الخاصة على صندوق النقد الدولي لعدد من دول العالم) •

النسبة المئوية للتغير	(بليون دولار أمريكي)		
	الاحتياطي (يونيو ١٩٧٤)	الاحتياطي (يونيو ١٩٧٣)	
٥ر٨	٣٤٢	٣٢٣	ألمانيا الغربية
٣ر٥	١٤٩	١٤٣	الولايات المتحدة
١١ر٨	١٣٤	١٥٢	اليابان
٢ر٤	٨٤	٨٢	سويسرا
٣٩ر٣	٨٢	١١٦	فرنسا
١٢٩ر٠	٧١	٣١	السعودية
٤ر٣	٦٧	٧٠	بريطانيا
٨ر٣	٦٥	٦٠	البرازيل
٦ر٩	٦٢	٥٨	ألمانيا
١٦	٦١	٦٠	كندا
٨ر٢	٥٦	٦١	أستراليا
٦ر٨	٥٥	٥٩	هولندا
٣٥٠ر٠	٥٤	١٠	إيران
١١ر٧	٥٣	٦٠	إيطاليا
٩ر٨	٤٦	٥١	بلجيكا
١٤٢ر١	٤٦	١٩	فنزويلا
١١ر١	٣٠	٢٧	ليبيا
١٤١ر٧	٢٩	١٠	العراق
١٢ر٩	٢٧	٣١	النمسا
٣ر٨	٢٧	٢٦	البرتغال

لأول مرة بعد رفع أسعار البترول الخام الى مستواه الحالي ظهرت أسماء بعض الدول العربية ، ضمن الشعوب اغنية ذات الاحتياطات النقدية والذهبية ، مثل ليبيا والعراق ٠٠ أما المملكة العربية السعودية التي كان احتياطيها النقدي (عام ١٩٧٣) ٣١ بليون دولار نجد أن رقمه قد تضاعف في سنة واحدة (عام ١٩٧٤) الى ٧١ بليون دولار •

المصدر :

احصائيات صندوق النقد الدولي ، نشرت بمجلة « برنس ويك »

الباب الثالث

قناة التّويس

لمحة تاريخية

فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ٠٠ وقف (فرديناند دى ليسبس) فى حفل أقيم بمدخل القناة الشمالى ، ليضرب أول معول فى الأرض ، ليشق بعده عمال السخرة من الأنفار الشداد الشباب المصريين ، بطن الصحراء ، لوصول البحرين الأبيض المتوسط بالأحمر ٠٠ بعد أن خطب قائلا :

« باسم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية ، نضرب أول معول فى الأرض التى ستفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب وحضارته » .

وهكذا تحقق حلم « دى ليسبس » الفرنسى ، الذى استطاع أن يوقع الخديوى « سعيد الأول » فى برائنه ، ويحمله على توقيع امتياز قناة السويس . وكان هذا الخديوى قد أضاف (عام ١٨٥٦) الى الامتياز ، نصا جديدا ، بأن يكون أربعة أخماس العمال من المصريين مع بذل المساعدات الحكومية للشركة .

وتم حشد أكثر من ٦٠ ألفا من عمال السخرة فى القناة ، كان نلتهم فى محل العمل ، والثلث فى طريق العودة ، والثلث الأخير يربطون بالحبال ليساقوا الى مكان الحفر ٠٠ هذا عدا ما يزيد على ١٥ ألف من الرؤساء والحراس ٠ وكان عمال السخرة يعملون بلا أجر .

وخصص الخديوى (سعيد الأول ومن بعده اسماعيل) نصف الميزانية العامة للدولة ، للعمل فى القناة ، كما خصص ١٢٠٠ جنيه ذهبى مرتبا شهريا لـ « دى ليسبس » ٠ مما اضطر سعيد الأول ، الى تسريح ثلاثة أرباع الجيش المصرى لتغطية عجز الميزانية ، ولاستخدام الجنود المسرحين ، للعمل سخرة فى حفر القناة .

وفى ١٨ أغسطس ١٨٦٩ ٠٠ انتهت أعمال حفر القناة ، وتلاقت مياه البحرين ليتآلف منهما ذلك الشريان الحيوى للملاحة ٠ وذلك بعد أن استغرقت مذبحة شق قناة السويس عشرة أعوام ، نزفت فيها مصر — بلا

ترقب - ماديا ومعنويا ، وحمل المصريون فيها ٧٤ مليون متر مكعب من الرمال والأنربة على أعنتهم وكواهلهم لحفر القناة .

وفي ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ .٠٠ أفتتحت قناة السويس رسميا للملاحة ، بعبور السفينة « النسر » حاملة على ظهرها ملوك وعظماء العالم ، تتبعها ٧٧ سفينة (منها ٥٠ سفينة حربية) . وأقيمت بهذه المناسبة احتفالات تفوق الوصف ، أنفق عليها الخديوى اسماعيل ببذخ وسعة نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات .

وفي ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ .٠٠ باع الخديوى اسماعيل حصة مصر في أسهم القناة (١٧٧٦٤٢ سهما تمثل سبعة إلى ستة عشر من جملة الاسهم) الى بريطانيا بأربعة ملايين جنيه (١) .٠٠ وكان هدف بريطانيا - ممثلا في « دزرائيلى » رئيس وزرائها - من وراء شراء هذه الصفقة الاشتراك فى ادارة القناة .

وفي مارس ١٨٨٠ .٠٠ تنازل الخديوى توفيق عن حصة مصر فى الارباح السنوية للشركة وقدرها (١٥٪) (٢) لأحد بنوك فرنسا ، نظير حصوله على (٨٤٩ ألف جنيه) لسداد بعض ديونه .

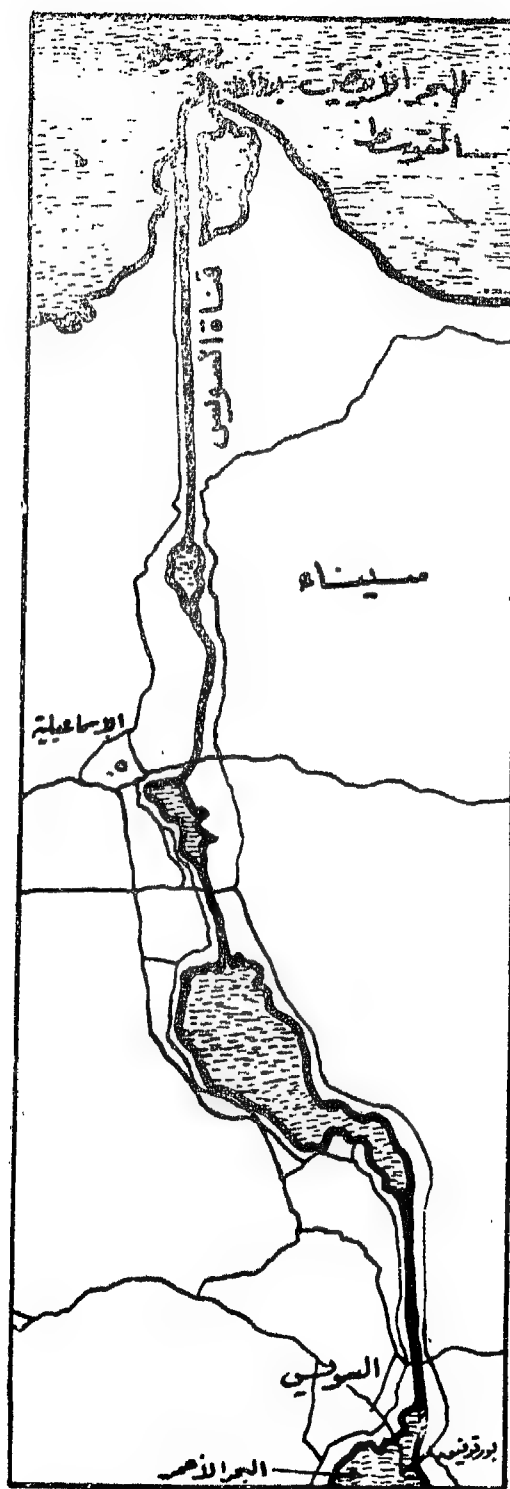
الاحتلال عن طريق القناة

وفي ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ .٠٠ احتلت الجيوش البريطانية مصر ، بعد أن تجاهلت حياد القناة ، وبمساعدة الخديوى الذى وقف مع الاحتلال ضد الجيش المصرى بقيادة أحمد عرابى .

ولعب « دى ليسبس » دورا فى هذا الاحتلال ، بأن خدع عرابى وقادته ، بضماناته وتعهداته ، مما جعلهم ينصرفون عن تحصين القناة ، بأن تعهد قائلا : « أقسم لكم بشرفى ، بأن القناة منطقة حياد وبقعة تحرم فيها العمليات الحربية ، ولن يجرؤ بريطانى واحد على النزول الى البر ، وأنا مسئول عن ذلك .٠٠ ان القناة فى عهدي ، ولن تمر فيها أية سفينة حربية ، حسب نصوص المعاهدة الدولية » .

(١) قدرت قيمة هذه الاسهم (عام ١٩١٠) بمبلغ ٣٠ مليون و ٨٦٠ ألف جنيه .

(٢) بلغت هذه النسبة من الارباح السنوية (عام ١٩٢٨) ٤ ملايين و ٢٤٣ ألفا



ولما وصلت جيوش الاحتلال البريطاني الى بور سعيد ، لم يكن غريبا عندما استفسر « عرابي » (وكان سد القناة يراوده) من « دى ليسبس » عن الموقف أن يبرق اليه قائلا :

« لا تعمل عملا ما لسد قناتي (!!) فاني هنا ولا تخش شيئا من هذه الناحية » اذ لا ينزل جندي انجليزي واحد الا ويصعبه جندي فرنسي . وأنا المسئول عن كل ذلك » .

غير أن هذه التصريحات والتعهدات ، لم تمنع « دى ليسبس » من تقديم المعونة والمساعدة لجيوش بريطانيا ، ووضع مهمات الشركة وادارتها تحت تصرفها بعد الاحتلال لمصر .

ولو أن عرابي ، قد سد القناة عند مدخليها الشمالي والجنوبي ، لتعذر على بريطانيا النفوذ الى الاسماعيلية التي اعتبرت قاعدة غزوهم . ويعلق الجنرال « ولسكي » القائد العام لجيوش الاحتلال البريطاني ، على ذلك قائلا : « لو أن عرابي سد القناة ، كما كان ينوي ، لكننا الآن لا نزال في البحر نحاصر مصر . ان تأخر عرابي ٢٤ ساعة نجانا » .

فعندما تنبه عرابي أخيرا ، وأمر بقطع ترعة الاسماعيلية التي تنقل المياه العذبة ، وقبل أن ينفذ قراره ، وصل الانجليز الى الاسماعيلية ، ليعيدوا أهبتهم في الزحف على مصر .

حرية الملاحة الدولية في القناة

في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ ، أبرم امتياز قناة السويس وتجدد في سنة ١٨٥٦ حيث أقره الباب العالي ، وتضمن حرية الملاحة الدولية في القناة .

وفي (١٨٧٣) أصدرت تركيا ، بالاتفاق مع دول أوروبا ، تصريحاً مشتركاً ، فتحت بموجبه القناة للمرور الحر للسفن الحربية الأجنبية على قدم المساواة .

الا أن حوادث (عام ١٨٨٣) بين مصر وبريطانيا ، أدت الى تخوف الدول على حقوقها الملاحية في قناة السويس ، فعقدت في ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ اتفاقية القسطنطينية ، وكان أهم ما قررته من مبادئ :

— حرية الملاحة التجارية لجميع الدول في زمنى السلم والحرب .

- حرية مرور البواخر الحربية بشرط سيرها بدون توقف ودون أن يكون لها الحق في انزال أى عتاد أو جنود .
 - حياد القناة . . فلا يمكن فرض الحصار عليها أو مهاجمتها في زمن الحرب .
 - تتخذ الحكومة المصرية ، التدابير الضرورية لضمان تنفيذ هذه المعاهدة .
- ولقد نعطلت هذه المبادئ ، أثناء الحرب العالمية الأولى ، إذ فرضت السلطات البريطانية (بالنيابة عن مصر) التفتيش على جميع السفن ، على بعد ثلاثة أميال من القناة ، وسدت القناة في وجه سفن الأعداء .
- نم أعيد العمل بهذه المبادئ بموجب معاهدات فرساي ولوزان وعصبة الأمم . . حتى أن إيطاليا عبرت قناة السويس (عام ١٩٣٥) لتضرب الحبشة .
- وفي ١٦ أكتوبر ١٩٥١ ، أنهت مصر المعاهدة وحررت القناة . وفي اتفاقية الجلاء (١٩ أكتوبر ١٩٥٢) نص على الاعتراف بأن القناة جزء لا يتجزأ من مصر ، وطريق مائي له أهميته الدولية الاستراتيجية والاقتصادية .
- وفي عام ١٩٥٦ . . أعلن الرئيس عبد الناصر باسم الشعب ، تأميم قناة السويس .

تأميم قناة السويس

خططت حكومة الثورة المصرية ، بعد الجلاء البريطاني عن مصر ، لانتهاء الادارة الفرنسية لقناة السويس . . إذ لم يكن من الممكن طرد الشركة الأجنبية من مصر ، وهي تقيم في أحضان ٨٠ ألف جندي بريطاني .

ويلقى الرئيس عبد الناصر خطبته في مساء الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦ في ميدان المنشية بالاسكندرية . وكانت ساعة البدء ، لتضع السلطة المصرية يدها ، على كل مرافق شركة قناة السويس ، جملة معينة في خطاب الرئيس هي :

« قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس »

وعند اذاعة هذه الجملة ، كانت السلطات المصرية ، قد سيطرت على جميع مكاتب ومنشآت الشركة في مصر والاسماعيلية والسويس ، وبور سعيد .

ويختتم الرئيس خطابه بقوله :

« الآن وأنا أتكلم معكم يقوم أخوة لكم من أبناء مصر ، ليدبروا شركة القناة . . شركة القناة المصرية لا شركة القناة الأجنبية . . قاموا ليتسلموا شركة القناة ومرافقها ويدبروا الملاحة فيها . . فى القناة التى تقع فى أرض مصر ، والتى هى جزء من مصر وملك لها . . نقوم الآن بهذا العمل لنعوض ما فات ولنبنى صروحا جديدة للمعزة والكرامة » .

وسار كل سىء على ما يرام . .

ومضت الملاحة فى القناة (١) فى نظام وهدوء أكثر من ذى قبل .
ورغم محاربة الشركة القديمة ومن يساعدها فى الخارج ، ارتفع رأس
الادارة المصرية عاليا حتى كاد يجاوز السماء .

ويصرح « ايدن » رئيس الوزراء البريطانى ، فى مؤتمر لندن الذى
انعقد مقترحا تدويل القناة :

« بعد تأميم قناة السويس بيوم واحد ، بدأت أصوات العالم العربى . .
هذه ليست قناة السويس ، وانما قناة العرب . . وبدأت القومية
العربية تتجلى فى أكمل صورها . . وتدفقت على مصر التأييدات من ملوك
وقادة العرب » .

مشروع ناصر لتطوير القناة

وقد بلغ دخل شركة قناة السويس المصرية فى (عام ١٩٥٥)
٣٥ مليون جنيه (١٠٠ مليون دولار) . . كانت مصر ، التى مات من
أبنائها ١٢ ألفا فى حفر القناة ، تأخذ منها مليون جنيه فقط .

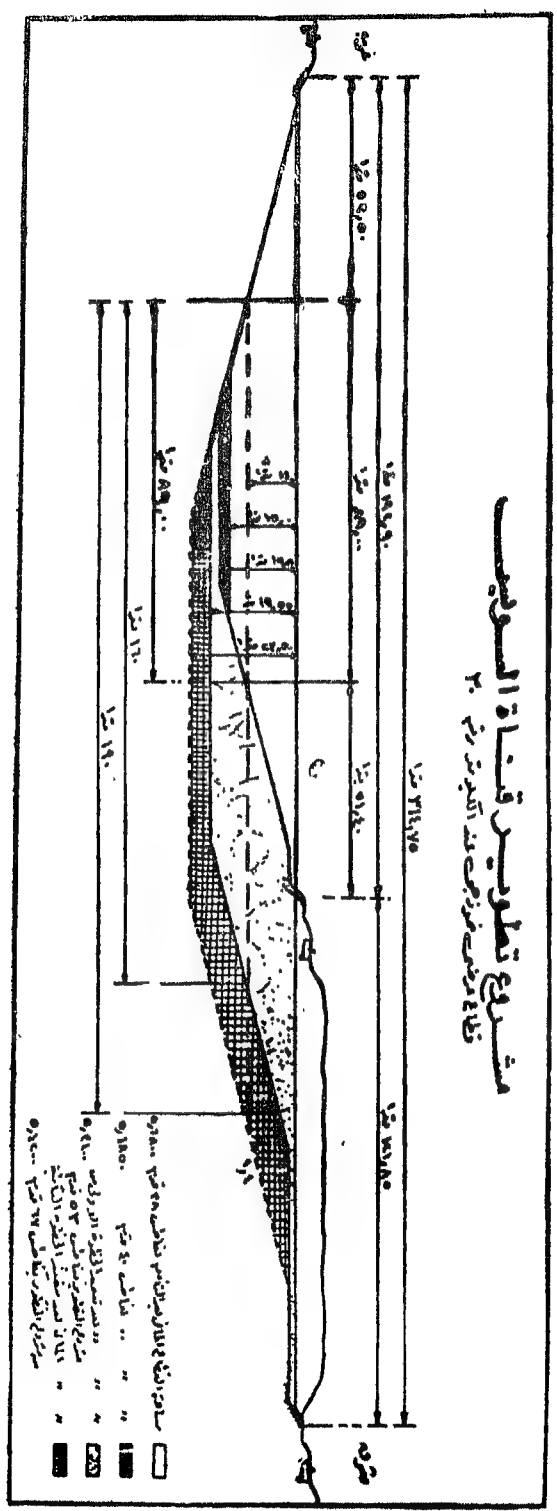
هذا وقد وصل صافى دخل قناة السويس المصرية ، قبل حرب
يونيو ١٩٦٧ حوالى ١١٠ ملايين جنيه بمختلف العملات الأجنبية .

وقد قامت الادارة المصرية للقناة ، بتنفيذ برامج لتطوير القناة ،
وفقا للاحتياجات المتزايدة فى مجالات النقل البحرى العالمى . . وبالفعل
بدأ تنفيذ أولى مراحل « مشروع ناصر » لتطوير القناة فى يناير ١٩٥٨ ،

(١) عبرت القناة فى الأسبوعين التاليين للأمم ٧٦٦ سفينة ، ولم نتقدم أى دولة،
بأى شكوى .

مشروع تطهير قنطرة المسويع

خطا في عرض ملف تعريف الخط في الملف



تطوّر القطاع المائي لقناة السويس

عمق القاع
بالقدم

السنة

٤٠ ١٨٧٠



متوسط القطاع المائي ٣.٤ م

٤٨ ١٩١٢



متوسط القطاع المائي ٧.٢ م

٣٣ ١٩٣٥



متوسط القطاع المائي ١٠.٥ م

٣٥ ١٩٥٤



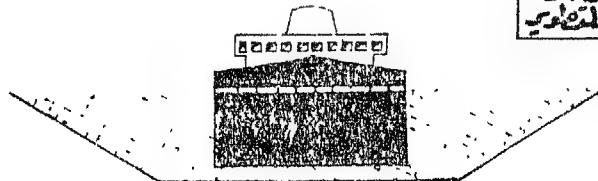
متوسط القطاع المائي ١٢.٠ م

٣٨ ١٩٦٦



متوسط القطاع المائي ١٨.٠ م

٦٧ بعد المرحلة
الثانية للتطوير



متوسط القطاع المائي ٤٢.٠ م

وذلك بعد أقل من ١٨ شهرا من التأميم وبعد ٩ أشهر فقط من اعاده فتح القناة للملاحة بعد عدوان ١٩٥٦ .

ونتيجة لتعبيد هذه المرحلة . سمح للسفن التي يبلغ غاطسها ٣٧ قدما أن تمر اعبارا من ٢ مايو ١٩٦٠ ، والتي غاطسها ٣٨ قدما اعبارا من ٢٩ فبراير ١٩٦٤ . كما قامت الهيئة بتطوير قاطرات السحب لسائر متطلبات الصيانة السليمة للقناة .

وأعلنت هيئة قناة السويس عن بدء المرحلة الثانية من « مشروع ناصر » لتعميق القناة ليصل الحد الأقصى للعمق ٤٠ قدما لمرور السفن التي تصل حمولها ٧٠ ألف طن . وبدأ العمل في (عام ١٩٦٥) وقدر أن ينتهي تنفيذ زيادة الغاطس المسموح به إلى ٣٩ قدما ، في منتصف (عام ١٩٦٧) ، وإلى ٤٠ قدما في نهاية العام نفسه .

ألا أن العدوان الاسرائيلي قد حال دون تنفيذ مراحل التطوير في مواعيدها المقررة .

ونمة مرحلة ثالثة « لمشروع ناصر » تهدف إلى توسيع القناة بزيادة مجراها الملاحي ، على خطوتين ٠٠ الأولى إلى حوالي ٣٠٠٠ متر مربع بغاطس ٥٣ قدما لمرور الناقلات كاملة الحمولة حتى ١٥٠ ألف طن ٠٠ أما الخطوة الثانية فتهدف إلى تعميق القناة ليصل حجمها الملاحي إلى ٤٢٠٠ متر مربع بغاطس ٦٧ لمرور الناقلات حتى ٢٦٠ ألف طن وهي كاملة الحمولة . وحتى ٢٩٠ ألف طن للناقلات بدون حمولة .

الشفة في القناة ٠٠

كممر مائي عالمي

ويقول المهندس مشهور أحمد مشهور ، رجل قناة السويس الأول :

« اننا سنبدأ تطهير القناة لحظة نعطي اشارة بذلك . اننا درسنا خطتنا وأعدنا مشروعنا . لكي تعود القناة إلى العمل في أقرب وقت ، بعد عودة السلام الظاهر . اننا نملك من الامكانيات الخاصة ، ما نستطيع أن ننير به دهشة العالم ، في عملية التطهير وعودة الملاحة ، مثلما أثرتنا دهشته بعد التأميم . في الادارة ومواجهة انسحاب المرشدين » .

وكانت الصهيونية العالمية قد أشاعت على العالم — سواء في عام ١٩٥٦ ، أو ١٩٦٧ — أن قناة السويس منذ أغلقت في وجه السفن

والناقلات البترولية ، قد أطمئت (أى ترسب الطمي فى قاعها وعلى جانبيها) وأصبحت غير صالحة للملاحة . كما نشرت الصهيونية فى الصحف العالمية ، اقتراحا لها بأن تشق قناة فى قلب سيناء ، بدلا من قناة السويس ، يحيط بها مساحة من أرض حياد ، وذلك لمواجهة حاجة أوروبا وأسبها للنقل البحرى .

الا ان كل ذلك ، لم يخرج عن كونه افراءات واقتراحات ، مقصودا بها اشاعة تقليل أهمية قناة السويس كممر مائى دولى .

وتعتبر قناة السويس ، أقصر طريق بحرئ بين الشرق والغرب ، ويحقق اسخدامها فى النقل البحرئ ، وفرا كبيرا فى الوقت والتكاليف ، بالقباس الى طريق راس الرجاء الصالح ، بل أن طريق قناة السويس مفضل ومميز فى خدمة التجارة الدولية ، خاصة ما يتعلق بنقل البترول ، بما يوفره من وقت طبقا لوجهة السفن .

ونسوق مثلا لذلك البيان التالى (١) :

(المسافة ألف ميل بحرئ)						من	الطريق
نسبة الوفرا	الى ثيفربول	نسبة الوفرا	الى هامبورج	نسبة الوفرا	الى مارسيليا		
٤٢٪	١٠٦٨٠ ٦٣٢٣	٤٠٪	١١٢٦٨ ٦٥٩٧	٥٦٪	١٠٤٢٤ ٤٥٦٣	بومباى	رأس الرجاء السويس
٢١٪	١١٧٠٧ ٨٢١١	٢٩٪	١٢٠٥٥ ٨٥٥٥	٤٣٪	١١٤٥١ ٦٥٤١	سنغافورة	رأس الرجاء السويس
٢٣٪	١١٤٣٦ ١١١١٣	٢٣٪	١٤٧٨٤ ١١٥٥٧	٣٣٪	١٤١٨٠ ٩٤٤٣	يوكوهاما	رأس الرجاء السويس
٧٪	١١٨٩٠ ١١٠١٨	٧٪	١٢٢٣٨ ١١٣٦٢	١٩٪	١١٦٣٤ ٩٣٤٨	ملبورن	رأس الرجاء السويس
				٥٧٪	١٠٧٠٠ ٤٥٠٠	الخليج العربئ	رأس الرجاء السويس

(١) المصدر : هيئة قناة السويس (١٩٦٨) .

من ذلك يتضح ، أن قناة السويس ستبقى أقصر الطرق وأرخص الممرات المائية في العالم ، إذ أن رسوم قناة السويس أشد اغراء من أى تكاليف عداها ، مما تعتبرها الشركات العالمية - التي تعيش بعقلية تجارية محضة - أفضل وسيلة لضمان أعلى الأرباح عن طريقها .

الطين

على رؤوس الأطماء

أثناء الحرب العالمية الثانية ، توقفت الملاحة في قناة السويس حوالى خمس سنوات (١) ، لم يرتفع فيها الطمي في قاع القناة أكثر من ٢٠ سم (أى بمعدل ٤ سم في السنة) .

ومن الحقائق العلمية المعروفة ، أن الاطماء لا يحدث الا نتيجة للحركة النشيطة للسفينة ، التي تبعثها محركاتها ، فتسبب التيارات المائية ، التي تثير القاع والجوانب ، مما يساعد على ارتفاع نسبة تكسد الطمي . وبدون مرور السفينة في القناة تكاد تتلاشى ظاهرة الاطماء الا بنسبة ضئيلة .

وتختلف تربة قناة السويس على طول قطاعاتها . ففي الشمال تربة طينية رملية ذات تماسك ، وفي الوسط تربة رملية هي التي تحقق أعلى مستوى في الاطماء ، أما في الجنوب فالقاع صخري لا اطماء فيه .

وعلى ذلك ، فإن كميات الاطماء المتوقعة ، ستكون محدودة أو لا تذكر . بل من المؤكد ، أنه عند فتح قناة السويس للملاحة ، بعد تطهيرها من آثار الحرب والسفن الغارقة ، فإن السفن ستتم بنفس الغاطس (٣٨ قدما) الذي كانت تمر به قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وهكذا تدحض هذه الحقائق والسوابق ، افتراءات اليهود والصهيونية والامبريالية العالمية .

(١) من حديث للمهندس مشهور أحمد مشهور ، رئيس هيئة قناة السويس (نشر بمجلة « المصور » العدد ٢٣٥٤ في ٢١ نوفمبر ١٩٦٩) . وكان سير السفن في القناة مستحوذا لمعظم عمله منذ تأميم القناة حتى تبوأ رئاسة هيئة قناة السويس .

٠٠ اغلاق القناة

وأثره على العالم

يمثل استمرار اغلاق قناة السويس ، ضغطا اقتصاديا على الدول الآسيوية النامية ، ويعطل نمو التجارة الدولية بين أوروبا وآسيا وشرق أفريقيا ٠٠ فان قناة السويس تخفض المسافات بين جميع دول العالم ٠

كما تأثر اقتصاد أوروبا كثيرا ، من هذا الاغلاق ، بسبب الوقت الطويل الذى يقطعه وصول بترول الشرق الاوسط والخليج ، بدوران ناقلات البترول حول افريقيا ٠

وتضاعفت أجور النقل البحرى لزيادة المسافات البحرية فى النقل البحرى ، بالالتفاف حول افريقيا ٠٠ كما زادت أسعار التأمين على السفن والبضائع ، لتعرضها لزيادة مخاطر الرحلة البحرية ٠٠ فمثلا : الناقله التى كانت تقطع ٤٥٠٠ ميل بحرى فقط لتصل من الخليج العربى الى موانئ البحر الأبيض ، اضطرت لتسلك طريق رأس الرجاء الصالح ، قاطعة ١٠٧٠٠ ميل بحرى متعرضة لأخطار ومفاجئات المحيط الجوية ، بدلا من مياه البحرين الأحمر والأبيض الهادئة ٠

فبعد انحسار العدوان الثلاثى على مصر (عام ١٩٥٦) تم تطهير القناة وتطوير الخدمة بها ، فارتفع عدد السفن والناقلات التى عبرتها ، وفقا للبيان الآتى (١) :

بيان	١٩٥٦/٥٥	١٩٦١/٦٠	١٩٦٧/٦٦
عدد السفن العابرة	١٣٠٠٠	١٨٠٠٠	٢٠٠٠٠
الرسوم المحصلة (بالجنيه)	٢٧ مليونا	٥١ مليونا	٩٣ مليونا

ثم حدث عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الغادر ، وأغلقت القناة ٠

ونشأ سباق عنيف ، بين هيئة قناة السويس وأنشطتها التطويرية المختلفة لتحسين القناة وزيادة كفاءتها لاستيعاب مرور أكبر أحجام الناقلات والسفن وبين ترسانات بناء السفن الضخمة العالمية ٠

(١) المصدر : « الأهرام الاقتصادي » - أول أغسطس ١٩٧١ م ٠

وتمخضت هذه المنافسة ، عن ارتباط شركات نقل البترول. الشهيرة - على الأخص الأمريكية بشركات بناء السفن اليابانية ، لبناء الناقلات الضخمة لتعوض بأحجامها الكبيرة - بما تنقله من بترول - بعد المسافات البحرية .

وفى منافسة يهودية ، دعمتها الصهيونية والامبريالية العالمية ، أنجزت اسرائيل - عقب حرب يونيو وبعد اغلاق قناة السويس - مشروع خط أنابيب « ايلات » على البحر الأحمر و « عسقلان » على البحر الأبيض المتوسط ، مارا بصحراء النقب . وذلك لتقصير مسافات نقل البترول . وأشاعت الصهيونية ، أن بناء السفن وناقلات البترول الضخمة ، وكذا استعمال خط أنابيب « ايلات - عسقلان » الاسرائيلي سوف يقضيان تماما على قناة السويس ، بخلق بديل عنها .

وعرف العالم الزيف الصهيوني للحقائق . فلا يمكن لدول العالم الاستغناء عن قناة السويس . فهي الشريان التجارى الحيوى الى الآن ، والجسر الثابت المضمون ، بل أغنى مناطق البترول فى العالم ، وبين أكثر دول العالم المستهلكة لبترول الشرق الأوسط ودول الخليج .

وتنبىء التوقعات والاحتمالات البترولية العالمية ، بأن استهلاك الدول الأوروبية من بترول المنطقة العربية ، سيصل الى (٧٤٥ مليون طن) عام ١٩٧٥ الى (٩٩٥ مليون طن) عام ١٩٨٠ .

ولما كانت الطاقة القصوى لخط الأنابيب الاسرائيلي هي (٦٠ مليون طن) سنويا . فان باقى كمية الاستهلاك الاوروبى للبترول العربى لابد وأن تمر حتما من قناة السويس .

ومن الواضح أن مصر ، قد أدركت الزيادات المتوقعة فى حجم استهلاك البترول العربى فى دول العالم - وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية التى من المتوقع استيعابها لكميات أكبر من البترول العربى بعد عام ١٩٨٥ - فقررت انشاء خط أنابيب بترول ، بين السويس والاسكندرية . وبالفعل انتهت جميع الخطوات التمهيدية ، ورسا عرض تنفيذ انشاء الخط على شركات أجنبية ، كلفت بالفعل ببدء التنفيذ .

ومن الطبيعى أن العرب ، لم يفتهم دور الاستراتيجية الاسرائيلية ، التى تهدف (بانشاءها خط أنابيب بترول على أراضيها) الى وضع عملية نقل البترول العربى والايرانى الى الأسواق الغربية تحت سيطرة اسرائيل . مما قد يؤدى الى خلق صدام بين الدول العربية المنتجة للبترول . وعلى العرب أن يواجهوا تلك النوايا المبيتة ، بطريقة حاسمة .

المستقبل للقناة

تخضع توقعات مستقبل قناة السويس ، على الأسس الوطيدة التي تقوم عليها النجارة الدولية التي تمر بالقناة ، والتي سيزيد من أهميتها التطورات الحالية التي تدور في العالم . بجانب أن مستقبل حركة نقل البترول ستكون بالتأكيد العامل المؤثر في دخل القناة ، إذ أن الرسوم المحصلة من الناقلات نظير عبورها تمثل ٧٣٪ من اجمالي دخل قناة السويس . ويعود ذلك على مصر بالفائدة من العملات الصعبة المختلفة .

ان مستقبل القناة لن يزدهر الا بالعلم .

وكان قسم البحوث في قناة السويس ، أحد مآثر التأميم . إذ يجمع نخبة من العلماء المصريين ، وجعل أساتذة الجامعات ، أهل رأى في كل قضية علمية تمر على مستقبل القناة .

وقد سبق مشروع تطوير وتوسيع القناة ، بحوث ودراسات كثيرة تناولت كل ما يدور ويتعلق ويقترب من أمور القناة . فشملت الدراسة ، اقتصاديات ناقلات البترول وبناءها وتشغيلها والحجم المثالي لها ، ومستقبل البترول في العالم ومستقبل البترول العربي بصفة خاصة . بل ودعت هيئة قناة السويس مندوبين عن شركات الملاحة العالمية ، لمناقشة المشروع ، لارتباط أى مشروع ينفذ في قناة السويس بالأوضاع الدولية .

ورغم توقف الملاحة واغلاق قناة السويس ، فإن البحوث والدراسات ، كانت تأخذ دورها في هيئة قناة السويس ، لتساير مجريات الأمور الدولية . والآن وقد انفتحت القناة فقد استعادت لاستقبال السفن والناقلات ، وتلاقت مع مصر ، في عبورها الاقتصادي العظيم .

القسم الرابع

ثمار حرب أكتوبر

بعث العسكرية المصرية
القيم الروحية من منطق جديد
التحول الأمريكى
التعاون العربى الأفريقى
العبور الاقصادى
التعمير وتطهير القناة
ورقة أكتوبر

الباب الأول

بعث العسكرية المصرية

جولة النصر

الذين تتبعوا جولة الرئيس « محمد أنور السادات » في مدن القناة. وفي الجيش النافى والثالث بسبنا ، أدركوا أن الجولة لم تكن مظاهرة دعائية أو موكبا يضم القادة العسكريين والسياسيين . ذلك أن الجولة واكبت أول ذكرى تجيء بعد النصر لتاريخ ٥ يونيو المشؤوم ، اذ بدأت فى يوم ٤ يونيو ١٩٧٤ وما حل صباح الخامس من يونيو حتى كان الرئيس فى سيناء بين جنوده يستعرضهم ويحدثهم ، ويقف بينهم معلنا :

« جاء يوم ٥ يونيو ونحن تحت راية النصر »

ان توقيت الجولة كان يحمل أبلغ تعبير للأمة العربية عن محو آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، بما سجله جنود مصر فى أكتوبر ١٩٧٣ من انتصارات كانت بمثابة بعث للعسكرية المصرية .

لم يكن التوقيت وحده عقدة ما فى الأمر ، بل حملت الخطب التى ألقاها المشير أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة ، وخطب قادة الجيوش ، وممثلى الاتحاد الاشتراكى والوزراء ، مشاعر جياشة تفيض بفرحة النصر ، وأمجاد ما قام به جنودنا ، والدرس البليغ الذى لقنوه للعدو .

غير أن الرئيس محمد أنور السادات أعلن فى موقعين مختلفين خلال هذه الجولة عن نظريتين جديدتين ، لابد لنا عندها من وقفة ، ولابد لنا أمامهما من نظرة تمحيص . هاتان النظريتان هما نظرية « القوة السادسة » ونظرية « بعث العسكرية المصرية » .

القوة السادسة

أسار الرئيس الى « أن العالم بعد ٦ أكتوبر غير العالم قبل ٦ أكتوبر » وأن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن قد أعلن أن العرب أصبحوا يشكلون القوة السادسة في العالم ، بعد القوتين الكبيرتين أمريكا وروسيا . وبعد غرب أوروبا والصين واليابان . أصبح العرب القوة السادسة في العالم لأن لديهم البترول وهو يمثل الطاقة ، ولديهم رأس المال ، ولديهم أهم من هذا كله وحدة الارادة في استخدام هذه الأسلحة ، وقد استخدمت فعلا في وقت الأزمة وفي وقت المعركة » .

أن قيام القوة السادسة لم يكن وليد يوم وليلة ، ولا ثمرة عفوية لتجمع مبعثه الحماس والانتصار لرابطة الدم ، بل سبقه تخطيط وتجميع دام شهورا ، وتنسيق استمر أعواما ، واتصالات استنفدت كثيرا من الجهد .

ولعلنا نذكر أن أجهزة الجامعة العربية ولجانها لم تكن في وقفة سكون . فكم من مؤتمرات ولقاءات قمة محدودة وغير محدودة عقدت ، وكم من جولات خاطفة في عواصم الدول العربية تمت ، وحسبنا الجولة الخاطفة التي قام بها الرئيس « محمد أنور السادات » قبل المعركة مرورا بدول الخليج والسعودية وسوريا شقيقة الكفاح والعمل المشترك .

ان قيام القوة العربية لتحتل مكانها السادس بين القوى العالمية ليس الا ترجمة للوحدة العربية . . التي ليس لزاما أن تكون مكتوبة أو معلنه ، فإن أهم ما يجمع العرب هو وحدة المشاعر ووحدة الأمانى ووحدة الغايات . وليس أسهل من استقطاب كل الطاقات العربية ، من كون عدوهم عدوا واحدا يتمتع بكراهيتهم جميعا ، ولا يجد بينهم نصيرا واحدا . يحس بغربة عضوية بين دول المنطقة التي فرض وجوده فيها في غفلة من الزمن .

وقيام هذه القوة السادسة ، تسانده امكانيات استراتيجيه ضخمة . أولها وجود منابع ثروة كبرى من مخزون البترول في الرقعة العربية ، وثانيها ملايين بل. بلايين من الجنيهات التي تمثل أرصدة سائلة مودعة في بنوك أوروبا وأمريكا لو فكر العرب في سحبها منها لاهتز الاقتصاد الأوروبي والأمريكي وأصبح معرضا للتقوض ، وثالثها طاقة بشرية عديدة

تتمثل في أكثر من مائة مليون عربي وعربية ، في مقدورها أن تمتص مع الزمن عضوا غريبا - واسرائيل التي لا يزيد سكانها عن ثلاثة ملايين - أو أن نبقيه على الأقل معزولا محاصرا بينها .

ان قيام هذه القوة العالمية السادسة لم يكن الا ببناء الواجب أعلنه الأخوة المخلصون فتدفقت جموعهم الى ميادين القتال ، فأصبح الجندي المغربي والعراقي والأردني يقاقل على جبهة واحدة الى جانب أخيه السوري . وغدا الطبار الجزائري والسعودي والعراقي يقلع بطائرتة من مطارات مصر ، وتحقق شعار طالما هفت النفوس اليه ألا وهو شعار « أمة عربية واحدة » .

ويوم امتزج السلاح العربي وأصبحت الدبابات العراقية يستخدمها جندي مصري والطائرات الجزائرية يطير عليها طيار مصري ، أدرك المحللون أن تجمع العرب قد خلق فيهم قوة لم تكن معهودة فيهم من قبل .

بعث العسكرية المصرية

أن القول ببعث العسكرية المصرية الحديثة يمثل صفحة جديدة في أمجاد أمة عريقة لها ماض وتاريخ مشرف في نفس المضمار ، ولها أصالتها وبطولاتها على نفس الدرب . ويأتي اعلان البعث مرتكزا على انقشاع ضباب غمة النكسة التي جنمت على صدر الأمة العربية ستة أعوام ونصف ، وأنبلج فجر جديد تحت رايات النصر .

ومن موقف القوة انطلق نداء الرئيس « محمد أنور السادات » من فوق موافع حررتها سواعد جنود مصر بعد أن دنستها أقدام الصهاينة ومن فوق حصون خط بارليف الذي جعله التكتيك المصري أضحوكة في التاريخ العسكري ، انطلقت صيحة الرئيس :

(ان الموقع الذي نقف عليه الآن ، وقد رأيت اعداده والهجوم عليه والاستيلاء عليه بكامل وثائقه ؛ عمل عسكري خارق . وأقول : أروع الأعمال العسكرية كلها . وأنا فخور بهذا لأن أولادي أنجزوا المهمة . وأقول : ان العسكرية المصرية الحديثة ، بدأت من هنا) .

ان العسكرية المصرية لم تبدأ بهذا من فراغ ، ولم تولد في مهد جديد وانما هي تبعث من رقدة عابرة ، وعشرة موقوتة .

وحسبنا أن ندلل على ذلك بوقفات على طريق طويل ، تعتبر معالم

على هذا الطريق لتؤكد أن العسكرية المصرية ليست عرضا أتى غفلة من الزمن .

وليس لنا من فخر نؤكد به هذا القول ، أبلغ من الحديث المنسوب الى رسول الله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى وصف الجندى المصرى .

« اذا فتح الله عليكم بمصر ، فاتخذوا بها جندا كفيفا فان هذا الجند خير أجناد الأرض » . قيل « لماذا يا رسول الله ؟ » قال « أنهم فى رباط حتى تقوم الساعة » .

ولو تتبعنا الأعمال الحربية للجنود المصريين خلال عصور التاريخ فسنجد لصلافة عود الجندى المصرى وانتصاراته تسجيلات تجل عن العصر . وحسبنا تتبع هذه الانتصارات خلال القرن الماضى والقرن العشرين وحدهما للتدليل على ما نقول وليس القصد هنا طبعاً تقصى أحداث التاريخ بتفاصيله ، ولا التاريخ لمواقع حربية بذاتها ، ولكن القصد الاشارة الى خلاصات نتائجها .

لذلك لسنا فى حاجة الى الغوص فى أعماق أحداث التاريخ . اكتفاء بالرجوع قرنا واحدا الى الوراء ، لنخرج على أحداث العسكرية المصرية فى عهدها الحديث حتى يستطيع القارئ المعاصر أن يستخلص من وقائعها التى عاش أزمان بعضها ما نريد قوله . ذلك أننا فى غنى عن الاشارة الى مواكب النصر على ضفاف النيل فى عهد رمسيس وأحمس وفى ظل الحكم الاسلامى ، كما أن العودة الى بطولات الحروب الصليبية ودور جنود مصر ، فيها ارتداد بعيد الى الوراء .

العسكرية المصرية فى الماضى

يمكن القول أن العسكرية المصرية لم تظهر فى صورة منظمة تعتمد على الفلاح المصرى ، ابن مصر الأصيل النابع من أعماق ريفها وصعيدها الا فى أعقاب اندحار الحملة الفرنسية ، وبدء عهد محمد على .

وعبر مختلف حقب التاريخ ، ومهما خالطت جنود مصر فى جيشهم شوائب من أمم أخرى ، كالمماليك والسلاجقة والأرناؤوط والأتراك ، فان روح العسكرية المصرية ظلت كامنة بجوهرها الأصيل فى أعماق الشعب المصرى .

وكانت محصلة ذلك كله ثبوت قدمه ، وذيوع شأنه ، والاعتراف

بقدرته حينما انطلق وغزا وعمل فقد انطلق الجندي المصري لبرفع أعلامه فوق مواقع شتى في قارة أفريقيا حتى أقصى جنوبها ، وفي كثير من روابيها في السودان والصومال والحبيشة • ولعلنا لانسى أنه أنى يوم كان حاكم مصر يزهو بأطول لقب من نوعه ، فهو حاكم مصر والسودان ودارفور وكردفان وزيلع وهرر • ويخرج الجندي المصري شمالا صوب ربوع الشام ، ليدير معاركه ، في عكا وصيدا وحيفا وحمص وطرسوس وانطاكية والاسكندرونة ، حتى بسط نفوذه فوق الأناضول •

وخاضت أساطيله معارك بحرية فذة في البحرين الأبيض والأسود حتى وصل جنوده القرم ، ليحاربوا فوق جبال الصرب ونلوج روسيا ومرتفعات اليونان ، وفوق روابي كريت وصقلية •

ويمم الجندي المصري وجهه تسيطر الشرق ، فبسط سلطانه فوق صحارى شبه القارة العربية ، وتحت حمايته أمنت الأراضي المقدسة •

ولندلل على ذلك ، لنا في التاريخ وقفات ، توضح لنا ديناميكية العسكرية المصرية في نفوس أبناء مصر •

— دهمت الحملة الفرنسية مصر عام (١٧٩٨) ولم يكن بها قوات نظامية بالمعنى الذى نفهمه حاليا • فقد ظلت تحتل بنيران الحكم العثماني قرابة ثلاثة قرون منذ عام (١٥١٧) • ورغم ذلك فان الغزو الفرنسى لمصر لم يكن آمنا منها ، ولم يلق ذلة ولا استكانة من أهلها • فجابها فى القاهرة تورتين متعاقبتين فى أكتوبر عام (١٧٩٩) ثم فى مارس عام (١٨٠٠) • لم يكن لهذه التورات قادة ولا زعماء ، ولكن كان لها متطوعون كل منهم قائد وكل منهم جندي ، فانقلب أهالى القاهرة كلهم جنودا بلا زى عسكري ولا تنظيم حربي ، انطلقا من روح الجندية وشعور العزة الكامن فى أبناء مصر ، مما حسر العدوان الفرنسى وأقض مضجعه فلم يلبث الا ثلاث سنوات •

— كما باءت الحملة البريطانية عام (١٨٠٧) على الاسكندرية ورشيد بفشل ذريع ولقيت هزيمة منكرة فى رشيد ، فشددت الرحال عن المدينتين بعد احتلال لم يدم غير شهرين لقنت خلالهما درسا بليغا •

ومنذ أن انتظمت لمصر تنظيمات حربية مقاتلة ، عمادها جنود جلهم مصريون يقودهم بعض من الضباط المصريين كذلك ، أصبح للجندية المصرية أمجاد هيأها الحكام • ولعلنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

● معارك الحشود المصرية فى حرب المورة فى أرض اليونان الوعرة عام ١٨٢٢ ، وفوق أرض جزيرة كريت كذلك •

● معارك الاناضول ، اذ دى الجنود المصريون أبواب الآسستانة عندما دفعهم محمد على عام ١٨٣٢ لتهديده مقر خلافة الحكم العثماني ، وللاستبلاء على بلاد الشام .

● انطلاق الجنود المصريين على ارتال بين عامي ١٨٢٠ ، ١٨٢٢ الى السودان وأعمى جنوب وادى النيل حيث استولوا على مديريات حط الاستواء ، وجاسوا خلال أحراش بحر الغزال وبحر العرب حتى بلغت حملتهم منابع النسل فى أقاصى الجنوب حتى بحيرة مكتوريا .

● ولعل اعجب الحملات المصرية ، تلك التى بعثها سعيد باشا عام ١٨٦٣ الى المكسيك ، معاونة لصديقه حاكم فرنسا نابليون الثالث . ولقد ابست الأورطة المصرية التى كان بعض عناصرها أيضا من الجنود السودانيين القدرة على الأعمال البطولية الفذة وسط جنود فرنسا وانجلترا واسبانيا ، وشهد بذلك كبير من القادة العسكريين الفرنسيين زاء ما حققت من أعمال فذة فى صد الثوار المكسيكيين .

ويوم اسنشهد فائد هذه الأورطة وهو يؤدى واجبه ، نعتته السلطات الفرنسية ووصفنه بأنه كان ذا صفات عسكرية نادرة ، وأنه كان يقوم بواجبه على الوجه الأكمل ، ومقدرا المسؤوليات الملقاة على عاتقه .

وفى أحد تقارير قادة هذه الحملة من الضباط الفرنسيين وصف جنود الأورطة المصرية - السودانية بأنهم قاموا بأعباء القتال غير مبالين بالنراى المنصبه فوق رؤوسهم ، وأنهم استطاعوا صد قوة معادية تفوقهم شى العدد نسع مرات .

وعادت البقية الباقية من صف وجنود هذه الأورطة ؛ وكانوا كلهم يحملون الرتب الاستثنائية التى رقا إليها ، الى جانب الأوسمة والنياشين والمكافآت التى أنعم عليهم بها . بعد أن خاضوا ٤٨ معركة لم يهزموا فى واحدة منها . واسنقبلهم استقبال الأبطال فى باريس الامبراطور نابليون الثالث ، وأنعم عليهم عند عودتهم لأرض مصر عام ١٨٦٧ الخديو اسماعيل .

● ثم نجلت روح العسكرية المصرية فى أروع صورها أثناء الثورة العربية عام ١٨٨١ . التى كان مبعثها الحقيقى ابناء الضباط المصريين لاستبداد اخلاط الشراكسة والأرناؤوط . الأتراك بشئون الجيش وانفرادهم بالمناصب القيادية به ، وتعمدهم اضطهاد المصريين .

ولقد تمثلت أروع صور العسكرية المصرية أباًؤها الضمير في وقفة
عرايى أمام الخديوى توفيق وسط ميدان عابدين ، ومن خلفه كل الجيش
المصرى فى قوله التاريخى للخديوى بعد أن أعلن أمامه مطالب الأمة
والجيش وبعد أن رفض الخديوى هذه المطالب :

« نحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم » •

ومواقف عرايى العسكرية أبان الثورة التى سميت باسمه
لا حصر لها ، ومنها بعث الوجود لمدرسة من ضباط مصر النابغين من
طبقات شعبها ، برزوا فى وقفهم لصد العدوان البريطانى يوم تصدى
لدور الثورة العرابية واحتلال البلاد •• ومنهم :

« طلبة عصمت - محمد عبيد - على فهمى - عبد العال حلمى -
حسن جاد - محمود فهمى - يعقوب سامى - خورشيد طاهر - اسماعيل
صبرى - محمد رضا - خليل كامل - سليمان سامى - مصطفى
عبد الرحيم - عبيد محمد كامل - أحمد فرج - اسماعيل ذهني - راشد
حسنى - أحمد عبد الغفار - عبد الرحمن حسن - محمد بهجت -
محمد أمين - على الروبى » •

وغيرهم ممن كانت لهم مواقف عسكرية فى مواقع حربية أقضت
مضاجع الأسطولين البريطانى والفرنسى وجنودهما فى الاسكندرية وكفر
الدوار والقصاصين والتل الكبير والسويس •

ورغم أن الثورة العرابية باءت بالفشل فى النهاية وأدت الى احتلال
البريطانيين لمصر ، الا أنها كانت محكا حقيقيا للعسكرية المصرية بعثت
فيها الروح وأظهرت فيها بواطن الجلد • فأتت كمرحلة لوقفات مصرية
قديمة مع نابليون وكليبر وفريزر ثم سيمور قائد الأسطول البريطانى
الغازى •

العسكرية المصرية بعد عرابي

• مرت العسكرية المصرية بفترة سكون فى أعقاب ثورة عرابي ، وأجهز عليها الاحتلال البريطانى ، شأن كل منتقم • لذلك لم يظهر بعده نفي عرابي قائد عسكري أو بطل من صفوف الجنود ، لأن الجنود أنفسهم لم يكونوا موجودين • ولذلك اقتضت صور هذه البطولة خلال هذه الحقبة على الزعامات السياسية التى أخذت تناوى الاستعمار وتنادى بجلاء المحتلين وحب الوطن وكره المستعمرين • فبرز من الزعماء مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول •

ولعل اندلاع ثورة ١٩١٩ كان التعبير الحقيقي عن المشاعر الجياشة التى نارت فى نفوس أبناء مصر • ولكن وقتها لم يكن لمصر درع من أنبائها يحميها ، فقد كان المحتلون أنفسهم قابعين فوق أرضها ، لذلك تلقى الطلبة والوطنيون من جماهير الشعب التأثير الرصاص بصدورهم ، وهم عزل الا من سلاح هزيل •

• وأبان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ لم يكن قد تبلور لمصر جيش الا فى صورة بعض أوطر المشاة وبطاريات المدفعية • ورغم ذلك فقد كلفت هذه القوات المحدودة بمهام مؤازرة القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ، وسيناء ، والدردنيل والسودان •

• وعام ١٩٣٦ عقدت معاهدة الصداقة بين مصر وبريطانيا ، تلك الصداقة التى ظلت صورية مدة طويلة • وكان من أولى ثمار هذه المعاهدة أنها أتاحت الفرصة للحكومة المصرية لزيادة قوة الجيش ، وتطوير سلاح الطيران (الملكى) المصرى ، والذى كانت قد بدأت نواته عام ١٩٣٢ ببضع طائرات صغيرة ليس لها غير مطار واحد تقلع وتهبط فيه هو مطار المأظة •

• ولم يأت عام ١٩٣٩ عند اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، الا وكان لمصر جيش قوامه بضعة آلاف من الجنود ، وبضع مئات من الضباط وقوام عتاده سلاح بريطانى يتألف من المدافع والدبابات والمصفحات والطائرات وبضع قطع بحرية صغيرة ، بالإضافة الى الأسلحة الصغيرة •

ورغم الحجم المحدود للقوات المصرية ، فقد انيطت بها مهام حربية
تأنوبة في منطقة قناة السويس والصحراء الغربية وفوق أرض مصر نفسها ،
وشاركت قواها مشاركة فعالة في اكتساب خبرة القتال في الدفاع
والهجوم ، بالإضافة الى مهارات القتال الفنية في أعمال الامداد البرى ،
والاستطلاع البرى والجوى ، والدفاع الساحلى وحراسة الموانىء ، وبت
الالغام البحرية ، واعداد غرف العمليات ، وتنظيم الدفاع الجوى السلى ،
ومراقبة الطائرات ورفع الباليونات والخدمات الطبية ، وتسجيل الأسرى ،
وحماية القوافل النهرية والبحرية ، وصد الاغارات الجوية المعادية بالمدفعية
المضادة للطائرات ، وأعمال الأنوار الكاشفة لاكتشاف الطائرات ، وتسجيل
الأرصاء الجوية في طبقات الجو العليا ، وحراسة الحدود .

وما وضعت الحرب أوزارها الا وكان لفيف من الجنود والضباط
المصريين ، الذين خلصت نوعياتهم من كل أخلاط الاجناس الأخرى من
ممالك وأكراد وأتراك وأرناؤوط ، قد أصبحوا ذوى خبرة علمية في فنون
القتال . ولا يفوتنا الاشارة - الى علم من أعلام العسكرية المصرية في هذه
الحقبة له تاريخ فريد في نوعه وهو التفريق « عزيز القصرى » الذى تميز
بوقفات نضالية وبطولية نادرة ، والذى يعتبر الأب الروحى لأبطال
العسكرية المصرية المعاصرين .

• وفى محك التجربة الفعلية للقوى ، فى حرب فلسطين أو الجونة
العربية - الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ ، ثبت أن العسكرية المصرية
الكامنة فى جنود وضباط أبناء جيش مصر بخير . فقد أتت
ببطولات جعلت شرادم وعصابات الصهيونية فى مأزق رغم مساندة
الدول الكبرى لها وكأنها فى مسابقة أو مباراة تأييد لهذه العصابات ،
فقد كان بعضها يعمل بتمويل من أمريكا والمبعض برجال من روسيا
والبعض الآخر بمتطوعين من دول وسط أوروبا .

ورغم افتقار الجيوش العربية التى تحركت جميعها نحو أرض فلسطين
الى التنسيق والتخطيط فيما بينها . وافتقار قيادات كل جيش منها الى
حنكة القتال المدرب ، وخاصة أمام عصابات من المتطوعين ، فقد طفت فوق
سطح الأحداث أعمال بطولات خارقة أتى بها متطوعون وضباط وجنود
مصريون ، نخص بالذكر منهم :

« البطل أحمد عبد العزيز - أحمد المواوى - فؤاد صادق - سيد طه
- معروف الحصرى - جمال عبد الناصر - زكريا محبى الدين - عبد الحكيم

عامر - كمال الدين حسين - صلاح سالم - عبد اللطيف بغدادى - حسن
ابراهيم - جمال سالم »

٨

غير أن أهم ما تكشف أمام هؤلاء الأبطال كان قضية أخلاقية عمادها قيادات الحكم نفسه فى مصر . اذ تبين أن أغلب أسلحة الجيش المصرى فاسدة ارتشى الذين اشتروها غير مبالين بأرواح زملائهم ، وإن أهم ما ينقص الجيش بعد السلاح هو العلم العسكرى والتنظيم الحديث .

وعلى أضواء نيران الأسى من تجربة راح ضحيتها المئات من ارواح الشهداء ، بزغ فجر جديد على أيدي زمرة من الضباط المصريين . تمثلت فيهم بقوة روح العسكرية المصرية بأسى تجربتها الأليمة فى فلسطين ، فاسموا تشكيلهم « الضباط الأحرار » ، وعلى أيديهم تفجرت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . لتتقود مصر الى عهد جديد .

العسكرية المصرية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢

- أتت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كشرة من ثمار العسكرية المصرية ، فأبطالها كلهم من نخبة الضباط الأحرار ، هب يساندتهم بقية أفراد الجيش ، وشعب مصر بأسره .

وكان أحد الأهداف الستة لهذه الثورة التى أعلنت منذ الساعات الأولى لقيامها ، هدف يقرر « ضرورة بناء جيش وطنى قوى » . وكان الاحساس الحقيقى لصانعى الثورة أن تسليح الجيش آنذاك كان أكذوبة صنعها الملك الذى طرد ، مع المستعمرين ، بما يكفى لحبك تمثيلية متقنة أمام شعب أعزل . ولا عجب ، فقد كانت أولى مهام هذا الجيش التشريعات والاستعراضات وحماية نظام الحكم الملكى ، كما كان افتقاره الى السلاح الحديث المتطور ، والعتاد الثقيل الذى يجعله قادرا على خوض معارك حربية ، سببا فى اندحاره عائدا من فلسطين ، تاركا إياها لشرازم الصهاينة .

- ما حل عام ١٩٥٤ حتى كان البريطانيون قد اقتنعوا بأن استمرارهم فى احتلال قناة السويس مستحيل ، وبعد جلسات ومفاوضات ناجحة أعلنت اتفاقية الجلاء فى أكتوبر ١٩٥٤ .

ثم ما حل عام ١٩٥٥ حتى أحدثت الثورة المصرية الوليدة انقلابا فى ميزان التسليح بين القوى العالمية . فقد فتح جمال عبد الناصر باب الشرق

الأوسط الذى كان مغلقا أمام دول الكتلة الاشتراكية التى سزعها روسيا ، على مصراعيه . وتدفع السلاح السوفيتى على مصر ومن بعدها سوريا . وأصبح للجيش المصرى سلاح شرقى وعقيدة تنظيمية عسكرية جديدة . اصطلاح على تسميتها « العقيدة الشرقية » .

وسرعان ما أصبحت طائرات « ميغ - ١٥ » تظلل بحمايتها سماء القاهرة وتدفقت مدافع ومركبات ودبابات ومجنزرات سوفيتية الى الوحدات المصرية فى الصحراء الشرقية والغربية . وأخذت قطع بحرية سوفيتية مكانها قرب شواطئ مصر الشمالية . وغدت أجهزة الرادار والمعدات الفنية الشرقية تشكل عهاد ترسانة الأسلحة المصرية ، تآتى إليها أحيانا من روسيا ذاتها وأحيانا أخرى من تشيكوسلوفاكيا الدائرة فى فلكها .

ومع هذا التطوير فى التسليح ، تدفق سيل غزير من المعلومات الى عقول ضباط مصر على كافة المستويات ، بدءا بالقيادات العليا التى انتظم عدد كبير منها فى دورات عسكرية متقدمة لدراسة فنون الحرب والقيادة على المستويين التكتيكي والاستراتيجي . فأصبح لمصر فى سنوات معدودة جيش أخذ فى القوة ، وقيادة آخذة فى التبلور ، يقف وراءها شعب له من الوعى رصيد كبير . ولقد هزت صفقة الأسلحة الشرقية لمصر ، أمريكا وأوروبا هذا عنيقا ، وجعلتهما يقفان فى تحفز لهذه الطفرة العسكرية ، التى لم يكن لها مثيل فى التاريخ منذ سنوات مضت قبل هذا العهد .

وآنذاك كانت الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية قد استوت على أوجها فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية فلم يكن غريبا أن تذكى هذه الصفقة أوار هذه الحرب غير المعلنة ، وتزيد شقة التباعد الايديولوجي بينهما . لذلك لم يكن غريبا أن تفكر الدول الغربية فى طريقة فعالة لاجهاض هذا الجهد وافراغ العسكرية المصرية من شحناتها .

ولقد سنحت الفرصة كاملة فى اعلان تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ذلك المرفق الذى كان بمثابة البقرة الحلوب لأكثر من دولة أوروبية . والتى لم يكن يصيب مصر من دخلها غير فتات مائدة السادة .

عندئذ تأمرت إنجلترا وفرنسا مع مخلب القط اسرائيل لافتعال سبب يعطى هذه الدولة الصنيعة ذريعة الاعتداء على مصر . ولم تكن الحشود الاسرائيلية التى تكاثرت أمام الحدود السورية بأكثر من تمثيلية لكى تهدد

عصر بأن أى اعتداء على سقيقتها سيورية يعتبر عدوانا عليها فتحول العدو بحشوده نحو سيناء ميمما وجهه شطر قناة السويس • وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وجهت إنجلترا وفرنسا انذارهما الى مصر واسرائيل التى اجتاحت حشودها أرض سيناء بالابتعاد عن قناة السويس من كلا جانبيها •

وجابهت العسكرية المصرية اممحانا قاسيا فى صد العدوان ذى النلات سعب والمتعدد الاتجاهات،والذى تدير دفته دولتان كبيرتان وصنيعة لهما • وادراكا من الرئيس جمال عبد الناصر لاستمرارية المعنيين ، صدر الامر بانسحاب الجيش المصرى من سيناء الى غرب القناة ، ليتفرغ للدفاع عنها وحدها ، واينفرغ لصد الهجمات الانجليزية والفرنسية على مدن القناة من الجو والبحر الأبيض شمالا نحو بورسعيد ، والبحر الأحمر جنوبا نحو السويس • وكان التصور قبل هذا يلوح فى امكان هبوط هؤلاء الغزاة غرب الاسكندرية لاجتياح شمال الدلتا والتقدم نحو بورسعيد •

ولقد أثبتت العسكرية المصرية الوليدة والتى لم يكن قد مضى على اعادة تسليحها بالأسلحة الشرقية غير عام تقريبا ، أنها قد استوعبت ما لديها من سلاح •

وفوق مدن القناة وحولها ، وفى البحار القريبة منها ظهرت بطولات مصرية فى البر والبحر والجو ، سيطرت للعسكرية المصرية صفحة فخار فى التاريخ • فقد احبط نفر قليل من ضباط المدفعية الساحلية المصرية تقدم عدة بوارج حربية بريطانية نحو السويس • وأغرق ضابط زوارق الطوربيد المصرية الصغيرة البارجة الفرنسية الضخمة (جان بارت) أمام شواطئ دمياط تحت أمره بطل من أبطال البحرية المصرية هو الشهيد « جلال دسوقي » يؤازره بطل سيورى منخرط فى التدريب بها هو الشهيد البطل « جول جمال » •

وقامت وحدة مدفعية مضادة للطائرات فى جلد بطولى باحباط هبوط فرنسى بجنود المظلات على مدينة بورفؤاد فعطلت هجومه اثنتى عشرة ساعة كاملة ، واستبسلت كل الشكيلات المصرية فى بورسعيد فى صد العدوان الذى كان يوجه ضرباته من الجو والبحر • وفوق أرضها قام آلاف الشهداء من المدنيين والعسكريين على السواء بواجبهم المقدس فى الذود عن شرف الوطن • وكان أروع ما فى المعركة التحام تام بين الجيش والشعب أعطى للعالم أروع أمثلة الفداء •

وبعد أن أفلح العدو في احتلال بورفؤاد وشطر من بورسعيد ، ووقف عاجزا عن احتلال شبر واحد من السويس ، أحس المعتدون أنهم في مصيدة بعد أن أقضت مضجعهم وحدات الصاعقة التي تسلمت الى صفوفهم . ولقد لعبت الاستراتيجية الدولية دورها في لعبة الشد والجذب بين الكتلتين الشرقية والغربية فلم تكن أمريكا تبارك هذا العدوان وهددت روسيا باستخدام صواريخها اذ لم يقف عند حد وانتهت الغزوة القاشيلة في ٢٣ ديسمبر من نفس العام .

العسكرية المصرية هي حجم جديد

رحل آخر جندي من الحملة الانجلو - فرنسية عن بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ وانسحبت شراذم العملاء الاسرائيليين من سيناء الى مواقعها في ١٤ يناير ١٩٥٧ ، وأقر المجتمع الدولي وضمع بوليس دولي ليفصل بين مصر واسرائيل ، وليؤمن الملاحة البحرية في خليج العقبة وشرم الشيخ . وبذلك انسدل الستار على تمثيلية هزلية كان هدفها الرئيسى الارادة المصرية واجهاض وليدها العسكرى . لكن هذه التجربة أوقعت الغرب فى شر أعماله ، فقد تأكدت سيطرة المصريين على ادارة قناة السويس وتأكد تدفق السلاح السوفييتى فى المنطقة وتضاعف احساس العسكرية المصرية بكيانها . ومع طبول النصر التي أخذت تدقها أجهزة الاعلام المصرية ، وضعت خطط مضاعفة أحجام كل التشكيلات الحربية المصرية فى البحر والبر والجو ، وتدفق السلاح غزيرا من الاتحاد السوفييتى ومن حليفته تشيكوسلوفاكيا .

والحق يقال ان أجهزة الاعلام أعطت أبعادا لانتصارات مصرية لم تكن فى الحسبان ، وجعلت من فكرة انسحاب الجيش من سيناء أيديولوجية خارقة رسمت فى أذهان البعض أنها أسلوب الحرب الوحيد فى سيناء .

وفى غمار الفرحة بالنصر ، اذن مؤذن فى الشرق ببناء جديد ، بعث الحياة فى القومية العربية الكامنة فى أعماق شعوب المنطقة ، والتي لم تكن تمثل الا آمالا تتراقص فى أحلام المخلصين من أبنائها . فقد أعلنت الوحدة العربية بين سوريا - ومصر فى فبراير ١٩٥٨ . وكان ذلك فى حقيقته ثمرة لتعاون تلقائى بين البلدين بدأ واضحا ابان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ عندما عطلت سوريا خطوط ضخ البترول الى مصافيه على البحر الأبيض .

مصر بعد العبور - ٢٧٣

وأخذت العسكرية المصرية بعدا جديدا فى الامتداد الى القطر الشمالى (سوريا) • وبين يوم وليلة أصبح السلاح السورى والمصرى صنوان • ورغم أن روسيا لم تكن تبارك هذه الوحدة ، ووقفت منها موقف الجمود لأنها لا ترحب بأى تجمع قومى أو اقليمى ، فقد أخذت عقود الأسلحة تترى على الاقليمين الشمالى والجنوبى • ومعها انخرط آلاف من الضباط المصريين فى دورات دراسية تخصصية فى الاتحاد السوفيتى لاتقان فنون القيادة والتكتيك والأعمال الفنية ، حيث أثبت الضباط والجنود المصريون أنهم على مقدرة ذهنية لاتقان استخدام أعقد معدات القتال • ورسخت أقدام العقيدة الشرقية فى مصر • ولم يأت عام ١٩٥٩ الا وأصبح للجمهورية العربية المتحدة غواصات بحرية كانت مصدر قلق لاسرائيل • ولم يأت عام ١٩٦٠ الا واستكملت تصميمات الطائرة العربية النفاثة المقاتلة « القاهرة » ورغم أن ركب الوحدة بين مصر وسوريا انفرط عقده عام ١٩٦١ وأصبحت القومية العربية بنكسة • الا أن عام ١٩٦٢ جاء مبشرا بفنح جديده هو اطلاق الصاروخين « الظافر والقاهر » من نوع أرض / أرض ، فدخلت العسكرية المصرية بذلك عالم التسليح الصاروخى وأصبحت قوة لا يستهان بها • ثم شهد نفس هذا العام (١٩٦٢) ، تحولا كان فى الواقع المنعطف فى ركب العسكرية العربية ، اذ اندلعت الثورة فى اليمن فى سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وأطاحت بحكم الامام ، على يد الضابط « عبد الله السلال » الذى وجد نفسه وسط عالم عربى غير متماسك تبادد قواه المنازعات والتناقضات ، فاستنصر بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة التى ظلت تحتفظ بنفس الاسم استمساكا بفكرة الوحدة العربية •

العسكرية المصرية فى اليمن

وكان قرار نجدة اليمن بمشابة رى الصحراء بمياه النيل ، فقد بدا طلب المعونة فى صورة طائرة لنقل الرئيس السلال لتفقد القبائل واستمالتها للوقوف بجانب ثورته ، ثم بطلب حماية قادة الثورة بأعداد من رجال الصاعقة ، ثم بطلب حماية أراضى اليمن نفسها من الرجعية اليمنية التى هربت الى الجبال وأخذت تؤلب القبائل • لذلك تدفقت على اليمن أسراب من الطائرات المصرية المقاتلة وأسراب أخرى قاذفة مقاتلة ، وجنود وكتائب ومدافع ودبابات والحشود التى أخذت تتدفق نحوها من السعودية ومن الربع الخالى • ولم يمض غير شهور قليلة حتى

أصبح ٤ الجيش المصرى وقواته فوق ربوع اليمن • وهنا لابد من وقفة لنحلل فى ميزان المكاسب والخسائر ماذا أفادت العسكرية المصرية فى حرب اليمن ، التى ظلت تتصاعد باستمرار وتشكل استنزافا لطاقات مصر العسكرية والاقتصادية على السواء •

والحق يقال أن حرب اليمن لم تكن صورة للحرب المنظمة ولا صورة من حرب العصابات ، بل كانت صورة فريدة فى نوعها ، فقد كانت حربا من طرف واحد تتمثل فى جيش يطارد حفنة من المتمردين ، كل سلاحهم عتاد عتيق ليس تجاوزا أن بعضه كان من سلاح القرن الماضى • وكل مؤونتهم حفنات من شعير ودقيق وزبيب ومأواهم رؤوس الجبال وجحورها وكهوفها • هم بعد ذلك منصرفون عن كل صور الحياة لا شأن لهم بها •

وكان يحركهم المال وعصبية القبيلة ، بلا فهم أو وعى أو عقل • لذلك لم يكن غريبا أن يقف قبلى واحد يتخذ موقعا عاليا فوق ربوة أو يختفى فى تجويف من تجاويف الجبال ليعطل مسيرة رتل من العربات والمجنزرات والدبابات • هم يقصفونه بأحدث الأسلحة ، وهو يصطاد رجالهم واحدا اثر الآخر ، ويعطل مسيرتهم • ولم يكن غريبا أن يستطيع قناص يمنى واحد أن يصوب بندقيته نحو طائرة مصرية • فيصيبها فى غفلة من قائدها •

وكانت الحلول أحيانا ، ان تقوم الطائرات بقصف الجبل ذاته ، لتتخلص من هذا التمرد • أو تركز المدفعية طلقاتها على الجبل ، لعلها تفلح فى اصابة الكهف المجهول الذى يقبع به المتمرّد •

ومضت حرب اليمن ، هكذا • • بلا محاور للقتال ، فى جبهات لا حدود لها وفوق أرض طبيعتها جبلية ، وضد قوم تسود بينهم أحكام القبيلة بأفاقها المحدودة ، يمكن أن يشتروا بالمال وأن يموتوا لأتفه الأسباب • ولعله من الحق القول بأن الريال لعب دورا فى حرب اليمن كما لعبت الطائرة والدبابة والمدفع • ذلك أن بعض القبائل كان ولاؤها مرهونا بتدفق الريالات على رجالها ، فاذا ما توقفت ، انقلبوا الى الطرف الآخر يبيعونه ولاءهم ويأخذون منه ليطلقوا رصاصهم نحو صدور جنود مصر • وأصبحت العسكرية المصرية متورطة فى عمل يصعب الانسحاب منه، ويمزق نفوس رجالها شعور دينى ، يتمثل فى استنكار محاربة مسلم لمسلم وعربى لعربى ، مهما كانت منازعتهم • فى حين مضى بعض الضباط يتهايمسون مستنكرين البطش بالقرى الآمنة لمجرد أن بعض أنصار الامام مختبئون بها • وأولع بعضهم بالحساب ، فأحصى القنابل التى اسقطت فوق جبال

اليمن ، وخلص الى أنها لو كانت اسقطت فوق الجزيرة البريطانية لكانت قد دكتها . وتعرضت مصر للتشهير من بعض الدول العربية الأخرى ، التي وجدت الفرصة سانحة للقول بأنها طامعة في بعث امبراطورية تمتد الى آفاق تبعد عن اراضيها بآلاف الكيلو مترات بينما كانت الدول الكبرى سعيدة بهذا التورط ، الذي كان بمثابة البئر التي تزداد عمقا يوما بعد يوم . فقد كان من مصلحة أمريكا فعلا أن تستمر مصر في هذه المباراة التي تستنزف كل قواها . كما كانت روسيا سعيدة بالسلاح الذي تبيعه لمصر فتحوله بدورها الى جبهة لا أول لها ولا آخر .

وكانت النتيجة أن أصبح اقتصاد مصر كسكير يترنح .

ولكن وقفة العسكرية المصرية لم نذهب سدى ، ولم تكن أخطاء السياسة حائلا دون أن يمضى جيش مصر في تحقيق رسالته وحمل أمانته فوق أرض تبعد عن الوطن ما يقرب من خمسة آلاف كيلو متر .

ف فوق روابي اليمن وجماله استشهد مئات الأبطال من ضباط وجنود مصر ولم تترك ضمايرهم نزعات ولا أهواء ، وحركهم قول الله « **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّهُمَا يَبْتَغِ الْغَنَاءَ** » . وتخضعت رمال اليمن بدماء زكية ضربت أروع الأمثال في الذود عن الحق ، ومحاولة ردع الظالمين . ومن أبطال العسكرية المصرية في اليمن شهداء لقوا ربهم كأروع ما يمضى حملة المسئوليات ، استبسالاً في أداء الواجب :

« **الملازم / نبيل الوقاد** » أول شهداء القوات البرية .

« **الملازم طيار / راجي عز العرب** » أول شهداء القوات الجوية .

وغيرهم الآلاف ، من جنود وضباط . وتحت ظلال العسكرية المصرية دخلت صور حضارية الى ربوع اليمن السعيد الذي ظل رازحا تحت نير الجهل والظلم قرونا . وفي ركب العسكرية المصرية باليمن دبّت المدنية الحديثة في جسد أمة أنهكتها الفقر والمرض والجهل بأبسط أصول الحياة . بيد أن كل الجهود العسكرية والمدنية كانت بمثابة قطرات ماء فوق أرض قاحلة أمتصتها وبقيت كما كانت ، فقد رجع اليمن بعد خمس سنوات من الكفاح والنضحية والعمل سعيدا كما كان ، ولم يتغير فيه غير لون الحكم وحده ، حتى دهمت الشرق العربي نكسة ١٩٦٧ .

أعباء على كاهل العسكرية المصرية

فيما بين يوليو عام ١٩٦١ ويونيو ١٩٦٧ ، ورغم الانخراط في حرب اليمن ، لم تكن العسكرية المصرية لتكف عن النمو ، حجما وتسليحا وتدريبيا . فكانت تشكيلاتها في نمو مطرد وكان السلاح يأتي من الاتحاد السوفيتي وحده ، ويدفع ثمننا له من محاصيلنا الزراعية وصناعاتنا المحلية مثل القطن والأرز والبصل والأحذية والاقمشة . وكان استيعاب الجندي المصري لسلاحه يعضى على قدم وساق ، ونوعية السلاح في تحسن مع الزمن فالмиج - ١٥ حلت محلها الميج - ١٧ الأكبر سرعة والأحسن تسليحا ثم آتت بعدها الميج - ١٩ ثم الميج - ٢١ وكذلك كان الشأن بالنسبة للدبابات والمدافع وأجهزة الرادار والصواريخ .

والحق يقال أن محاولات زيادة حجم القوات المسلحة المصرية كان يحكمها عاملان . العامل الأول سياسي تمليه المنافسة التي يجب أن يشهدها بها العدو الإسرائيلي الذي ظل يهدد ويتوعد ، والعامل الثاني إمكانيات محدودة من المال والعتاد لا تتماشى مع هذا الحجم المطلوب . ولذلك أتى تشكيل بعض الوحدات ، كالمخلوق مسخ مضى عليه بالهلاك بعد حين . وكانت الانشيطه القتليه كم لا كيف، وكان كل ما يعنى المسمولين أسماء رنانة وأعدادا مغلوطه ومبالغ فيها ، ولم يكن المستوى يأتي الا في المرتبة الأخيرة من التفكير والتخطيط . ولذا أن نشهد، وكيف يمكن أن يكون مستوى تشكيل مقاتل برى أو جوى أو بحرى ونسبة استكمال الرجال فيه ٤٠٪ مثلا والعتاد لا يتجاوز ٥٠٪ . ولم يكن مهما كيف يمكن أن يكون علميه مستوى هؤلاء الرجال ، بهذا الاستكمال الشكلي الهزيل . كما لم يكن مهما كيف يمكن هؤلاء الرجال أن يحققوا مهامهم وواجباتهم العسكرية .

ولا يفوتنا أن نذكر ان مصر شهدت في يوليو ١٩٦١ الثورة الاشتراكية بغرض تحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب . وتمثلت هذه الثورة في اعلان قوانين يوليو الاشتراكية التي خلقت في مصر نظاما اقتصاديا جديدا في طريق التحول الى الاشتراكية ، هو نظام مشاركة الدولة في رأس مال المؤسسات العامة الانتاجية والاستهلاكية على السواء .

ولذلك استولت الحكومة على بعض المؤسسات بطريق التأميم وتعويض مؤسسيها ، ودخلت الحكومة كشريكة في بعض المؤسسات الأخرى . وكان التأميم قد شمل البنوك ودور الصحف وعدة مرافق هامة

قبل ذلك بسنوات ، كما تحققت أحلام المخططين في خلق نواة الصناعة الثقيلة ، ومسايرة ركب التطور العلمى الحديث ، اذ استكمل انشاء مصنع للحديد والصلب في حلوان ، واقيم مفاعل ذرى فى انشاص ، وافتتحت عدة مصانع للذخيرة الحربية الثقيلة وتحددت الملكية الزراعية بمائة فدان للفرد الواحد ، وبدأ سكان الوجه البحرى والقاهرة يتمتعون بليل سعيدة وهم أمام شاشات التليفزيون . ولذلك آحست العسكرية المصرية أن عليها واجبات اجتماعية بجانب واجباتها العسكرية ، وكان ذلك التزاما بحماية الثورة لتأكيد حماية المكاسب التى حققتها للطبقات الكادحة ، ولمحو الظلم الاجتماعى الذى تبدى فى سيطرة الأجانب على الاقتصاد بكل شعبه ومرافقه ، وعلى أغلب الاراضى الزراعية ، الى جانب استئثار طبقة الرأسمالية المتحكمة التى لا تزيد عن ١/٢٪ من تعداد الأمة بكل خيراتها . ولذلك لم يكن غريبا أن تمثل العسكرية المصرية دور الدرع لحماية الثورة ولم يكن غريبا كذلك أن ينام بها مهام أخرى ، تتعلق بمصالح الجماهير المباشرة كوضع حلول لازمة المواصلات ، ووضع خطوط تنفيذ مشروع السد العالى ، ووضع نهاية لوجود الاقطاع فى الريف والمدن .

ولعله ليس تجاوزا القول بأن هذه الواجبات التى ألقيت على كاهل القوات المسلحة كانت بمثابة طريق تحول ببعض رجالها الى غير تخصصهم ، والى انصرافهم عن واجبههم الأساسى فى زيادة القوات المسلحة منعة .

لذلك أتت النتيجة الحتمية ، وهى زيادة ضعف التشكيلات العسكرية التى كانت تعنى بالكف دون الكيف ، ويستبد بها الحجم دون الامكانيات .

وأهم من ذلك كله ، أن ركب التطوير فى القوات المسلحة ، كان يسير فى اتجاه واحد لا ينثنى عنه ، هو اتجاه العقيدة الشرقية وحدها ، دون أن يشخص ببصره الى دول المعسكر الغربى . وكان الاحساس بارتباط الاشتراكية العربية بالاشتراكية السوفيتية ، احساس الوجود الذى لا ينقسم ، كالأزواج الكاثوليكي .

ومضت العسكرية المصرية ترفل فى حللها الزاهية ، مزهوة بانتصارات اليمن ومزهوة بتضخم حجمها وكثرة عددها .

عدوان يونيو ١٩٦٧

في مايو ١٩٦٧ تكررت اللعبة المعتادة من قبل اسرائيل ، لعبة الحشود تجاه سوريا • وبات وشيكا وقوع هجوم مدبر على الاراضى العربية • وتكرر العمل المضاد العربى تماما كما حدث عام ١٩٥٦ •

فقد تدفقت الجيوش المصرية على جبهة سيناء ، لتحول الضغط على سوريا نحوها •

وتحقق القول فعلا ، اذ اندفعت الألوية الاسرائيلية نحو الجنوب وتخلت عن الجبهة السورية •

وكان الزحف العربى غزيرا بشكل لم يعهد من قبل ، وكان احساس رجل الشارع أن فرقة فى المنطقة على وشك الوقوع • وكان احساس الكثيرين أن الأمر لا يعدو أن يكون مظاهرة عسكرية ، الغرض منها تخويف اسرائيل •

وكثر الجدل بين مرجح لوقوع الحرب ، ومستئين بوقوعها ، حتى فاجأت القيادة العربية العالم بقرار ابعاد قوة الطوارئ الدولية عن خليج العقبة وشرم الشيخ ، واغلاق الملاحة فى وجه السفن الاسرائيلية بخليج العقبة •

وتكهرب الجو ، وادرك العالم ان شيئا خطيرا على وشك الوقوع • فتمحرت اجهزة هيئة الأمم المتحدة ، وكان « أوثانت » السكرتير العام لهذه الهيئة فى طريقه لمصر عندما صفعه القرار ، فواصل رحلته ، وكما حضر عاد ، بخفى حنين •

وتوترت العلاقات مع أمريكا ، بعد أن كانت الجفوة قد طالمت لسنوات بينها وبين مصر •

ولعبت روسيا دور الناصح الأمين ، بالتوجيه بعدم البدء بالعدوان ، لأن البادئ سيكون أظلم ، وسيحقيق به ما لا تحمد عقباه •

ووقع المحذور ، وبدأت اسرائيل بالعدوان يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ على ثلاث دول عربية هى سوريا والأردن ومصر • وارتكز عدوانها على قواتها الجوية أول الأمر ، فأغارات بمئات الطائرات على هذه الجبهات وأصالتها من نيرانها المفاجئة ما أصابها بالشلل •

ووجدت العسكرية العربية ، والعسكرية المصرية على الأخص نفسها أمام حقائق مؤسفة أولها تفكك القيادة ، وثانيها أن مستوى تدريب الأفراد والتشكيلات الصغرى كان مرضيا ، ولكن التنسيق مع التشكيلات الكبرى كان ضعيفا ، وتآلفها عدم التنسيق بين الجبهات .

ورغم أن إسرائيل لم تفاجئ الجبهات الثلاث بهجومها ، ورغم أن « **الفريق عبد النعم رياض** » كان يقود الجبهة الأردنية وأرسل إنذاره إلى مصر يتوقع الهجوم قبل حدوثه بثلاث ساعات ، فإن هذه الفترة لم تكن كافية لأجهزة القيادة المفككة لتفريق من سباتها .

وأخذت القيادة العسكرية بعدما باغتتها المفاجأة تتخبط في تيه من النصرات الهستيرية ، بلا تعقل فأتت نتائجها فضائح في عرف العسكرية التقليدية . وطفأ على سطح الأحداث ضعف التشكيلات التي كان يكفي بتسميتها وتقييم هيكل مهتر لها ، دون النظر إلى مستواها .

وكانت قاصمة الظهر في المفاجأة الاسرائيلية ، تدمير الجزء الأكبر من القوات الجوية المصرية وهي رابضة على الأرض في مطاراتها قبل أن تتدكن الطائرات من صد الهجوم . وتعطيل الغالبية العظمى من المطارات تعطيل اقتضى إصلاحه عدة أيام .

وبذلك انتزعت إسرائيل عنصر السيطرة الجوية ، وأصبح زمام الموقف ملك يديها . ووجد الجيش البرى المنتشر فوق سيناء كلها ، في ايدولوجية الانسحاب التي كانت ملاذه في حرب ١٩٥٦ منفذا له بعد أن افتقر إلى الغطاء الجوى ، وأحس أنه بلا قيادة ، فقد كانت القيادة العسكرية عاكفة على البكاء ، وهى تصدر أمر الانسحاب .

وأصيبت الأمة العربية بنكسة أصابت كيائها بهزة عنيفة – وتراقصت معه هيبته أمام العالم . ولكن الحقيقة المرة أن العدو دخل إلى سيناء واحتلها من عيوبنا نحن ، قبل أن يتسلل من حدودنا .

غير أن الشعب المصرى ، هب فى وقفة رجل واحد ، وأبى الهزيمة ورغم بوادر النكسة العسكرية أعلن تماسكه واستمسكه بقيادة جمال عبد الناصر ودعا لعدم التخلي عن منصبه عندما لوح بهذه الرغبة .

وكانت هذه الوقفة نقطة انطلاق للقيادة السياسية لتجدد نفسها ، ونفض عنها كثيرا من السلبيات والمعوقات ، ولتعيد تنظيم القوات المسلحة من جديد على أسس جديدة .

وشهدت مصر وهى فى وقفة منكسرة ، بارقة أمل فى العسكرية المصرية التى أثبتت أن معدنها أصيل وجوهرها لن ينطفئ . وبدأت القوات المسلحة تتصدى للعدو فى خطوطه الجديدة ، وهى تستخدم البقية الباقية من سلاحها أحسن استخدام . ويجل عن الحصر عمليات رجال الصاعقة الذين كبدوا العدو خسائر جسيمة ، ونسفوا كثيرا من أسلابه التى كان ينوى سحبها الى عمق سيناء .

ولم يمحض على العدوان الا أقل من شهر حتى كانت وحدات صفرى تقوم بأعمال خارقة من أبرزها وحدة « **وأس العرش** » التى ضربت أروع المثل فى الصمود والجلد ، وسط مستنقعات وأحراش وأرض رخوة جعلت من الوحدة المصرية كجزيرة وسط يم ، ولكنها ترفع علم سباحتها .

وسُهِد يوم ١٤ ، ١٥ يوليو ١٩٦٧ أروع قتال بطائرات القوات الجوية على ضفتي القناة وفى أعماق سيناء ، الأمر الذى جعل قوات العدو تظن أن مصر على وشك القيام بهجوم مضاد ، فانسحبت أغلب وحداتها الى قرب العريش .

وفى يوم ٢١ أكتوبر من نفس العام ، سجلت البحرية المصرية فى فخار أروع أعمالها ، باغراق البارجة الاسرائيلية « ايلات » امام شواطئ بورسعيد بوحدة صغيرة من زوارق الطوربيد . فكان عملا هز العدو من أعماقه وأثبت له ان عرين الأسود لن يفرغ من أسباله .

وباتت العسكرية المصرية تواصل ليلها بنهارها فى استعداد وتدريب وتحصيل واستيعاب للسلاح . ولا يفوتنا أن نذكر علما من أعلام العسكرية المصرية فى هذه الحقبة ، هو « **الفريق عبد المنعم رياض** » الذى أبى الا أن يلقي ربه مستشهدا من مواقع جنوده أثناء حرب الاستنزاف .

وأخذ السلاح يتدفق على مصر من الاتحاد السوفيتى ومعه خبراء للتدريب عليه . والحق يقال ان احساس أى مصرى بهؤلاء الخبراء لم يتعد النظرة الى صديق ولكنها نظرة يشوبها شئ من الحذر ولا تكتنفها مشاعر الانفتاح العربى السمو الذى لا يقيد قيود .

ولعله ليس سرا القول بأن قرار قيادة هؤلاء الخبراء والمستشارين ، بعد أن تدارسوا موقف القوات المسلحة المصرية عقب النكسة ، كان أن الأمر يستلزم ثلاث سنوات على الأقل لكى تسطيع مصر أن تنهض من كبوتها .

وأخذت عقود الاسلحة السوفيتية ، ترى واحدا أثر الآخر لتعويض ما ترك من سلاح فى سيناء ، وملء الفراغ العسكرى الذى أصاب المنطقة •

ورغم أن قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) صدر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ، ورد فى كلمات بعض الأمور الى نصابها ، الا أن اسرائيل مضت فى غيها ، ولم تتدخل عن صلفها ، لذلك حرصت العسكرية المصرية على تأكيد وجودها ، وفى الوقت الذى كانت تقوم فيه بإعادة تنظيم القوات ، واستيعاب السلاح ، كانت تشارك فى عمليات فك المصانع فى منطقة قناة السويس وإخلائها من سكانها وإيوائهم فى الخلف استعدادا للمواجهة •

وحمل الشعب فى وقفته خلف قواته المسلحة شعارا جديدا هو « يد تبنى ويد تحارب » وبدأت فى المنطقة « حرب الاستنزاف » تديرها مصر بوسائل تقليدية على طول جبهة القناة بآلاف المدافع التى أخذت مواقعها فى اتساق بطول القناة كلها • وأخذت حرب الاستنزاف صورتها المتبادلة من الطرفين ، تتركز من جانب مصر على آلاف المدافع ، وتتركز من جانب اسرائيل على مئات الطائرات تغير على المواقع المصرية •

ووسط حرب الاستنزاف تدفق سيل من حملات التشكيك فى قدرات العسكرية المصرية على الصمود ، أو الهجوم • وكان مصدر هذه الحرب النفسية بلا شك العدو نفسه بأجهزته المعنوية المنظمة ، ولكن كان يغذى هذه الحملة وجود أرض خصبة لدى بعض طبقات الشعب المصرى لتقبل الافتراءات وخاصة تلك التى تقدم اليه فى صورة نكت أو فكاهات يسرى بها عن نفسه •

وكانت العسكرية المصرية بين آن وآخر تسجل ضربة قاضية لاسرائيل تصيب منها موضع الشلل ، وتنبه العالم أجمع الى أن الذين يحاربون هم رجال مصر ، وليس السوفييت • وقد كانت الحملات تهون من شأن الطيار والضابط المصرى ، وتلصق أى نصر يعتمد على الأجهزة التكنولوجية الحديثة الى السوفييت • والحق يقال ان السوفييت لم يكونوا يحاربون ، ولا يقودون ولا يصدرون الأوامر بالحرب ، ولكن يشاركون القادة المصريين فى إعطاء المشورة فقط • بل لقد كانوا فى معظم الأحيان يتخرجون صراحة من حدوث أى مواجهة عالمية لو شاركوا بأنفسهم فى الحرب • ومضت السنوات الثلاث التى حددها السوفييت ، وكل جندى وضابط فى مصر شغله الشاغل الاستعداد الصامت وكأنه يقول متى سننتقم • ومضت بعدها عدة شهور والمحللون ينظرون الى الأمر نظرة فيها ادراك بأن الأمر أعمق مما كانوا يتصورون •

لقد حرص السوفييت على أن يكون للسلاح نوعية خاصة ، هو أن يكون سلاحا دفاعيا لا هجوميا .

ووسط هذه اللجة من العمل والاستعداد والصراع ، شاءت ارادة الله أن تختار لجوارها ابنها الوفى الذى قادها وسط ظلمات النكسة ، الرئيس جمال عبد الناصر ، فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

وانفجر بين طبقات الشعب ، وبين الضباط والجنود أتون من الحزن ، مبعثه أن الأمة فقدت رئيسها . ويوم أعلنت وفاته هب كل الناس هبة واحدة حار فيها علماء النفس ، فأسجوها ظاهرة « **الحزن الجماعى** » والحقيقة أنها كانت تقديرا من الشعب المخلص الذى قاده . شبابيه كله .

وتولى رئاسة الجمهورية ، النائب الأول للرئيس عبد الناصر ، وهو ابن من أخلص أبناء مصر ومن أكثرهم خبرة وشجاعة ووفاء وتفتحاً وإخلاصاً ، هو « **محمد أنور السادات** » الذى أعاد « مصر » نورا مشعا ونارا على الأعداء .

العسكرية المصرية مع السادات

ليست العسكرية المصرية فى عهد السادات ثوبا جديدا ، يمكن أن نسميه ثوب الجدية والعمل فى صمت ، واتخاذ الأسلوب العلمى فى التخطيط للحرب . ولم يكن غريبا على أول رئيس فى مصر ، يحترم العلم ومفعم بالايمان ورفع فى أول أيام حكمه شعار « **العلم والإيمان** » . ومن منطلق العلم كأسلوب ، والإيمان كطريق ، أخذ التخطيط للمعركة يأخذ بعدا جديدا لا علاقة له بالخطب الرنانة ، وبعيدا عن حلزونات السياسة ، وبعيدا عن تأثير مراكز القوى التى لم تجد لها مكانا أليق من السجون .

وكان شغل السادات الشاغل منذ أول أيام حكمه هو التخطيط للمعركة بعد أن وضع له أن أساليب الحلول السلمية المائة فى المائة بعيدة مفاهيم العصر ، وأن الحل الوحيد لابد أن يكون عسكريا تعقبه سياسة رائدة .

وبصدد تطوير السلاح للاعداد للمعركة ، انتقل السادات بنفسه الى الاتحاد السوفيتى ثلاث مرات متعاقبة ليتعاقد على نوعية السلاح المطلوب .

ولعل مقاييس السوفييت المادية ، غفلت عن الأتون المتأجج في نفوس أبناء القوات المسلحة المصرية ، رغم العدد الضخم من مستشاريهم وخبرائهم ، الذين كان ظنهم أن الروح المعنوية لدى الشعب والجيش لن تسمح بقيام أية حرب أو حتى مناوشة ، وإن الشعب قد استنابم للهزيمة بعد أن طال أمدها .

ولعل اليأس من وقفة السوفييت المتطلعة ، لا إلى الأمام ولا إلى الخلف هي التي جعلت السادات يتخذ للاستراتيجية المصرية طريقا آخر ، كان بعيدا عن ظنون الغرب والشرق على السواء . فقد أتى قراره بالاستغناء عن المستشارين والخبراء السوفييت في يوليو ١٩٧٢ فكان ضربة مفاجئة لم يكن يتوقعها أحد .

وكان للأمر صدى في مصر . . . خفف السادات من وقعه بالقول بأنه « **وقفة مع الصديق** » . فقد خلصت العسكرية المصرية ، وأصبحت القوات المسلحة مصرية بنفسها ولنفسها ، فلا يعقل أن يحارب السوفييت بدلا من رجالنا ولا مع رجالنا . ولذلك أتت محصلة أمرهم في النهاية خيالا ، أصدق تعبير عنه قوله تعالى « **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل الصغوت اتخذت بئرا** » ولعلهم أساءوا الظن ، عندما تسط بعضهم في تصور أن الأمر خلفه اتفاق سرى مع الغرب . وكان وقعها أعجب على الغرب نفسه الذي لم يفهم شيئا ، وظن أن مصر أصبحت في وضع لن يمكنها من شيء إلا الرضى بالأمر الواقع .

وغفل هؤلاء عن أن الرئيس السادات قد حرر ارادة مصر واستقطب الطاقات العربية ليجعل منها استراتيجية عالمية جديدة ، تستطيع أن تقول كلمتها للغرب والشرق على السواء . وإن هؤلاء الذين لديهم ترسانات السلاح قد غفلوا عن أن العرب لديهم ما هو أهم من هذا السلاح ، بل وما يتحكم في تصنيعه وتشغيله إلا وهو البترول .

ومضى عامان في عمر الزمان ، كبرنين في عمر التاريخ ، كرس فيهما السادات كل الجهود من أجل المعركة ، وعبأ فيهما الطاقات لخدمتها ، وعن سياسة متطورة جديدة في المجالات الدولية والعربية والإفريقية اجتذب السادات الانظار لعدالة قضية مصر ، وقضية فلسطين ، وبطلان أسلوب إسرائيل . وصدرت القرارات تلو القرارات في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية والإقليمية تشجب العدوان الإسرائيلي ، وتعريه من ثوب التضليل الذي اكتسب به .

وبوفا بعد يوم أصبحت الدول العربية تستعيد ثقافتها فى جدية مصر للاستعداد للمعركة ، وبكونها الوطن الأم لكل آمال العروبة .

ووضع السلاح العربى كله فى خدمة المعركة فى أغلب الدول العربية . ولم يصبح السلاح وحده هو العنصر الحاكم فى الحرب ، بل دخلت معه الى الميدان أسلحة أخرى ، أهمها الدهاء ، والبتروى ، والكلمة الموحدة والأرصدة العربية فى البنوك الأوروبية والأمريكية .

ولزم الأمر ، تغييرا شاملا لبعض القيادات العسكرية خاصة وقد ولى الرئيس السادات أمر وزارة الحربية الى « الفريق أول أحمد اسماعيل » .

وانطلقت العسكرية المصرية بقيادتها العليا الحكيمة متحررة من كل عوامل القصور ، لتضع القرار .

وفى خط متواز مع الاعداد والتجهيز المحكم للمعركة سارت السياسة الخارجية مصر فأخذت مسارا الى جميع الدول العربية ، على هيئة زيارات للرئيس السادات للملوك والرؤساء العرب ، تمخضت عن تعاضيد وتآزر متكامل ووضع كافة الامكانيات العربية العسكرية والاقتصادية فى خدمة المعركة . . اذا ما أطلق الرئيس السادات شرارتها . وفى سرية وحكمة اتخذ القرار التاريخى للمعركة قبل موعدها بعدة شهور ومضت مصر تستعد لتنفيذ .

بذلك أنى قرار المعركة مصرىا مائة فى المائة ، لا الشرق راض عنه ولا الغرب يتوقعه واندلعت الشرارة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى ساعة لم تخبرها من قبل حروب العالم .

لم تبدأ الحرب مع الشرارة ولكن كانت الحرب قد بدأت منذ وضع السادات قراره قبل ذلك بشهور ، ولكن مع الشرارة أنى انطلاق العسكرية المصرية لتكشف عن وجهها ، وتبهر العالم ببطولات تجل عن الوصف وتفوق كل تصور .

ومع بطولات ٦ أكتوبر التى سارت على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية لقن الاسرائيليون درسا لن ينسوه . فقد كانت المرة الأولى التى يتخلى فيها الجندى الاسرائيلى عن موقعه بقوة السلاح ، وذلك أن الجولات الثلاث السابقة بين اسرائيل والعرب لم تملأ العقيلة الاسرائيلية الا بالغرور والصلف ، والجرى وراء وهم هو أن جيش اسرائيل لا يهزم .

ومع بطولات ٦ أكتوبر غسل العار الذى لحق بالعسكرية المصرية فى ١٩٦٧ وأثبت شباب مصر ورجالها أنها من جيشها وشعبها أنهم حملوا

مسئولية القرار ذودا عن وطنهم فى ابناء وكرامة الشرفاء الأحرار • وأنت بطولاتهم أغرب من الخيال • ولعل آلاف الصفحات لن تكفى لتسجيلها ومئات الكتب لن تستوعبها •

ومع هذا النصر ، أتى نداء السادات للعالم أجمع عن بعث العسكرية الحديثة •

ولعل مناسبة اعلان هذا البعث فى ذكرى ٥ يونيو المشئومة ، ومن فوق موقع من أعتى مواقع خط بارليف الذى استولت عليه قواتنا ، فيه تسجيل للتاريخ يشير الى عملاق جديد ، يعيد للأذهان أمجاد الآباء والأجداد وبطولات لا نعرفها الا فى بطون الكتب •

ان العسكرية المصرية الجديدة فى عهد السادات ، ليست وليدا جديدا بل هى بعث لعملاق ، كبا كبوة ، وعشر عشرة ، ثم نهض ليقول للتاريخ كلمات ستبقى على الزمن •

وقفه مع الأبطال

لا يكتمل الحديث عن العسكرية المصرية فى عصرها الحديث بدون التعرض لصانعيها ، ولا يمكن أن تؤرخ للعسكرية بأحداثها ، دون أن تبرز أبطال هذه الأحداث •

ولعل الدافع الذى حدا بالرئيس محمد أنور السادات ، ليعلم للعالم بعث العسكرية المصرية من سيناء ، هو ما بهره من انتصارات رجال الجيش الثانى والثالث أثناء تفقده ما استولوا عليه من مواقع خط بارليف ، وما سجلوه من انتصارات فى عبور القناة •

من منطلق الانتصارات يأتى صوت القائد ، ليردد حقيقة غابت فى زحام الأحداث ، وتاهت وسط أفراح النصر ، وكأنه يقول للعالم أن النصر لم يأتنا جزافا ، ولكننا بتوفيق من الله أخذناه ، وفى سبيله بذلنا الروح والدم • وليس هذا بجديد علينا فان لنا فى التاريخ ماضيا عريقا فى نفس المضمار ، وسيرى العالم للعسكرية المصرية بعثا جديدا ، على طريق جديد •

ان نماذج العسكرية المصرية الحديثة تتمثل فى القادة الذين عزفوا أروع لحن سمعته مصر فى تاريخها الحديث ، بعملهم المنسق ، الذى لعب

فيه « المشير أحمد اسماعيل » دور المايسترو القدير ، العارف بكل تفاصيل
اللحن .

والذى عاونه فيه رئيس أركانه « الفريق سعد الشاذلى » أول الأمر
الى أن حل محله « الفريق محمد عبد الغنى الجسمى » الذى كان يعمل
رئيسا لهيئة العمليات .

وكان للجسمى دور يعتبر بمثابة المحرك للدراسات التفصيلية واعداد
الخطط والذى لعب دورا مشهودا ودقيقا فى مفاوضات الكيلو ١٠١ .

وسيقف الدارسون لتاريخ العسكرية المصرية أمام شخصيات قادة
الأسلحة التى حملت عبء المعركة تخطيطا وتنفيذا ، كل فى مجال اختصاصه
وهم :

الفريق فؤاد ذكرى	قائد القوات البحرية
الفريق محمد على فهمى	قائد الدفاع الجوى
الفريق طيار محمد حسنى مبارك	قائد القوات الجوية

وأمام قادة الجيوش الميدانية التى حملت عبء المعركة فى سيناء
ووضعها موضع التنفيذ :

اللواء عبد المنعم خليل	قائد الجيش الثانى الميدانى
اللواء عبد المنعم واصل	قائد الجيش الثالث الميدانى

واللذين حل محلهم ابان المعركة :

اللواء فؤاد عزيز غالى	قائد الجيش الثانى الميدانى
اللواء أحمد بدوى	قائد الجيش الثالث الميدانى

وهع هذه الصبيحة ، لا بد لنا من وقفات مع شخصيات من صناع الانتصارات ، الذين هم من معالم هذا التاريخ .

وقبل أن نشير الى أى منهم لا بد من القول أن البطل الحقيقي ، وأبا الأبطال ، هو الذى اتخذ القرار ، فأتى قراره عبورا لكل نوازع الخوف وهواجس الضعف ، وانطلاقا الى العزة ، وتحقيقا للكرامة العربية .

لقد دخل « أنور السادات » التاريخ من أوسع أبوابه لا كزعيم سياسى محض ، ولا كقائد عسكري شجاع ، ولكن كمصري وعربي تهملت فى شخصيته كل معانى الكرامة .

ولقد كان قراره بإنهاء الوجود السوفيتى فى مصر ، عملا لا يقل شجاعة عن أخذ قرار المعركة . وسيمبقى أنور السادات فى القلوب ، كمن أحبهم قرابين فى تاريخ العسكرية المصرية وفى تاريخ الأمة العربية جنداء رد الانزلة الى العسكرية المصرية ، ووضعها فى خضم الحركة أمام العالم لتثبت وجودها .

ولعل أسلوب التخطيط العلمى ، والانفتاح على أساليب العلم الحديث كان الوسيلة الفعالة التى سلك بها السادات طريقه . فكلم سمعناه يردد أن قرار المعركة لا بد أن يأتى بعيدا عن التشنجات والانفعالات . ولا بد أن يأتى محسوبا ، بموازين العلم والمقاييس لتحقيق النجاح .

ان وقفنا مع القائد البطل ، سنتقودنا حتما الى أبطال آخرين بعضهم أحياء وبعضهم جرحى أصابهم تشويه وبعضهم لقوا الله كأنبل ما يمضى الرجال من حملة المسئوليات الثقالة . هؤلاء وعوا أبعاد رسالتهم فى المعركة فبدلوا أثمن ما يملكون رخيصة فى سبيل تحقيق واجبهم .

من هؤلاء من كان دوره بسيطا كجندى ربض فى موقعه أو خلف موقعه أو تحت طائرته ، أو قرب جهازه . ومن هؤلاء من كان دوره جسيما ، يتمثل فى التخطيط أو القيادة أو وضع الخطط ، أو تشغيل جهاز أو قيادة طائرة ولكن ليس بالضرورة أن يعلن انه بطل ، وكل من قام بواجبه بطل .

من هؤلاء من عاش ، ومن هؤلاء من لحق بالشهداء والصديقيين وحسن أولئك رفيقا . لذلك فان الأبطال المجهولين ، أكثر من الأبطال ذائعى الصيت آلاف المرات . ومن هنا فان وقفنا أمام نصب الجندى المجهول فى أى مناسبة تأكيدا لهذا المعنى الدقيق .



الوزير وقادة القوات الرئيسية للسلطة

القريب حسي مبارك - القريب فؤاد ذكرى - القريب محمد علي فهمي - القريب محمد انجسي - القريب احمد اسماعيل

الباب الثاني

القيم الروحية

أهدى قائد الفرقة ١٨ هشام التى حررت
القنطرة شرق إلى الرئيس محمد أنور السادات
أثناء زيارته للمدينة فى شهر يونيو ١٩٧٤ أول
علم مصرى رفع على ضفة القناة • وقد كتب
عليه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » •
وتحت هذه العبارة كتبت خمس آيات من
القرآن الكريم •

وعندما قدم العلم للرئيس قال «ما كتبت
هذه الآيات البهنيات على علم ، إلا ونصره
الله يا سيادة الرئيس » •

القيم الروحية بين الأصالة والاجتهاد

من الخطأ الظن أن ما نعينه بانطلاقة القيم الروحية بعد ٦ أكتوبر
يمس شيئاً من جوهرها أو يغير شيئاً من أصولها • فلعله من البين أن
رسالات السماء لا يمكن أن تغير منها الأحداث سواء أكانت نصراً أو
هزيمة • ولكن ما نعينه هو أن الاجتهادات فى تطبيق تعاليم السماء ، باب
لم يغلق بعد • ولعله من مزايا الاسلام كرسالة سماوية أنه يفتح هذا الباب
على مصراعيه ، ويحبذ تجديده فتحه كل يوم •

كما أن تطبيق تعليمات الرسالات السماوية ، وخاصة جانب العبادات
منها ، تلك التى تعنى بالشق الذى بين العبد وربّه ، قد يكون تطبيقاً
عادياً ، يضيف عليه التكرار نوعاً من الرتابة • ولا تزكى فيه الحرارة
إلا الأحداث التى تهز كيان الانسان ، فتوقظ مشاعر الايمان فى
نفسه ، وتزكى روحه لتلجأ فى خشوع لباريها •

لذلك فقولنا بأن القيم الروحية أخذت منطلقاً جديداً بعد ٦ أكتوبر ،
لا يعنى أن جوهرها الالهى قد مس ، ولكن حرارة الأخذ بها كانت فى
أوجها لدى الجندى المصرى قبل وأثناء المعركة • وبعد أن عمت عليه نعمة

الله بالنصر والنوفيق ، أصبحت مشاعر الشكر والعرفان بالجميل ، لازمة من لوازم المجتمع العربي . ولا شك أن ذلك لم يكن وليد صدفة ، ولا بعث في يوم وليلة ، ولا كان هزة أو سطحة من سطحات الروحانيات ، بل كان عملا من أعمال البناء .

فبناء الأرواح فن له أصوله وقواعده ، كبناء الأجسام والبنیان .
ومن هذا المنطلق نتحدث ، محاولين القاء الضوء على ما كان ، وما نأمل أن يكون ، ولعل الأخذ بالأسباب مع توفيق الله ، يغير حالنا الى أحسن .

مهبط الرسالات

كانت منطقة الشرق العربي مهبط جميع الرسالات السماوية . التي حملها موسى وعيسى عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ، بل ان رسالة التوحيد القديمة الضاربة في أعماق التاريخ ، أيام اخناتون ، كان مستقرها مصر . لذلك ليس بعجيب أن نرى أصالة العقائد مستقرة في أعماق نفوس أهل المنطقة ، وعلى هدى تعاليمها تقوم جل تصرفاتهم ، وحول رحاها تدور فلسفاتهم وأفكارهم .

ولكن جذوة الايمان ، تلتهب أحيانا ، وتخفت أحيانا أخرى . فهي بين شد وجذب ، وفقا لظروف الحكم ، وألوان الترف وصورف الحياة . ولعل تقلبات الدهر تمثل التناقوس الذي ينبه الأذهان كل حين ، ليذكر الانسان بأن فوقه خالقا قديرا .

لقد كانت مصر المهد الذي ترعرع فيه موسى ، وكان الموئل الذي لاذ به السيد المسيح رضيعا على ذراع مريم البتول ، وكانت الأرض الحصبة التي استقرت فيها تعاليم الاسلام ، والتي منها انطلقت شرارات النور الى المغرب العربي ثم منه الى أوروبا .

وفي مصر قام الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام ، ليحتفظ للاسلام تراثه ، وللقيم الروحية جذوتها . ولقد ظلت هذه الجذوة متفاوتة في اتقادها حتى كان الحدث الذي هز الشرق العربي ، وزلزل كيان المسلمين ، عندما وقعت نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، فزنت الأبصار الى السماء خاشعة تدعو (يارب رحماك) . فقد كانت الجذوة مهددة أن تقع تحت أقدام دنسة ، تحركها الصهيونية العالمية .

مختصة

لم تكن نكسة ١٩٦٧ الا الحلقة الأخيرة فى محنة أصابت القيم الروحية ، وكانت بمثابة ردة الى الخلف عطلت ركب المؤمنين .

وفى هذا العهد ، كان القابض على دينه كالقابض على الجمر ، يتلظى به حتى يحترق . وكان كل مناد بالتمسك بتعاليم الدين أو الرجوع اليه ينعت بأنه رجعى ومتخلف .

وأتى على مصر عهد ، أطاحت مراكز القوى فيه بشيخ صغير المنصب ، وقف ليقول للحاكم قولاً حقاً يستند الى الدين عن تصرفات لا تليق ، وعن زى غير محتشم تدخل به النساء المساجد . لم يقل الرجل منكراً ولا شططاً ، بل جهر برأيه عندما كان الجهر بالرأى جريمة لا تغتفر ، وعندما لم يكن مسموحاً بغير الهمس أو الصمت . أو الموت .

كان الحديث يدور عن موضعة المينى جيب ، والميكروحيب ، وكانت موضعة وليدة لم تنتشر فى الشرق العربى بعد . ولم تجد مراكز القوى للرجل مكاناً الا خلف الشمس ، ليصبح فى مكان لا يستطيع ان يتكلم منه . فتحول بين يوم وليلة من شيخ يؤم المصلين ويعظهم ، الى (خادم) مسجد ينظف دورات المياه والمراحيض ! . لأنه أتى بجريمة سنعاء عندما قدم النصيح للحاكم ، من فوق منصة المفروض فيها انها كانت منبرا للتعبير عن الرأى .

ولم تمض غير أسابيع قليلة ، حتى كانت هذه الموضعة قد تسربت الى أغلب بيوت مصر ، وأصبحت كل سيدة أو فتاة لا تتبعها فى عداد المتخلفات .

وحقيقة الأمر كله تتجلى فى الحديث النبوى الشريف : « ان الله يزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن » . فقد غفل حكام هذه الآونة وقتذاك أن يكونوا قدوة للشعب ، وهضوا وكانهم مع الدين فى حرب ، وناصرها القيم الروحية العداء .

فى هذا الجو المكهرب البغيض ، عاش الناس قبيل أن تحقيق بهم النكسة . ولعل نظرة الى خارج مصر آنذاك ، تعطينا صورة لما أحاط بشباب العالم من موجات انحلال ما زالت سائدة بينهم الى اليوم ، أطاحوا

فيها بالقيم الروحية ، وغلبت عليهم مادتهم ، وفضلوا الله وراء غرائزهم .
 ثم لعل نظرة مدققة الى الأفكار التي كانت سائدة في مصر خلال هذه
 الآونة ، تصور لنا تيار الاتحاد الذي استشرى .

لذلك عندما حلت ظلمات النكسة ، كانت قدرا منطقيا ، لانحلال
 وتمزق الشباب ، وانتيار الفكرى الملحد ، فحق على الأمة العربية قوله تعالى
 « **واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول**
فدمرناها تدميرا » .

(سورة الاسراء آية ١٦)

ومع ضباب النكسة ، أفاق الغافلون الى حقائق لم تكن تخطر لهم
 على بال . وهب رجال مخلصون كانوا يتلظون بجمر التمسك بدينهم ،
 وانطلق رجال الفكر يقولون قول الحق .

« يا قومنا ، كفاكم غيا ، وأجيبوا داعى الله ، فما حاق بنا ، لم يكن
 الا ثمرة من ثمار عملنا » .

وكان منطقيا توجه الناس الى ربهم فى الشدائد : « **واذا أنعمنا على**
الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فلدو دعا عريضا » .

(سورة فصلت آية ٥١)

وتجددت فى مصر دعوة تنادى بالعودة الى الله ، والى العقيدة والايان،
 لنطهر أنفسنا ونزكيها ونعود الى أمجاد سلفنا من الصالحين . وكانت
 عودة للحق ، والعودة للحق فضيلة ، لكنه كان درسا بليغا .

والعليمون ببواطن الأمور ، يتأملون فى الحكم الالهية ، كيف أتى
 هذا الدرس المبلغ بعد محنة جعلت اليأس يدب الى النفوس . لم تكن
 النكسة الا غطاء كشف عن الادران التي علقت بالشوب ، كالاامتحان الذى
 أبان للطلبة عن مستواهم ، فأفاق الغافلون واستيقظ المصلحون .

ولذلك ، لم يكن غريبا ان نجد آلاف اللوحات تذكر الناس « **وها انصر**
الا من عند الله » و « **ان تنصروا الله ينصركم** » . وقديما كان الزعماء
 يخطبون فلا يذكرون اسم الله ولو مرة واحدة .

ولا عجب أن نجد أن القوات المسلحة قد رفعت لها شعارا « اتحدى
أو الشهادة » فقد أدرك المفكرون فيها أن الايمان جذوة يمكن أن تثير
الحماس ، وتزكى النفوس . . وان القيم الروحية ركيزة لا يمكن اغفال
أمرها ، وان الشهادة غاية من غايات المؤمنين ، وقربى الى الله فى أداء
الواجب .

الرجل بين الشعار والقذوة

وبنظرة فاحصة ، نظر الرئيس أنور السادات الى المجتمع المصرى
بعد أن تولى قيادته ، فوجد أنه ينقصه أهم المقومات فنأدى بين الناس
بالحرية وسيادة القانون .

وجعل لعهد شعارا ، رفعه ليتمسك به الجميع ، ويجعلوا منه أسلوبا
للحياة ولأول مرة سمع الناس شعار « العلم والايمان » . . بعد أن كانوا قد
ألفوا أن يسمعوا أن الايمان قرين للرجعية والتخلف .

وحسبنا أن نتأمل شعار « العلم والايمان » لنجد أن كل دروس
النكسة الأليمة قد تبلورت فيه . ولو تأملنا سر هزيمة العرب فى ثلاثة
حروب متوالية . لوجدنا أن ما كان ينقصهم هو الايمان بالمبدأ والعقيدة
والوحدة .

وكانت تبدد قواهم الفرقة والتنازع لأنهم لم يكونوا مخلصين فى
دعواهم ، وكانت تنقصهم الخبرة بالسلاح والعتاد والتكنولوجيا الحديثة
والأخذ بأساليب الادارة العليا فى الحرب والاقتصاد ، فأتت أعمالهم سطحية
لا عمق لها ولذا حاقت بهم الهزيمة كأمة لا تتقن شيئا .

حقيقة الأمر أن الشرق لو صح ايمانه بالله ، وأعطاه أبعاد الصدق
والعمق ، لانطلق الى غاياته فى حرارة كما انطلق السلف الأول ممن لم
يكونوا يملكون من الدنيا الا حطامها . ولكنهم كانوا قد باعوها فأقبلت
عليهم ، وكانوا قد آثروا الموت فوهبت لهم الحياة الكريمة .

بهذا الايمان استطاعت حفنة صغيرة من أوائل العرب المسلمين أن
تهز عرشى كسرى وقىصر . واستطاعت خلال مدة وجيزة من عمر التاريخ
أن تنشر دينها فوق رقعة شملت ما بين المحيط الأطلسى غربا الى الخليج
العربى شرقا .

بهذا الايمان ، ظلت فلسفة الاسلام تفرض وجودها وتنشر نورها ،
وتصدر علما الى كثير من دول العالم لمئات السنين • ويوم استنار المسلمون
الى متاع الدنيا منه يعبون ، وانصرفوا عن العلم معرضين ، انصرف عنهم
توفيق الله ، الذى لا يصيب الا المجتهدين •

ونحن اليوم غير أجدادنا بالأمس ، ايماننا وعلمنا • كما أن حالنا اليوم
يختلف عن الدول المتقدمة فى أوروبا وأمريكا ، فى كل شئون الحياة لأنهم
أخذوا بأساليب العلم ، ونبذناها نحن • ومضوا فى طريقهم على هديها
واتسعت بيننا وبينهم الشقة ، فلا الايمان تمسكنا به ، ولا العلم سرنا فى
ركابه ، فأنى أمرنا مسخا ليس له قوام •

وليس لزاما أن نقصر تفكيرنا عن العلم ، ونلصقه بالكراسة والقلم
والكتاب أو بالصناعة والتكنولوجيا والأجهزة الحديثة • بل نعنى بالعلم
أسلوبا يتسرب الى كل شئ مهما صغر أو كبر • ونعنى به أسلوبا فى
الادارة ، سواء ادارة المصنع أو المدرسة أو مرفق المواصلات أو وزارة الرى •
ونعنى به تخطيطا سواء كان تخطيط ميزانية الدولة ، أو تخطيط اصلاح
الشوارع أو وضع حل لتزايد السكان •

كل هذه أو تلك أمثلة تضيف الشمول على الأخذ بأساليب العلم فى
الحياة •

غير أن الحقيقة أن هذا الشعار وهذه المظاهر التى أشرت اليها ،
ليست من تعاليم الاسلام ولا لازمة من لوازمه ، ولكن حسبنا أنها دلالات ،
تحدد النفس المؤمنة التى خلفها •

وحسبنا عن صدق الايمان أن نتطلع الى عمق ما تنطوى عليه شجاعة
اتخاذ قرار الحرب • ان ذلك بلا شك قمة من قمم الايمان • فقد كانت
روح اليأس قد حلت بشباب الأمة قبل كهولها • وكانت حالة اللا سلم
واللا حرب قد اسلمتنا الى حالة من الاستكانة والخوف • وكانت أبواق
الحرب النفسية التى تفتن العدو فى توجيهها الى آذاننا ، قد فاقت كل
الأصوات • وكانت الظروف الدولية قد انتهت الى حالة الوفاق التى جعلت
الشرق على غير استعداد لمعاداة الغرب بسببنا •

وأتى قرار المعركة ، مفاجأة ، تحمل كل معانى الايمان • الايمان
بالحق وبنصر الله الذى أخذ على نفسه العهد بنصرة المؤمنين « وكان حقا
علينا نصر المؤمنين » •

هنا •• تجب الصلاة

ونمة صورة من الصور الحية ، نستشف منها مدى عمق الايمان •

فأثناء زيارة الرئيس « محمد أنور السادات » للجبهة فى يونيو ١٩٧٤ ، مر على أحد المواقع الحصينة فى خط بارليف عند عيون موسى ، ووقف أمامه قائد الوحدة التى حررت الموقع الذى يعتبر حصنا منيعا ؛ أنفق عليه العدو وحده عشرة ملايين جنيه استرلينى ، وأخذ يشرح للرئيس قائلا ان العدو كان قد أحاط الموقع بثلاثين ألف لغم ، وانه كان يضم ستة مدافع أوتوماتيكية من عيار ١٥٥ مم ، وأمام كل منها باب من الحديد الذى يبلغ سمكه ١٧ سنتيمترا وكان بالموقع عشرة خطوط نيران ، كل خط منها عبارة عن ثمانى دانات لكل مدفع • كما كان يطلق ٢ طن من الذخيرة فى الدقيقة ، دفاعا عن الموقع الذى كانت تكسوه طبقات من الخرسانة المسلحة والرمال والأحجار •

استطرد القائد يشرح للرئيس ، كيف هاجم الموقع ، وكيف طوقه ، وكيف اقتحمه ، وكيف هرب أفراد العدو منه ، وكيف أسرهم رجاله واستولوا على أسلحتهم •

كل ذلك عادى ، بالنسبة لرجال صنعتهم الحرب ولكنه ليس كذلك بالنسبة لرجل مؤمن •

وقد توجه أحد المراسلين الصحفيين الأجانب بسؤال الى الرئيس عن انطباعاته ، بعد أن لمس ضخامة العمل الذى أتى به جنوده ، فأثنى رده معبرا عن عمق ايمانه :

« انى لا أستطيع أن أقول أكثر من انها كانت معجزة ولا أستطيع أن أتحدث أكثر من ذلك • فالانسان يجب أن يصل فى هذا الموقع » •

هذا القول البليغ على قصره ، يحمل بين طياته دلائل الايمان ، فأى شكر لله أعمق من الصلاة ؛ وأى حمد لله أجل من السجود له ، تسبيحا له وتبجيلا لنصره ؟

الايمان والبطولات فى المعركة

ليس من قبيل المغالة القول بأن البطولات الخارقة التى أتاها جنودنا وضباطنا فى المعركة ، لم تكن الا صورة من صور الايمان ، ومحصلة من محصلات العمل المعنوى الذى أثمر فى القوات المسلحة . ولعل سنوات النكسة الست بظلمها البغيض الذى جثم فوق النفوس ، لم تكن الا بمثابة الياى ، أحكمت القوى الروحية الضغط عليه ، لينطلق بكامل قوته وقت بدء المعركة . فجاء العمل العسكرى معجزة لم يكن يتوقع بعضها أحد .

ومن هنا أتى قول الرئيس بليغا ومعبرا :

« الشعب هو صانع الأسلحة التى حققت المعجزة ، وهى أسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط ، ولكن صنعت بالايمان والاصرار » .

ولسنا فى حاجة الى الاشادة بالبطولات ، وتحليل صورها ، فقد شهد العالم أجمع بها ، ووعى أبعادها أعداؤنا قبل أصدقائنا . ولكننا فى حاجة الى وقفات مع بواعث الايمان التى صنعت هذه البطولات ، لنذكر أبعاد الدور الذى لعبته الطاقات الروحية فى احياء النفوس ، واسترخاص الموت ، وضرب أروع الأمثلة فى التضحية بالنفس .

وقد يكون لزاما ، قبل الخوض فى الحديث عن أى من هذه البطولات ، أن نقف فى خشوع أمام صورة باهرة سبقت كل أحداث المعركة ، وأنت قبيل ساعة الصفر بقليل . صورة تخلب كل الألباب وتهز جميع المشاعر ، وتحرك كل وجدان . لقد انتظم مئات الألوف من الجنود والضباط المسلمين فى مواقعهم على جبهة القناة فى صفوف متراصة ، يؤدون صلاة الحرب . نصفهم يصلى ونصفهم يحرس ثم يتبادلون مواقعهم عملا بسنن الحرب الاسلامية . ومضى معهم أخوانهم الأقباط يرتلون فى نفس اللحظات ، ترانيم من الانجيل . وفى نفس اللحظات كان كبار قادة القوات المسلحة ، يؤدون نفس الصلوات قبل ساعة الصفر فى غرف العمليات .

وما فرغوا من الصلاة حتى بدأوا العمل الذى ظلوا يتدربون على القيام به أكثر من ست سنوات ، والذى كانت نتائجه تراود أحلام كل منهم .

من هذه الصورة ، يمكن ان نستشف الدور الذى سيطرت به القيم الروحية على وجدان الذين أداروا المعركة تخطيطا وقيادة وتنفيذا . لقد كانوا فى رحاب الله متكئين عليه ، بأسطين أرواحهم بلا خوف ، لا هم لهم .

الا أداء واجبه . كل منهم قد سأل النصر والتوفيق . وكل منهم قد رفع يديه الى السماء في دعوات . وحسبنا أن نتذكر قول الرسول الكريم « الدعاء مع العبادة » .

وحسبنا كذلك أن نذكر قوله تعالى في الحديث القدسي الذي يرويهِ الرسول عن ربه :

« لئن تقرب إلى عبدى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ولئن تقرب ذراعاً تقربت إليه باعاً ، ولئن أتاني بهشي أتيت به هرولة » .

حسبنا ان نذكر ذلك لنقول ان الله تجلى على هؤلاء النفر من عباده المخلصين الذين لجأوا اليه بدعاء حار لينصرهم ، فاستجاب لهم وكان معهم في المعركة . فقد كان دعاؤهم « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، وكان الله وكيلاً بعملهم ان يؤتي ثماره . لقد أوضح تقرب القيادة الى الله اسم الخطة نفسها « بدر » تيمناً بغزوة الرسول الأولى التي نصره الله فيها .

ولعل اختيار توقيت موعد المعركة خلال شهر رمضان المبارك كان اختياراً موفقاً . فقد أجمع ذلك في النفوس المؤمنة ذكريات بدر أول غزوات المسلمين ، وأعاد أمام المحاربين انتصارات الرعييل الأول من أجدادهم . أضف الى ذلك تلك المسحة الروحية التي تكسو نفوسنا جميعاً، في الشرق العربي ، عندما يحل بنا هذا الشهر الكريم وتزكو نفوسنا بصيامه ، ونجد كل المتدينين وكثيراً من غير المتدينين ، يؤدون فريضة الصيام امتثالاً لأمر الله وقربى اليه . وفي هذا الشهر الكريم ، يعم الناس جو روحاني ، وتلف أجواءهم مشاعر لها جلالها ، وتحوطهم من السماء رعاية ربانية . وحسبنا قول رجال الدين أن الشياطين تسلسل عند حلوله ، فتسحب أرواح المتعبدين مع قلة تناول الطعام . اذ كان هذا حالنا في رمضان بلا حرب ، فما بالك أثناء القتال ، الذي آمن جنودنا بأنه قتال في سبيل الله .

أضف الى ذلك أنه وقر في نفوس الكثيرين أن المسلمين يتحولون في رمضان الى كسالى صبرهم قليل ، وعملهم أقل ، وهم خلاله أكثر منهم في أي وقت آخر ميلاً للنوم بالنهار والسهرة بالليل . وهم في رمضان واهذب نتيجة الجوع ، لا يفعلون شيئاً خلال يومهم الا الاستعداد للاقبال على وجبات دسمة في أول الليل وفي آخره .

لذلك أتى توقيت المعركة خلال هذا الشهر ، الذي لا يندرج تحت تعاليم الاسلام شيء مما علق به من خبث العقول ، قمة في عمليات المفاجأة مع العناصر الأخرى التي بوغت بها العدو .

من هذه الوقفة الخاشعة بين يدي الله ، يمكن أن نتصور مواقف أخرى أخذت تترى مع أحداث المعارك ، كل منها يمكن أن يكون صورة من صور الايمان التي سيجعلها التاريخ لتكون قدوة لأبنائنا وأحفادنا •

– لقد قرأنا عن واقعة أول علم رفعه جنودنا على تباب الضفة الشرقية للقناة بعد أن عبروها • لقد كان على العلم عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وتحتها خمس آيات من القرآن الكريم •

– ورأينا صور طيارينا وقد سجلوا نفس العبارة على أحزمة الأمان التي تطوق صدورهم أو على الخوذات التي تغطي رؤوسهم •

وقد حرص كثير من هؤلاء الطيارين على حلاقة شعر رؤوسهم قبل أول طلعات المعركة تشبها بأبطال بدر ، وأطلقوا على أنفسهم جند الله •

– وفوق مياه القناة ، وأثناء عبور آلاف قوارب المطاط ، لم يكن يعلو صوت الا نداء جنودنا « الله أكبر • • الله أكبر » •

– وكانت هذه الأنشودة الالهية هي ترنيمة الشعب بأسره ، وهو ينابيع جنوده بقلبه وحسه • وفي الوقت الذي كان فيه مهندسون يقيمون الجسور عبر القناة كانت أرواح هؤلاء الجنود تعبر جسور الايمان الى السماء بالدعاء •

كل هذه وغيرها من عشرات المواقف المشابهة ان عبرت عن شيء ، فانما عن مسحة ايمان تلبست بكل جنودنا في المعركة ، وليس أصدق من هذا تطبيقا لقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ » • (سورة الأنفال آية ٤٥)

ومن خلف جنودنا وقف شعبنا بأسره ، يدعو الله في ساعة العسرة طلبا لنصره ، وتقربا اليه • ان هذه الصلاة على ما فيها من ضعف انساني قد يتخيله البعض ، قد شملت كل معاني العبودية لله ، والتسليم له سبحانه وتعالى واللجوء اليه والتوكل عليه •

لا اله الا الله فوق رؤسهم وعلى قلوبهم



ولعل الشعور الدينى الذى ساد جو المعركة ، بين شعبنا وجنودنا على السواء ، كان له ما يصاحب هذا الشعور عادة من مغالاة وتجاوز ، فقد حكى البعض عن كثير من خوارق الأحداث وما يعد من قبيل المعجزات ، فقد سمعنا عن الأشباح البيضاء التى كانت تجثم فوق دبابات العدو ، حتى اذا اقترب منها جنودنا لم يجدوها . وسمعنا عن السحابة التى ظلمت مطارا بكامله وقت اغارة طائرات العدو عليه ، ثم انقضت بعد أن أعمت طياريه عن مكانه . وسمعنا عن المطر الذى انهجر فجأة وبدون مناسبة فوق النار التى اشعلتها قنبلة معادية . وعلمنا بأمر الماء الذى انشق وسط صفوف الجيش الثالث ، وهو يعانى من نقص الماء والغذاء وقت حدوث الشفرة .

هذه وتلك من خوارق الأمور ليست الا دليلا على حرارة الايمان ، واستجابة الرحمن ، لدعوات عباده على الأرض . وحسبنا ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام :

« رب اشعث اغبر لو أقسم على الله لأبره » . وإن حدث بعضها فليس ذلك الا بتوفيق الله وبحلول عنايته . ولسمنا نمتلك هبوط الملائكة على المؤمنين ، لتمدهم بأمر الله ومدده ، كما حدث فى بدر :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالرف من الملائكة ، مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم . وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (سورة الأنفال آية ١٠)

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (سورة آل عمران الآية ١٢٤ : ١٢٥)

« اذ يوحى ربك لى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سائلنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (سورة الأنفال آية ١٢)

وما حدث فى بدر ليس مثارا للتهكم ، ولا أحجية من الاحجيات ، فالملائكة مخلوقات نورانية ، تستطيع بقدرة الله أن تتشكل ، ولو بعثها الله لتمد المؤمنين بالعون فليس ذلك خرافة .

وقد تأتى المعونة الالهية على صورة التهيؤ ، والاحساس النفسى التى تعبر عنها آيات القرآن الكريم .

« قد كان لكم آية في فتنتين التفتتا • فتنة تقاثل في سبيل الله وأخرى كافرة • يرونهم مثليهم رأى العين • والله يؤيد بنصره من يشاء • ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » • (سورة آل عمران آية ١٣)

« إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر • ولكن الله سلم أنه عليهم بذات الصدور • وإذ يريكم وهم إذ اتقيتم في أعينكم قليلا • ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان دفعولا وإلى الله ترجع الأمور » (سورة الأنفال آية ٤٤)

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا • وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا • وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صيحاتهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » (سورة الأحزاب آية ٢٦)

ومن صور التوفيق الرباني ، التي لا جدال فيها نسبة أو معدلات الخسائر التي حدثت بين جنودنا عند عبور قناة السويس • ان كل فنون التكتيك العسكري لها مقاييسها ومتوسطاتها الحسابية في النجاح والخسارة بين الرجال والعتاد • ولقد كانت كل حسابات السوفييت مثلا عن الخسائر في عبور مائع مائي عريض كقناة السويس تشير الى نسبة ٤٠ ، ٥٠٪ من الرجال والعتاد • بل لقد شبط بهم الأمر في بعض الأحيان الى القول بأنها نسبة قد تبلغ ٨٠٪ • وارتكزت اسرائيل في دفاعها على هذا المانع الطبيعي ، فأقامت السد الترابي على حافة الضفة الشرقية للقناة • وأقامت خط بارليف وأنفقت عليه ٢٣٨ مليون دولار • وأقامت عليه نقطا حصينة استخدمت في تحصينها كل فنون الهندسة العسكرية • فجعلت من التحصينات طبقات فوق أخرى ، من خرسانة مسلحة الى (شكاثر) الرمل ، الى أحجار تضمها الشباك ترتكز فوق قضبان السكك الحديدية • كل هذه التحصينات كانت كفيلا أن تبقى القابعين تحتها في مأمن ، مطمئنين الى عدم نفاذ القنابل ودانات المدافع اليهم •

أضف الى ذلك أن اسرائيل أقامت مضخات لضخ النابالم والسوائل المشهبة على حافة القناة ، لكي تجعل من سطحها أتونا ملتهبا يشوي العابرين لها •

لذلك كانت نسبة الخسائر في تقديرات الحاسبين لها ، مرتفعة غاية الارتفاع • وكان كل قائد تخطر هذه النسبة ببالة ، يقف مترددا أمام مشاعره الانسانية • كيف يمكن أن تحدث مذبحه فوق هذه المباءة ؟ •

ولو كان أى من القادة العسكريين قد أدخل المقومات السائدة قبل المعركة فى عقل اليكترونى لكانت النسبة قد آتته أكثر ارتفاعا مما كان بفسدر الخبراء ، سواء المصريين منهم أو الغربيون . ولكن العقل الاليكترونى والسوفييت ، وبعض المؤمنين أيضا ، ليست لديهم القدرة على قياس العناية الالهية بنسب أو بأرقام . فليست مقومات النصر فى كل الأحوال تقوم على المقارنات والحسابات والتقديرات .

فهناك عنصر معنوى ، غير خاضع للقياس أو الحساب . ومن الخطأ الزعم بأنه عنصر مساعد غير أساسى ، فهو عنصر جذرى يلعب أهم الادوار . فلننظر للحساب الربانى ، عندما يدلل على ما يصفه البلهاء بأنه من المعجزات .

« ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين » .
(سورة الأنفال آية ٦٦)

ان تقدير الموقف الالهى مرده الى الصبر ، وأقل نسبة فى القوى رجل مؤمن ، برجلين من الأعداء ، وعتاد فى يد مؤمنين بعتادين فى يد الأعداء .
وأنت نسبة الخسائر فى العبور المصرى للقناة ، مذهلة ومحيرة لكل المحللين العسكريين مصريين وأجانب . فقد آتت أقل من واحد على عشرة مما كانوا يقدررون :

ان هذا التوفيق ، وغيره مما لم نذكره هنا لم يكن الا منحة من الله لعباده المؤمنين ، كما حدث مع سلفهم الأولين « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

نوعية الحرب

انقضى زمن طويل منذ انتهت الحروب الصليبية ومنذ تكسرت حرايها على عتبات الشرق المقدسة . ودار ابن لقمان فى المنصورة قائمة لتشهد على حماقة الذين أثاروا هذه النعرة المنكرة فى القرون الماضية وأشعلوا هذه الحرب . ولم تعد عقول عامة الناس فى أغلب شعوب العالم تتقبل الجرى وراء نعرات عصبية ترتكز على الدين ، وتجعل من العقائد مادة تنازع وخصام مسلح فيما بينها .

لقد وقف الى جانب العرب ما يقرب من ألف مليون مسلم تضمهم دول العالم ، ادراكا بأن الوجود الصهيونى نفسه - رغم أنه يركز على عصبية عقائدية - فهو يهدد الكيان العربى والمنطقة .

ومن هنا وجدنا الجندى المصرى مسلما كان أو مسيحيا ، والجندى السورى شيعيا كان أم درزيا ، والفدائى الفلسطينى كاثوليكيًا كان أم مارونيا ، يعملون معا ، جميعا لتحقيق هدف واحد ، هو إيقاف الزحف الصهيونى ، وضربه حيثما احتل .

ولو بسطنا الحقائق لوجدنا أن اسرائيل - الطرف الآخر فى المعركة - هى قمة الوجود المرتكز على التعصب الدينى والتي تعتمد فى وجودها على بعث أفكار دينية قديمة . وما اليهود والصهيونيون وبنو اسرائيل الا أسماء متعددة لقوم يدينون بدين واحد ، ويريدون أن يتجمعوا فى مكان واحد . ليمارسوا تعصبهم له بدلا من تفرقهم وسط شعوب أخرى .

وترتكز أفكار الصهيونية العالمية ، فى تحريك الطليعة اليهودية التى تحتل فلسطين حاليا ، على تجميع يهود العالم فى هذه الرقعة بعثا لأفكار دينية قديمة لبنى اسرائيل . وجريا وراء أحلام قوم موسى فى « الوطن القومى » .

ومن المنطقى أن يقوم وطن كل سكانه من اليهود ، على العصبية الدينية ، فاليهود منذ وجدوا قلة فى العدد ، لأنهم بطبيعتهم الدينية المتعصبة ، أقل العقائد ميلا للذوبان فى العقائد الأخرى ، وبالتالى فهم أقلهم اندماجا فى الشعوب التى يعيشون بها . وتعاليم دينهم فيها من الطقوس والتعاليم مما يجعل لبعضهم لا يفضون بها لغيرهم ، فهى ليست ديانة مطروحة على بساط التفاعل العقلى كالاسلام ، بل تسرى بطريق التناقل من جيل لجيل . ولها خلفياتها وكتبها غير المعلنة ، أكثر مما لها أمام الناس فى المحافل ودور العبادة .

وحسبنا دليلا على قيام مجتمع للتعصب الدينى فى اسرائيل ، أن بها حزبا دينيا له خطره وكلمته هو حزب مزراحى . ويلعب الحاخامات دورهم السياسى بجانب واجباتهم الدينية ، فى الحكومة ومجتمع المستعمرات وفى التشكيلات العسكرية أيضا ، اذ يرتدى رجل الدين اليهودى زيه فى صفوف المحاربين . وتبدو سيطرة الأفكار الدينية على عقلية المحاربين

الاسرائيليين جلية فى حرصهم على جمع جثث قتلاهم فى المعارك بشتى الطرق ، وتحت كل المخاطر ، عملا بتعاليم الدين الذى يبشر بالبعث اليهودى ، وضرورة الدفن فوق أرض يملكها بنو اسرائيل .

ونحن لو حللنا أعمال العصابات الصهيونية منذ عهد الوصاية البريطانية على فلسطين وأعمال المؤسسات العسكرية لاسرائيل ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ ، فسنجدها تتسم بميزة الافراط فى العنف ، وتوخى روح الارهاب والتخويف ، بطرق بشعة يأنف منها الضمير الانسانى وتشهد على ذلك مذابح دير ياسين فى أبريل ١٩٤٨ وقبية فى أكتوبر ١٩٥٣ ، وكفر قاسم فى أكتوبر ١٩٥٦ .

والحقيقة أن تصوير السلطة الالهية ، بغير حقيقتها تعتبر صورة قاصرة .

ولننظر الى القرآن الكريم كيف صور ذلك :

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش » .

(سورة الاعراف آية ٥٤) .

« ان ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش » .

(سورة يونس آية ٣) .

« وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء » .

(سورة هود آية ٧) .

«الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش » .

(سورة الفرقان آية ٥٩) .

« الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » •

(سورة السجدة آية ٤) •

المذلك أثنت جولات اليهود الأربعة مع العرب ، من خلفية دينية لدى الصهاينة • ومن واقع رد ظلم بين من قبل العرب •

والحقيقة أن عدم حرص العرب على اعلانها حربا دينية فى أى من هذه الجولات ، ينبع من سماحة نفسية ، مصدرها انصهار الأديان السماوية ، الاسلام والمسيحية ، فى المنطقة عبر آلاف السنين بما أدى الى تعايشها تحت ظلال العدل فوق صعيد واحد • ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك ، أصدق تعبير :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم هودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى • ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » •

(سورة المائدة آية ٨٢) •

أصوات ملحدة

فى أعقاب المعركة ، وبعد حدوث الثغرة ، تصاعدت أصوات منكرة بنت أفكارا خشي أصحابها انبعاث الروح الدينية الى منطلق جديد خلقه انتصار الأمة العربية التى جددت تمسكها بدينها ، وأملها تمجيد الناس لبسالة وشجاعة أبطالنا •

لقد نادى أصحاب هذه الأصوات بارجاع الأصل فى الانتصارات الى ماديات الاعداد والاستعداد للمعركة وحدهما ، وعدم القول بأن هذه الانتصارات كانت منحة وتأييدا من الله استنادا الى كون الحياة الحديثة - فى فكرهم - فعلا ورد فعل وحساب النصر فى أى حرب ، أساسه

المهارة فى تطبيق التكنولوجيا الحديثة على ترسانة الأسلحة وأن الأفضل فى الانتصارات يجب أن نرجعه الى وفرة السلاح ونوع العتاد .

هذه الأصوات المنكرة نعتت كل نسمات الايمان التى تصاعدت مع الانتصارات التى حلت مع أرواح الشهداء ، نعتتها بأنها جرى وراء التخلف ورجعة الى الوراء مع الجهل والخرافات .

والحقيقة أن ولاء هذه الأصوات يتلفع بستار الاحاد وانكار وجود الاله ، زعما بأن العلم الحديث هو دين هذا العصر ودينه . ولسنا فى حاجة الى الجدل مع هذه العقول الخربة ، فليس هذا مجالنا هنا . . وحسبنا أن شعوب الشرق العربى قد لفظت موجة الاحاد خارج حدودها وأغلقت الباب أمامها الى غير رجعة .

ومن هذا الادراك ، أنت هذه الأصوات مفضوحة ، تعلن عن نفسها فالدين أيا كان ، اسلاما كان ، أو مسيحية هو مصدر رعب خطير ، وخطر هزلزل لدى هذه الموجات الاحادية الجوفاء . وحقيقة الأمر ومردده جهل أصحاب هذه الأصوات وجهل فلاسفتهم وجهابذتهم عن حقائق يقوم عليها الاسلام الحنيف فى فكره عن الحرب ، واستخدام القوة المسلحة لرد الأعداء. اذ تركز هذه الحقائق أول ما تركز على أن الاسلام لا يوقر فى روع المسلم التمسك بالغيبيات وخوارق الأمور ، بل ينمى فيه التمسك بناموس العقل ومنطق الأحداث . وليس أدل على ذلك من تأكيد ومنطق القرآن من أنه لا نتائج بدون عمل :

« ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

(سورة الرعد آية ١١)

والقيام بأى عمل لابد له من اعداد :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

(سورة الأنفال آية ٦٠)

ان هؤلاء لا يدركون أن الاسلام قد قرر للمسلم أن الله ليس نصير الكسالى ولا المتواكلين ، ولا الضعفاء ولا الخائفين . وأنه دين يحث على

الآخذ بالأسباب وعدم الجرى وراء الحظ ونفحات السماء ، ويترجم أحداث الحياة الى عمل ، وخاصة تلك الأعمال التي لها علاقة بمصير الشعوب والحروب بين الأمم • وحسبنا هذه الآيات :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله • فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير • وان تولوا فاعلموا أن الله دولاكم نعم المولى ونعم النصير » •

(سورة الأنفال آية ٣٩)

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » •

(سورة النساء آية ٧٥)

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين » •

(سورة الأنفال آية ٥٨)

« يا أيها الذين آمنوا خلوا حذرکم » •

(سورة النساء آية ٧١)

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » •

(سورة التوبة آية ١٢٣)

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » •

(سورة محمد آية ٤)

لذلك ندع هؤلاء لأوهامهم ، ونقول لهم أن المعركة سبقها اعداد وتدريب وتجهيز وحشد وتعبئة وجهد اتصال وربط ورباط وعمل متواصل دام آناء الليل وأطراف النهار • فاذا أتى نصر من الله جزاء على هذا العمل وشئتم أن تحرفوه عندما نذكر الله في فرحنا ، كشفتم بذلك عن

ولقد فوت الرئيس المؤمن « محمد أنور السادات » على أذنان الأعداء ، فرص خلق بذور الشقاق بين المسلمين والمسيحيين التي حاولوها قبيل المعركة . وكان الهمس الذي يدور في الخفاء بين غلاة المتعصبين من هؤلاء وهؤلاء ، كضباب سرعان ما ينقشع أمام أى لقاء وبمجرد بزوغ شمس الحقيقة .

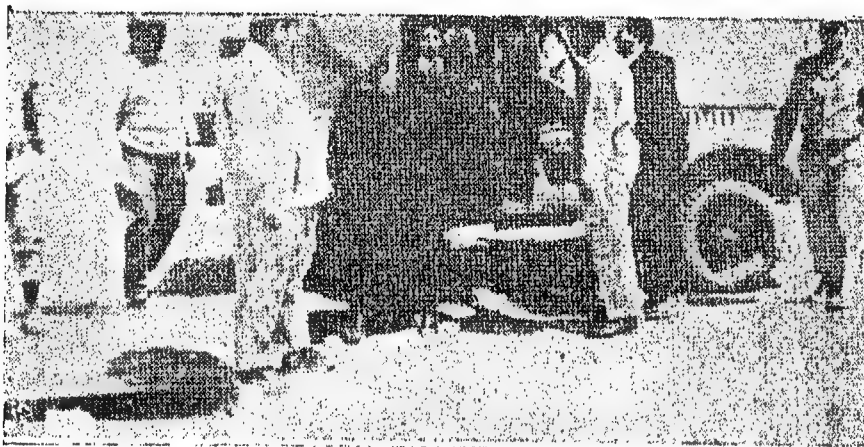
ولم يكن هناك تعبير إبان المعركة ، عن وحدة عنصرى هذه الأمة أبلى من تنصيب قبطى قائدا لأحد جيشى الأمة هو اللواء « فؤاد عزيز غالى » قائد الجيش الثانى ، الذى ظل يزاول أعماله بعد المعركة .

لم يكن ذلك مسرحية ، ولا افتعالا ، قصد به تخريبص الألسنة وسد الأفواه ، بل كان ردا مفحما على هؤلاء الذين روجوا إشاعة كاذبة أن ضابطا قبطيا ، كان السبب فى حدوث النغرة . وأتى هذا التقليد لمنصب قيادى ، تعبيرا عن تماسك عنصرى أمة تظل ضميرها ديانثان سمحشان .

ولعل من أبلى آثار المعركة ، أن محافظ الاسماعيلية ، وهو يعيد تعمير المدينة ، أبقى من المباني التى عليها آثار العدوان ، مبنى كنيسة ومسجدا ليظلا مهدمين كما شاء لهما المعتدون .

ووراء ذلك كله أصالة تمتد جذورها فى القبطى والمسلم على السواء ، تجعل الهلال والصليب متعانقين فوق صعيد مصر على الدوام . يعبر عن ذلك تصدى الأقباط فى مصر لمحاولات اسرائيل - على المستوى الدولى - التبرؤ من دم المسيح ، حيث أعلن « البابا شنودة الثالث » إزاء هذه المحاولات : « ان اليهودية كدين قد انتهت بوجود المسيحية » .

وتصدى أبناء الكنيسة القبطية فى المجامع المسكونية ومحافل الفاتيكان لهذه المحاولات بشجاعة واصرار .



البابا شنودة فى الجبهة



اللواء فؤاد عزيز غالى
قائد الجيش الثانى

ان مصر ظلت منذ أكثر من ألف سنة بوتقة ينصهر فيها المسلم والمسيحي ، ليضيئا للبشرية معا ، دون تفرقة • يعبر عن ذلك الشاعر المسلم فؤاد الخطيب :

ان العروبة لا يفرق بينها
أينا لهم ضميم وبين حقوقهم
بعد التآلف قبلة أو هيكل
عيسى المخلص والنبي المرسل

بل لقد كان أحمد شوقي أمير الشعراء ، أبعد وضوحا في التنويه بما بين القبطي والمسلم من رابطة ، في قصيدته بعنوان (يا شباب الديار) التي قال فيها :

انما نحن مسلمين وقبطا
نحن من طينة الكريم على
أمة وجدت على الأجيال
الله وهن مائه اقتراح الزلال
والى الله من مشى بصليب
فى يدية ، وهن مشى بهلال

أو فى قصيدته بعنوان (الهلال والصليب) التي قال فيها :

جبريل أنت هدى السماء وأنت برهان العناية
أبسط جناحك للذين هما الطهارة والهداية
وذ (الهلال) من الكرامة و (الصليب) من الرعاية

وستظل أبيات شوقي هذه وأمثاله ، على الدهر ، نواقيس تذكر المصريين فى كل محنة بأصالة المصرى ، مسلما كان أو قبطيا •

وهذا ما أشارت اليه ورقة أكتوبر عن الوحدة الوطنية بقولها :

« وأيس أدل على هذه الخصائص ذات الجذور العميقة من أن هذا الشعب كان يمر بالأحداث والتغيرات العميقة ، محتفظا بدرجة نادرة من الوحدة الوطنية والانسجام القومى ، مازالت مضرب الأمثال فى العالم »

ولقد كان قمة مظاهر هذا التعانق قيام البابا شنودة الثالث بطريك الكرازة المرقسية بزيارة الجبهة قبيل المعركة وفى أعقابها • وفى حديثه للضباط والجنود كان يكرر فخره بكونه ضابطا احتياطيا سابقا

وفى زيارته لمدينة (السويس) كرر فخره بكون كنيسة المدينة ظلت إبان المعركة مقرا لإدارة العمليات • وخلف قداسه وهو يؤدى الصلاة كان أحد الشمامسة ضابطا قبطيا يحمل رتبة الرائد •

ان دماء الشهداء التى زكت بها رمال سيناء ، لم تفرق بين مسلم ومسيحي ، وشرف وكرامة مصر ، كانا معلقين فى عنق هذا وذاك .

وليس هذا بدعة فى أهل مصر ، الذين مازالوا يفسحون صدورهم لمحافل اليهود فوق صعيد الوادى . يؤدون فيها صلواتهم آمنين . ورغم أن اليهود فى مصر بضعة آلاف ، فهم مازالوا يتمتعون بحقوقهم كمواطنين مصريين .

القيم الروحية فى ورقة أكتوبر

لم تغفل ورقة أكتوبر أهمية الطاقات الروحية فى حياة الانسان المصرى؛ المفجئ على مستقبل عريض بعد أن سادته روح أكتوبر العظيم .

وأشارت الى أن من أبرز صفات الشعب المصرى « تمسكه دائما بالايان ، واعتزازه بالأصالة » .

ألم يكن هذا الايمان هو الذى جعله يتصدى لتفريز وغزوته ، ولنابليون وحملته ، ولسيمور ومدافع اسطوله ؟ وأنه بهذا الايمان صبر ، وتجلد حتى حطم أسطورة ديان وأضحوكة بارليف .

ولعل ورقة أكتوبر تشير الى مفهوم جديد للانسان اليوم ، بريقا عن التعصب متبرئا من الشوائب ، متطهرا من كل ما علق به فى عصور الاضمحلال من خرافات . ولذلك يمكن أن نخرج بمعانى الايمان فى ضوء العقل الى آفاق أوسع ، اعتمادا على تجديد حبيب الاسلام للتصرف فى شئون الدنيا وفقا لظروف تغيرها . وهذا لن يمس أصالة الدين فى جوهره ، ولن يطمس هوية حضارتنا الدينية فى شيء ، بل يمكن أن يثري تجاربنا فى ضوء العقل ، وبنور اخضاع أمورنا للتجربة والنقد . فيجعلنا أكثر قدرة على تجديد أنفسنا ، وأكثر تمسكا بأصالة منبعا .

ومن ثم فقد ركزت ورقة أكتوبر على رفض اتهام كل تجديد بأنه رجعة للوراء ، أو كل نظرة الى الماضى بأنها خطوة رجعية الى الخلف ، فتوضح بذلك انعدام الحواجز بين التمسك بالأصالة والانطلاق الى التجديد .

« نحن نرفض أن تكون الأصالة نظرة الى الوراء تقوض الماضى لأنه انقضى ، ونرفض التجديد . فليس كل ما كان فى الماضى مشرقا ، ولكن

فيه بعض التخلف • ونحن نرفض من جهة أخرى أن نمسخ شخصيتنا القومية باسم محاكاة المظاهر المادية أو السلوكية لمجتمعات أخرى •

وتركز ورقة أكتوبر على عدم تعلق الانسان المصرى بمظاهر المادية الخادعة المنسلخة عن قيمها الروحية ، جريا وراء متع حياة زائفة • وتؤكد أن حياة بلا ايمان كجسد بلا روح • وحسبنا أن موجة القلق لدى الشباب الذى انفلت عيار القيم لديه مع نداء التحلل باسم « الهيبز » لم تكن الا ثمرة الانفلات وراء سراب المتعة الخالصة من أى التزام • وكانت هذه الموجة تعبيرا عن القلق الذى يمكن أن يحيط بنفسية انسلخت من كل معايير الايمان •

لكنها أخيرا لم تجد لها مستقرا ، ولا مرفأ أمان الا أن تعود الى بر الأمان ، فانحسر تيارها الى ركب الايمان من جديد •

وعن التمسك بالقيم الروحية ورد فى الورقة :

« اننا لا بد أن نتمسك بقيمتنا الروحية والأخلاق فى مواجهة موجة الاستمساك المادى التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لأن تلك القيم هى من السمات الأصيلة الحضارتنا • ولأن الحضارات التى تجاهلتها تعرف الشقاء النفسى وسط الوفرة المادية » •

ولعل أروع ما ورد فى ورقة أكتوبر « وضع كسوة الايمان فوق كيان الاشتراكية نبرته لها من شبهة التبعية للاشتراكية الملحدة » •

ان الاشتراكية ليست حكرا على روسيا ، بل سبق بها الاسلام هؤلاء الذين يتشدقون بعادتها اليوم ، وتخطئهم الوسيلة فى تطبيقها على أنفسهم قبل غيرهم ، ويخطئهم النجاح فى وضعها موضع التنفيذ •

« اننا يجب أن نفهم الاشتراكية بالعقل وبقلب معا • ولذلك لا يجب أن ننقطع عن التفكير فى جماهيرنا الأكثر حرمانا • وفى وسائل توفير أكرم سبل العيش والأمان والتقدم لها • فالأهم تقاس بمستوى قاعدتها العريضة لا بمستوى قممها الضيقة » •

الباب الثالث

التحول الأمريكي ووقف إطلاق النار

وقفه الحياد المصرية

هل كان يمكن أن يتحقق أى نوع من التحول ، على أى مستوى ، فى سياسة الولايات المتحدة ازاء مصر بالذات ، كمركز للكفاح العربى فى أزمة الشرق الأوسط ؟

ان استرجاع ما كان بين مصر وأمريكا الى الذهن منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، خليق بالقاء ما يكفى من الضوء على صورة ما كان يسود العلاقات بين الدولتين ، منذ ذلك التاريخ ، من نزاع حاد وضع تحول أمريكا عنه فى مرتبة الاستحالة . ويكفى فى هذا الصدد استعراض أبرز معالم هذه الصورة ، مع التجاوز عما شابها من مؤامرات وتحريض وضغوط مباشرة أو غير مباشرة كانت تلتطخ وجه الصورة بين الحين والحين .

فى الثامن والعشرين من ديسمبر ١٩٥٥ استقبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سفير أمريكا فى مصر ، المستر هنرى بايرود ، ليسمع منه قرار أمريكا بالمساهمة فى بناء السد العالى بشروط ترتب على رفض مصر لها بعد دراستها أن اكتشفت أمريكا ، فى يوليو ١٩٥٦ ، أن مصر بحصولها على صفقة الأسلحة التشيكية مقابل القطن المصرى يجعل من الوفاء بالتزاماتها ازاء المشروع أمرا مشكوكا فيه . ولم يكن هذا بمستغرب ، فقد كان معروفا ان سياسة الولايات المتحدة ازاء النظام الثورى فى مصر ، يصفة عامة ومنذ قيامه ، تتركز فى اسقاط هذا النظام أو ارغامه على الركوع . وكان سحب العرض الأمريكى بالطريقة التى أعلن بها جون فوستردالاس ، وزير الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت ، قرار سحب العرض ، تطبيقا عمليا لهذه السياسة .

ولقد يقال أنه لم تكد تمضى أسابيع قليلة على هذا الاجراء العنيف حتى كان نفس جون فوستردالاس ، فى أكتوبر ١٩٥٦ ، يقود بنفسه حملة ادانة العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى على مصر . ولكن الأسباب الكامنة وراء هذه الادانة كانت تملئها مصالح أمريكا وسياساتها ازاء الشرق الأوسط ، وفى مقدمة هذه الأسباب أن حلفاء أمريكا أخفوا عنها خططهم لغزو مصر ، وأنهم نسوا فيما أقدموا عليه أنهم يعتمدون فى حمايتهم على مظلة نووية أمريكية ، وأنهم اختاروا توقيتا (سخيفا) فى

رأى الرئيس الأمريكى ايزنهاور لأن الانتخابات الأمريكية كانت على الأبواب ،
ولأنه كان قد رشح نفسه للبقاء فى البيت الأبيض ببرنامج انتخابى أساسه
السلام .

فاذا أعوزنا البرهان على أن أمريكا لم تكن تجرى فى تصرفاتها الا
وراء مصالحها الخاصة ، لكفى أن نذكر أن العدوان البلاتى ما كاد ينقشع
غباراه حتى تقدمت أمريكا بمشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى المنطقة بحجة
صيانة أمنها واستقلالها وانقاذها من الشيوعية الدولية ، فى حين كان
الواضح ان المشروع لا يعدو تدخلا مقنعا فى شئون الشرق الأوسط عامة
والعالم العربى بوجه خاص . حتى اذا ما تصدت مصر للمشروع جنون
أمريكا ، ودفعها الغيظ والحقد الى حبك سلسلة المؤامرات والضغط
والعدوان غير المباشر ، والتي شملت ما أطلق عليه دالاس اسم سياسة حافة
الحرب ، والضغط على الدول لغلاق أسواقها فى وجه المحاصيل المصرية ،
ومحاولات تطويق مصر بحلف بغداد ، ووقف امداد مصر بمعونات القمح
بأمل تجويع شعبها ، وغمر اسرائيل بالأسلحة التى أمدتها بها جونسون
بعد توليه الرئاسة الأمريكية ، ثم مساندة العدوان الاسرائيلى الغادر على
مصر فى يونية ١٩٦٧ ، مما حدا بمصر الى قطع علاقاتها مع أمريكا .

ونعود الى سؤالنا السابق وهو (هل كان يمكن أن يتحقق أى نوع
من التحول الأمريكى ، على أى مستوى ، فى سياسة الولايات المتحدة التى
انبعتها ازاء مصر ؟) .

والجواب ، رغم كل شئ ، هو (نعم) . ولسوف نؤمن بهذا رأى ،
حتى قبل أن نستعرض فى هذا الفصل من الكتاب البرهان القاطع عليه ،
لرأينا عدنا بالذاكرة الى ما أثبتته تاريخ العلاقات الدولية من أن السياسة
الخارجية لأية دولة ، ما هى الا تعبير عن استجابات واستغلال للظروف
والملازمات الدولية ، الدائمة منها أو الطارئة على السواء .

ولقد ينبادر الى الذهن ، مسبقا وعلى أساس من التحول الأمريكى
الذى نلمسه اليوم فى العلاقات بين أمريكا من جهة وبين كل من مصر
واسرائيل من جهة أخرى ، أن هذا التحول الذى يجرى لصالح مصر لا يعدو
تحولا خلقته ظروف طارئة لا نلبث أن تتبخر ، فتعود بتبخرها الأوضاع الى
ما كانت عليه . ولكن لا شك أنه من حقنا فى نفس الوقت أن ننظر الى
المساندة الأمريكية السابقة والمطلقة لاسرائيل باعتبار أنها كانت بنت ظروف
طارئة عفت عليها الأحداث ، وأن تيار التحول الأمريكى المتدفق حاليا هو
عودة من ثم بالأوضاع الى مجراها الصحيح الذى يتفق وطبائع الأشياء
والذى يجب أن يستقر فيه .

ومهما يكن من أمر ، فالجواب الشاسفى هو بالقطع أنه لا يوجد فى السياسة الدولية ، ولا حتى فى غيرها من العلاقات الانسانية . ما يعتبر (مكتوبا أبديا) لا حول عنه . بمعنى أن كل شىء فى هذه العلاقات عبارة عن حركة وتحول لا يتوقعان ، وأن التغير يحدث اذا تغيرت المواقف والظروف فتغيرت بتغيرها العلاقات .

لقد كان لأمريكا فى الشرق الأوسط مجموعة من الأهداف الدائمة قامت عليها العلاقات بينها وبين دول الشرق الأوسط .

كانت هناك أولا حماية وضمان أمن اسرائيل بتأثير من قوى الضغط الصهيونى داخل اسرائيل وخارجها ، وثانيا ضمان الحصول على البترول العربى واستمرار تدفقه بسعر معقول الى أمريكا وحلفائها ، وثالثا عدم افساح موضع قدم للاتحاد السوفييتى داخل المنطقة العربية بأمل استكمال حلقات الحزام النووى الذى تسعى أمريكا لتطويق الكتلة الشرقية به ، ورابعا استبعاد النفوذ الأمريكى فى المنطقة وجعله النفوذ الأوحده فيها دون منازع ، وخامسا الحيلولة دون قيام قوة عربية كبرى فى الشرق الأوسط بما فى ذلك حجب الدور المصرى الطبيعى فى تجميع هذه القوة .

ولم يكن بالمستساغ ، ولا هو حتى بالمبتسر ، أن تصون أمريكا بنفسها أهدافها فى الشرق الأوسط ، وهى على بعد آلاف الأميال منه ، الا اذا أقدمت على احتلال المنطقة واستعمارها على نحو ما كان سائدا قبل صعود الأمم الصغرى التى أيقظتها ثورة مصر فهبت تطلب استقلالها وتحصل عليه .

وفى نفس الوقت ، فشلت كل مساعى أمريكا فى تحقيق لون من الاستعمار المقنع باسم ملء الفراغ أو إقامة الأحلاف أو شراء الحرية أو تقديم المعونات المشروطة ، الا فى القليل النادر وعلى نحو لم يحقق أثارا يعتد بها .

وكان الحل الوحيد ، ولعله واحد من أسباب قيام اسرائيل ، ان نقف أمريكا بكل ثقلها وراء اسرائيل ، ترعاها وتضمن أمنها وتمدها فى سخاء بقوام حياتها ، من المدفع الى رغيف الخبز - كما قال الرئيس محمد أنور السادات فى أكثر من مناسبة - كى تتخذ منها العصا الغليظة التى تحفظ بضرباتها المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، بعد أن برهنت اسرائيل على صلاحيتها لهذا الدور فى حروب ثلاثة لم تجد العسكرية المصرية خلالها فرصتها للقتال .

وظل الوضع كذلك الى أن حدث التحول الأمريكي الذي نفرد له هذا الفصل . ونحن لن يجافينا التوفيق لو قررنا أن التحول الأمريكي ، من حيث النظرة الى قضية الشرق الأوسط عامة ، لم ينشأ من فراغ أو كان ابن نزوة طارئة لا يساندها واقع . اذ على العكس تماما ، كان التحول الأمريكي نتيجة منطقية لمقدمات يمكن ردها الى أزمات أربع أخذت برقبة الولايات المتحدة ، حكومة وشعبا ، وترتبت كلها على معطيات السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ . وتلك كانت :

- أزمة هزيمة اسرائيل عسكريا .
- أزمة الوفاق الأمريكي السوفييتي .
- أزمة الرأي العام الأمريكي .
- أزمة حلف الأطلسي التي ترتب عليها تحول أوروبا عن أمريكا الى العرب .

ومع استبعاد الأزمة الأخيرة للتنويه عنها ضمن الحديث عن معركة البترول ، يمكن اجمال الأزمات الثلاث الأولى ، كأسباب للتحول الأمريكي . على النحو التالي :

أولا :

أزمة هزيمة اسرائيل عسكريا

في الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ انطلقت الشرارة ، وبدأت عجلة القتال دورانها اللاهث المظفر . ولعله من حقنا أن نستعيد أمجاد ما حدث وألا نمل استذكارها . فتحت ستار من نيران المدفعية ، وفي حماية مظلة من القوات الجوية الضاربة ، عبر المشاة المصريون في زوارق المطاط قناتهم ليكتسحوا المراكز الاسرائيلية المسيطرة على النقاط التي اختيرت لاقامة جسور العبور .

ووراء المشاة اندفع المهندسون مزودين بأخر طراز من جسور الأطواف العائمة لحداها عبر القناة بمعدل خمسة عشر قدما في الدقيقة ، وبما يكفل اقامة الجسر في ربع ساعة أو أقل .

ثم تدفقت فرق مدافع الماء ، الابتكار المصري والأول من نوعه في تاريخ الحروب ، لفتح الثغرات في استحكامات خط بارليف ، بما يتيح لدباباتنا شق طريقها الى قلب سيناء . وقبل أن تتمكن المدرعات الاسرائيلية من قطع

المسافة من تلال سيناء الى حيث يمكنها التدخل في عملية العبور . كانت دباباتنا قد عبرت جسورها فعلا وانتشرت في شرق القناة لاقادة رءوس الجسور .

وحاول من بقوا على قيد الحياة من حامية خط بارليف تنفيذ الاوامر النى صدرت بانسحابهم الى استحكامات الدفاع الاسرائيلية ، على مسافة ثلاثين ميلا الى وراء ، ولكن الوقت لم يسعفهم قبل أن تسحقهم الدبابات المصرية .

وفى أوائل فترة ما بعد الظهر في الشرق الأوسط ، التي توافق انفجر على الشاطئ الشرقي لأمريكا ، أوقف هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية من نومه في الجناح الذي كان يشغله بفندق بلازا في نيويورك . وعندما تلقى أنباء العبور كان من الواضح أنه لا يملك معجزة دبلوماسية يواجه بها الموقف . وكان كل ما استطاعه هو الاتصال في ذلك الصباح الباكر بكل من وزيرى خارجية مصر واسرائيل ، وباناتولى دوبرينين سفير الاتحاد السوفييتى فى واشنطن ، ثم الاتصال بالرئيس الأمريكى نيكسون لابلغه النبأ الذى لم يكن أحد فى الولايات المتحدة ، بل ولا فى العالم بأسره على استعداد لمجرد الظن أنه قد يحدث يوما .

وكان أول قرار اتخذه نيكسون هو اصدار تعليماته الى وزير خارجيته بأن يطلب عقد اجتماع مجلس الأمن لمناقشة القتال الدائر واصدار قرار بوقف اطلاق النار . وفى نفس الوقت أصدر البيت الأبيض بيانا مؤداه (أن وزير الخارجية ، بناء على توجيهات الرئيس الأمريكى ، قد أجرى مشاورات دبلوماسية واسعة النطاق منذ لحظة بدء القتال لرفع الأمر الى الأمم المتحدة ولطلب عقد مجلس الأمن) .

كان ما يخشاه نيكسون هو أن تنضم دول عربية أخرى الى القتال وأن تنتشر العمليات الحربية على نحو يصعب بعده لم شعشها ، وأن تنتهى بتدمير اسرائيل وازالتها من فوق خريطة الشرق الأوسط .

وكان واضحا أن الولايات المتحدة تتحدث من مركز القوة الذى اعتادت اطلاق دعواتها الى العالم من فوق منبره ، ولكن عاملا جديدا لم يكن فى الحسبان انزل بمنبرها أولى الشروح التى حاقت به ، والتى تصاعدت بتصاعد انتصارات القوات المصرية الباسلة وتقدمها الوطيد داخل سيناء ، وعلى كل الجبهات ، مكتسحة أمامها فلول جيش اسرائيل . وكان هذا الشرخ يتمثل فى البيان الذى أصدرته حكومة الاتحاد السوفييتى ،

والذى حمل اسرائيل نتائج عدوانها المتكرر على الدول العربية ، فى لهجة فاطمة كانت تساندها هذه المرة انتصارات مصر .

فال البيان (ان مسئولية تطور الأحداث الراهنة فى الشرق الأوسط وعواقبها تقع كلها على اسرائيل وعلى الدوائر الرجعية الخارجية التى تشجع اسرائيل دائما فى أطماعها العدوانية) .

وقال : (من المعروف أن الدول العربية قد أظهرت قدرا هائلا من ضبط النفس والاستعداد للسعى الى تسوية سياسية للنزاع على أسس عادلة . ولكن جهود الدول العربية ، وجهود الأمم المتحدة وجميع القوى المحبة للسلام فى سبيل التوصل الى سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط ، قد اصطدمت بموقف العرقلة الذى أصرت اسرائيل على انتهاجه . والأحداث الراهنة فى الشرق الأوسط هى نتيجة مباشرة لاستمرار العدوان الاسرائيلى) .

ثم أكد البيان (ان الاتحاد السوفييتى اخلاصا منه لسياسته القائمة على مبدأ تأييد الشعوب الساعية الى الحرية والاستقلال ، يلتزم بموقفه كصديق يوثق به للدول العربية . وأن الاتحاد السوفييتى ، وهو يدبر السياسة التوسعية الاسرائيلية ، يؤيد بكل تصميم المطالب الشرعية للدول العربية ، بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧) .

وكانت هذه الفقرة الاخيرة من البيان السوفيتى ، المطالبة بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، بمثابة الضربة الأولى التى نزلت بالايديولوجية الأمريكية نحو الشرق الأوسط ، والتى جعلتها تبادر بحس النبض الدولى استطلاعا للنوايا . وعلى طول أسابيع السابغ من أكتوبر ، لم تسفر الاتصالات التى أجرتها عن نتيجة مشجعة ليس فقط فى وجود من يؤازر اتجاهاتها من بين الدول بل وأيضا ، وهو ما أنزل بالعقلية الأمريكية صدمة أى صدمة ، فى وجود العدد الكافى من الدول التى ترى ضرورة فى مجرد عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن .

رفض الاتحاد السوفييتى ورفضت الصين الشعبية ، فى صراحة تامة ، أن يصدر المجلس نداء الى أطراف النزاع بوقف اطلاق النار . ورفض كورت فالدهايم ، السكرتير العالم للأمم المتحدة ، أن يصدر نداء عاما واكتفى بدل ذلك بحث وفود الدول المتحاربة على أن تنصح حكوماتها بضبط النفس .

وساد الأمم المتحدة شعور بأن أغلبية أعضاء المجلس الدائمين وغير الدائمين ينتظرون معرفة ما سيكون عليه الموقف العسكرى والاستراتيجى على مسرح العمليات الحربية .

رجن جنون الولايات المتحدة • فقد كانت التقارير كلها تنص على أن جيش مصر يشق خطوط اسرائيل كما يشق سكين ساخن قطعة من الزبد ، ونوحى بأن الموقف العسكرى والاستراتيجى من ثم سوف يؤثر بشدة على مواقف هذه الدول بشأن دعوة مجلس الأمن الى الانعقاد •

ومضت أمريكا تهدد البعض وتتوسل الى البعض الآخر • وإذا كانت الدول الأعضاء قد وافقت على أن ينعقد المجلس فى التاسعة والنصف (بتوقيت القاهرة) من مساء الثامن من أكتوبر ، فقد تأخرت الجلسة عن موعدها الى ما بعد منتصف الليل بدقائق بسبب المشاورات حول معالجة الموقف •

وبمنطق القوة الأمريكية الذى الفته الولايات المتحدة ، والذى بدأت نهزه بشدة ضربات القوات المسلحة المصرية ، افتتح جون سكالى مندوب الولايات المتحدة - المسمى بمطالبة مصر واسرائيل (بوقف عمليتهما العسكرية ، وبالعودة الى مواقعهما قبل اندلاع العمليات العسكرية) •

ومن فوق منبر القوة المصرية الذى شيده قرار السادات بخوض القتال ، والذى بدأت تسانده بشدة نفس ضربات القوات المسلحة المصرية ، لم يرد الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر على المندوب الأمريكى ، وعبر بدل ذلك عن وجهة نظره بقوله (ان الذى يجب أن تطالب به الولايات المتحدة هو العودة الى مواقع ما قبل اندلاع معارك يونيه ١٩٦٧ ، أما اذا كانت أمريكا تعنى دعوتنا الى اعطاء جزء من بلادنا الى المحتل ، فاننى لا أستطيع أن أفهم ذلك ، ولن أرد عليه) •

وقف جاكوب ماليك مندوب الاتحاد السوفيتى ليعلن (أن المجلس لا يستطيع اصدار قرار جديد فى الظروف الراهنة ما دامت اسرائيل لم تتعهد بوضوح بالجلء عن الأراضى العربية المحتلة) •

وقف هوانج هوا مندوب الصين الشعبية ليعلن (أن القرار الوحيد الذى يجب أن يتخذه المجلس هو قرار بادانة اسرائيل ، وأمرها بالجلء عن كل الأراضى العربية المحتلة ، بعد أن كسر العرب حالة اللا حرب واللا سلم ، مما يعكس صحوة جديدة للدول العربية والشعب الفلسطينى) •

ويمثل هذه القرارات عبرت خمس دول أخرى عن وقوفها ضد آمال اسرائيل ومساعى الولايات المتحدة ، هى غينيا والهند وكينيا والسودان ويوغوسلافيا •

وبما يجرى هذا المجرى قررت فرنسا انها سنعمل على الاحتفاظ بموقف متوازن في كل المناقشات .

ثمان من دول مجلس الأمن الاحدى عشرة أدارت ظهورها للولايات المتحدة . وكانت النتيجة أن أرجأ مجلس الأمن جلسته الى أجل غير مسمى .

وداقت الولايات المتحدة مرارة الفشل ، ولعل هذا الموقف العالمي كان ما بقى من الأسبوع الأول من القتال عن سعيها عبثا لاستصدار قرار من الدافع الأول لما اتجهت اليه من اعادة حساباتها ، وان لم تتوقف طوال مجلس الأمن بوقف القتال .

وفى خلال هذا الأسبوع الأول قدمت الانتصارات المصرية المتوالية الكثير من معطيات حسابات الولايات المتحدة .

رأت أمريكا أن استخدام مصر واسرائيل لمثل هذه الأعداد الكبيرة من الدبابات التي اشتبكت في الصراع ، على جبهة صغيرة نسبيا ، ومن جانب دولتين صغيرتين ، يعتبر حدثا لم يسبق له منيـل في التاريخ العسكري ، بما في ذلك القتال الذي خاضته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وألمانيا في الحرب العالمية الثانية .

ورأت أن طيران اسرائيل الذي طالما هددت به العالم العربي من أفصاه الى أدناه ، قد أصيب بضربة قاصمة على يـد فتیان مصر البواسل الذين أقسموا أن لا يعود الواحد منهم الى قاعدته الا بعد نصر يثبت به وجوده ، أو استشهاد يسد به بعض ما في عنقه لوطنه .

ورأت أن معارك الدبابات التي أدارتها مصر فوق تراب سيناء فداقت أكبر معارك الدبابات في الحرب العالمية الثانية ، وأن مصر قد خاضت باقتدار قتالا ضاريا لم تعرفه الحرب العالمية الثانية نفسها في أخطر مراحلها .

ورأت أن الضربات التي نزلت باسرائيل لم تقتصر على جهد المدرعات والطيران ، بعدما صرح به الجنرال كلمان الاسرائيلي في ١٣ أكتوبر ٧٣ من (ان القوات المصرية الخاصة تدخل سيناء من كل مكان ومن كل اتجاه وبكل الوسائل ، بطائرات الهليكوبتر والقوارب وسيرا على الأقدام ، لتقاتل بشراسة وهي مسلحة بأحدث الأسلحة) .

ورأت أن وفاق القمة الذي اتجه الى تجميد الموقف عند حالة اللاسلم واللاحرب ، لم يعق مسيرة مصر صوب غايتها عندما قررت توجيه شئونها بارادتها الوطنية وحدها .

ورأت أن إسرائيل بجيشها الذى لا يقهر ، وطيرانها الذى دلتته باسم
الدراخ الطويلة ، وخطها الحصين الذى أنفق عليه بارليف ٣٨٠ مليون
دولار، لا تعدو جميعا سوى أساطير صنعتها الدعاية البارة .

ورأت أن الجندى المصرى فى حقيقته عملاق بغير غرور ، صبور بغير
استسلام ، عبرى حرب بغير نزعة من أى نوع الى العدوان ، طالب سلام
لا يفكر فى السلامة .

ومن هنا كانت معطيات الأسبوع الأول من القتال لا تبشر بخير .
ونحوحت جهود الولايات المتحدة الى مسعى واحد ، هو وقف القتال بأسرع
ما يمكن والا ضاعمت إسرائيل لو سارت مجريات الحرب على ما هى سائرة
عليه . وبدأ هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة يعمل بمعدل
عشرين ساعة يوميا فى البحث عن أية وسائل تنهى المذبحة الدائرة ، وفى
مقدمة نشاطه بالطبع يكفل تهيب القتال والابطاء فى سرعة دوران عجلته
اللاهثة .

ولكى يهىء لجو مفاوضات مع السوفييت ، طلب من قيادات مجلس
النواب تأجيل الاقتراع الذى كان المفروض أن يجرى على مشروع قانون
النجارة الخارجية ، خشية ادخال تعديلات قد تثير الحكومة السوفييتية
وتفسد محادثاته الدبلوماسية معها . ولقد تأجل الاقتراع فعلا من ١٧ الى
٢٥ أكتوبر .

جسر من الامداد العسكرية لإسرائيل

والى جانب جهود وزارة الخارجية الأمريكية لوقف القتال ، بدأت
جهود وزارة الدفاع الأمريكية فى محاولة الابقاء على إسرائيل فوق قدميها
الى أن يتم التوصل الى الحل المنشود لوقف القتال . فبعد أن قدرت مخاطر
الولايات المتحدة أن ما تبقى فى يد إسرائيل من السلاح ، بعد هذا الأسبوع
الأول من القتال ، لا يكفى لغير أسبوعين آخرين اذا استمر القتال البرى
والجوى بنفس القوة التى جرى عليها ، أوصت فى الثانى عشر من أكتوبر
بختمية تعويض بعض الخسائر العالية التى تكبدتها إسرائيل وخصوصا فى
الطائرات والدبابات ، بامدادات مما تحت يد الجيش الأمريكى سواء فى
داخل الولايات المتحدة أو فى أوروبا أو مناطق أخرى من العالم .

وبدأت عجلة الامداد الموصى به دورانها الفوري عن طريق ما عرف باسم جسر الامداد العسكرى لاسرائيل . وأعلنت المصادر العسكرية الأمريكية فى صراحة أن الولايات المتحدة فى سباق مع الزمن لتعويض اسرائيل عن خسائرها الجسيمة والمتصاعدة على نحو مفرغ ، وأن الأولوية فى هذه التعويضات تعطى بصفة خاصة لطائرات الفانتوم ، وصواريخ سبراىك (جو / أرض) المضادة لشبكات الرادار بالذات ، والدبابات (م - ٦٠) التى تعتبر أحدث وأثقل الدبابات فى ترسانة الأسلحة الأمريكية .

بيد أن ما حدث كان مذهلا من وجهة النظر الأمريكية ، فعلى الرغم من هذا الامداد لم يطرأ على الموقف تغيير يذكر . وحتى السابع عشر من أكتوبر ارفعتم خسائر اسرائيل الى مائة طائرة فانتوم و ٥٠ طائرة سكاي هوك مع عديد من أنواع الطائرات الأخرى . أما الجدير بالذكر ، فهو أن دوائر وزارة الدفاع الأمريكية امنتعت عن تحديد جنسية الطيارين الذين تولوا قيادة طائرات النجدة الجوية الى اسرائيل والذين ذهبوا ولم يعودوا . كما اكتفت بالننويه بأن معدل ارسال شحنات الأسلحة والذخائر لاسرائيل تتراوح ما بين سبعمائة وثمانمائة طن يوميا .

وفى مصر ، ابتداء من الساعة الثانية ظهر الثامن عشر من أكتوبر ، بدأت تظهر فى سماء المعركة طائرات من طراز فانتوم . لم تجد اسرائيل الوقت الكافى لتمويهها وطلائها بلون سلاح الطيران الاسرائيلى ، وبدأ جليا أن الطيارين الذين يعملون عليها يبلغون مستوى رفيعا فى الأداء . ونفى نفس الوقت استولت قواتنا البرية على دبابات من طراز (م - ٦٠) ، نراوحت فراءات عداداتها جميعا بين ١٣٠ و ٦٥٠ كيلو مترا ، مما أثبت أنها كانت نصل الى ميناء ومطار العريش لتنتجه منهما مباشرة الى ميدان القنال .

حتى اذا ما لم تظهر أى بادرة تبشر بأن الامدادات الأمريكية ستلعب دورا مؤثرا ، تقدم نيكسون ، فى التاسع عشر من أكتوبر ، بطلب الى الكونجرس يناشده فيه الموافقة على اعتماد جديد لبرنامج ضخيم من اسساعدات العسكرية لاسرائيل ، يصل فى مجموعه الى ٢٢٠٠ مليون دولار .

قال نيكسون فى رسالته الى الكونجرس أن هذه الاعتمادات سوف تعطيه المرونة الكافية للوفاء بالتزامات أمريكا فى الشرق الأوسط والاحتفاظ بموازن فى المنطقة ، ذلك التوازن الذى يعنى أن يفوق ما تملكه اسرائيل وحدها من السلاح كل ما تملكه الدول العربية مجتمعة .

وقال أن نفقات تعويض إسرائيل في السلاح والعتاد (عالية جدا)
وأن الحكومة الأمريكية تكلفت ما قيمته ٨٢٥ مليون دولار من الأسلحة والعتاد
لاسرائيل خلال الاثنى عشر يوما الأولى فقط من بدء القتال) .

وقال ان شحنات العتاد الأمريكي لاسرائيل تضمنت كميات كبيرة من
الذخيرة ، والصواريخ (جو / جو) و (جو / أرض) ، والمدفعية الثقيلة
والأجهزة الحربية للطائرات المقاتلة ، كما تضمنت امدادات لتعويض الخسائر
في الدبابات والطائرات وغيرها من المعدات .

وقال ان اسرائيل كانت تسدد ثمن الشحنات العسكرية السابقة نقدا
أو قروضا طويلة الأجل ، ولكن حجم المعارك الأخيرة أزهق امكانيات اسرائيل
المالية ، كما أن اتساع الصراع خلق احتياجات تتجاوز قدرة اسرائيل على
تسوية مشترياتها من أمريكا وأصبح ضروريا تزويدها بالمعدات بالمجان .

وقال أن الحكومة الأمريكية تبذل كل جهد ممكن لانقاذ اسرائيل بوضع
نهاية مشرفة وسريعة للقتال خلال أيام ، ولكن الأمر يحتاج الى تخطيط
حكيم لاحتمال استمرار القتال لمدى أطول .

هذه الميانات التي ضمنها الرئيس الأمريكي رسالته الى الكونجرس ،
تعتبر اعترافات صريحة أولا بمدى ما وصلت اليه اسرائيل وما هو في
انتظارها على أيدي فتيان مصر في البر والبحر والجو ، وثانيا ببعض الحقائق
عن جسر الامداد الجوي الى اسرائيل حنى التاسع عشر من أكتوبر .

وحتى التاسع عشر من أكتوبر أيضا كان التشريع الذى تقدم به
نيكسون قد بلغ فى حجمه ضعف ما حصلت عليه اسرائيل من أمريكا خلال
الربع قرن من تاريخها . كما اعترف المتحدثون باسم وزارة الدفاع
الأمريكية ، ضمن ما أدلوا به من اعترافات أخرى ، تنبت أن مصر كانت
تحارب اسرائيل ومعها أمريكا اعتبارا من اليوم الثالث أو الرابع من بدء
القتال .

وعلى سبيل المثال ، اعترف الجنرال دانييل جيمس بأن الحكومة
الأمريكية سبق أن استدعت بعض قوات الاحتياطى من سلاح الطيران
للاشتراك فى الجسر الجوى بين واشنطن واسرائيل وأن (عددا محددا)
من القوات الجوية الأمريكية العاملة موجود حاليا فى اسرائيل ، كما توجد
مجموعة من أطقم الخدمة الأرضية الأمريكية فى مطار تل أبيب للاسهام
فى سرعة تفريغ شحنات المعدات العسكرية التى بلغت ٣٥٠٠ طن حنى
ذلك التاريخ - واعترف بأنه من بين كل مائة طائرة فقدتها اسرائيل منذ

بداية المعارك رغم الدعم الأمريكي بالطيارين ، أسقطت على الأقل ٢٤ طائرة من طراز فانتوم ، وانه لهذا السبب كانت أمريكا ترسل الطائرات طراز فانتوم وسكاى هوك بمعدل ٢٠ طائرة يوميا . وبأن عملاء إسرائيل في أمريكا يدفعون للطيار الأمريكي خمسة آلاف دولار في الشهر لقيادة المفاوضات .

وعن جسر الامداد العسكرى الأمريكى لاسرائيل ، نتب فوق رؤوس الأيام لنسمنع الى كنيث كيننج . سفير أمريكا في اسرائيل ، وهو يفرر ضمن محاضراته التى ألقاها فى السادس عشر من نوفمبر ان السلاح الذى نقل الى اسرائيل عن طريق الجسر الجوى الأمريكى بلغ وزنه أكثر من ٢٧ ألف طن خلال ٥٦٠ رحلة بالطائرات الأمريكية الضخمة من طراز جالاكس . وغيرها ، خلال شهر كامل ، وذلك بالاضافة الى ما نقلته الطائرات الاسرائيلية وما نقل بطريق البحر :

مبادرة السادات للسلام

فى السادس عشر من أكتوبر وقف الرئيس السادات أمام مجلس الشعب ليقدم حساب الأيام العشرة الأولى من القتال . ومن قاعة المجلس نقلت الاذاعات ونقل المراسلون العالميون ، ونقلت الأقمار الصناعية ، شيئاً جديداً على العالم كل الجدة ، ان كان قد ترك فى الساحة السياسية العالمية شعوراً فليس غير الاحترام العميق لابن مصر الذى كان بموقفه خير تعبير للمعدن المصرى .

لقد كانت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تتحدث وأنفها فى السماء طوال أيام زهو ما قبل السادس من أكتوبر ، عن معاقبة الدول العربية بالحرب . وفى مجلس الشعب تحدث رئيس مصر ببساطة ، بعد أن كسا أرض سيناء بأشلاء جنود وعتاد وطيران اسرائيل ، عن أن هدفه تحرير الأراضى العربية من الاحتلال الاسرائيلى .

وفى المحطات التى كانت القوات المسلحة المصرية تسجل فيها أروع ضروب البطولات والبسالة والتصميم على استرداد الشرف ، مد الرئيس المصرى من مركز القوة والنصر هذا يد السلام تحمل فوق باقة من الغار مشروعا للسلام ، فى صورة دعوة لعقد مؤتمر للأمم المتحدة لبحث اقرار سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط .

وبرزت صور ثلاث من ردود الفعل لما عرضه السادات • ففي الولايات المتحدة تنفست الحكومة الصعداء وهي تجفف عرق الحجل في ثرجيبها بالمشروع المصري • وفي اسرائيل مسحت الحكومة دموع التماسيح وهي تشكو من أن جو المشروع في حقيقته جو املاء مواقف ، بدليل ان الرئيس المصري ربط مؤتمر السلام بالموافقة المسبقة على أن تعجب مصر الى مطالبها بمعدل مائة في المائة • وفي بقية دول العالم احتارت الحكومات بين الاعجاب والتقدير لمصر الظافرة ورئيسها الحكيم ، وبين السخط والزراية بالحمق الأمريكي والغرور الاسرائيلي •

وبدأت واشنطن مرحلة جديدة من النشاط المحموم في محاولة انقاذ اسرائيل من المزيد من الضربات ، مستندة في هذه المرة الى سماحة مصر التي عبرت عنها بموافقتها المشروطة على وقف القتال • وكان طبيعيا أن تنجح واشنطن أول ما تنجح الى الاتحاد السوفيتي الذي كان بعد الوثوق في انتصار مصر يصر على أن تسيير العمليات الحربية في طريقها قدما •

ورغم التكتّم الشديد الذي النزمته الدوائر الرسمية الأمريكية ، فإن العمل الدبلوماسي الذي قام به هنري كيسنجر وراء الكواليس ، في اتصالاته التي كان يجريها كل يوم مع أناتولي دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن كانت توحى بأنها تستهدف التوصل الى موافقة الاتحاد السوفيتي على وقف القتال ، أولاً ، ثم التوصل بعد ذلك الى مشروع قرار تتقدم به الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى مجلس الأمن •

كان وجه الصعوبة يتبلور في أن على أمريكا أن تتحول عن سياساتها السابقة المؤيدة تماما لاسرائيل والمعارضة تماما لمصر •

كانت وجهة نظر الولايات المتحدة أن يعقب وقف القتال عودة الطرفين المتحاربين الى مواقف ما قبل السادس من أكتوبر ، وكانت مصر تسخر مع العالم من مثل هذه الفكرة •

وكانت اسرائيل تلوح بأنه لا يمكن الربط بين وقف اطلاق النار واجراء تسوية شاملة للقضية وكانت مصر تصر على أن يقوم وقف القتال على أساس عودة الأطراف الى مواقف ما قبل يونية ١٩٦٧ ، وبأن يكون نص مشروع القرار غاية في الدقة والوضوح •

وكان وجه الصعوبة يتبلور في أن على الولايات المتحدة أن تتحول عن سياساتها السابقة المؤيدة تماما لاسرائيل والمعارضة على طول الخط لمصر •

ولقد بدأ هذا التحول ، فى تردد وعلى استحياء ، تحت ضغط النصر
المصرى الساحق •

اقتنعت الولايات المتحدة بأن نجاح العمليات العسكرية المصرية قد
زج بإسرائيل فى وضع سياسى مهلل ، وأنه دمر رصيда ضخما ليس
فقط من ثقة الرأى العام الأمريكى فى إسرائيل ، بل وأيضا من ثقة الرأى
العام الاسرائيلى فى تفوفه الدائم ، مما يعنى فى حد ذاته ان تل أبيب
سوف تدرك ببطء ، ولكن حتما ، ان التوصل الى حل مع مصر هو الاختيار
الوحيد المفتوح أمام إسرائيل وأنه لم يعد يمكنها الاعتماد على تحقيق انتصار
عسكرى آخر ، فى الحرب القائمة أو فى المستقبل •

واقتنعت الولايات المتحدة بأن خسائر إسرائيل التى بلغت خلال
عشرة أيام فقط ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل وحوالى ٧٠ دبابة ، وما يعادل
ثلث سلاحها الجوى ، رغم ضآلة خسائر مصر نسبيا ، كانت تعرض إسرائيل
لحرب استنزاف لا قبل لها بها •

واقتنعت الولايات المتحدة بأن اقامة الجسر الجوى لامداد إسرائيل
بالذخيرة والسلاح ان كان قد منحها القدرة على اطلاق النار دفاعا عن نفسها
(وكانت بعض الامدادات من هذا الجسر الجوى تصل الى الميدان مباشرة
وفى آخر أيام المعركة وصلت الطائرات دون أن تغير علاماتها نظرا لكبر
الخسائر) فقد عجز عن ضمان نصر إسرائيل منير فى اللحظة الأخيرة •

واقتنعت الولايات المتحدة بأن ما لىدى مصر من القوى البشرية
والمهارات الفطرية يكفل استخدام أعقد الأسلحة ، وأن أفضل الحلول أمام
إسرائيل من ثم هو قبول حل وسط بدل مواجهة حرب استنزاف قد تنتهى
بدمارها •

ونحوت الولايات المتحدة ، للمرة الأولى ، من الضغط على مصر الى
الضغط على إسرائيل ، لحملها على قبول الحل المنطقى الذى أصبح ابتلاعه
بعد السادس من أكتوبر أكثر صعوبة بسبب فشل إسرائيل الواضح
ووقوفها أمام العالم عارية • وبرزت صورة التحول الأمريكى فى اتفاق
كل من الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى على التقدم الى مجلس الأمن
بمشروع حقق كل شروط مصر ، وأدار ظهره لكل مطلب إسرائيلى •
وهكذا ، فى صباح الثانى والعشرين من أكتوبر ، أصدر مجلس الأمن قرارا
بوقف إطلاق النار فى مدى ١٢ ساعة من صدوره ، حتى اذا ما درسه
الرئيس السادات ووافق عليه ، أصدر الفريق (المرحوم المشير) أحمد

اسماعيل فى الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة من نفس اليوم أمره الى القوات المسلحة المصرية بوقف القتال .

كان القرار واضحا كل الوضوح فيما يتعلق بانسحاب اسرائيل من كل الاراضى المحتلة وفيما يتعلق بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين . وكان هذا ما أراده الرئيس السادات وما كانت تماطل فيه اسرائيل .

الغزوة او « قصة الغزاة »

ثم كانت قصة الغزاة ، وما أطيب أن يقدم كل مؤرخ لعمليات أكتوبر العظيم ، لأبناء اليوم والغد ، ما يعرفه عن حقيقة مغامرة التسلسل الاسرائيلى المعروفة الى الشاطئ الغربى من القناة فى ظل وقف اطلاق النار .

لقد كانت اسرائيل تحاذر دائما من أى تورط أحقق فى عمليات غرب قناة السويس . وفى حرب يونيو ١٩٦٧ مثلا ، حرب الأيام الستة كما أطلقت عليها اسرائيل ، كان الطريق مفتوحا أمامها عبر القناة حنى القاهرة ، ولكن هذا الطريق عبر القناة وحتى القاهرة كان فى نظر اسرائيل وما رهيبا لتأني لا يرحم ، ويصعب السير فيه فى اتجاه واحد حافلا بمخاطر أولها الاهداد البعيد بأكثر مما يتحمل الجيش الاسرائيلى ، وثانيها الذوبان فى مناطق الكثافة السكانية . ولهذا توقفت اسرائيل فى عام ١٩٦٧ على الضفة الشرقية دون أن تجرؤ على العبور ولو بقارب واحد من المطاط .

تم بدأ التفكير عام ١٩٧٠ فى عملية محددة غرب القناة فى أعقاب حرب الاستنزاف الشهيرة . وعندما نجحت مصر فى بناء حائط الصواريخ الذى أنزل بالطيران الاسرائيلى - وهو سلاح الردع الأساسى - العجز عن العمل فوق القوات المصرية ، وفى ذلك الوقت وجدت اسرائيل انها ستتعرض لمازق أخطر اذا حدث واستؤنفت الحرب أو اذا حدث وفكرت مصر فى القيام بعملية أكبر لعبور القناة . وهكذا بدأ التفكير فى عملية محددة فى الغرب ، بضطلع فيها مجموعة عمل خاصة بمهمة فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرية يستغلها الطيران الاسرائيلى فى تدمير الحائط كله ووضع قوات الجبهة المصرية تحت رحمته .

واستهوت الفكرة الجنرال شارون عندما عين قائدا للجبهة الجنوبية فشارك فى التخطيط لها ، واختار بنفسه مجموعات عناصرها ، كما اختار لها الاسم الكودى الذى عرفت به وهو (الغزالة) ، على أساس من التصور

لعملية وهي تعبر القناة بقفزة واحدة وتتوالت هنا وهناك بخفة ، ثم نفر غائبة عن حيث أنت ، أو يلحق بها الصياد ولكن بعد أن نكون قد فتحت للطيران ثغرة في السماء .

وفي السادس من أكتوبر فوجئ شارون بجندى المشاة المصري يجد فرصته ويطارد دبابات إسرائيل بصواريخ مولتكا ، وبكناثب المدرعات الملحقة بفرق المشاة المصرية . وبالقوات المصرية نحارب كما قال الجنرال اندريه بوفر وهو يزور ميادين القتال (بأكفاً مستوى يعرفه العصر) . او كما عبر شارون نفسه لزميله الجنرال جوين من (أنهم يرقصون على أنغام مصرية ولا بد من وقف ذلك فوراً) . ولقد تجسست في ذهن شارون فكرة (الغزالة) . ولكن جوين رفضها بشدة وبادر بالاتصال بتل أبيب مستنجداً . وهرع حاييم بارليف الى الجبهة لتنسيق القيادة بين الجنرالين المتخاصمين ، فكان رأيه أن الموقف ما زال مبكراً للتفكير في عملية انحرارية كعملية (الغزالة) ، وأن القتال قد يمتد أياماً بعد صدور قرار بوقف اطلاق النار يحمي (الغزالة) في الغرب ، وأن الخسائر العالية لا تسمح بعبثة أولوية مدرعة قد تشتت الحاجة اليها اذا طورت مصر هبومها في الشرق ، وان هناك فرقة مصرية كاحتياطي غرب القناة وتدخلها كفيل بقتل الغزالة فوراً ، وانه لا بأس من الاستعداد للتنفيذ بشرط انتظار اشارة البدء لو تهيأت الظروف .

وفي العاشر من أكتوبر ، ونتيجة للالاحاح الدائم من شارون ، وبتأييد من ديان الذي كان يقف أمام العالم عارياً ينحرق شوقاً الى أية عملية براقة ، صدرت الاشارة الى شارون بأن يكون جاهزاً للعمل في طرف ست ساعات بعد أن أصبح النجاح في صدور قرار وقف اطلاق النار مؤكداً . وبعد أن أصبح جسر المعونات الأمريكية سيلاً دائماً التدفق ، وبعد أن عبرت الفرقة المصرية الاحتياطية الى سيناء لتخفيف الضغط عن الميدان السوري .

ومسحت طائرات الاستطلاع الأمريكية التي تطير بلا قائد ما بين بورسعيد والسويس لتحديد أنسب مكان لخلق ثغرة تتيح التسلسل بأدنى حجم من الخسائر . وتحدد مكان الثغرة عند منطقة دفرسوار فيما بين طرفي انتشار الجيشين الثاني والثالث . وفي الساعة الثالثة بعد ظهر الاثنين ١٥ أكتوبر قفزت (الغزالة) وبدأت بقفزتها أكثر المخامرات العسكرية في التاريخ حملاً وأشدّها تهوراً وربعثاً للرعب . كما يشهد بذلك منطوق الاشارات التي كان يبعث بها شارون من عربة قيادته المحروسة بخمس مصفحات .

اشارات تسبب قادة التشكيلات لترددهم في اللحاق به أمام هجمات الجيش الثاني المضادة - واشارات تسبب سلاح المهندسين لتأخره في مد

الجسور للمدرعات التى ستعزز الطلائع الأولى - وإشارات تسبب الجنرال افراهام آدان قائد لوائى مدرعات التعزيز لتردده فى العبور ، وهكذا •

ولأيام سادت الفوضى الشاملة هذا القطاع الغربى من الجبهة ، وهى الفوضى التى جعلت الغزاة تظهر فى صورة (الأرنب) فلا يعيرها الصيد اهتمامه الكافى ، مما ساعد شارون من حيث لا يدري •

وصدر قرار وقف إطلاق النار فى الثانى والعشرين من أكتوبر فالتزمت به مصر ولم يلتزم به شارون لسبب بسيط ، هو انه لم يكن من وجهة النظر العسكرية البحتة يجرؤ على الجمود بقواته فيبقىها معرضة ومكشوفة الى حد خطير ، وهكذا واصل تقدمه مكرها صوب الجنوب حتى السويس • ثم ماذا ؟

أصبح وضع (الغزاة) فى نطاق مقدرة العمل المصرى ، بعد أن أمكن حشد قوات جديدة من المشاة والمدرعات والمدفعية لتطويقها واحكام الحصار من حولها •

وفى محادثات جنيف التى دارت تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة للفصل بين القوات ، وعن ادراك تام لخطورة وضع القوات الاسرائيلية ، قال رئيس الوفد المصرى فى صراحة تامة (ان أحدا لا يستطيع أن يخيفنا بهذه الشجرة فنحن نعرف قيمتها العسكرية فهى معرضة تماما) وكان الجنرال جور رئيس الوفد الاسرائيلى يعرف هذا جيدا ، فكان رده المائع (أن قوادنا يرون أن هناك فوائد كثيرة تعود علينا من بقاء هذه الشجرة ويرون امكان استغلالها • واما عن التعبئة فنحن نستطيع احتمالها سنة وستين) •

وقال رئيس الوفد العسكرى المصرى (ليكن • فلتبقى الشجرة وتعودوا الى خطوط ٢٢ أكتوبر) فكان رد جور بسرعة (ان هذا مستحيل عسكريا) •

وفى القاهرة ضحك الرئيس السادات وقال (نحن نعرف حدود الموقف فى ٢٢ أكتوبر ، وأنا أهذى المسز مائير عشرة كيلو منرات زيادة عليه) •

وعلى طول مرحلة محاولات الفصل بين القوات ، كانت المناقشات تدور فى وزارة الدفاع الأمريكية حول قيمة الشجرة •

كان الجنرال شارون المغرم بالتعبيرات المبرقشة يقول (ان الشجرة مسدس مصوب الى قلب مصر ، ثم انها جبل حول عنق الجيش الثالث) وكان يتصور انه قد حصل لاسرائيل على ميزات عسكرية تساوم بها

مصر بعد العبور - ٢٣٧

للحصول على بعض المكاسب السياسية • ولكن أمريكا بخبراتها العسكرية والماتها بكل أطراف الموقفين العسكرى والسياسى ، كان لها أكثر من رأى فى الموقف •

فيما يختص بالشجرة رأت أمريكا ان الغزاة قد أدت ما يمكن اعتباره دورا نفسيا ، أما عسكريا فان استحالة اقدم القوات الاسرائيلية على الزحف فى اتجاه القاهرة ، كان يعنى أن على (الغزاة) أن تبقى حيث هى ، حيث باب الاحتمالات مفتوح على مصراعيه • وعلى سبيل المثال لا الحصر •

كان هناك احتمال سد الثغرة ، مهما كانت خسائر مصر فى تحقيق ذلك مما يضع طريق امداد وتموين القوات الاسرائيلية واستمرارها فى أى قتال موضع شك كبير •

وكان هناك احتمال اختراقها وهى مجمدة فى مكانها من أكثر من اتجاه ونطويها وتصفيتها •

وكان هناك ما بدأ فعلا من بلوغ قوات الشجرة مناطق الكثافة السكانية وتعرضها بالتالى لحرب استنزاف يومية تخشها اسرائيل ، حتى لو كان ضحاياها قتيلا واحدا فى اليوم الواحد • وهكذا رأت أمريكا فى (الغزاة) بعد أن أخذت مثل موقف البقرة داخل السلخانة ، أن شارون ليس بيده مسدس موجه الى قلب مصر ، ولا جبل حول رقبة جيش مصر الثالث ، وأن على مغامرته أن تنتهى • وقد انتهت كما نرى وانتهت معها خدمته العسكرية كلها •

وبعد نشوب الحرب ، راح الشعب الاسرائيل يتساءل :

لماذا لم تتنبأ حكومته بالهجوم المصرى الكاسح ، وكانت تتفاخر دائما ببراعة أجهزة مخابراتها ؟

ولماذا لم تصل أوامر التأهب ، فى الوقت المناسب ، فى كل أنحاء جبهة القناة ؟

ولماذا تم التقهقر المزعور ، من خط بارليف حصنهم الحصين • فى فوضى كلفت البلاد الكثير ؟

وقد عقد الجنرال اريك شارون نفسه ، عدة مؤتمرات صحفية ، ونشرت له جريدتى « الجارديان » و « النيوز تايمز » ، عدة اتهامات تشير الى الأخطاء التى وقع فيها القادة ورئاسة أركان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، فيصرح قائلا :

(ان الجنرال شمونيل جونين وحاييم بارليف ، قد منعانى من اختراق الصفوف المصرية ثم تركانى دون امدادات ، فلم أتمكن من احتلال الاسماعيلية • ان هذه العصابة من الافاقين ، مسئولة عن كل الكوارث التى حلت بنا) •

ويرد عليه الجنرالات المتهمون :

(ان شارون ذاته لا يعتبر معصوما من الخطأ ، فان ثغراته التى يتغنى بها ، كانت عملية فاشلة عسكريا دفعت اسرائيل ثمنا باهظا لها فى القتل والجرحى والمعدات ، مخالفا بذلك تعليمات رئاسته مرات عديدة) •

وفيمما يختص بالموقف العسكرى عامة رأت أمريكا ان خرافة الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر قد تبخرت بعد أن كادت ترسخ فى الأذهان ، وان الجندى الاسرائيلى بدا عاديا ولا يمتاز بغير التدريب الجيد ، وان فى مقدور أى جندى آخر على نفس المستوى من التدريب ان يتصدى له وان يهزمه •

وفى نفس الوقت رأت أمريكا أن الجندى المصرى يعتبر من أشجع الجنود فى العالم وأكثرهم صلابه ، وانه لا يدانيه أحد فى الصبر وفؤوه الاحتمال ، وانه يستطيع أن يعيش على نصف التعيين المقرر لغذائه دون أن يتأثر استعداداه للقتال •

وعلى الجانب الاسرائيلى رأت أمريكا أن مصر نجحت نهائيا فى تسريح الجمود الذى كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط ، وأن طريق العودة لم يعد مفتوحا أمام أية ردة ، بعد أن تغيرت صورة مصر أمام عالم كان يحسبها جثة هامدة فاذا هى بركان قادر على الثوران ، ورأت أن منطق اسرائيل فى الحدود الآمنة منطق مضروب ، وانه لا قناة السويس كمانع ، ولا خط بارليف كهائق حال بين مصر والحركة ، والقتال ، والانتصار •

كما رأت ان شرم الشيخ ليس لها الأهمية الكبرى التى كانت اسرائيل تبني عليها مطاعمها فى سيناء ، وانها ليست مفتاحا لميناء ايلات الاسرائيلى بعد أن سقط هذا المفتاح جنوبا لمئات ومئات من الأميال ، كى يستقر فى أقصى جنوب البحر الأحمر عند باب المندب ، وان استراتيجية عربية جديدة للبحر الأحمر قد وضعت هذا المفتاح فى يد العرب دون منازع •

وكانت محصلة تقديرات الولايات المتحدة وحساباتها تقطع بأن على الموقف الأمريكى ازاء الشرق الأوسط ان يتحول الى مجرى جديد • • لقد أصبح واضحا أن اسرائيل لا تستطيع من الناحية الاقتصادية أن تصمد بمعدل العمليات الذى نصبت مصر ميزانه لأكثر من ثلاثين يوما ، وأن عجز

اسرائيل عن كسب معركة حاسمة خلال أسابيع ثلاثة من بدء القتال يعتبر
فى صالح مصر على طول الخط ، خصوصا بعد ما كشفت عنه طائرات
الاستطلاع الأمريكية من ان مصر قد حرصت على أن تبقى قواتها الجوية
الرئيسية بعيدا عن العيان وخارج نطاق المعارك .

وأصبح واضحا أن نجاح العمليات المصرية قد زج باسرائيل فى وضع
سياسى عالمى ضعيف ، ودمر رصيدا ضخما حتى من ثقة الاسرائيليين
أنفسهم فى تفوقهم الدائم على العرب ، وان هذا يعنى أن على الولايات
المتحدة أن تفهم ميكر وسريعا ما سوف تفهمه اسرائيل ببطء ولكن حتما ،
وهو أن التوصل الى حل مع مصر خصوصا والعرب عموما قد أصبح الاختيار
الوحيد المتاح لاسرائيل ، بعد أن لم يعد فى مقدورها تحقيق انتصار عسكري
فى هذه الحرب أو فى المستقبل .

وأصبح واضحا أنه لا مفر من اقناع اسرائيل بأنها حتى لو كسبت
معركة فى سيناء فان الحرب قد غيرت تغييرا أساسيا من المشكلة
الاستراتيجية التى تواجهها ، وأن مصر تملك كما اتضح القوى البشرية
والمهارات التى تكفل استخدام الأسلحة الحديثة ، وأن الأفضل لاسرائيل
من ثم قبول الحل الوسط بدل مواجهة حرب استنزاف قد تنتهى بتدميرها
تماما .

وعند هذا رأى اتفقت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى على
اتفاق وطيء على أنه لا بد من انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية المصرية
والتخلي عن التراب المصرى والعربى .

الفصل بين الهواب • •

أول اختبار شوايا أمريكا

في نطاق عنوان هذا القسم من الكتاب يتعذر القول بأن سعى أمريكا لتحثيث لوقف القتال كان واحدا من ظواهر التحول الأمريكي عن التأييد المطلق لإسرائيل • ولعل العكس أقرب الى الصحة ، بعد ما أثبتناه من أن ما بذلته أمريكا لوقف القتال كان دافعه ما اقتنعت به بعد الحساب الدقيق من أن إسرائيل لن تقوى ، رغم جسر الامداد الجوى ، على مواصلة القتال • أما الاختبار الحقيقي لاتجاهات أمريكا نحو التحول فكان فيما بذله هنرى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، من ضغوط سافرة ومستترة لارغام إسرائيل على الاستجابة لشروط مصر فيما عرف بأزمة الفصل بين القوات •

مباحثات الكيلو ١٠١

كانت قوات إسرائيل قد اتخذت من الكيلو ١٠١ على طريق (القاهرة - السويس) مربضا خيل لها انها تستطيع منه قطع الامدادات عن الجيش الثالث عبر السويس • ورأت قوات الطوارئ الدولية اتخاذ هذه النقطة مركزا للمباحثات العسكرية بين القوات المصرية والاسرائيلية ، لوضع خطة تنفيذ قرار مجلس الأمن بشأن العودة الى خطوط الثانى والعشرين من أكتوبر • وكان صاحب الدور الأول فى التعبير عن تحول أمريكا فى أزمة الفصل بين القوات ، وفيما أعقب ذلك من خطوات ، هو الدكتور هنرى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة •

كانت المرة الأولى التى وجد كيسنجر نفسه فيها منغمسا فى القضية الفلسطينية بوجه عام ، ترجع الى عام ١٩٦٧ حين زار إسرائيل ، ولم يكن قد شغل منصبا رسميا بعد ، ليقتترح عليهم انتهاز فرصة النصر الزائف فى التقدم بعرض محدود للسلام • وفى تلك المناسبة ، أخذت الاسرائيليين العزة بالنصر الموهوم فلم يعبأوا برأى كيسنجر ، بل ولعلهم سخروا منه •

وكوزير لخارجية الولايات المتحدة ، كانت زيارة كيسنجر الأولى للقاهرة ، للعمل على تثبيت وقف اطلاق النار والعودة الى خطوط الثانى

والعشرين من أكتوبر ، وهى الخطوط التى اتخذت منها اسرائيل تكأة للمماطلة بدعوى انها لا تعرف ولا غيرها يعرف أين تقع خطوط المانى والعشرين من أكتوبر .

مباحثات جنيف العسكرية

واذا كانت الاضطرابات قد نشبت عند الكيلو ١٠١ بسبب رفض القوات الاسرائيلية الترحل عنه لقوات الطوارئ الدولية ، فان المباحثات العسكرية التى تقرر عقدها فى جنيف تحت اشراف الأمم المتحدة لوضع خطة الفصل بين القوات تعثرت هى الأخرى بسبب ماطلات اسرائيلية من نوع جديد ، أضاعت الجلسات فى قضايا فرعية كالمطالبة بالبحث عن جنث ضائعة لبعض الاسرائيليين أو بإفراج عن جاسوس اسرائيلي قبض عليه فى مصر ، أو بوقف تقدم القوات المصرية على جميع الجبهات لاحتلال مواقع جديدة ، وما الى ذلك من المراوغات . وكان فى ذلك من الأسباب ما يكفى لاثارة ناثرة نيكسون وتكليفه كيسنجر بالانتقال الى الشرق الأوسط وعدم العودة الا بعد ارغام اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن .

ولقد كانت هناك أسباب أربعة لها وزنها فى اختيار كيسنجر لوضع حد لهذه الأزمة . وكان أول هذه الأسباب أنه ممن يؤمنون بأن تحريك الأمور يكفى لإيجاد المنافذ الى الحلول ، وقد برهن على صواب وجهة نظره هذه فى مناسبات ثلاث تنفست لها أمريكا الصعداء بعد نجاحه فى فيتنام وبكين وموسكو .

والسبب الثانى أن يهوديته بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط كانت خليقة باكسابه نوعا من المناعة ضد جماعات الضغط اليهودية فى المجتمع الأمريكى .

والسبب الثالث أنه يكره الفشل بعد ما حققه من نجاح دولي . أما السبب الرابع فهو توفر ما يشجعه على خوض معركة اقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وهو بالذات السياسة الحكيمة التى عالج بها الرئيس أنور السادات الأمور ، وفى هذا الصدد بالذات يقول كيسنجر (فى عام ١٩٦٧ أثارت مصر الدنيا علينا ، وكانت النتيجة أن موجة عداء عارمة سادت المنطقة كلها فعملت أية رغبة للولايات المتحدة فى أداء دورها . . أما فى عام ١٩٧٣ فقد تصرف الرئيس السادات بهدوء أكثر . وسواء أكانت أمريكا مخطئة أم غير مخطئة ، فقد فتحت مصر الباب أمام أمريكا لدور ترغب فى القيام به وتحس انها قادرة عليه) .

وبطائره الخاصة ذات المحركات الأربعة ، مع أربعين من طاقم أعماله بين مساعدين وصحفيين ، حمل كيسنجر معه اختصاصات كل من وزاره الخارجية ومجلس الأمن القومي ، ليبدأ تنفيذ وجهة نظر أمريكا بعد هزيمة إسرائيل ، والتي عبر عنها بقوله عند افتتاح جلسات مباحثات جنيف العسكرية في العشرين من ديسمبر : (ان الهدف النهائي يجب أن يكون تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه ، وهو القرار الذي كان يستهدف إعادة السلام في الشرق الأوسط بعد حرب يونيه ١٩٦٧) ، ثم ما أضافه في نهاية كلمته من (أن اتفاق السلام يجب أن يتضمن الانسحاب ٠٠ الحدود المعترف بها ٠٠ تدابير أمن كانشاء مناطق منزوعة السلاح ٠٠ ضمانات ٠٠ اقرار المصالح المشروعة للفلسطينيين والاعتراف بأن القدس تضم أماكن تعد مقدسة بالنسبة للأديان الثلاثة الكبرى) .

وبدأ كيسنجر سلسلة تنقلاته اللاهثة بين مصر وإسرائيل ، في مسعاه للفصل بين القوات باصرار وجلد كانا حديث العالم بأسره .

في ١١ يناير وصل كيسنجر أسوان ، حيث كان يقيم الرئيس أنور السادات ، قادما من واشنطن . وبدأ محادثاته مع الرئيس فور وصوله حوالى التاسعة مساء ولاكثر من ساعة ، كى يستأنفها طويلا في اليوم التالى - وفي هاتين الجلستين حدد الرئيس السادات بحزم موقف مصر ، مبينا أنه يركز على أن يرتبط الفصل بين القوات ارتباطا وثيقا بالانسحاب الاسرائيلى من جميع الأراضى العربية المحتلة ، وأن ترتبط حقوق شعب فلسطين ارتباطا وثيقا بالحل الشامل للقضية ، كما يركز على رفض أى خفض للقوات المصرية فى سيناء أو أى اقتراح بانسحابها من شرق القناة .

وفى ١٢ يناير ، بمجرد انتهاء الجلسة الثانية مع الرئيس السادات ، طار كيسنجر الى تل أبيب . وهناك وضع الحكومة الاسرائيلية أمام الأمر الواقع . فبعد أن نوه بأن إسرائيل قد حولت الموقف عند الكيلو ١٠١ الى قضية قائمة بذاتها ، والموقف فى جنيف الى ساحة للتقدم بالمطالب الجانبية ونلقى الردود بالرفض ، طالب الحكومة الاسرائيلية بإبداء رأى واضح فى الموضوع دون مراوغات أو مداورات ، منذرا بأن على هذا الرأى سيكون تصرف الولايات المتحدة فى المستقبل ، ومرددا - كما نوهت بذلك صحف إسرائيل - الكثير مما ورد على لسان الرئيس السادات فى خطبه وأحاديثه ، وفى مقدمته :

(ان على الاسرائيليين ، أن يختاروا بين تسوية سلمية تشهّل انسحابا تاما وبين تصعيد جديد بعد أن أصبح من المستحيل استمرار الموقف الحالى لأطول من ذلك) .

وإذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد اضطرت الى الدخول فيه ، سي
الموضوع ، والتقدم بتحفظاتها في حدود الفصل بين القوات ، فلا شك أن
السبب كان مرجعه التحول الأمريكي الذي عبر عنه كيسنجر بضغطة
الحازم ، والذي عبرت عنه صحيفة ها آرتس الاسرائيلية بقولها ، وكانما
هي تتلمس للاسرائيليين العزاء (ان اهتمامنا بأمن بلادنا لا يجب أن يذهب
بنا الى حد قيام مواجهة بيننا وبين الولايات المتحدة ، تضاف الى مواجهتنا
مع الدول العربية) .

وفي ١٣ يناير وبعد ساعات من مغادرته أسوان ، عاد كيسنجر اليها
طائرا ليعرض على الرئيس السادات ما طرحته اسرائيل من تحفظات درسها
الجانب المصري ، ووضع في مقابلها مشروعا مصريا للفصل بين القوات ،
مصحوبا بخريطة تحدد مفهوم وحدود الانسحاب الاسرائيلي ، وبشروط
أساسية هي أولا أن يتم الانسحاب للفصل بين القوات من طرف واحد هو
الجانب الاسرائيلي ، وثانيا أن يكون الانسحاب مرتبطا بتنفيذ قرار مجلس
الأمن رقم ٢٤٢ بالانسحاب الكامل ، وثالثا أن يكون الانسحاب محكوما
بجدول زمني واضح ومحدد .

وفي ١٤ يناير ، قبيل الساعة التاسعة مساء ، طار كيسنجر من
أسوان الى تل أبيب حاملا المشروع المصري ، وهناك قضى معظم الليل في
محادثات خاصة مع أقطاب اسرائيل ، شهدتها الغرفة التي نزل بها في
فندق الملك داود ، واستطاع خلالها اقناع الجميع بأن شروط مصر لا راد
لها ، وأن أمريكا ستقف بكل ثقلها وراءها اذا لزم الأمر . ولذا ما أشبه
نهار ١٥ يناير حتى كان مجلس وزراء اسرائيل قد بدأ اجتماعه القدرى
ليحدد شروطه في حدود الارادة المصرية ، مطالبا أولا بوجود قوات للأمن
بتكوين دوريات مصرية اسرائيلية مشتركة على الضفة الشرقية للقناة
المنحذة على الضفة الغربية للقناة عند انسحاب اسرائيل منها ، وثانيا
للتفتيش على السلاح ، وثالثا بصدور اعلان من مصر بانتهاء العمليات
العسكرية ضد اسرائيل ، ورابعا بالاشارة الى مسألة تطهير القناة وعودة
الملاحة فيها ، وخامسا بعدم ربط الفصل بين القوات بالحل النهائي
للمشكلة ، وسادسا بأن يكون هناك مقابل للانسحاب الاسرائيلي من غرب
القناة في شكل تخفيف للوجود المصري على الضفة الشرقية منها .

وفي ١٦ يناير في الصباح الباكر ، كان كيسنجر في طريقه الى
أسوان بطريق الجو ليعرض على الرئيس السادات مقترحات اسرائيل -
وسخر الرئيس من المقترحات ككل ، وبين في وضوح أن مشكلة انفصال
بين القوات ، من وجهة النظر المصرية ، تقوم على أسس لن تتنازل مصر

عنها بأى حال من الأحوال ومهما ترتب على عدم اسنجدية اسرائيل لها من نتائج ، هى أولا أن الفصل مسألة عسكرية بحتة ولكنها جزء من قرار مجلس الأمن الذى يعتبر الفصل بين القوات مرحلة وليس هدفا ، وثانيا أن الفصل ليس هبة تعطى لمصر ولكنه يمثل أول تحرك نحو تنفيذ قرار الانسحاب التام من جميع الأراضي العربية ولا يمكن بالتالى منح اسرائيل مقابلا له من أى نوع ، وثالثا ان التحرك يجب أن يرتبط بالانسحاب الكامل وفقا لجدول زمنى لمراحل محددة ، ورابعا أن تطهير القناة مسألة تخص مصر وحدها وليس لأى طرف آخر أن يتدخل فى اقراره أو عدم اقراره وخامسا ان الهدف النهائى يجب ان يكون الجلاء الكامل واسترداد حقوق شعب فلسطين ، وأخيرا ان الأمر لم يعد يحتمل المزيد من المراوغة عن طريق الأخذ والرد ٠٠ وهكذا ، فى الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم (١٦ يناير ١٩٧٤) وبعد اجتماعات دامت سبع ساعات ونصف الساعة طار كيسنجر بقرار مصر الأخير الى تل أبيب فوصلها قبيل منتصف الليل ، لبدء على الفور سلسلة اجتماعاته التى استمرت ما بقى من الليل ، والتى أعقبها اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى منذ الصباح الباكر .

وفى ١٧ يناير ، بعد أسبوع كامل قضاه كيسنجر متنقلا بطائرته بين أسوان وتل أبيب ، صدر فى الساعة التاسعة مساء ، فى كل من القاهرة وتل أبيب ، البيان الرسمى الذى ينص على انه : (طبقا لقرار مؤتمر جنيف ، فان حكومتى مصر واسرائيل ، بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، قد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة . وسيوقع على الاتفاق كل من رئيس أركان القوات المسلحة لمصر واسرائيل ظهر الجمعة ١٨ يناير بالكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس . وقد طلبت الأطراف من الجنرال انزيو سيلاسفو قائد قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة ان يشهد التوقيع) .

وبنبرات الفرح الغامرة ، طلب الرئيس نيكسون الاتصال بالرئيس السادات فى أسوان ، فى نفس المساء ، لينبئه باقرار اتفاقية الفصل بين القوات . بل لقد ذهب الرئيس الأمريكى الى ما هو أبعد من هذا . بأن أذاع بنفسه القرار عن طريق الراديو والتليفزيون من البيت الأبيض ، وعلى الهواء مباشرة ، مختتما كلمته بأن العمل الرئيسى الذى يشغله فى الوقت الحاضر (هو تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة ، والدول العربية كلها) .

ويبقى أن نسجل أن أبرز بنود اتفاق الفصل بين القوات كانت ، كما أوردتها مصر ، تقضى بأن تتوزع وتنتشر كل القوات المصرية على الجانب الشرقى من القناة ، وتتوزع وتنتشر القوات الاسرائيلية بما فيها القوات

التي غرب القناة عند منطقة الممرات بسفوح جبال الجدى ومثلا (حوالى ٣٨ كيلو مترا داخل سيناء) وبأن ترابط بين الطرفين قوات طوارئ تابعة للأمم المتحدة .

وهكذا برهنت أمريكا على اتجاهها نحو التحول بسبب ما نزل بإسرائيل من هزيمة نكراء .

وهكذا تحركت القضية ولم يعد هناك سبيل للعودة بها الى حالة الجمود . حالة اللاسلم واللاحرب .

ونعود الى التحول الأمريكى فى محاولتنا لخصر ما حتمه من أزمات .

ثانيا :

أزمة الوفاق الأمريكى السوفييتى

كان لسياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى - كما أصبحت تعرف عامة - نقاد متشددون منذ أعلن عنها . حتى اذا ما كان السادس من أكتوبر ، وما ترتب عليه من تعارض فى موقفى القمتين ، ازداد النقد وسادت العالم الغربى بوجه خاص فكرة أن الوفاق قد مات .

وكانت عقدة العقد تكمن فى أن أمريكا تريد بأى ثمن وقف القتال منذ لحظة نشوبه خشية تدمير إسرائيل ، فى حين كان الاتحاد السوفييتى يرى أن مصر قد أحكمت الضربة ، وأن العجلة يجب أن تواصل دورانها ما دامت قد تحركت الى الأمام . وأيا كان الأمر فقد مضت مصر قدما لتثبت بالقتال ، قرارا وتنفيذا ، أن وفاق القمة الأمريكى السوفييتى لا يعوق مسيرة الدول الصغرى التى تقرر تسيير دفعة شئونها بارادتها الوطنية .

وطلعت شمس الشانى عشر من أكتوبر ، بعد أسبوع من بدء الحرب ، لترى الولايات المتحدة أن هناك كارثة حقيقية تلوح فى الأفق متربصة بإسرائيل . وهاج مجلس الشيوخ الأمريكى فأنقسم على نفسه . ففى هذا اليوم ، وقف السناتور هنرى جاكسون ، حامى حمى الصهيونية العالمية ، ليصرخ مناديا بأن الأزمة قد أثبتت أن الوفاق مع الروس مبنى فوق رمال متحركة وأن على أمريكا أن تقف بصلافة وراء إسرائيل بما يكفل عودة القوات الى موقف ما قبل السادس من أكتوبر .

وقد ألح السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة الشؤون الخارجية ،

فى نفس الجلسة العاصفة ، على ضرورة السماح للقوات المصرية بالبقاء حيث هى بمجرد التوصل الى قرار بوقف اطلاق النار ، بامل ان يتيح الوضع الجديد للطرفين المتصارعين استخدام الموقف الجديد كمدخل الى تسوية ما •

وبدا الوفاق يهتز من أساسه عندما استجابت الولايات المتحدة ، تحت ضغط أنصار هنرى جاكسون ، الى مطالبته أمريكا بالوقوف فى صلاية وراء اسرائيل فبدأ الجسر الجوى يمتد فيما بين اسرائيل ومختلف القواعد الحربية الأمريكية ، حاملا العتاد والذخيرة من كل نوع • وردا على هذا ، لم يتوان الاتحاد السوفييتى فى تزويد مصر ببعض ما كانت نطلبه من قبل من عتاد ، ولكن بعد أن دفعت الجزائر لموسكو مائة مليون دولار •

ورغم جسرى الامداد هذين ، بالسلاح الأمريكى لاسرائيل ، وبالسلاح السوفييتى ذى النوعية الخاصة لمصر ، فقد دفع الحرس على عدم انهيار الوفاق كلا من واشنطن وموسكو الى الابقاء على اتصالهما الوثيق ، فى نفس الوقت الذى كانتا ترسلان فيه الطائرات والدبابات والذخائر التى تقتل المصريين والاسرائيليين معا •

وترتب على هذا موقف شاذ ، ربما كان الأول من نوعه فى تاريخ الحروب • فباحتمام المعركة ، ازداد حجم الأسطولين الأمريكى والسوفييتى ونشطت مناوراتهما فى البحر الأبيض المتوسط ، مع الحرس كل الحرس على تجنب أى صدام بينهما • وبدأ وزيرا خارجيتى القمتين اتصلاهما الوثيق • وتم انشاء خط ساخن بين الدولتين الكبيرتين على وجه السرعة • ومضى الاتحاد السوفييتى يرسل طائرات وسفن الشحن الى الموانئ المصرية تحت بصر الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض المتوسط ، فى حين مضت الولايات المتحدة ترسل طائرات النقل الضخمة المحملة بالعتاد علانية وعلى مرأى من الأسطول السوفييتى فى نفس البحر • ومضت سفن كل من الطرفين تسبح مشحونة بالعتاد فوق غواصات الطرف الآخر لتمر بسلام •

وبمرور الأيام ، تحولت هزة الوفاق الى أزمة مفعمة بالانفعال • كان رأى العام فى الولايات المتحدة الأمريكية يرى فى حرب السادس من أكتوبر مثالا لطغيان الصراع المحلى على شخصية الدولتين الأعظم ، مما يعتبر واقعا خطيرا • وكان رأى العام فى الاتحاد السوفييتى يرى أن هذه الحرب قد فجرت سؤالا كئيبا هو (هل تستطيع الولايات المتحدة حقا تحسين علاقاتها مع دولة تختلف معها تماما فى نظرتها الى الشؤون الدولية ؟) •

وكان رأى العام فى الولايات المتحدة يرى فى مساندة السوفييت لمصر ودعوتهم باقى العرب الى المشاركة فى القتال ، أن جهود تحسين

العلاقات بين القمتين قد أخفقت ، وأن الولايات المتحدة قد تعرضت للمخداع عندما آمنت بهذه الجهود . وكان الرأى العام فى الاتحاد السوفيتى يرى أن الاعتدال الذى مارسته موسكو منذ بدأ القتال يكفى للبرعنه على ان موسكو مهتمة بالوفاق ، وأن الدور قد جاء على الولايات المتحدة لكى تثبت أنها تشاطره نفس الاهتمام بنفس القدر ، وأن الكثير يتوقف على استعداد واشنطن لممارسة نفوذها على اسرائيل . وبمعنى آخر ، أصبح السؤال الحقيقى كما تراه موسكو ، كحل لأزمة الوفاق ، هو ما اذا كانت واشنطن تملك القدرة على الضغط على اسرائيل وحملها على قبول حل أصبح ابتلاعه أكثر صعوبة بعد أن عرتها هزائمه تماما أمام المجتمع الدولى .

ومن مركز القوة أملت مصر شروطها لوقف القتال ، أثناء زيارة وزير الخارجية السوفيتى للقاهرة فى ١٩ أكتوبر ، بعد أسبوعين من بدء القتال ، وفى مقدمتها انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ الصادر به قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

واستنادا الى مركز مصر دعا رئيس الحكومة السوفيتية وزير خارجية أمريكا ، الى موسكو لدراسة الشروط ، فهرع هنرى كيسنجر فوراً الى هناك مع وفد من المستشارين . وفى الجلسات التى عقدت يومى ٢٠ و ٢١ أكتوبر توصل الطرفان الى انه لا مفر من قبول شروط مصر .

وفى طريق عودته الى واشنطن ، توقف كيسنجر فى اسرائيل ليعطى المسئولين بما استقر عليه رأى أمريكا ، وهو قبول شروط مصر . ولعل هذه كانت المرة الأولى التى شعرت اسرائيل فيها بمرارة التحول الأمريكى .

وفى بواكير الثانى والعشرين من أكتوبر أقر مجلس الأمن ، بالاجماع ، القرار المشترك الذى تقدمت به كل من موسكو وواشنطن ، والذى تمسكت به مصر كشرط لوقف القتال .

واعتمد مجلس الأمن ، قرار وقف اطلاق النار رقم ٣٣٨ ، فى الجلسة رقم ١٢٤٧ فى ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأصدره فى نفس الوقت ، جاء فيه : (يدعو مجلس الأمن جميع الأطراف فى القتال الدائر ، الى وقف اطلاق النيران والانتهاه الفورى لكل نشاط عسكرى ، فى مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة بعد لحظة اقرار المجلس لهذا القرار ، وذلك فى المراقع التى يحتلونها الآن .

ويدعو مجلس الأمن كل الأطراف المعنية الى البدء فوراً بعد وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بجميع أجزائه .

ويقرر مجلس الأمن ، أن تبدأ المفاوضات فوراً وفي وقت واحد مع وقف إطلاق النار بين الأطراف المعنية ، تحت الاشراف الملائم ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط) .

ثم أقر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٩ المعتمد من المجلس ، في الجلسة رقم ١٢٤٨ بتاريخ أكتوبر ١٩٧٣ ، ونصه :

١ - يؤكد قراره بشأن الوقف الفوري لجميع أنواع إطلاق النار ، وكل الأعمال العسكرية . ويدعو بالحاح الى إعادة قوات الجانبين الى المراكز التي كانت تحتلها لحظة سريان وقف إطلاق النار .

٢ - يطلب الى السكرتير العام اتخاذ التدابير لارسال مراقبي الأمم المتحدة فوراً ، للاشراف على مراعاة وقف إطلاق النار بين قوات اسرائيل وجمهورية مصر العربية ، مستخدماً لهذا الغرض أفراد الأمم المتحدة الموجودين الآن في منطقة الشرق الأوسط ، وفي مقدمتهم الأفراد الموجودون بالقاهرة) .

وقبلت مصر القرار طبعاً فنفذته في ٢٢ أكتوبر بصدر أمر الرئيس السادات بوقف القتال ، في حين انتهزت اسرائيل الفرصة لما حسبتها كسبها ، وما أدركت أمريكا مع خبراء العالم العسكريين أنه مصيده ، وأن موقف اسرائيل بعد تسللها الى غرب القناة قد زاد من سوء موقفها في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تحاول فيه انشالها من الهوة التي تردت فيها .

وتكهرب الجو ، خصوصاً فيما بين موسكو وواشنطن . وبدأت سلسلة من الاخطارات الحازمة تنتقل بين الجانبين ، كانت في الواقع اختباراً لارادات معقدة بشأن الأزمة .

وطلب الاتحاد السوفييتي عقد مجلس الأمن فوراً . وفاجأت روسيا العالم بما طالب به الرئيس السوفييتي يوم ٢٤ أكتوبر من ارسال قوة أمريكية سوفييتية مشتركة الى الشرق الأوسط . ثم زاد من حدة الأزمة ما لاحظته واشنطن من تحول مماثل ومحير في الأمم المتحدة ، فهناك بدأ مندوب السوفييت ، جاكوب مالك ، يتحول فجأة من المطالبة بمجرد تأكيد جديد لقرار وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ، الى المطالبة باتخاذ قرار يقضي بارسال قوة مشتركة من أمريكا وروسيا الى قناة السويس .

ثم صاحب هذه الاتجاهات ما هو أدهى وأمر . فقد لاحظت وكالة المخابرات الأمريكية التي تعتمد أساساً على عمليات رصد التحركات السوفييتية الكترونياً في البر والبحر والجو ، أن سفن الانزال السبع

والسفينتين المحملتين بالطائرات الهليكوبتر لنقل الجنود ، والتي كانت كلها ترابط فى شرق البحر الأبيض المتوسط قبل ذلك بأسبوع ، فد بدأت تتحرك فى دائرة .

وسجل المرصد الالكترونى فى نفس الوقت اشارات بوضع سبع فرق من القوات المحمولة جوا (نحو ٤٩ ألف جندي) فى حالة تأهب واستعداد ، بينما تم وضع فرقة منها فى درجة من التأهب أعلى خلال النهار ، بحيث أصبحت مستعدة للتحرك بمجرد صدور الأوامر اليها بذلك .

وفى نحو الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم ، أرسل الرئيس السوفييتى نداءه الأول الى الرئيس الأمريكى ، فى شكل مذكرة بارسل قوة أمريكية سوفيتية مشتركة لاقرار السلام فى الشرق الأوسط .

ومرت الساعات دون رد فعل من جانب أمريكا . حتى اذا ما كانت الساعة العاشرة تقريبا من نفس المساء ، وصلت أمريكا مذكرة ثانية تندب بأن الاتحاد السوفييتى قد يضطر الى تدبير العمل منفردا . وبمراجعة تقارير المخابرات عما تم رصده الكترونيا من الاستعدادات الرسمية ، كانت الصياغة الوحيدة للموقف فى رأى وزيرى الخارجية والدفاع الأمريكين معا ، هى أن الاتحاد السوفييتى قد عقد العزم على وضع قوات فى الشرق الأوسط .

ودعى مجلس الحرب الأمريكى للاجتماع على عجل . ونليت على أعضائه المذكرة السوفيتية الحازمة التى تقول ضمن ما تقول (اننا لنح بشدة فى أن يرسل كلانا قوات لتنفيذ وقف اطلاق النار ، واذا لم تفعلوا ذلك فقد نرى أنفسنا مضطرين لتدبير العمل منفردين) . وفى حوالى الساعة الحادية عشر مساء ، تم اتفاق مجلس الحرب بسرعة على اتخاذ شكل معدل من أشكال التأهب كرد عسكري من جانب الولايات المتحدة ، يستهدف أثناء الاتحاد السوفييتى عن العمل وحده .

ووقع الاختيار على (حالة الدفاع رقم ٣) ، وهى (أمر بالاستعداد لتلقى مزيدا من الأوامر التى قد تأتى) . وبصدور هذا الأمر دخل الوفاق الأمريكى السوفييتى فى مرحلة النزاع الأخير .

واذا كان الموقف قد تم نقله الى سائر الدول الأعضاء فى حلف الأطلسى ، عن طريق أجهزة وزارة الدفاع الأمريكية ، حوالى الساعة الثانية صباحا ، مما أثار امتعاض تلك الدول رغم ادعاء وزارة الدفاع أن التأخير نجم عن عيوب فى أجهزة الاتصال ، فان الموقف أبلغ أيضا الى وزارة الخارجية ، حيث أثار امتعاضا ولكن فى الاتجاه الآخر .

وصفت الوزارة المذكورة السوفيتية فى بيانها على لسان هنرى جاكسون أحد أعضاء مجلس الشيوخ والعضو البارز فى لجنة القوات المسلحة ، بأنها (كانت وحشية وقاسية) وأن لهجتها تصل الى حد التهديد من جانب الاتحاد السوفييتى (بأنه ذاهب الى الشرق الأوسط) . وقال (اننا نقف على حافة الحرب مرة أخرى ، والموقف حرج للغاية) . وقال (ان المذكورة لا تتفق مع مبادلات الوفاق التى جرت بين كيسنجر وبين الزعماء السوفييت خلال زيارته الأخيرة لموسكو) . وقال (اذا ذهب الاتحاد السوفييتى الى الشرق الأوسط فلن يغادره ، ولقد أدت التحركات السوفيتية الى تعرية وهم الوفاق مع الولايات المتحدة بسبب مطامع الروس فى أن يكون لهم قدم فى الشرق الأوسط يهيمن على قناة السويس ويصل الى منطقة بشروى الخليج ، واذا تحقق هذا الهدف فسيكون كارثة) .

ووصفت الحكومة السوفيتية اعلان حالة التأهب الأمريكى ، على لسان الرئيس السوفييتى فى حديثه الهادى الى نحو ثلاثة آلاف مندوب فى مؤتمر السلام الذى كان منعقدا فى ذلك الوقت ، بأنها (ليست سوى طبل أجوف من نوع لم يشهد له العالم مثيلا من قبل) . وبأنها (باطلة وسخيفة ولا تعدو محاولة لارهاب الاتحاد السوفييتى) . وبأن (الذى حدث هو أن الاتحاد السوفيتى قد أرسل فعلا فريقا من المندوبين لمراقبة وقف اطلاق النار ، عددهم ٨٠ فردا ، وأنه قضى بذلك على آخر خطر من اتساع نطاق أزمة الشرق الأوسط ، بأن أرغم الأمريكين على أن يفعلوا المثل رغم تردددهم ، وبذا تحقق الوجود المباشر للقوتين العظميين على مسرح الأحداث فى الشرق الأوسط ، مما تشعير ازاءه موسكو بأنها قد حققت انتصارا دبلوماسيا كبيرا من موقف بدا وكأنه يهدد بحدوث أزمة مماثلة لأزمة كوبا) .

أما البيان الرسمى السوفييتى فقد صدر وهو أكثر تشددا فى مهاجمته بقسوة قرار أمريكا اذ قال (ان أية تفسيرات يقدمها نيكسون لهذا القرار ستكون باطلة وسخيفة ولا تساعد على المحافظة على الانفراج الدولى والوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى) . وأن صانع القرار (قد أخطأ العنوان ولم يحسن اختيار من يوجه قراره اليه) .

ووجدت أمريكا نفسها ، للمرة الثانية ، بين أن تتسبب فى قيام حرب نووية تدمر العالم من أجل عيون اسرائيل ، وبين أن تتحول عن الخط الذى كان يدفعها فى عماء ودون تدبر وراء الرغبات الاسرائيلية .

واختارت الحل الأخير مرغمة . وهرع كيسنجر الى مجلس الأمن يدعو الى الاجتماع ، ويتقدم بطلب الاقتراع على اقتراحه بإنشاء قوة للسلام ، تستبعد منها الدول الكبرى . وأجرى الاقتراع ، فوافق المجلس

مجتعما على الاقتراع ، وعلى التنديد بإسرائيل ، وعلى مطالبتها بوقف القتال والانسحاب ، ليس فقط من الضفة الغربية للقناة ، بل على أساس مباحثات تنتهى بالانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية .

وفى مناسبة هذا التحول الأمريكى الثانى لم تسكت إسرائيل ، فانفجرت تعترف على صفحات جريدة معاريف ، أوسع صحفها انتشارا ، بأن الولايات المتحدة (تمارس ضغطا قويا على إسرائيل لـسحب قواتها) .

وان حكومة الولايات المتحدة (تطالب القيادة الاسرائيلية ، تحت ضغط من الحكومة السوفيتية بالانسحاب دون تردد) . وأن أمريكا تقول بصراحة لإسرائيل (ان من مصلحتها ومن مصلحة أمريكا أن تنسحب القوات الاسرائيلية) .

ثالثا :

أزمة رأى العام الأمريكى

لقد يبدو غريبا القول بأن رأى العام الأمريكى تسبب فى أزمة لا تقل آثارها عما سببته أزمة الهزيمة الاسرائيلية ، أو الوفاق الأمريكى السوفيتى ، أو أزمة حلف الأطلسى التى خلقها سلاح البترول ، ولكن رأى الأمريكى أثار أزمة — بعد انقياده الأعمى وراء الحكومة الأمريكية وإسرائيل — كانت واحدة من أسباب التحول الأمريكى التى لعبت دورها البارز .

ويكاد لا يخطئنا البحث لو قلنا أن أزمة رأى الأمريكى بدأت فى الحادى والعشرين من أكتوبر ، بعد أسبوعين من بدء القتال ، بالصباحة الجريئة التى أطلقها القس الأمريكى فيليب بيريجان ، الذى سبق أن حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بسبب معارضته السياسات الأمريكية فى فيتنام ، بعد أن قبض عليه لتهمة مزورة هى محاولة نسف البيت الأبيض وخطف كيسنجر .

أمام مؤتمر الأمريكين من أصل عربى الذى عقد فى واشنطن ، شن بيريجان هجوما عنيفا على إسرائيل ، وأعلن تأييده القوى لمقترحات الرئيس السادات الخاصة باقرار السلام فى الشرق الأوسط .

قال (انى آمل — بتأييدى مقترحات الرئيس السادات — أن أحبب على أولئك الذين يحاولون تصوير الحرب الدائرة على أنها الانتفاضة الأخيرة لبقاء إسرائيل على قيد الحياة ، والأمر ليس كذلك . . وعلى أولئك

الذين ينتقدون هذه الحرب فيصوّرونها على أنها تأييد لإبادة إسرائيل من الوجود ، والأمر ليس كذلك أيضا ٠٠ وعلى أولئك الذين يعتبرون اسعاد سياسة الولايات المتحدة انحيازاً الى جانب الاتحاد السوفييتي ، مع أن الأمر ليس كذلك) ٠

وقال (ان الأمر ليس كذلك ، لا لمجرد أن الحكومة الأمريكية التي تسببت في كثير من مظاهر الشقاء في العالم تؤيد إسرائيل ٠٠ ولا لمجرد أن اليهود الأمريكيين أو الاسرائيليين قد ربطوا تأييدهم أو خضوعهم بما يريده نيكسون ٠٠ أن الأمر ليس كذلك في الواقع لأن إسرائيل تفعل ما نريده الولايات المتحدة أو المركب الصناعي العسكري الأمريكي أن يفعلوا ، بأسلوبه التقدمي العدواني ، ولأن إسرائيل تقوم بدور العميل للسياسة الأمريكية) ٠

وقال بعد أن انتقد الرئيس نيكسون وحكومته بسبب التأييد المطلق لإسرائيل بدون شروط ، (لو أن العالم أخذ بخطة الرئيس السادات لأمكن انقاذ الشرق الأوسط من تلك الفوضى التي يعانيها ، والا فان كثيراً من أسباب الشقاء سوف تستمر ، وسوف يتحمل الرئيس نيكسون وموشى ديان وجولدا مائير ، وخليفتهم كيسنجر وزر ما يحدث في هذا العصر من جرائم) ٠

وكانما كان الرأي العام الأمريكي في انتظار الشجاع الذي يجاهر برأيه ٠ اذ ما كادت تمر أربعة أيام على صبيحة القس بيريجان ، حتى وقف جون بادو ، سفير أمريكا الأسبق في القاهرة ، أمام لجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب الأمريكي ، ليقول في ٢٤ أكتوبر (ان امكان ايجاد تسوية واقعية لأزمة الشرق الأوسط ، أفضل الآن منها قبل نشوب الحرب ، وينبغي على الولايات المتحدة أن تمارس بعض الضغط على إسرائيل من أجل الوصول الى تسوية) ٠

وفي نفس الوقت الذي كان فيه جون بادو يدل برأيه أمام مجلس النواب كان جيمس هلمز ، عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كارولينا الشمالية ، يقدم مع ثلاثة من الأعضاء الى المجلس رأيه بأن أمريكا تواجه موقفاً يتنازع فيه طرفان لا يعتبر أي منهما عدواً لأمريكا ، ثم يقدم اقتراحاً يقضى أولاً بإعادة انشاء ادارة مدنية في كل من سيناء والجولان والضفة الغربية تحت سيطرة كل من مصر وسوريا والأردن ، وثانياً انشاء مناطق واسعة منزوعة السلاح عند حدود الدول العربية وإسرائيل ، وثالثاً تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ورابعاً تقديم معونة الى الدول العربية لاستخدامها في التنمية الاقتصادية ٠ حتى اذا ما قدم مقترحاته الأربعة ، اختتم حديثه بقوله (وأهم من كل هذا ، يتعين على إسرائيل أن تعترف

يوحدة الدول العربية ، كما يتعين عليها إعادة جميع الأراضي التي استولت عليها بالقوة في عام ١٩٦٧ الى أصحابها) .

وهو شهر كامل على صبيحة القس بيريجان الأولى ، باسم الرأي العام الأمريكي في الحادي والعشرين من أكتوبر . وجاء الشتاء الأمريكي القارس ليرغم المواطن الأمريكي على الشعور بأزمة الطاقة كما لم يشعر بها في حياته المرفهة . حتى اذا ما كان يوم العشرين من نوفمبر ، بدأت مصادر وزارة الخارجية الأمريكية نفسها تنوء بأن معاناة المواطن الأمريكي من شتاء قارس ، ومن زيادة أسعار البنزين ، ومن احتمال حظر استخدام السيارات الخاصة في أيام الآحاد (ستكون المحك الحقيقي للسياسة الأمريكية التقليدية في التأييد المطلق لاسرائيل) بعد أن أثرت قرارات دول البترول العربية بحظر ارسال البترول الى الولايات المتحدة في طريقة الحياة التي اعتادها المواطن العادي .

قالت هذه المصادر أنه بعد ٢٥ عاما من الولاء الأمريكي الكامل لاسرائيل ، بدأ الرأي العام الأمريكي ، كما بدأت الكوادر المتوسطة من المسؤولين الأمريكيين تحس بخيبة أمل (بسبب التكاليف الباهظة للسياسة الأمريكية تجاه اسرائيل ، والتي كلفت الولايات المتحدة عداة الدول العربية ، وهي دول لم تتسبب في أية أضرار للشعب الأمريكي كما قال السيناتور ولیم فونبرايت مرارا .

ومضت هذه المصادر تقول انه (بعد أن يرتجف الأمريكيون في بيوتهم خلال هذا الشتاء فان الالتزام العاطفي تجاه اسرائيل قد يخف ، وقد يصبح في الامكان اقامة علاقات أكثر اعتدالا مع اسرائيل وباقي دول العالم ، وخاصة اذا ما مضى حكام اسرائيل في سياسة الرفض المتشددة للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة) .

وظلت ظواهر التحول في الرأي العام الأمريكي الرسمي تتناثر ، ولكن على أنها تصدر عن (مصادر وزارة الخارجية) ، طوال ما بقي من شهر نوفمبر وحتى منتصف ديسمبر ، كي يؤكد لها نفس وزير الخارجية ، هنري كيسنجر بتورياته التي تضمنها شرحه للمشكلة أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي في ١٣ ديسمبر . ولعله مما يبرز مدى تحول الرأي العام في الولايات المتحدة أن نعلم أن أول رجل رسمي جاهر به ، هو نفس كيسنجر اليهودي الذي فقد اثني عشر من أفراد أسرته في معسكرات الاعتقال النازية ، والذي كان عليه أن يقنع اسرائيل وأصدقاء اسرائيل بأن أي سلام دائم في الشرق الاوسط يرتهن بحدوث تغييرات أساسية في كلا السیاستين الاسرائيلية والأمريكية . ولقد أجاد كيسنجر ، تحت

ضغط الرأي العام الذى بدأ ينفجر فى أمريكا ، بشرح الموقف فى نقاط سبع هى ، كما قال :

أولاً : ان المشكلة الآن تختلف تماما منذ حرب أكتوبر وحظر البترول ، ولا يمكن حلها بإعادة الموقف الى ما كان عليه من قبل أو حتى عن طريق نظرية ميزان القوى .

ثانياً : ان العودة الى مواقف ٦ أكتوبر ليست فى صالح إسرائيل . فخصائرها وصلت الى واحد من كل ٤٩٤ من سكانها ، والعرب يحصلون على أسلحة حديثة أكثر تعقيدا ، ويتقنون استخدامها ويحرمون إسرائيل من فرصة القتال على جبهة واحدة فى الوقت الواحد .

ثالثاً : ان عزلة إسرائيل الدبلوماسية بالرغم مما تبذله الولايات المتحدة ، ستزداد ما لم يتم التوصل الى تسوية عامة ، فأوروبا أكثر اهتماما باستقرارها الاقتصادى منها بأمن إسرائيل ، وأفريقيا السوداء قطعت علاقاتها مع تل أبيب ، واليابان ومعظم الدول الآسيوية ستقطع علاقاتها مع إسرائيل اذا استمرت فى الاتجاه الحالى ، وبغير حدوث تعديلات أساسية فان إسرائيل ستنتهى الى عزلة دبلوماسية دولية ، دون أن يبقى من صديق لها سوى الولايات المتحدة الأمريكية .

رابعاً : ان مركز إسرائيل ، حتى فى الولايات المتحدة ، ان يكون آمنا مالم تغير من سياستها ، فواشنطن ملتزمة بتأييد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يدعو إسرائيل الى التخلي عن الأراضى التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧ ، والولايات المتحدة الآن ترغب فى أن تضمن رسميا استقلال إسرائيل وسلامة أراضيها اذا أمكن الترتيب لعقد معاهدة سلام جديدة بين المتحاربين .

خامساً : أن الولايات المتحدة ليست على استعداد للمخاطرة بخوض حرب مع الاتحاد السوفييتى فى كل مرة يحدث فيها صدام بين العرب وإسرائيل ، وهى ليست بالقطع على استعداد لتحمل مثل هذه المخاطرة اذا حدثت عودة للوضع الذى كان راهنا .

سادساً : ان موقف الكونجرس لا يوحى فى وضوح كاف بأنه سيعزل مؤيدا لارسال مزيد ومزيد من شحنات السلاح الى إسرائيل دفاعا عن الترتيبات السياسية الهشة التى حدثت فى الماضى ، ولن يكون من السهل كذلك الحصول على ضمان أمريكى آخر حتى بالنسبة لإسرائيل ، ما لم يتم التوصل الى معاهدة سلام متفق عليها بين إسرائيل وبين الدول العربية .

سابعاً : ان مثل هذه التسوية ، اذا قدر للتفاوض أن يتوصل اليها ، لابد أن تضمنها الولايات المتحدة وسائر الدول الكبرى ، وقد تكون هذه آخر فرصة لاسرائيل تعقد فيها سلاماً لا يفرض عليها .

وبعد هذا الشرح للمشكلة ، وافق كيسنجر على أن هذا كله له وقع الصدمة والألم على اسرائيل ، ولكنه بتذرع بنقطة أبرزها بقوله (تخيلوا ما سيحدث في العالم اذا كان ثمة استياء عام وبطالة عامة يمكن ردهما الى تصليب اسرائيل وعنادها) .

هذه النقطة بالذات ، وبصدورها عن نفس وزارة الخارجية ، ظلت مثار نقاش في المجالس الخاصة كمصدر للقلق ودعوة صريحة الى الامعان في تدبر الأمر والنظر اليه من الزوايا الأخرى التي كانت تغفل من قبل ، عن عمد في أغلب الأحيان .

حتى اذا ما احتدم هذا النقاش ، وجد قادة الرأي العام الأمريكي أن عليهم حسم الأمر ، ولذا تقرر عقد مؤتمر اعلامي عام للصحفيين ورجال الفكر والاعلام ، في ليلة الثالث عشر من مايو عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه ١٣٠٠ منهم لمناقشة ما اذا كان هناك انحياز يهودي تجاه قضية الشرق الأوسط . وكانت النتيجة التي انتهى اليها المؤتمر هي الخروج باعتراف خطير هو أن تغطية الصحافة الأمريكية لأبناء الأزمة تميزت بالافتقار الى الواقعية ، وبالانحياز الى اسرائيل .

قال الكاتب الأمريكي الكبير بول جاكوبى (ان ما نحن بصدده الآن هو بالفعل انحياز أمريكي عام ، وفي اطار هذا المضمون يمكن أن نقول أيضاً أنه انحياز غربى عام) . وهو اعتراف ضمنى بأن أوروبا أيضاً كان يجرفها بدورها تيار هذا الانحياز .

وقالت الكاتبة فيفيسان جورنك (لقد اقتنعت بعد زيارة لمصر استغرقت ستة شهور من عام ١٩٧١ بأن المراسلين الأجانب في القاهرة انما يرسلون « الكليشيهات » المزروعة في رؤوسهم مسبقاً) .

وقال رتشارد سميث ، أكبر محررى مجلة نيوزويك (اننى أعتقد بأن هناك بالفعل انحيازاً من جانب الصحافة في معالجة هذه القضية ، واننى أوجه اللوم على ذلك الى المجموعة اليهودية فى أمريكا ، لمطالبتها بأبناء اسرائيل وبخلق علاقات عامة أفضل معها ، وبالتشكيك فى العرب) .

وقالت هيلين توماس ، مراسلة وكالة يونايتد بريس (اننا نملك قدرة وقوة البحث عن الحقيقة . ونحن لانريد أن نكون بالضرورة محبوبين ، بقدر ما نريد أن نكون على صواب) .

وتوالت الكلمات وكلها تدور حول نفس المحور ، لتتبلور أخيرا فى غرض استقر عليه رأى المؤتمر ، هو (رؤية كيف يمكننا أن نؤدى عملنا بشكل أفضل) .

ولقد بدأ قادة الرأى الأمريكى هؤلاء يؤدون عملهم بشكل أفضل ، ترتب عليه الاسراع بعجلة تحول الرأى العنصام الأمريكى الى طريق الصواب ، والاسراع بالتالى الى تطوير الفكر فى الولايات المتحدة على نحو كان كافيا ، الى جانب ما سببته أزمنا الهزيمة الاسرائيلية والوفاق الأمريكى السوفييتى ، فى التحول الأمريكى الذى نفرد له هذا الفصل من الكتاب .

• وكان طبيعيا أن تحس الأطراف المعنية ، بآثار هذا التحول .

فأما رد الفعل بين يهود أمريكا فقد عبر عنه برترام جولد ، الرئيس التنفيذى للجنة اليهودية الأمريكية ، فى ١٧ مايو عام ١٩٧٤ . بأن (هناك دلائل جديدة على وجود موجة عداة لليهود والحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة) وان كان قد حذر من عواقب وصم كل من يختلف مع اليهود بتهمة العداة للسامية .

وأما فيما بين أمريكا والعرب ، فقد كشف عنه رونالد زيجلر ، المتحدث الأمريكى الصحفى باسم البيت الأبيض ، بما أعلنه من (أن الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون سيزور الشرق الأوسط فى وقت قريب ، ويأمل أن يزور فى جولته مصر وسوريا والسعودية والاردن والكويت) ، وبما قرره المتحدث الرسمى المصرى من (أن مصر ترحب بهذه الزيارة ترحو ان تسفر عن نتائج ايجابية فى اتجاه التغيير الذى طرأ على سياسة الولايات المتحدة بعد حرب أكتوبر) .

وأما فى إسرائيل فقد بدأ الأسرائيليون ، حكومة وشعبا ، يشعرون بالكتابة والقنوط فى مواجهة تطورات أحسوا بأنه لم يعد فى وسعهم أن يسيطروا عليها ، وتنتابهم العصبية ازاء اعتمادهم شبه الكلى على الولايات المتحدة التى بدأت تفاجئهم بما يوحى بضغطها عليهم ، وتذهلهم الاتصالات السريعة الخطى بين واشنطن وموسكو والقاهرة .

لقد أصبح التحول الأمريكى حقيقة واقعة . وإذا كان قد ترتب عليه شيء ، فهو أولا انفجار من الداخل فى اسرائيل بدأ بتبادل الاتهامات وانتهى بسقوط الحكومة الاسرائيلية ، وثانيا باعتدال الميزان الأمريكى فى معاملته مع مصر مقارنة باسرائيل .

ريدل استقراء التطورات على أن الرأى الحكومى الأمريكى قد استقر على التحول تحت ضغط الهزيمة العسكرية التى نزلت باسرائيل خلال الاسبوع الأول من القتال ، وأن هذا التحول أخذ فى الرسوخ حتى اكتسب صفة الجبدا بتوالى عوامل الضغط الأخرى التى سببتها أزمة الوفاق فأزمة صحوة الرأى العام الأمريكى .

وفى اليوم الأول من نوفمبر ١٩٧٣ كانت جولدا مائير فى واشنطن لتوسيع وجهة النظر الاسرائيلية للرئيس نيكسون ، وصفوة ما يقال عن نتائج تلك الزيارة هو أنها أعادت اسرائيل الى حجمها الحقيقى . وإذا كان ما دار خلال الزيارة مازال سرا من حيث التفاصيل ، فإن النتائج توحى بها نتيجة زيارة اسماعيل فهمى ، مبعوث الرئيس السادات ، للرئيس الأمريكى ابتداء من نصف اليوم الأول من نوفمبر . فبعد أن سمع نيكسون وجهة النظر المصرية قال انه سيعود لزيارة مصر حتما ، وأن موقف مصر ايجابى ، وأن الزيارة جاءت فى مرحلة هامة من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الأمريكين يصرون على أن الظروف التى أدت الى هذه الحرب يجب أن تنتهى . حتى اذا ما انتهت المحادثات ، رافق كل من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته كسينجر المبعوث المصرى حتى سيارته فى حديقة البيت الأبيض ، حيث تصافح الجميع بحرارة .

وفى الثامن من نوفمبر ، بعد أن انتهت زيارة كسينجر للرئيس السادات للاتفاق على وسائل تطبيق القرار ٢٤٢ بعد وقف إطلاق النار ، صرح كسينجر بأن مصر وأمريكا اتفقتا على مبدأ عودة العلاقات الدبلوماسية كاملة بينهما فى وقت قريب يفترض أن تكون قد تمت فيه خطوات معينة فى طريق السلام على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وفى الحادى والعشرين من نوفمبر حضر الى مصر ٢١ من أعضاء الكونجرس الأمريكى ، ومعهم سبعة من المستشارين ، لتقصى الحقائق فى الشرق الأوسط . وبعد أن سمعوا عشرات الاجابات من الرئيس السادات لعشرات الأسئلة التى توجهوا بها اليه ، صرحوا بأن الرأى

العام الأمريكى والحكومة الأمريكية كانت تنظر الى أزمة الشرق الأوسط من جانب واحد دون باقى الجوانب ، وانهم سعداء بالمهام بأطراف القضية أخيرا .

وفى السادس من ديسمبر أكد نيكسون فى اجتماع له مع ٣٧ من أعضاء مجلس النواب الديمقراطيين أنه (يجب على إسرائيل أن تدرك أن واشنطن هى صديقتها الوحيدة بين الدول الكبرى ، وأن سياسة الاحتفاظ بالأراضى التى استولت عليها من الدول العربية ليست سياسة عملية) .

وفى الرابع من فبراير ١٩٧٤ حضر ديفيد روكفلر ، رئيس مجلس إدارة بنك تشيز مانهاتن الأمريكى ، ليعرض على الرئيس السادات : أولا تمويلا متوسط الأجل قدره ٨٠ مليون دولار لاستخدامه فى الأغراض الاقتصادية التى تحددها مصر ، وثانيا ، انشاء مكتب للبنك فى القاهرة لا يعتبر فرعاً للبنك إنما تقتصر مهمته على إيجاد الوسائل لدعم العلاقات المصرفية بينه وبين البنوك المصرية .

وفى السابع والعشرين من فبراير وصل الى القاهرة روبرت ماكنمارا رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير مع خمسة من كبار مستشاريه لا ليقول ، بإعاز من أمريكا ، ان مصر تعاني شبه جفاف مالى مما لا يشجع البنك على تقديم قروض لبناء السد العالى ، كما حدث ذات مرة من قبل ، بل ليقول بإعاز من نفس أمريكا ، ان مصر تعاني شبه جفاف مالى مما يلزم البنك بتقديم قروض لبناء والتعمير ، بما يعتبر أضخم عملية يقوم بها البنك بحماس بعد مساهمته فى تعمير أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، مع وضع قناة السويس واستصلاح الأراضى واستغلال كهرباء السد العالى فى المرتبة الأولى .

وفى اليوم الأول من شهر مارس ١٩٧٤ صرح كيسنجر ، وزير خارجية أمريكا ، بقوله فى أكبر مؤتمر صحفى من نوعه (يسرنى أن أؤكد اليوم أن عصرا جديدا قد بدأ بين بلادى ومصر ، والفضل الأول فى هذا يرجع الى الرئيس السادات) وبهذا التصريح وصلت القطيعة بين مصر وأمريكا الى خاتمتها ، بعد أزمة ثقة زاد عمرها دبلوماسية على ثماني سنوات .

وفى الثانى عشر من يونيو ١٩٧٤ ، كان الرئيس ريتشارد نيكسون بالقاهرة مع قرينته ، ليس فى أول زيارة تجيء فى أعقاب التغييرات العالمية الواسعة والعميقة التى فرضتها حرب أكتوبر فحسب ، بل وأيضا فى أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس أمريكى لمصر . وقد لا يكون فى

صفحات هذا الكتاب محال لتفصيل ما عبرت عنه هذه الزيارة ، بيد أن بعض المؤشرات عن حقيقة التحول الأمريكي ومداه خليفة بأن نجله لنفسها مجالا هنا مع صدى وقعها بين مصر والمصريين .

سبقت الرئيس الأمريكي ثمانى طائرات خاصة نقلت من واشنطن بعض أفراد السكرتارية والحرس الخاص والمعدات الخاصة بهم ، وأوقفت حركة الطيران بميناء القاهرة الجوى ساعتين ونصف الساعة فى الموعد المحدد لوصول نيكسون . وتم تركيب محطة لاسلكية حيثما تقرر أن يقيم لتتيح له الاتصال المستمر والمباشر مع البيت الأبيض ومختلف أنحاء العالم عن طريق الأقمار الصناعية . وقامت مؤسسة الكهرباء بتغذية قصور اقامته بثلاثة مصادر كهربائية مختلفة لضمان استمرار التيار الكهربائى ، وأعدت سبعة مراكز صحفية لتغطية الزيارة باللاسلكى والتلكس من مطار القاهرة وقصور القبة ورأس التين والمنزه وفنادق سيراتون وهيلتون وفلسطين . وروعى أن يرافق سائق القطار الذى سينقل الرئيس الأمريكى من القاهرة الى الاسكندرية خبير عالمى لضمان مواجهة أى عطل ميكانيكى . كما روعى أن ترافق القطار طائرة هليكوبتر كحلقة وصل بين أجهزة القطار اللاسلكية وبين محطة اللاسلكى الأرضية الرئيسية . وأن يتبع القطار ، وبنفس سرعته ، قطار خاص مجهز بغرفة عمليات ضمت مجموعة من الأطباء المصريين والأمريكيين .

وحيثما انتقل الرئيس الأمريكى مع قرينته ، كانت الحفاوة الرسمية والشعبية وكان الهتاف المصرى المنبعث من القلب ، يعبر عن مدى ما تعتم به نفوس الشعب المصرى المنتصر من عشق للسلام وبغض حتى للحرب التى انتصر فيها والتى أثبتت عن جدارة أنه تقدير على الانتصار فى غيرها . وفى هذا الصدد قال نيكسون (لقد زرت الكثير من بلاد العالم ، ولكنى لم أر مثل الحفاوة التى تمس القلب مباشرة والتى قوبلت بها فى مصر) . وقال (ان عدد من خرجوا لاستقبالى فى القاهرة والاسكندرية وحدها يزيدون على ثلاثة أمثال تعداد إسرائيل) . وقال (من اليسير جدا أن تجمع الجماهير لاستقبال زائر ، ولكنك لا تستطيع أبدا أن تتحكم فى مشاعرهم أو فيما تكنه قلوبهم من حرارة أو فتور) .

لقد تبودلت بين الرئيسين ، السادات ونيكسون ، الكلمات والخطب والمناقشات فى عديد من المناسبات سواء بحضور المثات من ممثلى الاعلام والصحافة فى العالم أو أثناء الجلسات الخاصة ، ولكن محور الحديث لم يخرج أساسا عن ضرورة تحقيق السلام العادل والدائم فى الشرق الأوسط ، وضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة ،

وضرورة استعادة الشعب الفلسطيني حقوقه السياسية . ضرورات ثلاث كانت محور الأحاديث في شرفة قصر القبة بمجرد وصول نيكسون ، وفي مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس السادات في حديقة القصر في نفس اليوم ، وفي الليل بعد انتهاء المأدبة . وفي القطار الذي نقل الرئيسين في اليوم التالي الى الاسكندرية ، وفي قصر رأس التين الذي نزل به ضيف مصر ، وفي الطائرة الهليكوبتر التي نقلت الرئيسين في اليوم الثالث الى منطقة الأهرام ، وفي مكتب الرئيس السادات بقصر عابدين ، ثم في المؤتمر الصحفي الذي انعقد بقاعة المسرح بقصر عابدين والذي أعلن فيه الرئيسان إيمانهما معا بالضرورات الثلاث كأساس لحل أزمة الشرق الأوسط ، والذي حرص فيه نيكسون على التنويه بأن التحول الأمريكي تجاه الموقف بين العرب وإسرائيل أصبح حقيقة واقعة ، وأن العلاقات بين مصر وأمريكا قد عادت الى طبيعتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا و . . . ذريا .

وإذا كانت زيارة الرئيس الأمريكي لمصر لم تتجاوز الثلاثة أيام فقد أمكن خلالها محو آثار العديد من سنوات الجفاء وسوء الفهم وسوء الظن .

•• ما بعد نيكسون ••

ما كانت إسرائيل لترى التحول الأمريكي الذي ألمحنا في إيجاز اليه وتكتفى بمجرد متابعته . وما كانت جماعات الضغط الصهيوني في الولايات المتحدة عموما ، وداخل الكونجرس بوجه خاص ، لننابع مراحل هذا التحول وهي مكتوفة اليدين . وإذا كانت إسرائيل وكانت جماعات الضغط الصهيوني قد آثرت الانتظار قبل أن تضرب ضربتها ، فقد كان ذلك على مضض ولأسباب كانت تبرر التريث وتراه في صالح إسرائيل .

كانت جماعات الضغط قد أعدت عدتها للتخلص من نيكسون •• بعد شهر وثلاثة أيام من بدء القتال • ففى الثانى من نوفمبر ١٩٧٣ ، بدأت الأنباء تتناثر عن أن مؤيدى إسرائيل داخل الكونجرس وخارجه

(١) جاء فى الحولية اليهوديه الامريكىة ، الصادرة فى مطلع عام ١٩٧٧ ، احصاء لعدد يهود العالم حتى نهاية عام ١٩٧٦ هو ، ١٤ مليون و ١٤٥ ألف يهودى • وتبلغ نسبة الذين يعيشون منهم فى الولايات المتحدة الامريكىة وحدها ٥ مليون و ٨٤٥ ألف يهودى ، وفى أوروبا ٣٤٥ و ٢٠٥٠٠ يهودى موزعون كالاتى :
٥٠٠ و ٢٦٨٠٠ بالامحاد السوفيتى و ٥٠٠ و ٥٠٠٠ بفرنسا و ٤١٠ و ٢٠٠٠ بانجلترا •

كانوا على وسك نمن حملتهم ضد سياسة (نيكسون - كيسنجر) فى الشرق الأوسط ، وأن اسرائيل بادرت بحثهم على تجنب ذلك فى تلك المرحلة لأسباب كان لها ما يبررها ، منها أن الحكومة الأمريكية قدمت كميات ضخمة من الأسلحة لاسرائيل ، ومنها ضغط أمريكا على الاتحاد السوفيينى من أجل وقف إطلاق النار ، ومنها تجنب أغضاب نيكسون فى تلك المرحلة الدقيقة ، ومنها أن الولايات المتحدة هى المصدر الوحيد للسلاح وأنها كانت تسعى فعلا لرفع التسليح لاسرائيل الى مستويات أعلى حتى مما كانت عليه قبل الحرب ، ومنها أن الموقف المالى فى اسرائيل قد بلغ من الخطورة حدا قاتلا وأن نيكسون طالب الكونجرس باعتماد ٢٢٠٠ مليون دولار كمخصصات دفاعية اضافية لاسرائيل ، ومنها أن أصدقاء اسرائيل كانوا يفلون يوما بعد يوم فى أفريقيا ، وينحون الى موقف الحياد فى أمريكا اللاتينية ، ويتخذون موقفا أقرب الى العداء فى أوروبا .

ثم كان موقف (نيكسون - كيسنجر) من الفصل بين القوات فى الجبهة السورية ، وارغام أمريكا لاسرائيل على الاذعان لشروط سوريا مع المصارحة بأنها تسعى لتحقيق الأمن والسلام وليس لفرض وجهات نظر أحد الأطراف (تقصد اسرائيل) على أى طرف آخر ، وبأن (اتفاقية فصل القوات أهم وأخطر لاسرائيل من الاحتفاظ بمدينة القنيطرة والتلال الثلاثة التى تحيط بها) كما قال كيسنجر لجولدا مائير فى صراحة تامة .

وكانت فرصة الضغط التى يحتفظ بها مؤيدو اسرائيل ، تتمثل فيما عرف ولا زال باسم (قضية ووترجيت) التى كانت منذ أثبتت تتراقص كالسيف المعلق فوق عنق نيكسون . ولقد ظلت جماعات الضغط عند رأى الحكومة الاسرائيلية فى التريث قبل العمل على الاطاحة بحكم نيكسون ، حتى اختتم الرئيس الأمريكى صور تحوله بزيارته لمصر ، ثم بإيفاده مبعوثيه لاسترضاء مصر على نحو ما ألحنا اليه . فعند هذا الحد نفذ صبر اسرائيل ومؤيديها ، واستقر الرأى على التخلص من نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر معا .

وبدأ استغلال قضية ووترجيت كقضية قومية تستوجب محاكمة نيكسون ، عن طريق الضغط الصهيونى داخل الكونجرس وخارجه ، ونشر استطلاعات الرأى المضللة لتوحى بأن رأى الأغلبية يتصاعد بطلب المحاكمة .

وضاقت بالرئيس نيكسون الأرض بما رحبت ، فلم يجد غير أن يلقى فى الخامس من أغسطس ١٩٧٤ بقنبلة مدمرة فى صورة اعتراف

بأنه حجب فعلا معلومات كان من شأنها الكشف عن هذه الفضيحة في حينها . وأن تستمره على الفضيحة وان لم يكن مقصودا فقد أضر بموقفه كرئيس للولايات المتحدة .

وفي فجر التاسع من أغسطس أعلن نيكسون استقالته ، وتسليمه السلطة الى نائبه جيرالد فورد ، وعن أمله في أن تكون استقالته بداية لالتزام الجروح التي عانت منها أمريكا لأمد طويل . وضمن بيان الاستقالة الذي لم يستغرق أكثر من سبع عشرة دقيقة ، حرص نيكسون على أن يؤكد بأن (هناك في الشرق الأوسط مائة مليون عربي كان معظمهم يعتبروننا عدوا لهم طوال أكثر من عشرين عاما ، ولكنهم الآن ينظرون إلينا كأصدقاء) . كما حرص على أن يوصي الشعب الأمريكي بقوله (لابد لنا أن نعمل على استمرار هذه الصداقة حتى يعود السلام أخيرا الى الشرق الأوسط ، وحتى لا يصبح مهد الحضارة لحدا لها) .

وتراقص ، لسؤال في كل من العالم العربي واسرائيل :

(وماذا بعد نيكسون ؟) .

وجاء الجواب سريعا . .

في العاشر من أغسطس ، بعد يوم واحد من استقالة نيكسون ، أكد الرئيس الأمريكي جيرالد فورد أثناء اجتماعه بالسفراء العرب في واشنطن في نفس ساعة دخوله البيت الأبيض تقريبا (أن كيسنجر سوف يواصل جهوده في المنطقة كما كان يفعل أيام الرئيس نيكسون) . ثم بادر في نفس اليوم ببعث رسالة الى الرئيس السادات أكد فيها أنه (سيعمل على دعم العلاقات القائمة بين مصر والولايات المتحدة والتي أرسى مبادئها الرئيس الأمريكي السابق نيكسون) . ولعل في هذا ما حدا بأسحق رابين الى اذاعة البيان الاسرائيلي المثبط للعزائم والذي نوه بأن (السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تمليها المصالح الأمريكية ، وليس هناك أى سبب يبعث الى الاعتقاد بأنها يمكن أن تتغير قريبا أو حتى على المدى البعيد) .

ولقد صدق حدس رئيس الحكومة الاسرائيلية . فبعد يوم واحد آخر ، في الحادى عشر من أغسطس اذيعت فحوى الرسائل التي أرسلها الرئيس الجديد جيرالد فورد الى كل من الرئيس الجزائري هواري بومدين ، والرئيس السوري حافظ الأسد ، والملك الحسن ملك المغرب ، والرئيس اللبناني سليمان فرنجيه ، والتي أكدت التزام الرئيس

الأمريكي (بمواصلة الجهود السابقة من أجل إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط) .

أما في رسالته الخاصة الى الرئيس السادات ، فقد حرص جيرالد فورد على أن يؤكد ، بكل ما في الوضوح والاصرار من معنى ، أولا (أن الولايات المتحدة ملتزمة بقوة بمتابعة استراتيجيتها الدبلوماسية الساعية نحو سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، بنفس القوة التي ميزت جهودها عبر الشهور التسعة الأخيرة ، أى منذ السادس من أكتوبر صانع العجائب ومحول المقادير ، وثانيا (ان الدكتور كيسنجر قد أحاطه تماما بالجهود التي بذلها خلال تلك الشهور ، وأنه يشعر بالسعادة لأن هنرى كيسنجر كوزير للخارجية سيواصل اداء دور مهم في هذه القضية وفي غيرها من جوانب السياسة الأمريكية ، كما سيظل العمل على تحقيق السلام في الشرق الأوسط في قمة أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وثالثا (ان السلام في الشرق الأوسط لم يعد بعيد المنال ، وهو ما يرجع الى حد بعيد لقدرة الرئيس السادات كرجل دولة) وأخيرا انه يتطلع الى تحقيق الزيارة التي كان الرئيس السادات يزعم للقيام بها للولايات المتحدة قرب نهاية هذا العام) .

كانت الدلائل كلها تدل على أن التحول الأمريكي قد رسخت أقدمه وأزداد عوده صلابة . ففي السادس عشر من أغسطس ، بعد أقل من أسبوع من اضطلاع جيرالد فورد بالحكم الأمريكي ، اتخذت الولايات المتحدة قرارا بالقيام بتحريك سريع لحل أزمة الشرق الأوسط . وفي نفس الوقت ، على صعيد ما بين مصر وأمريكا خاصة ، قررت أمريكا أن تستفيد مصر من قانون تصدير فائض المحاصيل الزراعية كمعونة ، ومدها بنصف مليون طن من القمح منها مائة ألف طن بصفة عاجلة رغم وجود عجز ضخيم من محصول هذا العام ، وأن تزور القاهرة بعثة أمريكية في ٩ سبتمبر لبحث مجالات التعاون الإداري والمالي ، وبعثة التعليم الطبي في ٢٣ سبتمبر ، وبعثة عاجلة للتعاون الثقافي في ٢٤ أكتوبر . وأن يتم بصفة عاجلة فتح خمسة بنوك أمريكية في مصر لتشجيع استثمار رؤوس الأموال الأمريكية فيها . وأن تتم الموافقة فورا على الطلبات التي تقدمت بها ٢٣ شركة أمريكية والتي عرضت فيها الاشتراك في تخطيط مدن القناة .

حدث كل هذا خلال الأسبوع الأول من تنحي نيكسون عن الرئاسة ودخول جيرالد فورد البيت الأبيض ليحتل مكانه .

السوق الأوروبية المشتركة

برزت في العالم ، بعد الحرب العالمية الثانية ، قوتان رئيسيان هما : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي . في حين تراجعت بعدهما بريطانيا والدول الأوروبية إلى مكانة أضعف مما كانت عليه قبل الحرب .

فبات من الضروري ، أن يعمل تلك الدول (التي تدور في فلك الولايات المتحدة وأطلق عليها الدول الغربية) على توثيق العلاقات السياسية فيما بينها وتوحد قراراتها الاقتصادية والسياسية لاستعادة مكانتها على خريطة المواقف الدولية ، بوحدة شاملة تجابه القوتين الرئيسيتين ، وعلى أن يكون عامل نوازن بينهما ، مع التمسك بهما وبالعلاقات ومصالحها مع الولايات المتحدة الأمريكية .

لذلك قامت السوق الأوروبية المشتركة ، بعد توقيع معاهدة روما في ٢٥ مارس ١٩٥٧ بين كل من : ألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج . وبأشرت وجودها الفعلي منذ أول يناير ١٩٥٨ ، كنواة للوحدة الأوروبية الشاملة ، كوحدة ذات شخصية اعتبارية متمتعة بالأهلية القانونية والقوى المعنوية بين الدول الأعضاء ، من خلال تنظيم متناسق لمباشرة الاختصاصات في مواجهة الدول الأعضاء .

وتنص معاهدة روما ، على تكوين أربع هيئات رئيسية لمباشرة مهام وأعمال السوق ، وهي : اللجنة التنفيذية – مجلس الوزراء – محكمة العدل الأوروبية – البرلمان الأوروبي .

ثم انضمت إلى عضوية السوق ، كل من : بريطانيا والدانمارك وأيرلندا واليونان . وتم تشكيل البرلمان الأوروبي بالانتخاب الحر المباشر ، لاختيار ٤٣٤ عضوا من الدول الأعضاء ليمثلوا حوالي ٢٠٠ مليون مواطن في بريطانيا وأوروبا الغربية . وأسفرت نتيجة تشكيل البرلمان الأوروبي ، عن تمثيل جميع القوى والتيارات السياسية . لذلك كانت للسوق مواقف مؤثرة متباينة الاتجاهات السياسية ، خاصة بالنسبة لتطورات مشكلة الشرق الأوسط ومساعي مصر من أجل تحقيق السلام العادل الدائم بالمنطقة .

وكان لنتائج حرب أكتوبر ، أثرها البالغ على أعضاء السوق ، مما دفعهم إلى تطوير علاقتهم بالدول العربية ، والمشاركة الجادة في

ايجاد الحل السلمى فى الشرق الأوسط . ومرجع ذلك الى قوة تأثير الدبلوماسية المصرية فى استقطاب رأى العام الأوروبى ، وتحويل مجرى قضية السلام التى تسعى اليه مصر ، لتخرجها من اطارها الاقليمى ، لتشغل اهتمامات المجتمع الدولى .

مواقف السوق

- فى ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، أصدرت لجنة السياسة الخارجية للسوق ، بياناً ناشدت فيه موافقة الأطراف المتحاربة على وقف القتال والتمهيد لاجراء مفاوضات لحل النزاع ، وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . الذى يدعو الى انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة .
- فى ١٥ أكتوبر ، وجه وزراء خارجية السوق رسالة الى السكرتير العام للأمم المتحدة ، برغبتهم فى أن يتحقق وقف إطلاق النار بأسرع ما يمكن . وأيد البرلمان الأوروبى تلك المطالب ما عدا هولندا . وقد جاء هذا التحرك وفقاً لاتجاه مصر .
- بعد وقف إطلاق النار (٢٢ أكتوبر) ، طلب الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو ، عقد مؤتمر قمة أوروبى قبل نهاية عام ١٩٧٣ ، لتنسيق المواقف ازاء مشكلة الشرق الأوسط .
- فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، أصدر وزراء خارجية السوق بياناً عن ضرورة انسحاب القوات المتحاربة ، الى المواقع التى كانت عندها يوم ٢٢ أكتوبر (وهو مما كانت تطالب به مصر) ، وأوضحوا فى بيانهم الأسس الرئيسية التى يجب أن تستند اليها التسوية ، على النحو التالى :
- ١ - عدم الاستيلاء على الأراضى بالقوة ، وضرورة قيام اسرائيل بانهاء احتلالها للأراضى التى استولت عليها منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .
- ٢ - احترام السيادة والتكامل الاقليمى واستقلال كل دولة فى المنطقة وحققها فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .
- ٣ - يجب أن تؤخذ فى الاعتبار - عند اقامة سلام عادل ودائم - الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

— كانت السوق الأوروبية المشتركة ، بمثابة عامل ضغط ايجابي على اسرائيل ، للانصياع لارادة المجتمع الدولي ، فى اقرار الحقوق العادلة لجميع شعوب منطقة الشرق الأوسط وتأييد الحقوق العربية والفلسطينية .

أمام الحقيقة

وأمام الحقيقة ، يجب أن نقف متأملين ، ولا ندع الضباب يجرفنا ويصرفنا عن جوهر الأحداث ، حتى لا يتركنا نهبا للزيف بعيدا عن الواقع ، الذى قد يكون مرا أحيانا .

ولو تركنا مشاعر المغالة التى اشتهر بها الشرقيون ، وجردنا الأحداث من شوائبها ، لتقف الحقائق عارية ، فسنجد أننا ضحيمنا من النصر السياسى الذى أحرزناه عام ١٩٥٦ . وأخفينا من العيوب ما أسلمنا الى مصيرنا المظلم الذى حاق بنا فى نكسة عام ١٩٦٧ .

ولعل تضخيمنا لقرع الطبول لما أسمىناه نصرا عام ١٩٥٦ ، هو الذى صرفنا عن سماع صوت الحق ، وظلت أسماعنا صماء حتى عام ١٩٦٧ ، ومن ثم لم نقف من غفلتنا الا على آلام النكسة المريعة . ورغم الكبو التى أرقدت الأمة العربية فى عشرة من عشرات التاريخ عام ١٩٦٧ ، فان الحقائق لم تختف وراء الستار طويلا . وسرعان ما ظهرت على السطح بثور النقائص والعيوب والمثالب ونواحي الضعف . وكان لزاما الوقوف أمام هذه الحقائق بشجاعة .

وكان من المؤكد ، أن الأرض التى ضاعت منا ، لن يتركها العدو لنا الا اذا خلعناه منها خلعا ، وأقصيناه عنها مرغما . فليس فى عرف المحتل أخلاقيات المتصوفين ، وليس فى طباع المستعمرين تساهل المحبين .

وقد تأكد ذلك فى بيان ٣٠ مارس ، وفى جميع خطب الرئيس السادات حتى ما قبل ٦ أكتوبر بأيام قليلة .

وهنا تجب الإشارة الى موقفين يجب التفرقة بينهما ، لنستخلص منهما محصلة للقول الذى نريده . وهما : موقفنا نحن الأمة العربية وعلى رأسها مصر ، وموقف اسرائيل عام ١٩٥٦ .

خلاصة موقفنا أننا هزمنا ، وأجبرنا على الانسحاب من سيناء ،
وتعرضنا لغزو مشترك من قوات فرنسا وإنجلترا واحتلت بورسعيد .
وبجهد من قواتنا المسلحة ، وبفضل موقف دولي موحد ، التقت فيه
وجهتنا نظر كل من روسيا وأمريكا ، وأجبرت الدول المعتدية على
الانسحاب .

وخلاصة موقف إسرائيل ، أنها أجبرت على الانسحاب أمام الموقف
السياسي الدولي .

غير أن ما أعقب عام ١٩٥٦ ، كان عجباً . . . فقد انصرفنا نحن الى
التغنى بالانتصارات ، وظللنا نردها بلا وعي ، ونضخمها حتى اقتنع
شعبنا أننا أتينا بما لم يأت به الأوائل . . . بينما انصرف عدونا الى
طريق آخر ، طريق التخطيط بالأسلوب العلمي . وكان مبعث ذلك أنه
وضع لنفسه خطة ، ومن ثم عكف على تركيز كل الجهد في تطوير قواته
الجوية بالدرجة الأولى ، وتطوير جميع الأسلحة الأخرى خلال فترة زمنية
محددة .

وحسبنا أن نتذكر اقوال قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية
آنذاك ، لئلا نرى أنهم اتخذوا لهم ديناً جديداً أسموه الخطة ، التي جعلوها
نصب أعينهم . وعلى حد قول بعضهم :

(كنا نصبح بالخطة ونمسي بالخطة ، وننام بالخطة ، حتى
أصبحت الخطة لنا ديناً لا نحيد عنه) .

وقد نشر على العالم في أوائل الستينيات ، كتاب « خنجر إسرائيل »
الذي كتبه الصحفي الهندي « كارنجيا » ، والذي لم يكن الا ترجمة
لخطة إسرائيل الاستراتيجية ، والتي تسربت الى أيد غير اسرائيلية
بطريقة غير معلومة الى الآن .

وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية في بيروت ، وتداولته
الأيدي العربية ، ولكنها لم تستوعب منه الا كونه ضمن سلسلة
التهديدات الاسرائيلية حتى وقع عدوان ١٩٦٧ . . . ففاجأتهم الحقيقة
المررة ، هي أن الوثيقة التي ترجمت كانت الوثيقة التي تحوى حقيقة
خطط إسرائيل الاستراتيجية .

وعندما سئل « موسى ديان » عن ذلك وكيف لم يحرك ساكناً
أو يغير الخطة بعدما تكشف أبعادها . . . فقال في استهتار بالغ :

(قليل من العرب من يقرؤون ، وإذا قرأوا لا يفهمون ، وإذا فهموا لا يعملون) .

ان أى قارئ لكتاب « خنجر إسرائيل » ، يعجب اذ يجده صورة طبق الأصل من الأحداث التى توالى علينا عام ١٩٦٧ ، رغم أنه نشر قبل وقوعها بسنوات .

خلاصة القول ، أن إسرائيل انصرفت الى كثير من العمل وقليل من الكلام ، وانصرفنا نحن الى كثير من الدعاية وقليل من العمل . ورغم أنه كان بين أيدينا خطة إسرائيل فى تطوير استراتيجيتها ، فقد استحوذت علينا عمليات المقارنة بين اعداد السلاح ، دون أن نركز الجهد على من خلف السلاح .

والأمم أمام الأحداث للجسام ثلاثة أنواع : نوع يخطط ويعمل لتحقيق هدف بعيد . . ونوع تسوقه الأحداث ليضع خططا مرتجلة يساندها عمل هزيل . . ونوع لا يخطط ولا يعمل ولكن يكتفى بالمشاهدة أو الكلام .

ونحن بعد ٦ أكتوبر ، قد تكتشف لنا أن قادتنا أصبحوا مخططين أكثر منهم خطباء ، وذوى حنكة فى الادارة أكثر منهم مرتجلين للأعمال العشوائية . ومن ثم أتت انتصارات أكتوبر ، قمة للتخطيط وليس للارتجال . وتبين لنا أن القرارات الحربية ذات الطابع المصيرى فى حياة الشعوب ، لا ينفرد بتخطيطها رجل واحد أو حفنة رجال ، بل يضع خيوطها هيئات من الأركان ذوى التخصصات المختلفة وعلماء ومستشارون وقادة وسياسيون .

الجديد فى الأمر

وانتصرنا فى حرب أكتوبر ، وكان النصر مبينا . . لأننا حركنا قضيتنا من تلاجة اللا سلم واللا حرب ، الى مسرح الأحداث .

واهتزت إسرائيل أمام الهزيمة ، فأعقب العمليات العسكرية حرب أخرى بين جنرالاتها ، وراح كل منهم يلقي بلموم الفشل على الآخر ، وإلى جانب القتلى والجرحى من جنودها ، ضاع من عتادها الكثير ، فوق رمال سيناء . واهتز جهاز الحكم السياسى بها ، وأُسند قيادته الى طاقم جديد . ولكن الدروس المستفادة من المعركة لم تضع هباء ، بل وضعت

محل دراسة وتمحيص ، وعكفت على تحليلها لجان متخصصة لتلافي
أوجه التقصير في المستقبل .

وكانت بين انتصارنا وهزيمة اسرائيل ، حقائق يجب ألا تغيب عن
البال . ومنها : أن ما تحقق في الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ،
ليس الا مرحلة واحدة ، استطعنا فيها مع كسر جمود القضية ، تحرير
جزء من أراضى سيناء ، وانهاء أسطورة الجيش الذي لا يقهر .

ولكن الجزء الذي حررناه من أراضينا ، لا يملها كلها بل هو
بعض من كل . بل نكون غير مسرفين ان قلنا أنه قياسا على ما بقي ،
فهو بعض قليل بالنسبة الى كبير . وهذا ما عبر عنه الرئيس السادات ،
بقوله في ٢٦ يونيو ١٩٧٤ :

(ان انتصار أكتوبر هو مجرد خطوة على طريق النصر ، ويعتبر
خطوة جسارة والحمد لله . وبقي أن نواصل المسيرة بالروح نفسها لتذليل
ما بقي من صعاب) .

نعم . . بل عديد من الصعاب . .

فالسعي وراء السلام في منطق الشرق الأوسط ، واسترداد حقوق
شعب فلسطين ، يتطلب اجتياز السدود والتغلب على عقبات لها جذور
صراع تاريخية بين مصر واسرائيل .

الباب الرابع

التعاون العربي الأفريقي

أفريقيا ٠٠ القارة السوداء

فى مؤتمر برلين الاستعماري ، قامت بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا ، بتقسيم أفريقيا فيما بينهم ، فأقاموا الحدود السياسية المصطنعة ، وفرقوا الشعوب والقبائل ومزقوا وحدتهم ودفعوا الأفارقة إلى الحروب كالعبيد لتحقيق أطماعهم وسياساتهم .

وظلت أفريقيا ، عبر هذه القرون ، تحت وطأة الاستعمار الذي جثم على أرضها ، فسلبها حريتها وخيراتها ونروتها ٠٠ وبقيت على هذا الحال ، تعاني من التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، إلى أن بدأت الشعوب الأفريقية تهفو إلى حياة الأحرار ، فقامت بثوراتها ضد المستعمرين ، الذين سرعان ما انسحبوا من أفريقيا دولة تلو الأخرى .

وبنجاح الثورات الأفريقية ، خرجت الشعوب المنتصرة إلى الحرية والحياة تزفر التخلف الذي فرضه عليها الاستعمار ، وقد جمع الهدف الواحد شعوب تلك الدول ، فركز آمالها وأهدافها في الحرية والاستقلال والرخاء .

وعلى أثر هذه الثورات التحررية الأفريقية ، ابتدأ العمل الفعلي من أجل وحدة أفريقيا ، للدفاع عن كيان دول القارة واستقلالها .

السلام وأفريقيا

وتحقيقا للسلام ٠٠ واحترام حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة ، واحترام سيادة جميع الدول والعدالة والالتزامات الدولية والاعتراف بحق المساواة بين جميع الأجناس وحق تقرير المصير ، والقضاء على جميع صور الاستعمار وتصفيته في قارة أفريقيا ، والقضاء على سياسة التمييز والتفرقة العنصرية ٠٠

وتشجيعا لوحدة وتضامن الدول الأفريقية ، برزت سياسة الزعيم جمال عبد الناصر في مختلف المجالات الدولية بالنسبة لأفريقيا ، وخصها

بكتير من المباحثات والمؤتمرات ، حتى برزت مصر فى دفاعها عن شعوب أفريقيا وقد انسجت سياستها بالصراحة ووضوح الحق . ومن أجل أفريقيا . كانت هذه المؤتمرات :

- فى ابريل ١٩٥٥ .٠٠ انعقد مؤتمر الشعوب الأفريقية والآسيوية فى باندونج .
- فى ديسمبر ١٩٥٧ .٠٠ مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى وساعدت قراراته الحركات التحررية الأفريقية ، وعبأت مشاعر شعوب القارة ضد الاستعمار .
- فى ابريل ١٩٥٨ .٠٠ مؤتمر أكرا . الذى دعا اليه « قوامى نكروما » بعد استقلال غانا .
- وفى ١١ - ١٥ أبريل ١٩٦٠ .٠٠ انعقد المؤتمر الثانى ، لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية فى مدينة « كوناكرى » لتعزيز حركات النضال ضد الاستعمار ، وتحقيق التعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، وتأكيد قضية فلسطين ، واعتبار اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد الأمن والتقدم فى الشرق الأوسط .
- فى ٤ - ٧ يناير ١٩٦١ .٠٠ انعقد مؤتمر الدار البيضاء ، بدعوة من ملك المغرب ، لتخطيط أسس أفريقيا وتشكيل ملامح التضامن الأفريقى ، بين دول أفريقيا المستقلة التى تلاقت ارادتها مع الارادة العربية الحرة .٠٠ وقرر المؤتمر « الميثاق الافريقى » وانشاء قيادة افريقية عليا مشتركة لضمان الدفاع الجماعى عن أفريقيا وعن كل دولة على حدة .
- فى الشهور الأولى من عام ١٩٦١ ، انعقدت مؤتمرات :

✳ مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية فى برازافيل والمكونة من ١٢ دولة منها : الكاميرون وجمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد ، والكنغو برازافيل ، موريتانيا والنيجر والسنگال وفولتا العليا .

✳ مجموعة دول منروفا (فى شهر مايو) ، والمكونة من ٢٠ دولة أفريقية اجتمعت فى منروفا عاصمة ليبيريا وكانت تضم مجموعة دول برازافيل بالاضافة الى ليبيريا ونيجيريا وسيراليون

- والصومال وتوجو . . ومثل هؤلاء جميعا رؤساء دولهم ، كما
مثلت أثيوبيا وليبيا وتونس بوفود على مستوى عال .
- وكانت هدف هذه المؤتمرات ، الرغبة الاكيدة الشاملة لدول
أفريقيا فى تحقيق الوحدة السياسية والاقتصادية .
- وفى يوليو ١٩٦٢ . . انعقد مؤتمر أقطاب أفريقيا . .
- وفى ديسمبر ١٩٦٢ . . انعقد مؤتمر لاجوس . .
- وفى ٢٢ - ٢٥ مايو ١٩٦٣ . . انعقد مؤتمر القمة الافريقى فى
أديس أبابا (من ٣٢ دولة تشمل ٢٠٠ مليون أفريقى) . . وكانت
قرارات المؤتمر تدعيا للخط الثورى التحررى . . واتفق المؤتمر
على اقامة « منظمة الوحدة الأفريقية » وتضم دول القارة الأفريقية
ومدغشقر والجزر المجاورة للقارة ، وتنحصر أهداف هذه المنظمة فى:
- * تقوية وحدة دول أفريقيا وتضامنها .
 - * تنسيق وتقوية تعاونها وجهودها ، لتحقيق حياة أفضل
لشعوب أفريقيا .
 - * الدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها واستقلالها .
 - * القضاء على الاستعمار بجميع أشكاله فى أفريقيا .
 - * تشجيع التعاون الدولى ، مع الأخذ فى الاعتبار بميثاق الأمم
المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان .
 - * انشاء صندوق خاص لتقديم المعونة العربية والمالية لحركات
التحرير الوطنية المختلفة .
 - * تحديد يوم ٢٥ مايو « ليكون يوم تحرير أفريقيا » .
- وفى ١٧ - ٢١ يوليو ١٩٦٤ . . انعقد بالقاهرة ، مؤتمر القمة
الأفريقى ، من ملوك ورؤساء الدول الافريقية . . وكان فى مقدمة
ما بحثه من موضوعات أن تكون أديس أبابا مقرا لمنظمة الوحدة
الافريقية وتصفية الاستعمار فى القارة الافريقية . كما قرر المجلس
الآتى بالنسبة لموضوع التفرقة العنصرية :
- * مطالبة الدول ، وخاصة التى تقوم بينها وبين حكومة جنوب
أفريقيا علاقات ، بالتعاون فى مجال مقاطعة جنوب أفريقيا .

✳ مناقشة جميع الدول المنتجة للبترول بالكف عن تزويد جنوب أفريقيا بالبترول ومنتجاته .

- وفي ٥ - ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ انعقد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز بالقاهرة وحضره ملوك ورؤساء دول أفريقيا ، وكان من ضمن قراراته ، تأييد الجهود التي تبذلها منظمة الوحدة الافريقية من أجل اقرار السلام في جمهورية الكونجو . وتوقيع عقوبات على البرتغال بمساعدة نوار أنجولا والاعتراف بحكومتها الثورية ومحاربة الاستعمار القديم والجديد . وعزل الدول التي تتبع سياسة التمييز والفرقة العنصرية .

-- هذا ولم يهدأ زعماء القارة الافريقية ، في سبيل هدفهم الأسمى وهو التحرر الكامل لجميع دول أفريقيا من ربة كل مستعمر مسيطر . . . وتعددت الزيارات والمباحثات والمؤتمرات التنايلية والتصريحات بضرورة تقرب وجهات النظر بين الدول الافريقية المختلفة ، حتى يمكنها الصمود في وجه الاستعمار والعمل بقوة لتحقيق أهداف شعوبها في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل النضال الافريقي .

أفريقيا . . والتنظيم الدولي

ولم يكن اعلان استقلال الدول الافريقية ، يعنى الا الوقوف على أول عتبات الحرية . . وكان من الضروري العمل المستمر لنمو الحرية بالطريق الكامل الصحيح القادر على الصمود والمؤكد لصلاحية البقاء .

كما أن المحاولات المتعددة التي بذلت - وما زالت تبذل - من أجل الوحدة الافريقية ، تمثل عاملين من أهم عوامل التطور في تاريخ ما بعد الاستقلال القصير . ولقد جلبت الحرية معها في أفريقيا ، احساسا في كثير من الأوساط الافريقية ، بالتكافل بين الدول والحاجة الى مواجهة المشاكل بمجهودات موحدة .

ومن هنا كانت ، المواجهات الصريحة والاندفاع للدول الافريقية ذات السيادة لتدعيم أواصر التعاون والوحدة ، من أهم العوامل التي بعثت الحياة في أفريقيا .

ولم يكن هناك ، عقب اقرار ميثاق الأمم المتحدة (عام ١٩٤٥) واتفاقية لندن عام ١٩٤٦ غير ثلاث دول افريقية مستقلة وذات سيادة ، ممثلة كاعضاء في هذه المنظمة الدولية (٥١ عضوا) . . الا ان هذا الوضع

ود تغير بماما ، فأصبحت أفريقيا (عام ١٩٦٣) بمائيا ٣٢ دولة ، وازداد عددها (عام ١٩٦٥) ليصبح ٣٦ دولة .

ونمكنت دول افريقيا ، كمجموعه جغرافية واحده ، من ان تحصل على تمثيل متكافئ في افرع هيئة الامم المتحدة ، وخاصة مجلس الأمن .

اللقاء الافريقي العاشر

وفي لقاء القمة الافريقي العاشر (٢٥ مايو ١٩٧٣) ، والذي انعقد في أديس ابابا ، احرزت القضية العربية حظها من التأييد والنجاح . وقد أرسلت ليبيا ، بمذكرة خاصة الى رؤساء الدول الافريقية المنسركه في هذا المؤتمر ، ضمنيتها مواقف بعض الدول الافريقية من الكيان الصهيوني جاء فيها :

« ٠٠ أن الكيان الصهيوني ، يشكل استعمارا عنصريا يدهام افريقيا والشرق الأوسط ، وأنه قاعدة للاستعمار والرأسمالية ، ويشكل خطرا يفوق خطر الانظمة العنصرية في افريقيا والمتمثلة في البرنغال وجنوب افريقيا وروديسيا ، لأنه يقوم على الاستيطان والندميز .

هذا علاوة على كونه يحتل جزءا من اراضي اكبر دولة افريقية هي مصر » .

وطلبت المذكرة أن تحدد الدول الافريقية موافقها من اسرائيل العدو الصهيوني للعرب والافريقيين .

وقد ظفرت قضية الشرق الأوسط ، في اللقاء الافريقي العاشر . بالنجاح والتأييد الكاملين وبمكاسب لم تظفر بها من قبل . ولم تكن هذه المكاسب ، مجرد تصعيد في الموقف الافريقي ، على اثر فشل لجنة العشرة الافريقيين ، الذين تولوا الحوار مع مصر واسرائيل حول القضية . في محاولة لحياء مهمة الوسيط الدولي « يارنج » الرامية الى الحل السلمي . وانما كانت طبيعية للتحرك الدبلوماسي البارسع السريع وللجهود البارزة الواسعة التي بذلها الرئيس محمد أنور السادات ، خلال اليومين اللذين قضاهما في أديس ابابا ، والتي التقى فيها بأكثر من ٢٠ رئيسا افريقيا في لقاءات ثنائية ، أوضح فيها حقائق كثيرة كانت خافية على بعض الدول الافريقية ، واستطاع أن يزيل آثارا عميقة تركها التحرك الاسرائيلي في افريقيا ، كما شرح لهم تطورات الموقف في قضية الشرق الأوسط ، وجهود مصر من أجل السلام .

ولم تسمح ظروف الرئيس السادات ، بحضور جلسات العمل في المؤتمر ، وألقى خطابا هادئا ، اعتبر وثيقة دولية في ادانة اسرائيل ، والربط بين عنصريتها وعنصرية جنوب أفريقيا ، ومصالح الاستعمار في القارة الافريقية . وعاد الرئيس السادات الى القاهرة ، وبقي السيد « حسين الشافعي » نائب رئيس الجمهورية السابق ، ليكمل المهمة على طريقين :

- اللقاءات النيابية التي تكمل التحرك الدبلوماسي السريع بين رؤساء أفريقيا .
- العمل في جلسات المؤتمر ، بعد أن أصبح الطريق معبدا بدبلوماسية الرئيس السادات .

ويصدر المؤتمر قرارا افريقيا جماعيا ، على هيئة اعلان سياسي خاص بقضية الشرق الأوسط جاء فيه :

« نظرا لقلقنا البالغ ، ازاء الموقف المؤسف الذي يسود الشرق الأوسط . وهو موقف يشكل تهديدا خطيرا لاستقلال وأمن ووحدة أراضي القارة الافريقية ، فقد ساندنا مصر والدول العربية الأخرى التي تحتل اسرائيل أراضيها ، في نضالها المشروع من أجل استعادة جميع هذه الأراضي ، وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ولهذا الغرض شكلنا عام ١٩٧١ ، لجنة تضم ١٠ من رؤساء الدول ، بهدف المساعدة على التوصل الى حل للمشكلة ، والمساهمة بالتالي في الحفاظ على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وسنواصل مساعدتنا الفعالة والايجابية لمصر وسائر الدول العربية ، الى أن تتحرر جميع أراضيها ، التي احتلت أثر العدوان الاسرائيلي في يونيو عام ١٩٦٧ ، وفقا للمسؤوليات التي ترتبها المبادئ الأساسية لمنظمة الوحدة الافريقية على أن تتخذ على المستوى الافريقي بصفة فردية أو بصفة جماعية ، عقوبات سياسية واقتصادية ضدها ، تمشيا مع المبادئ الواردة في ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة » .

وهكذا أيقن رؤساء الدول الافريقية - بعد لقاءات الرئيس السادات معهم - بعدالة القضية . وباتت اسرائيل بعد هذا المؤتمر معزولة تماما ، ولا تملك جيوبا خطرة في افريقيا .

وهكذا كان مؤتمر مايو ١٩٧٣ بأديس أبابا ، تمهيدا لسلسا ورائعا لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في سبتمبر ١٩٧٣ بالجزائر والذي كان واقعا معبرا ، يثبت باصرار كل ما صدر من قرارات وسياسات افريقية .

مشاركة مصر

فى حركات التحرر الأفريقية

وعلى مدى السنين الماضية ، كانت مصر تمثل حقيقة الانطلاقة الثورية التحريرية . . واستطاعت أن تدعم بفاعلية وإيجابية ، الحركات الثورية الأفريقية ، لضمان القضاء على الاستعمار والتخلص منه فى كل مكان .

وبدأت حكومة الثورة المصرية ، فى مضمار سحق الاستعمار ، تمديدها لمساندة الحركات التحريرية فى قارة أفريقيا . . منها :

- الاعتراف بحق تقرير المصير للسودان .
- مساندة قضايا تونس والجزائر ومراكش .
- فتحت أبوابها لزعماء أفريقيا الأحرار .
- نفذت الى قلب القارة الأفريقية ، عن طريق اذاعتها الموجهة بجميع اللغات واللهجات الأفريقية ، لتغذية المد التحررى بمزيد من النشاط الثورى .
- أيدت غانا فى نضالها ، ووقفت بجانب قضايا الكاميرون وتوجولاند ونيجيريا وغيرها .
- ساعدت بالمعاونة العسكرية السودان وليبيا وتونس بجانب معاونتها الكبرى للجزائر .
- فتحت كلياتها العسكرية لأبناء أفريقيا ، وفتحت لهم معاهدها وجامعاتها وشجعتهم بالمنح والبعثات .
- وقفت مع الصومال فى قضية استقلالها ، وقدمت لجيش الصومال الوطنى الجديد بعد الاستقلال (منتصف ديسمبر ١٩٦٠) هدية من الأسلحة والمعدات العسكرية ، تكفى لتسليح ٥٠٠٠ جندي . علاوة على المعونات الاقتصادية والمادية التى منها قرض بخمسة ملايين من الجنيهات .
- وقفت مع الكونجو من أجل وحدته وحريته ، أثناء الصراع الاستعماري لتمييز استقلاله (٢٤ يونيو ١٩٦٠) . وتزمت فى مجلس الأمن قضية انسحاب القوات البلجيكية المستعمرة من جمهورية الكونجو . . وساهمت مصر فى انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الأفريقية المستقلة فى ليوبولدفيل (٢٥ أغسطس ١٩٦٠) للاحتفاظ بوحدة الكونجو والتبديد بمناورات الاستعمار

- الهادفة الى تقسيم اراضى جمهورية الكونجو .. وقطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع بلجيكا وأممت شركاتها .
- قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة جنوب أفريقيا ، التى تتبع سياسة التمييز والفرقة العنصرية .
- كشفت النوايا التسللية الاسرائيلية فى غينيا ونيجيريا ومالى وغانا .. وقدمت لهم المعونات الاقتصادية اللازمة .
- قطع العلاقات مع البرتغال لموقفها العدوانى من شعب انجولا .
- أصبحت القاهرة توج بالنشاط الأفريقى ، واستقبلت وفودا كثيرة من دول أفريقيا المستقلة وعديدا من الزعماء الوطنيين لدول أفريقيا المناضلة من أجل التحرر .. فزار مصر زعماء من أنجولا ومن المحميات البريطانية وسوازيلاند وباسوتولاند وبتشولاند ، ومن النيجر وساحل العاج والسنغال وموريتانيا .. وغيرها .

التسلل الصهيونى فى أفريقيا

- جعلت الصهيونية العالمية ، كل همها - منذ نشأتها - فى أن تسيطر كلية على الاستعمار العالمى ، وتحركه لتحقيق مصالحها وأهدافها التوسعية .. وقد نجحت تماما ، اذ ثبت فعلا أن الاستعمار قد أصبح العوبة فى يد الصهيونية .
- ويهدف المخطط الصهيونى الاستعمارى ، الى توغل اسرائيل داخل دول آسيا وأفريقيا ، حتى تتخلص من الحصار القوى الذى فرضه من حولها ، جميع الدول العربية .
- وقد برز هنا دور مصر ، فقد وقفت فى وجه الصهيونية والاستعمار وألقضاء على التسلسل الاسرائيلى فى آسيا وأفريقيا ، قبل أن يصل الى أعماق القارتين .. كما نجحت مصر فى أن تكشف الى دول الوطن العربى وللعالم أجمع ، المخطط الاسرائيلى الاستعمارى وأبرزت الخطر الصهيونى على حركات التحرر الأفريقى وتمكنت من صد التوغل الاسرائيلى .
- ومصر مرتبطة تماما بأفريقيا ، بحكم موقعها فى شمال شرق القارة .. وثمة تقارب مطلق بين المصالح العربية والمصالح الافريقية ، نظرا لأن (٧٣ ٪) من مساحة الوطن العربى (يعيش عليها ، ثلثا تعداد الشعب العربى) تقع فى قارة أفريقيا .. كما كان لنجاح ثورة مصر (يوليو ١٩٥٢) مفهوم عملى ، لما يجب أن يكون عليه النضال الثورى من أجل التحرر ، فأخذت شعوب القارة الافريقية ، تزداد تطلعا نحو مصر وتترسم خطاها الثورية .



الرئيس السادات

يلقى خطابه في مؤتمر القمة الافريقي في أديس أبابا

ويعتبر التسلسل الاسرائيلي ، أسلوبا جديدا للاستعمار ، لجأ اليه عندما أحس بتقلص نفوذه . ولذا فقد مهد لاسرائيل - وجه الاستعمار الجديد - لتنشر نفوذها الاقتصادي والسياسي ، في الدول التي يريد الاستعمار ابقاء سطوته ونفوذه عليها .

فمع بداية الحركات التحررية لشعوب أفريقيا ، ومع تطلعات الدول الحديثة الاستقلال ، نجد التسلسل الاسرائيلي يأخذ أشكالا مختلفة من أهمها ما كان على هيئة قروض واعانات فنية وشركات احتكارية . وغالبا ما كان يعقب كل ذلك ، فتح باب البعثات والزيارات الرسمية والرحلات السياحية الدعائية الى اسرائيل . ومن ضمن ما يهدف اليه المخطط الاستعماري الاسرائيلي :

- قيام اسرائيل بدورها في تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية للدول الاستعمارية مع الدول التي لا ترغب في التعامل مباشرة مع الاستعمار .

- تعمل اسرائيل على تدعيم علاقاتها السياسية ، مع الدول الافريقية ، عن طريق علاقاتها الاقتصادية ، لتضمن اعتراف هذه الدول بها عقب استقلالها مباشرة .

- ايجاد أسواق لتجارة اسرائيل .

- كان للخطوط البحرية الاسرائيلية ، دور خطير في شرق وغرب أفريقيا ، كما أتاحت لها اقامة علاقات تجارية مع كثير من الدول الافريقية .

— نشر الدعاية الصهيونية ومحاربة القومية العربية ، وحصر مصر بصفة خاصة والدول العربية الأخرى بصفة عامة عن الدول الأفريقية .

امكانيات

القارة الأفريقية

تعتبر دول القارة الأفريقية ، من الدول الصغيرة الفقيرة النامية ، ويعتمد الانتاج فيها على انتاج المواد الخام . ومع قدم استغلال ثروات دول القارة ، الا أنها ما زالت تحتفظ في أرضها ، بكميات هائلة من الثروات الطبيعية .

وتتملك أفريقيا ، من مجموع ما يملكه العالم :

الماس	٪ ٩٦
الكوبالت	٪ ٦٩
الذهب	٪ ٦٣
الانتيمون	٪ ٤٨
المنجنيز	٪ ٣٧
الكروميت	٪ ٣٤
الفوسفات	٪ ٣٢
النحاس	٪ ٢٤

كما بلغ مخزون الحديد ، المتأكد وجوده في باطن القارة ٥٧٢٢١ مليون طن ، ومن الفحم ٤٥٠٠ مليون طن . علاوة على كميات ضخمة من المعادن الأخرى كاليورانيوم والنيكل والبتروول وغيرها ، كما أن مساحة غاباتها تمثل ٢٧٪ من مجموع غابات العالم .

وبتحليل امكانيات أفريقيا الحالية ، فإن مكونات التجارة الخارجية توضح المدى الذي تصلح له هذه المنتجات للتبادل .

اسرائيل

في أفريقيا . .

استطاعت اسرائيل ، أن تحقق وجودها مع الدول الأفريقية الحديثة الاستقلال ، باعتبارها دولا صغيرة نامية ، تحتاج الى مساعدات ومعونات ، تقيم وجودها في المجتمع الدولي .

وقد عرفت اسرائيل احتياجات الدول الأفريقية ، فتقدمت بعروضها وقامت بتنفيذها . وقبلت الدول الأفريقية المساعدات الاسرائيلية ، ليس لأنها على خلاف مع العرب ولكن لأن العرب لم يعرضوا عليهم شيئا ايجابيا .

وكان نشاط اسرائيل فعالا فى تشييت ارتباطها بالدول الافريقية، حتى أن مصر ، لم تستطع اقناع الدول الأفريقية ، بإدانة اسرائيل ، فى مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الأول فى « أكرا » (ابريل ١٩٥٨) ، ومؤتمر الشعوب الافريقية فى « أكرا » أيضا (ديسمبر ١٩٥٨) . وكل ما أمكن لمصر الوصول اليه ، هو قرار بضرورة حل الخلاف بين العرب واسرائيل .

وأسرعت اسرائيل ، فى تلبية احتياجات الدول الأفريقية ، من الخبرات البشرية والتمويلية ، وفى امتصاص انتاجها من المواد الخام . دون أن تقدم — أى اسرائيل — أدنى مساعدات لاقامة صناعات انتاجية فى أى دولة افريقية ، فلم تخرج مساعداتها عن عمليات بناء الفنادق والمنازل (وليس المصانع) وعن مساعدات زراعية ، دون أى أسهم حقيقى منها ، فى تنمية موارد واقتصاديات تلك الدول ، حتى تستطيع أن تأخذ مكانها بمفردها فى الاقتصاد العالمى .

وتعتبر أول تجربة لاسرائيل مع أفريقيا (١) ، يوم استقلال دولة « غانا » (٦ مارس ١٩٥٧) ، وأرسلت اسرائيل ممثلا عنها فى احتفالات الاستقلال . وبقى الوزير الاسرائيلى فى «أكرا» حيث قدم لحكومة غانا مشروع اتفاق تبادل تجارى وتقديم المساعدات الفنية للدولة الجديدة . وكانت أول شحنة أرسلتها اسرائيل الى غانا لتدعيم الاتفاق التجارى بينهما فى (مايو ١٩٥٧) ، وكان أهم ما تضمنته الشحنة ألف طن أسمنت ومواد لازمة لمشروعات البناء واستجابت غانا لهذا النشاط ، فكانت أول بعثة تجارية رسمية ترشحها غانا — لهذا الغرض — الى دولة أجنبية بعد الاستقلال ، كانت من ثلاثة وزراء زارت اسرائيل فى (أغسطس ١٩٥٧) .

ثم كانت أول معاهدة صداقة لاسرائيل مع دولة أفريقية ١٩٥٩ أبرمت مع ليبيريا فى (١٩٥٩) ، ومن هنا كانت بداية تسلل اسرائيل الى أفريقيا ، التى كانت تقوم به من خلال السلطات الاستعمارية ، مع الدول الأفريقية حديثة الاستعمار .

وفيما يلى بيان لأهم ما أبرمته اسرائيل من معاهدات مع الدول الأفريقية :

(١) « فى مواجهة اسرائيل » تأليف سامى منصور .

الدولة	تاريخ استقلالها	تاريخ توقيعها المعاهدة
أثيوبيا	-	٨ فبراير ١٩٦١
توجو	٢٧ أبريل ١٩٦٠	١ يوليو ١٩٦١
مدغشقر	٢٦ يونيو ١٩٦٠	٣١ أغسطس ١٩٦١
داهومي	١ أغسطس ١٩٦٠	٢٨ سبتمبر ١٩٦١
النيجر	٣ أغسطس ١٩٦٠	٢ فبراير ١٩٦٢
فولتا العليا	٥ أغسطس ١٩٦٠	١١ يونيو ١٩٦١
ساحل العاج	٧ أغسطس ١٩٦٠	٢ مايو ١٩٦٢
جمهورية وسط أفريقيا	١٣ أغسطس ١٩٦٠	١٢ يونيو ١٩٦٢
جابون	١٧ أغسطس ١٩٦٠	١٥ مايو ١٩٦٢
مالي	٢٢ سبتمبر ١٩٦٠	٢٤ نوفمبر ١٩٦٠
تنجانيقا	٩ ديسمبر ١٩٦١	٢٣ أبريل ١٩٦٢

أما في مجال التجارة الخارجية الدولية ٠٠ فقد استطاعت اسرائيل عقد (٨٠٠) اتفاقية للتجارة والدفع مع دول افريقية (من سنة ١٩٥٨ الى سنة ١٩٦٦) ، بل أمتد نطاقها الى التعاون الفني وانشاء الغرف التجارية المشتركة ، بالإضافة الى نشاط الملحقين التجاريين الاسرائيليين في العواصم الأفريقية .

وكانت اسرائيل ، توفر ما كان ينقصها من خبرات ، من الدول الصناعية المتقدمة ، لكي تقدمها للدول الافريقية ٠٠ بل لقد استفادت اسرائيل لنفسها كثيرا ، خاصة تدريب اعداد من قواها البشرية ، الذين اعدتهم للقيام بهذا الدور في أفريقيا ، نيابة عن الدول المتقدمة صناعيا ، تحت قناع جديد .

وقد تحقق لاسرائيل ، ارتفاع نمو معدل تجارتها مع أفريقيا ٠٠ لقد ارتفعت بنسبة ١٣٦٪ في سنة ١٩٦٦ ، وبنسبة ١٧٪ في سنة ١٩٦٧ التي شهدت زيادة الصادرات على الواردات مع أفريقيا لأول مرة .

وبين الجدول التالي ، حجم تجارة اسرائيل مع دول افريقيا (احصائيات عن عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦١) كدليل على توسع تجارة اسرائيل الخارجية مع الدول الافريقية . وامتداد ذراعها الاقتصادي الى أعماق القارة السوداء :

تجارة اسرائيل مع أفريقيا

الواردات		الصادرات		
(بالجنيهات)		(بالجنيهات)		
١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	الدولة
٢٦٩,٠٠٠	١٢٣,٠٠٠	١٣,٠٠٠	٢٣,٠٠٠	أوغندا
١٢٩,٠٠٠	-	٨٠,٠٠٠	-	تنجانيقا
-	-	٢,٠٠٠	-	انجولا
٣٥٧,٠٠٠	-	-	-	جابون
٧٧١,٠٠٠	٥٦٣,٠٠٠	١,٠٢٨,٠٠٠	٨٦٣,٠٠٠	غانا
١,٢٠٤,٠٠٠	٢٦٣,٠٠٠	-	-	غينيا
٣,٨٧٩,٠٠٠	٤,٠١٣,٠٠٠	١,١٩١,٠٠٠	٧٧٩,٠٠٠	اتحاد جنوب أفريقيا
١٥٦,٠٠٠	١٤٦,٠٠٠	٢٨٣,٠٠٠	١٨٨,٠٠٠	اتحاد روديسيا
-	١٨٠,٠٠٠	١١٨,٠٠٠	٦٠١,٠٠٠	ونياسلاند
١,٢٠٤,٠٠٠	١,٣٧٤,٠٠٠	٥٣٧,٠٠٠	٣٩٦,٠٠٠	مدغشقر
٩٤٢,٠٠٠	-	-	-	أثيوبيا
٦٠,٠٠٠	-	٢٣٣,٠٠٠	٢٢٧,٠٠٠	ساحل العاج
-	-	١٢,٠٠٠	-	ليبيريا
٧٢٥,٠٠٠	٤١٣,٠٠٠	٢٦,٠٠٠	٤١,٠٠٠	موزمبيق
١٤١,٠٠٠	٤٧,٠٠٠	١,٠٧٨,٠٠٠	٧١٤,٠٠٠	نيجيريا
-	-	٢٦,٠٠٠	-	الصومال
-	-	٦٧,٠٠٠	-	الفرنسي
-	١٣,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٥٢,٠٠٠	السنغال
٧,٠٠٠	-	-	-	الكونغو البلجيكي
٢٢,٠٠٠	-	٣,٠٠٠	٣٧,٠٠٠	الكونغو الفرنسي
-	-	١٥٨,٠٠٠	٣٧٣,٠٠٠	الكامرون
٦٠٣,٠٠٠	١,٦٥٧,٠٠٠	٣٢٤,٠٠٠	٢٦٥,٠٠٠	كينيا
١٠,٩٤٧,٠٠٠	٩,٨٣٢,٠٠٠	٥,٣٢٠,٠٠٠	٤,٧٠٧,٠٠٠	دول أخرى
				الإجمالي

وقد تغيرت معدلات ونسب التبادل بين اسرائيل وأفريقيا ، بعد عام ١٩٦١ ، لكنها لم تستمر كثيرا بعد ذلك وظلت نسب التجارة شبه ثابتة . ثم شهدت الفترة التالية هبوطا مع دول القارة حتى وصلت الى أدنى مستوى وذلك وفقا للمؤشرات التالية :

صادرات اسرائيل الى دول أفريقيا

السنة	(مليون دولار)
١٩٦٦	١٧
١٩٦٧	٣ ر ٢٠
١٩٦٨	٨ ر ٢٢
١٩٦٩	٢٦٥٨
١٩٧٠	٢٣٩٣

أما واردات اسرائيل من أفريقيا ، فقد شاهدت السنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ هبوطا ملحوظا ، بلغت نسبته ٣٢٪ من مجموع الواردات الاسرائيلية .

هذا وقد بلغ عدد الافريقيين الذين تلقوا تدريبهم على أيدي الاسرائيليين (سواء في دولهم أو بإرسالهم في منح أو بعثات الى اسرائيل) وذلك عن الفترة من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٧٢ :

- ٩٠٠٠ متدرب (من ٣٨ دولة افريقية) .
- ٤٠٠٠ منحة اسرائيلية .

كما تروج اسرائيل دعايتها من خلال ٣٨ ساعة اذاعية توجهها ر ١١ لغة أفريقية ، كما استخدمت عشرات الصحف ، حيث توجد ٣٢ صحيفة ومجلة أفريقية تخدم اغراض اسرائيل الدعاية ، هذا بجانب جهود القنصليات والبعثات الاسرائيلية والمعارض الرسمية والمؤتمرات ، وذلك عدا ٤٠ شركة تجارية على نظام المشاركة بين اسرائيل وبين الدول الافريقية مع احتفاظ اسرائيل بسيطرتها الادارية على هذه الشركات والتي توجهها لخدمة الأهداف الاقتصادية الاسرائيلية .

أفريقيا ٠٠ وحرب أكتوبر

كان موقف أفريقيا ، يتحرك الى الأمام ، في وعى مطلق وتفهم تام لما كان يحدث في المنطقة العربية بعد العدوان الاسرائيلي (٥ يونيو ١٩٦٧) وقد ساعد على تفتيح أبعاد قضية الشرق الأوسط ،

للدبلوماسية الهادئة التي يتمتع بها الرئيس السادات والتي نشرها فوق سماء المؤتمرات واللقاءات النائية التي جمعت الرؤساء الأفريقيين . . . والتي كان من أبرزها مؤتمر القمة الأفريقي (مايو ١٩٧٣) بآديس أبابا ، ومؤتمر دول عدم الانحياز (سبتمبر ١٩٧٣) . بالجزائر .

ولقد استطاع الرئيس السادات أن يبرز للرؤساء والشعوب الأفريقية ماهية الخطر الإسرائيلي في القارة ، مركزا على ما تضمنه الموقف الأفريقي الشامل من إجراءات تستهدف التوصل الى موافق دولية تنصاع اليها إسرائيل وتستجيب لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المختلفة فيما يخص مسألة الشرق الأوسط .

هذا وقد تم تنسيق العلاقات المتبادلة بين منظمة الوحدة الأفريقية وجامعة الدول العربية ، من خلال لجنة سبوعية من الدول الأفريقية ، بهدف التنسيق والعمل المشترك في مختلف مجالات التعاون الاقتصادي والسياسي والمواقف المشتركة ودعم وحدة العمل من أجل الأهداف الموحدة .

ويعتبر وجود إسرائيل في المنطقة العربية ، من أهم المسائل التي واجهتها الدول الأفريقية المستقلة ، منذ (عام ١٩٦٠) ، حينما اجتاحت القارة موجة الاستقلال ، وأخذت الدول الأفريقية تحتل مكانها في المجتمع الدولي ، منذ بدأ انعقاد مؤتمرات القمة الأفريقية وإقرار الميثاق الأفريقي وإنشاء منظمة الوحدة الأفريقية .

واخذ الموقف الأفريقي طريقا موحدا ، يتسع وينمو بازدياد عدد الدول الأفريقية التي راحت تقطع علاقاتها مع إسرائيل ، اداة لعدوانها واحتلالها بالقوة الأراضي العربية . . . فكان قرار قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدول الأفريقية وإسرائيل ، هو أول خطوة على طريق الالتزام والتضامن الأفريقي .

وهناك دول أفريقية لم تعترف أصلا بإسرائيل وهي :

مصر - السودان - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا - الصومال - غينيا بيساو .

وبعدئذ ، كان شكل قطع العلاقات الأفريقية مع إسرائيل على هيئة موجات مرحلية . . .

أولها : قبل نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

فقد قطعت الدول الأفريقية الآتية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل :

- غينيا (٥ يونيو ١٩٦٧) .
- أوغندا (٣٠ مارس ١٩٧٢) .
- تشاد (٢٧ نوفمبر ١٩٧٢) .
- الكونغو الشعبية (٢١ ديسمبر ١٩٧٢) .
- النيجر (أول يناير ١٩٧٣) .
- مالي (٥ يناير ١٩٧٣) .
- بوروندي (١٦ مايو ١٩٧٣) .
- توجو (٢١ سبتمبر ١٩٧٣) .
- زائير (٤ أكتوبر ١٩٧٣) .

الثانية : خلال حرب أكتوبر المجيدة :

- داهومي (٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- رواندا (٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- فولتا العليا (١٠ أكتوبر ١٩٧٣) .
- الكاميرون (١٣ أكتوبر ١٩٧٣) .
- غينيا الاستوائية (١٥ أكتوبر ١٩٧٣) .
- تانزانيا (١٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- مالاياش (٢٠ أكتوبر ١٩٧٣) .
- أفريقيا الوسطى (٢١ أكتوبر ١٩٧٣) .
- أثيوبيا (٢٣ أكتوبر ١٩٧٣) .
- نيجيريا (٢٥ أكتوبر ١٩٧٣) .
- جامبيا (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣) .
- زامبيا (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣) .
- غانا (٢٨ أكتوبر ١٩٧٣) .
- سيراليون (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- السنغال (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- ليبيريا (٢ نوفمبر ١٩٧٣) .
- ساحل العاج (٣ نوفمبر ١٩٧٣) .
- بتسوانا (٨ نوفمبر ١٩٧٣) .

وقد جمدت علاقاتها مع اسرائيل ، الدول الافريقية الآتية :

– جابون (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .

– كينيا (أول نوفمبر ١٩٧٣) .

أما الدول الافريقية التي ما زالت علاقاتها مع اسرائيل .. فهي :

مالاوي – موريشيوس – ليسوتو – سوازيلاند .

وهي ما يطلق عليها في أفريقيا « دول الحوار » مع النظم العنصرية
البيضاء في أفريقيا الجنوبية وروديسيا .

التعاون العربي الأفريقي

وقد طلبت مصر من مجلس جامعة الدول العربية (أول سبتمبر ١٩٧٤) ضرورة القاء الضوء على المخططات الصهيونية التي راحت تظهر نذرها في اجواء الدول الافريقية ، بهدف اعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين اسرائيل ودول القارة الافريقية ، والتي ظهرت دلائلها على هيئة حملات دعائية صهيونية مضادة تهدف الى خلق ثغرة في التضامن العربي الافريقي ، أدت الى ظهور ردود فعل عكسية في بعض الدول الافريقية .

ولعل ذلك من المظاهر التي تتبعها حكومة اسرائيل ، لاسترجاع الثقة التي فقدتها بحرب أكتوبر .

وقد ناقش مجلس الجامعة العربية ، موضوع التعاون العربي الافريقي ، على ضوء توصيات المؤتمر الافريقي الذي عقد في (٢٣ يناير ١٩٧٤) وكان من أهم هذه التوصيات :

– انشاء المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا ، وزيادة رأسماله الذي يبلغ ٢٣١ مليون دولار .. وقد جاء في مذكرة أمانة الجامعة ، أن وثائق التصديق على اتفاقية انشاء المصرف ، قد تم ايداعها بالفعل ، من قبل الأردن والبحرين والمملكة العربية السعودية وقطر (مجموع اكتتابها جميعا ٧٢ مليون دولار) . الا أن قيام المصرف ، يستلزم أن تودع وثائق التصديق ، باقى الدول (مجموع مساهمتها ١٥٥ مليون دولار على الأقل) ، أى بنسبة ٥٠٪ من رأسمال المصرف .

– انشاء صندوق برأسمال (٢٠٠ مليون دولار) ، لتقديم القروض اللازمة للدول الافريقية ، بفائدة رمزية ولمدد معقولة ، على أن تحدد منظمة الوحدة الافريقية القواعد المحتاجة ومبالغ القروض . وقد

أبلغت الدول المصدرة للبترول الأمانة العامة للجامعة العربية ،
بمساهماتها في الصندوق على النحو التالي ٠٠ دولة الامارات
العربية المتحدة (٢٠ مليون دولار) ، المملكة العربية السعودية
(٤٠ مليون دولار) ، الجزائر (٢٠ مليون) ، سلطنة عمان
(٥ ملايين) ، العراق (٣٠ مليون) ، قطر (١٠ ملايين) ، الكويت
(٣٠ مليون) ، ليبيا (٢٣ مليون) ٠٠ وبذلك يكون مجموع
المساهمات (١٧٨ مليون دولار) ، سدد منها حتى (سبتمبر
١٩٧٤) ٦٠ مليوناً فقط هي مجموع مساهمات المملكة العربية
السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة ٠

ولابد من الاسراع في تأسيس تلك المؤسسات الضرورية للتنمية
الاfrيقية لأن الدوائر الصهيونية ، بدأت في الفترة الأخيرة ، وبصورة
دائمة ، الاساءة الى التعاون العربي الافريقي ، فأوعزت الى بعض الصحف
الاوربية والافريقية للتشكيك في أهداف هذا التعاون وأسلوبه ٠

وفى مجال النصدى الى هذه الحملات الصهيونية وإبطال مفعولها،
طلبت مصر ، من مجلس الجامعة ، مواجهة المخطط الصهيوني الرامى
لاعادة العلاقات المقطوعة بين اسرائيل والقارة الأفريقية ، والتي تهدف الى
خلق ثغرة فى التضامن العربى الأفريقى ٠

ومن هنا كان على مكاتب الجامعة العربية والسفارات العربية فى
العواصم الافريقية ، أن تتحرك اعلاميا ونقوم بتوضيح الجهود العربى
للتعاون مع أفريقيا ، وان يصدر بيان سياسى (من الجامعة العربية)
يؤكد تضامن الشعوب العربية مع الشعوب الافريقية ، وتقديم الدعم
المالى لحركات التحرير الأفريقية ٠

وكل هذه المسائل تحتاج الى الاسراع فى التنفيذ ، لا تقديرا لموقف
القارة الأفريقية ودورها السياسى الفعال ، خلال معارك اكتوبر المجيدة
فمحسب ٠٠ بل بسبب ما تحملته الدول الافريقية من زيادة أسعار
البترول ٠

ان عامل الوقت مهم جدا ، بالنسبة الى التعاون مع أفريقيا ٠٠ وعلى
الدول العربية أن تدرك أهمية عامل الزمن ، ولا سيما وقد بدأت تظهر
فى الصحف الأفريقية ، دعوات صريحة لاعادة العلاقات مع اسرائيل ،
وتحريضها على اعادة الحبراء الاسرائيليين ، بحجة أن العرب لم يفعلوا
بعد شيئا ٠

وذلك حتى لا تفقد الدول العربية ما كسبته ، ويتحول النجاح الى النقيض .. فالدول الافريقية ، دول نامية وفقيرة ، وتطلع الى تحقيق معدلات من التقدم والنمو فيها .. والمغريات الاقتصادية كثيرة ومتنوعة ، ومطمع كبير لاسرائيل والصهيونية العالمية .

العرب ..

وكسب السوق الأفريقية

يعتبر التجمع العربى أساسا ضروريا لكسب السوق الأفريقية ، بعد طرد اسرائيل منها ، نتيجة للتعاون الأفريقى العربى فى أعقاب حرب أكتوبر المجيدة .

ومن الطبيعى أن السلع التى تستوردها الدول العربية ، تقع مجموعة كبيرة منها ضمن مجموعة الصادرات الأفريقية ، كما أن مجموعة كبيرة من السلع التى تصدرها الدول العربية ، تقع ضمن بنود الاستيراد الأفريقى .

وقد بلغت الصادرات العربية الى مجموع الدول الأفريقية (سنة ١٩٦٨) حوالى ٩٢ مليون دولار ، وهو ما يقابل نسبة ١١٩٪ تقريبا من حجم التجارة الخارجية للدول العربية (عدا الجزائر واليمن الشمالية) .

ويمكن مضاعفة أرقام التجارة الخارجية بين الدول العربية وأفريقيا اذا قامت الدول العربية بتوجيه تجارتها الى القارة ، أو أقيمت المشروعات المشتركة على الخامات المتوافرة فى أفريقيا ، والتوسع فى المال العربى ، والخبرة المصرية بوجه خاص .

كما يجب أن تنشط الدول العربية المنتجة للبترول وتوجه اهتماماتها ، لخلق أنشطة اقتصادية جديدة فى الدول الأفريقية ذات الامكانيات الطبيعية الضخمة .. فكل ما ساهم به رجال المال العربى ، فاصر على دور رأس المال فى بعض مؤسسات التمويل الاقليمية كالبنك العربى الأفريقى وبنك التنمية الأفريقى ، وصناديق التنمية العربية (فى الكويت وأبو ظبى) .

ويمكن أن ينطلق التعاون العربى من الواقع الحاضر الذى أثمرته
حرب أكتوبر المجيدة ، بقيام المشروعات الاقتصادية المشتركة بين الدول
العربية والأفريقية ، على أوسع مدى وبأقصى سرعة •

خاصة وأن الأسواق الأفريقية ، تحتاج - فى الوقت الحاضر وبعد
طرد اسرائيل منها - الى الانتاج العربى والى التخطيط العربى • •
لاستغلال الثروات الأفريقية ، بما يعود بالفائدة الاجتماعية والتنمية
الاقتصادية على الشعوب الأفريقية •

الباب الخامس

المبور الاقتصادى

- من أهداف أكتوبر العشرة :
- لقد بدأنا بحرب أكتوبر ، مرحلة جديدة من حياة هذا الشعب العريق ، أعيد تلخيص مهامها على النحو الآتى :
- ٣ - الانفتاح الاقتصادى فى الداخل والخارج ، الذى وفر كل الضمانات للأموال التى تستثمر فى التنمية .
- ٩ - المجتمع المفتوح الذى ينعم برياح الحرية .
- الرئيس السادات
- « ورقة أكتوبر »

الاقتصاد المصرى المجهد

وصف « روبرت ماكنمارا » رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير، الاقتصاد المصرى بأنه اقتصاد مجهد ومنهك ٠٠ ولم يكن السبب المباشر لهذا الاجهاد أو الانهك ، عملية الاعداد للحرب (١) ، خلال السنوات الست التى انقضت بين نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ حتى معارك ٦ أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، وإنما تمتد جذور هذا الاجهاد الواضح ، الى تراكمات عديدة ٠٠ وكان من ضمن ما تخلف عنها : -

- ارتفاع الأسعار ٠
- اختلال الهيكل الانتاجى ، وقصوره عن الوفاء بالاحتياجات المحلية ٠
- مشكلة المديونية تجاه العالم الخارجى (٢) ٠
- عجز الميزان التجارى ، والخلل الظاهر فى ميزان المدفوعات وسوء توزيع التجارة الخارجية ٠
- ظهور أزمة الطاقات العاطلة ٠
- هروب رؤوس الأموال الاستثمارية ٠
- ضيق الموارد المتاحة من العملات الحرة ٠

ويتأثر الاقتصاد المصرى (تمثلا باقتصاد الدول النامية) ، بالتغيرات التى تعرض - ويتعرض - لها الاقتصاد الدولى ٠٠ وتتمثل أهم مجالات التأثير فى :

(١) ذكر الرئيس السادات فى ورقة أكتوبر أن « عبء الاتفاق العسكرى ، قد هبط معدل التنمية فى مصر من ٦٧٪ ، وهى النسبة التى سادت الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٥) الى أقل من ٥٪ سنويا ٠

(٢) أوضح الاستاذ مصطفى كامل مراد عضو مجلس الشعب ، فى ندوة عقدت بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع (مايو ١٩٧٤) ٠٠ أن الفروض المستحقة على مصر ، تصل الى ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى للدول الغربية ، وألف مليون للدول الشرقية ، وتتحمل مصر من ١٦٠ - ١٧٠ مليون جنيه فوائد واقساط لها ٠ ويلاحظ أن جزءا كبيرا « حوالى الثلث » من حصيللة الصادرات يذهب لخدمة هذه الديون ، ولا يستخدم فى تمويل الواردات مما يؤدى الى زيادة التضخم ٠

- ارتفاع أسعار الواردات الخارجية الحيوية .
 - زيادة تكاليف الائتمان والتسهيلات المصرفية المرتبطة بالتضخم فى معدلات أسعار الفائدة فى بنوك أوروبا الغربية .
 - ارتفاع تكاليف الخدمات غير المنظورة ، خاصة أسعار النقل البحرى .
 - تغير أنماط الانتاج العالمى ومعدلاته ، فى معظم الدول الصناعية الرئيسية خضوعا للانكماش الاقتصادى الذى فرضته المتغيرات الدولية أخيرا .
 - اضطراب اسواق النقد الدولية ، والانخفاض المستمر فى أسعار غالبية العملات الحرة ، وعدم استقرار أسعار الصرف .
- الا أن الاقتصاد المصرى ، قد تمكن من مواجهة الظروف والضغوط المحلية ، بجانب التغيرات الاقتصادية الدولية ، بقدر كبير من الواقعية والمرونة ، بل أنه ظل صامدا - على مدى تلك السنوات - بصورة مشرفة أذهلت أعداء التقدم المصرى ، فى نفس الوقت الذى سجلت فيه ، أكبر رصد من الثقة فى مصر والأمة العربية كلها .
- وظل الاقتصاد المصرى ، يمتص أى أعباء اضافية ، بشتى الوسائل ويجهد خارق ، حتى لا تزيد الأعباء على الشعب المصرى . فمثلا : اذا كانت أسعار بعض السلع قد ارتفعت ، فإن ذلك يدخل فى نطاق الحدود التى لم يكن من الممكن السيطرة عليها ، بحكم موجة الغلاء الكبيرة التى تجتاح العالم كله . بل وبقي ، على الرغم من كل ذلك ، مستوى الأسعار فى مصر أقل بكثير ، عما يماثله فى دول العالم المختلفة .

السير ٠٠ نجر الانفتاح

- حتى عام ١٩٥٢ ، كان معظم المشروعات الاقتصادية فى أيدي الأجانب ، مما جعل الاقتصاد المصرى تابعا للخارج وفاقدا لاستقلاله .
- ومن عام ١٩٥٢ الى عام تأميم قناة السويس ١٩٥٦ ، توقف انسياب رؤوس الأموال الأجنبية الى مصر .
- ومن عام ١٩٥٧ حتى ١٩٧٠ ، اتبعت مصر سياسة الانغلاق الاقتصادى بسبب :

- حصار الدول الغربية للاقتصاد المصري .
- صدور قوانين التأمين الاشتراكية عام ١٩٦١ .
- توجيه معظم تجارة مصر الخارجية نحو الدول الشرقية وبعض الدول النامية .
- وفى أوائل السبعينات ، طفر الاقتصاد فى دول العالم متطورا الى الانفتاح الاقتصادى العالمى .
- وفى الفترة ما بين عام ١٩٧١ والرابع الأخير من عام ١٩٧٣ ، كان على الاقتصاد المصرى أن يساير السياسة الاقتصادية العالمية . فطرات عليه بعض التغيرات ، بفتح باب الاقتصاد المصرى قليلا على العالم . وشاهدت السياسة الاقتصادية المصرية فى هذه الفترة :
- اصدار قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة (القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧١) .
- انشاء البنك المصرى الدولى ، كبنك مصرى له الحرية المطلقة فى التعامل بالعملة الحرة داخل البلاد وخارجها .
- توقيع اتفاق التجارة التفضيلى بين مصر والسوق الأوروبية المشتركة .
- تسوية مستحقات عدد من الدول الأجنبية ، التى تجمد سدادها لفترة طويلة ، ومنها إيطاليا والمانيا الغربية وأمريكا .
- وبعد انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، وبصدور ورقة أكتوبر التى قدمها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات والتى بايعه عليها الشعب المصرى بالاجماع ، دخل الاقتصاد المصرى الى مرحلة الانفتاح العالمى .

العبور الاقتصادى

- والانفتاح الاقتصادى ، هو السياسة الجديدة التى يسلكها الاقتصاد المصرى لاجتذاب الاستثمارات والخبرات الأجنبية دون أى خوف . ويعنى ذلك ، الانفتاح على العالم شرقه وغربه ، فان تنويع العلاقات الاقتصادية الدولية ، يعنى الحرية السياسية .

وتقول ورقة أكتوبر :

« ان لدينا قطاعات الاقتصاد القومي الثلاثة : القطاع العام والقطاع الخاص والقطاع التعاوني . وبسياسة الانفتاح الاقتصادي ، ينسج المجال أمام الاستثمارات العربية والأجنبية . وهذا كله فى إطار من التخطيط الذى يرسم أهدافا استراتيجية لتغيير صورة البلاد تغييرا جذريا ، ويضع الخطط التفصيلية ، التى تكفل تحقيق هذه الأهداف » .

وفى تقديم قانون استثمار المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة (الصادر برقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤) ، المعدل فى إطار ورقة أكتوبر ، وفى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى ، يقول الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء (١) :

« ليس الانفتاح الاقتصادى ، أيديولوجية جديدة ، تعبر عن تغيير مسار السياسة الاقتصادية ، عن الخط الذى هدانا فى السنوات الماضية . بل هو استمرار فى المسار ، يؤيده واقع التجربة الوطنية والممارسة الفعلية ، لإدارة الاقتصاد القومى خلال سنوات عديدة ، خضنا خلالها معارك اقتصادية واجتماعية وسياسية وحربية . . . وتزودنا خلالها بنتائج النجارب ، وزادت أثرها ثقتنا بالنفس وبالأرض التى نخطو عليها ، وتفتح وعينا لما يدور حولنا داخل المجتمع المصرى ، وفى محيطنا العربى ، وعلى الصعيد العالمى .

... أن الانطلاق نحو أعلى مراحل التنمية الشاملة ، يتطلب جهودا ضخمة ، وتمويلا يتعدى حجم مدخراتنا الوطنية .

وعليه ، فإن الانفتاح . . . دعوة الى تعبئة رؤوس الأموال المحلية غير المستغلة ، والأجنبية غير المشروطة كى تتكاتف دون قيد أو حرج ، دون تشكك أو تردد ، من أجل الاسراع بتنفيذ مشروعات التنمية فى كافة القطاعات ، وذلك فى إطار شركات القطاع العام والقطاع الخاص والمشروعات المشتركة . . . دعوة الى الأجهزة المسئولة ، كى تطبق روح القانون ونصه فى تشجيع استثمار المال العربى والأجنبى » .

وتتجه ورقة أكتوبر الى موضوع الاستثمارات الخارجية ، بتشجيع رؤوس الأموال العربية . . . فتقول :

(١) ملحق الأهرام الاقتصادى (١٥ مايو ١٩٧٤) .

« اننا نريد للتعاون الاقتصادي العربي ، أن يدخل مرحلة نشطة قوية » .

« اننا نوفر للمستثمر العربي ، كل الضمانات التشريعية ، ونوفر له ما هو أهم من ذلك ، وهو القدرة الاستيعابية للاقتصاد المصرى . فى ظل استقرار سياسى واجتماعى وتنمية اقتصادية مطردة » .

فقد كانت الأمة العربية كلها « خط مواجهة » منذ الملاحظات الأولى لقتال أكتوبر المجيد ، وتميزت مشاركتها بالفاعلية والتنسيق . وحدد الملوك والرؤساء العرب ، موقفهم من المعركة ، وبدأت مرحلة جديدة ومجدية فى العمل الموحد ، لتبرز التضامن وحشد الطاقات وتعزيزها من أجل المعركة .

وتنبه العرب ، الى ضرورة استثمار قدراتهم وامكانياتهم فى كل مجال ممكن ، والى ضرورة خلق المناخ الاقتصادى المناسب لاستثمار الفوائض العربية فى الوطن العربى ، وتسهيل انتقال رؤوس الأموال العربية داخل الوطن العربى .

واعتبر الاستثمار فى أى قطر عربى استثمارا وطنيا ، ومن ثم وجب ضرورة توفير الضمانات الكافية له داخل هذه الدول . وتشير ورقة أكتوبر الى أهمية ذلك عندما تقول :

« اننا نعتقد أن هذه الاستثمارات ، سوف تجد لدينا بيئة مستقرة آمنة » .

ذلك لان ثبات الأوضاع واستقرار الأنظمة الاقتصادية ، سيظل مطلباً ضروريا ، اذا ما أريد لرأس المال العربى والأجنبى أن يسهم فى تنمية مصر ورخائها .

وثمة خطوات ايجابية عربية ، عرفت طريقها الى التعامل مع سائر الدول الأجنبية ، محطة جدران الخوف والعزلة الاقتصادية ، مواجهة دفتها - بلا رهبة - نحو اقتصاد متفتح ، يطل بكل ثقة وثبات وجراءة ، على العالم الحر .

وهبت على مصر نسمات التحرر الاقتصادى . وبما لا يؤثر على البصمات الأساسية للاشتراكية المصرية ، انفتحت الأبواب على مصراعيها ، لتستقبل موجات جديدة من رؤوس الأموال العربية والأجنبية ، التى استلهمت روح أكتوبر ، فمضت على خطاها .

ومع سياسة الانفتاح الاقتصادى ، أصدرت مصر عدة قوانين وقرارات اقتصادية ، تستهدف تحقيق التقدم ، الذى بات على مصر ، أن ملحق به بعد نصر أكتوبر العظيم . ومن أهمها :

١ - قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى وإنشاء المناطق الحرة .
لزيادة الضمانات والحوافز والتيسيرات ، للمستثمرين العرب والأجانب ، بكافة وسائل التدعيم والثقة . كما تقرر تطوير هيئة استثمار المال العربى والمناطق الحرة ، بما يكفل سرعة البت فى المشروعات التى يقدمها المستثمرون ودعمها بالكفاءات المدربة على مواجهة طلبات واستفسارات المستثمرين .

٢ - إنشاء جهاز التعاون الاقتصادى العربى والدولى ، ويتمتع بشخصية قانونية مستقلة ، ومن أهم اختصاصاته :

(أ) اقتراح السياسة العامة الخاصة بالتعاون الاقتصادى مع الدول العربية والأفريقية والدول الأخرى بصفة عامة . ووضع الخطط والبرامج لتنفيذ ما تم إقراره من سياسات ومتابعة تنفيذها وتقييم نتائجها .

(ب) التنسيق بين مشروعات خطط وبرامج التعاون الاقتصادى والفنى ، التى تقترحها القطاعات المختلفة ، على ضوء الأهداف والأولويات التى تحدد ضمن السياسة العامة للدولة .

(ج) دعم وتشجيع الاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر والمناطق الحرة بها ، طبقا للسياسة والاطار العام لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والقوانين والقرارات الصادرة .

(د) الإعداد والإشراف على عقد الاتفاقات الثنائية والاقليمية والدولية المتعلقة بالاستثمارات العربية والأجنبية .

(هـ) اقترح مشروعات القوانين والقرارات المنظمة والمشجعة للاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر ومتابعة تنفيذها .

(و) الإشراف والتوجيه والمتابعة ، فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالمشروعات العربية المشتركة والمشروعات العربية الأجنبية المشتركة ، التى تساهم فيها مصر .

(ز) الإشراف والتوجيه والمتابعة ، بالنسبة لعلاقات مصر مع هيئات التمويل الدولية والاقليمية وهيئات ضمان الاستثمار (البنك

الدولى للانشاء والنعمير والمنظمات التابعة له - صندوق النقد
الدولى - بنك التنمية الافريقى - الصندوق العربى للانماء
الاقتصادى والاجتماعى - المؤسسة العربية لضمان الاستثمار -
صناديق الانماء الوطنية فى الدول العربية) .

(ح) الاعداد والاشراف على عقد اتفاقات التعاون الفنى والاقتصادى
مع حكومات الدول العربية والافريقية ودول العالم بصفة عامة .

(ط) الاشراف على علاقه مصر مع المنظمات الاقليمية والدولية
المختصة بتقديم المعونات الفنية والاقتصادية ، ومع المجلس
الاقتصادى لجامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية
العربية ومع مجلس الوحدة الأفريقية .

(ى) الاعداد والاشراف على عقد اتفاقات قروض التعاون الاقتصادى
مع حكومات الدول الأجنبية ، وعلى عقد اتفاقات جدولة هذه
الديون ، وعلى عقد اتفاقات التعويضات ، ومتابعة تنفيذ هذه
الاتفاقات .

(ك) الاشراف على الهيئة العامة لاستثمار المال العربى والمناطق
الحرّة .

٣ - تشكيل لجنة عليا للتعاون الاقتصادى العربى والدولى .

٤ - انشاء السوق الموازية ٠٠ وهى سوق شبه حرّة ومستقلة عن السوق
الرسمية ، وتتولى شراء وبيع العملات الحرّة ، بأسعار وبشروط
مختلفة عن مثيلتها فى السوق الرسمية . وقد تحدت الأسعار
التشجيعية التى يتم التعامل بها فى السوق ، على أساس السعر
الرسمى للعملة الحرّة ، مضافا اليها علاوة ٥٠ فى المائة بالنسبة
لسعر الشراء ، ٥٥٪ بالنسبة لسعر البيع . وتتكون موارد السوق
الموازية من الحصيلة المحققة عن :

(أ) مدخرات وتحويلات المصريين والسياحة الفردية أو الجماعية .

(ب) تحويلات مواطنى الدول العربية لغبر أغراض الاستثمار .

(ج) الصادرات السلعية ، (ما عدا السلع التقليدية كالقطن والأرز
والبصل والبطاطس والبنترول والأسمنت) .

(د) ٥٠٪ من الزيادة عن الهدف المقرر للتصدير السنوى فى الموازنة
النقدية بالعملات الحرّة بالنسبة للغزل والمنسوجات القطنية .

٤٠٦ مصر بعد العبور

هذا سواء كانت المتحصلات الواردة للسوق الموازية على هيئة بنكنوت أو تحويلات من الخارج أو أية وسيلة من وسائل الدفع المصرية المقبولة ، وسواء كانت مدفوعة من مصريين أو أجانب ، وذلك باستثناء ما يحول الى البلاد كاستثمارات غير مقيمة .

وتقوم السوق الموازية ، بتمويل المدفوعات غير المنظورة للأفراد والقطاع الخاص ، والمبالغ المسموح بها عند السفر للخارج ، وكذلك واردات القطاع الخاص وقطاع السياحة ، وواردات شركات التجارة الخارجية اللازمة للقطاع الخاص والسياحة ، التي تستوردها الشركات لمقابلة احتياجات الأسواق العامة .

هذا وقد شكل الرئيس السادات ، لجنة عليا لمحاربة أعداء الانفتاح ، الذين يتربصون به داخل مكائهم البيروقراطية . أما بتحويل المساعدات الاقتصادية الى منافع شخصية لا تعود بفائدة على المجتمع ، أو بعرقلة تنفيذ المشاريع الاقتصادية الجديدة .

مصالح الاقتصاد القومي

ومن الطبيعي أن الاستقرار المطلوب للاستثمارات العربية والأجنبية ، لا بد له ، كى يتحقق ، ان يلتمس المستثمر وضوحا فى الخط الاقتصادى وضمانات تكفل له الحماية وحرية الحركة .

ومن المسلم به - أيضا - أن يتم ذلك بالشكل الذى لا يضر بمصالح الاقتصاد القومى .

ولذلك فقد أقرت التعديلات ، التى أدخلت على قانون الاستثمار العربى والأجنبى ، بما يكفل تحديد المجالات التى يسمح فيها بالاستثمار ، وإيضاح وتحديد الأولويات التى تمنح لطلبات الاستثمار على ضوء مجالات استخدامهما ، وتحدد قوائم تعدها هيئة الاستثمار ويعتمدها مجلس الوزراء ، فى مجالات الصناعة والتعدين والقوى المحركة والسياحة والنقل .

أما بالنسبة لمشروعات الامتداد العمرانى ، المقصود بها الاستثمارات فى مبان جديدة ، فلا يعتبر شراء العقار أو أى أرض خلاء فعلا ، كمشروع استثمارى ، الا اذا كان ذلك بقصد البناء ، وليس بقصد إعادة بيعها ، للاستفادة من الزيادة فى قيمتها العرضية ، بشرط أن يتم البناء فعلا خلال المدة التى يحددها مجلس إدارة هيئة الاستثمار .

وقد أوجبت التعديلات الجديدة :

- ١ - أن يكون الاستثمار فى مصر ، على هيئة مشاركة مع رأس المال المصرى العام أو الخاص ، وذلك لاتاحة الفرصة لرأس المال المصرى لكسب خبرات جديدة .
- ٢ - بالنسبة للاسكان (الادارى وفوق المتوسط) بغرض الاستغلال التجارى فقد سمح بها فقط للمعرب والمصريين دون الأجانب .
- ٣ - انشاء شركات استثمار .
- ٤ - السماح بانشاء بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال وشركات التأمين ، التى يقتصر نشاطها على العمليات التى تتم بالعملات الحرة . ولا تقوم بالعمليات التى تتم بالعملة المحلية ، الا اذا كانت على هيئة مشروعات مشتركة مع رأس مال مصرى محلى .
- ٥ - يجوز أن ينفرد رأس المال العربى أو الأجنبى فى مجالات بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال ، متى كانت فروعاً تابعة لمؤسسات مركزها الرئيسى فى الخارج .
- ٦ - يتمتع المال المستثمر فى مصر (ولو كان المالك مصرى الجنسية وأيا كان محل اقامته) بعدم جواز التأميم أو المصادرة أو الحراسة أو تجميد الأموال أو الحجز عن غير الطريق القضائى .
- ٧ - لا يخضع العاملون بهذه المشروعات ، للقواعد المنظمة للسفر بالنسبة لنشاط المشروع .
- ٨ - تعفى الآلات والمعدات ووسائل النقل اللازمة ، لبعض المشروعات الموافق عليها ، من الضرائب والرسوم الجمركية . ويصدر هذا الاعفاء بقرار من وزير المالية بناء على طلب هيئة الاستثمار . ويجوز منح هذه المزايا للمال المستثمر ولو كان مصرى ، لتحقيق المساواة بين المال الأجنبى المملوك لغير مصرى ، والأجنبى المملوك لمصرى .
- ٩ - يسمح للخبراء والأجانب القادمين للعمل فى مشروعات هذا القانون ، بتحويل حصة لا تتجاوز ٥٠٪ من مجموع ما تقاضوه الى الخارج .

التكامل العربي

كان لا بد من قانون الاستثمار ، في إطار الانفتاح الاقتصادي
لأهمية التفاعل مع دول العالم عامة ، ومع الدول العربية بوجه خاص .
أو بعد ما يؤمن دعوة سريعة إلى الدول العربية والجمعية ، وحاضرها
بصمات من المزايا والاعتمادات القومية وحيداً أحمره ، وإحاطهم بحلته .

وقد تم مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، بدراسة أسس العمل
تحد من التكامل الاقتصادي العربي ، وبحسب الجوانب المتعددة لمشاكل
التجارة والاقتصادية ، التي يتعرض لها الوطن العربي ، وتتمثل في :
عن الموضوعات الآتية :

١ - عينة فوائض الأموال العربية وتوجيهها للاستثمارات داخل أسقطه
العربية .

٢ - على الدول المضيفة للاستثمارات ، أن تقدم التسهيلات والتصاميم
اللازمة للدول المستثمرة ، من أجل حتى اندمج المصالح لتسجيع
الاستثمارات . ولذلك فإن الدول العربية التي لم توقع أو تصدق
بعد ، على اتفاقية تشجيع استثمار الأموال العربية ، دعوة إلى
التوقيع عليها .

٣ - دعوة صناديق السمية العربية ، إلى تخصيص جزء أكبر من عوائدها ،
لتمويل المشروعات ذات الأهمية أو المشروعات التي تشترك فيها عدة
دول .

٤ - توسيع مجال نشاط المؤسسات التمويلية ، وإن تستخدم أساليب
جديدة للاقراض ، مثل الاقراض البرنامجي ، وتقديم التسهيلات
الائتمانية اللازمة للمصدرين ، ونوحد وعادة جدولتي الديون الخارجية .

٥ - دعوة الدول العربية التي لم توقع اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، إلى
أن تبادر إلى ذلك .

٦ - العمل على تنسيق الاستثمارات والتجارة بين الدول العربية ، على
أساس التوزيع العادل والتكامل الاقتصادي .

٧ - الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة ، مع الاهتمام بالدراسات
الاقتصادية ، وتوفير الموارد المالية اللازمة لها .

الرخاء • • مستقبل الأجيال

كان تطوير الاقتصاد المصرى ، أحد المطالب الأساسية قبل ٦ أكتوبر
• • تم أصبح من أهم الضرورات الحتمية ، بعد نصر ٦ أكتوبر المجيد •

ولذلك كانت الخطوة الأولى فى طريق التطوير ، هو دفع عجلة
الانفتاح الاقتصادى المصرى ، وتسييره بالحكمة التى نادى بها الرئيس
السادات • • بقوله :

« ان العمل الداخلى ، يجب أن يكون على مستوى كفاءة ومقدرة
يوم ٦ أكتوبر » •

ان الارادة المصرية ، التى حققت العبور العظيم ، قادرة – بغير شك –
على أن تعبر مصر ، حاجز التخلف الاقتصادى الذى فرض عليها من قبل ،
الى حياة الرخاء والرفاهية الاقتصادية •

الباب السادس

التمهير .. وتطهير القناة

مدن القناة ودورها التاريخي

كانت منطقة قناة السويس دائما محورا من أبرز محاور النهضة المصرية ، والحركة التحررية المصرية ، منذ شق القناة فى عام ١٨٦٩ الى معركة النصر عام ١٩٧٣ .

وكان الدور الذى شاء القدر أن يسند له الى تلك المنطقة فى قصة النهضة المصرية والحركة التحررية ، بحكم موقعها الجغرافى بالدرجة الأولى ، هو امتصاص صدمات العدوان المتتالية بالصمود والتضحية والبذل والفداء .

ويشهد التاريخ المعاصر أن المنطقة الباسلة لعبت دورها هذا على نحو مثالى منذ حفرتها أطافر المصريين ، مروراً بأحداث المقاومة الكبرى للغزو البريطانى على يد عرابى عام ١٨٨٢ ، الى المقاومة المسلحة للاحتلال البريطانى عام ١٩٥١ ، فالى صد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ثم الى النكسة الكبرى فى يونيو عام ١٩٦٧ مع ما تبعها من حرب الاستنزاف حتى انجاز العبور فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

وحتى بعد العبور ، كان هناك التسلل الاسرائيلى خلال الشغرة ، وانتشار العدو جنوبا فى محاولة يائسة لاحتلال مدينة السويس ، رد فيها على أعقابها المرة تلو المرة بعد العدوان الوحشى المركز الذى وجهه الى المدينة الصامدة من الجو والبر ، رغم وقوفها عزلاء الا من المقاومة الشعبية . حتى اذا ما اقتنع العدو بأن المدينة أمنع من عقاب الجو ، فثرت همته ولم يجد غير الاستسلام لقرار الانسحاب قانعا من الغنيمة بالسلامة .

وهكذا ، عند ظهر النامى والعشرين من يناير ١٩٧٤ ، بعد مائة يوم من محاصرة المدينة الباسلة ومحاولة دخولها أكثر من مرة انتهت جميعا بالفشل الذريع ، انسحبت القوات الاسرائيلية من حيث كانت تربض فى الأدبية وجبل عثاقه وعلى تخوم السويس . حتى اذا ما كانت السادسة من مساء نفس اليوم تسلمت مصر المنطقة من قوات الطوارئ وبدأت قواتنا المسلحة فى ازالة الالغام ثم دخلت المدينة .

وادرأكا من القيادة السياسية فى مصر للدور الطليعى والتضحيات التى بذلها أهالى منطقة القناة وخاصة سكان مدنها الثلاث ، استحدثت فى مصر تشكيل وزارة جديدة باسم وزارة التعمير . اسند قيادها الى المهندس المعمارى الكفاء عثمان أحمد عثمان ليضطلع برد الجميل لأهله بإعادة الحياة الى مدن القناة وإعادة تخطيطها على أساس علمى جديد .

وفى ٢٦/٧/٧٤ صدر أول قانون للتعمير فى مصر . وقد أعطى هذا القانون لوزير الاسكان والتعمير سلطة التصرف فى النقد الأجنبى المخصص للوزارة فى الميزانية النقدية للدولة أو الناتج عن القروض ، وعدم التقييد بأية قواعد متبعة فى هذا المجال ، كما أعطاه سلطة الاعتمادات والحق فى إصدار لائحة مالية لأعمال التعمير ، دون التقييد بالقواعد المطبقة فى الحكومة أو القطاع العام بشأن أعمال الشراء والمناقصات والمقاولات والتعاقد مع بيوت الخبرة فى الداخل والخارج .

السويس

المدخل الجنوبي للقناة

كانت معظم مباني السويس التى أصبحت أطلالا ، تحكى فى سميت رهيب قصة من أبشع قصص التدمير الانسانى ، بعد أن تعاملت مع كل أسلحة الدمار الحديثة ، وكأنما أبت ألا أن تشارك شعب المدينة فى صياغة الملحة التى دحرت كل محاولات العدو لدخولها والسيطرة عليها . وعندما يقال أن معركة كبرى للتعمير قد بدأت فى أعقاب انتصارات أكتوبر ، فلفل فيما انتهت اليه مدينة السويس من تدمير ما يعبر عن صدق هذا الرأى ، وعن أن التعمير المنشود يتطلب معركة فعلا .

كانت فى السويس (٥٢٥) ألف وحدة سكنية ، لم يتبقى منها غير (٩٥٠٠) وحدة معظمها حطام وأطلال . وبلغت الأرقام بلغت خسائر المباني فى السويس قرابة أربعين مليوناً من الجنيهات .

وبلغة الأرقام أيضا بلغت الخسائر فى المرافق أكثر من ٢٠ مليون جنيه ، وفى الشوارع والطرق بعد أن دمرت أكثر من ٤ ملايين جنيه ، وفى المباني التعليمية حوالى ٣ مليون جنيه ، وفى المساجد والكنائس حوالى مليون جنيه ، وفى ميناء السويس أكثر من ٦ مليون جنيه ، وفى ميناء الأدبية حوالى ٢ مليون جنيه ، وفى ميناء البترول مالا يقل عن مليون جنيه ، وفى مرافق النقل والمواصلات بما فيها السكك الحديدية حوالى

جنيه ، وفى مرافق النقل والمواصلات بما فيها السكك الحديدية حوالى مليونين من الجنيهات . وإذا كانت هذه الأرقام تمثل بعض متطلبات التعمير ، فهي تقدم صورة لمدى مالق بمدينة السويس من تدمير .

ولقد بدأت معركة التعمير بالنسبة للسويس ، كاستهلاك لتعمير منطقة القناة كلها ، بمجرد توقيع اتفاقية انسحاب العدو . فقد نقرر فتح طريق القاهرة - السويس للتحركات المدنية ابتداء من صباح الثلاثاء ٢٩ يناير ١٩٨٤ ، وصدرت التعليمات الى كل المسئولين فى قطاعات الخدمات بأجهزة الدولة لسرعة تزويد المدينة العملاقة بكل احتياجاتها من الخدمات العاجلة ابتداء من نفس الصباح ، كما صدرت التعليمات بأن يتم استبدال جميع من كانوا بها طوال مرحلة الصمود من رجال الأمن والكهرباء والتليفونات والصحة ، بعد أن ظلوا طوال الأيام المائة صامدين داخل المدينة ورافضين الخروج منها .

وكان الدمار الذريع يقتضى تخطيطا محكما وشاملا . ولذا انتقل الى السويس بعد ٣٦ ساعة فقط من الانسحاب ، اثنا عشر وزيرا يرافقهم كبار المسئولين لدراسة الأوضاع على الطبيعة ، توطئة لوضع خطة تنفيذية لاعادة الحياة الطبيعية الى المدينة يشترك فى تحديدها أعضاء المجلسين الشعبى والتنفيذى وكبار المواطنين من أهل السويس . ومع قافلة الوزراء وصلت قافلة أخرى من خمس وثلاثين سيارة كبيرة تحمل الأطباء والمرضى والفنيين المزودين بالأدوية والمعدات الطبية والأجهزة الجراحية ، وقافلة ثالثة من ست سيارات محملة بالوقود والمؤن والغذاء .

وقضى الوزراء الاثنا عشر طوال يوم ٣٠ يناير ١٩٧٤ فى المدينة يتجولون فى مناطقها لحصر الاحتياجات التى تتطلبها معركة التعمير ، كما عقدوا مؤتمرا شعبيا حضره جميع أهالى السويس للدلاء بأرائهم ، حتى اذا ما عادوا الى القاهرة فى مساء نفس اليوم أصدر الرئيس أنور السادات بعد الاستماع الى ملاحظاتهم توجيهاته بأن تعطى الأولوية الأولى ، بدءا بمدينة السويس . وبناء على ذلك اجتمع مجلس الوزراء فى صباح اليوم التالى ، ٣١ يناير ١٩٧٤ ، واستمع الى تقارير الوزراء الاثنى عشر كل فى حدود اختصاصه ، كى يصدر فى نهاية الاجتماع قراراتين يقضى أولهما بتشكيل لجنة عليا برئاسة رئيس الوزراء وعضوية نواب رئيس الوزراء والوزراء ومحافظى مدن القناة لاعداد خطة شاملة لتعمير منطقة القناة ، ويقضى الثانى بأن ينتقل مجلس الوزراء الى مدينة السويس كاملا لمتابعة مناقشاته الواسعة على الطبيعة حول تعمير السويس ولاصدار القرارات الفورية التى تتطلبها خطة العمل .

وبدأت المعركة . فقررت القوات المسلحة أن تتعاون مع الأجهزة المدنية في تنفيذ خطة العمل العاجلة التي تم اقرارها ، والتي شملت تطهير نرعة السويس واصلاح شبكات المياه والانارة والتليفونات والسكك الحديدية في المدينة ، واجراء حصر شامل للمباني التي تهدمت أو أصيبت . وبروح أكتوبر العظيم ، بدأت الخطوات التنفيذية لتشغيل موانئ السويس والأدبية وبور توفيق ، مع تطهير مداخلها لاعادة الحياة الى هذه المرافق في أسرع وقت ممكن .

وسرت نجمات النصر التي ألهمت دماء البلاد كلها الى الاسكندرية ، فأعلنت عروس البحر الأبيض المتوسط أن مجموعة عمل قد تقرر تشكيلها برئاسة وزير النقل البحري وعضوية مجموعة من الخبراء ، وانتقالها الى منطقة السويس للمساهمة في تشغيل موانئها .

وتوالى الاجتماعات الوزارية ، ومطالب شعب المدينة التي نبأت حرب أكتوبر أن تجعل منها رمزا لبسالة الشعب المصري وصموده ، وقرارات وتوجيهات الرئيس أنور السادات ، حتى تبلورت الخطة بالنسبة لمدينة السويس في أربع مراحل يستغرق تنفيذها حوالى ثمانى سنوات يتغير فى نهايتها وجه المدينة شكلا وموضوعا ، تغييرا جذريا .

تقرر أن تستغرق المرحلة الأولى سنة واحدة ، وهى المرحلة العاجلة لاعادة الحياة الطبيعية الى المدينة ، وتنضمن تعميرا سريعا للمرافق والاسكان بالمدينة ، ووضع تخطيط اقليمى عام لها يبدأ تنفيذه ببدء العام التالى .

وتقرر أن تشمل المرحلة الثانية بناء المدينة الحالية على الشاطئ الغربى وفقا للتخطيط الاقليمى العام المقترح ، واعادة الصناعات التي دمرت بسبب الحرب ، والمرافق التي تخدم المدينة الحالية ، مع ربطها بالشاطئ الشرقى .

وتقرر أن تستغرق المرحلة الثالثة عامين ، وان تشمل التوسعات التي يتطلبها إنشاء المدينة الجديدة ، والتخطيط السكنى اللازم للشاطئ الشرقى فوق أرض سيناء فى مواجهة مدينة السويس الحالية ، مع تطوير الخدمات والمرافق بحيث تناسب الحجم الجديد للمدينة واستيعاب الهجرة والعمالة المنتظرة ، وإنشاء (ميناء السويس العالمى) .

وتقرر أن يستغرق تنفيذ المرحلة الرابعة النهائية ثلاث سنوات ، تتم فيها اقامة المناطق الصناعية التي سيمستقر الرأى على اقامتها ، ومناطق للتجارة العالمية يكتمل بها الميناء العالمى ، وإنشاء (مطار السويس الدولى) .

وتضمنان تنفيذ مراحل الخطة الأربع في ظل متابعة دقيقة ، وكما هو الحال في المعارك الحربية ، تقرر انشاء غرفة عمليات رئيسية للتعمير تضم مندوبين عن الوزارات المشتركة في معركة التعمير ، وتتبعها غرف عمليات فرعية بمواقع العمل جميعا لمتابعة العمليات ميدانيا وعلى الطبيعة .

حدث كل هذا النشاط المتعدد الصور ، بين مؤتمرات وقرارات وتخطيط ، خلال فترة لم تتجاوز اسبوعين منذ بدء نزوح العدو الاسرائيلي عن منطقة السويس في العشرين من يناير . وفي الحادى عشر من فبراير عقد وزير التعمير أول مؤتمر صحفى بغرفة عمليات التعمير المركزية لمنطقه السويس ، ليعلن أن خطة تعمير المنطقه سيبدأ تنفيذها اعتبارا من نفس اليوم ، لانجاز المرحلة الأولى خلال العام المقرر لها ، وعلى أساس بلوغ السويس في نهاية المرحلة الرابعة شكلها الجديد بعد تطويرها لتصبح مساحتها عشرة أمثال المساحة الحالية .

وفي نفس المؤتمر الصحفى أعلن وزير التربية والتعليم أن الدراسة ستبدأ بالمدينة فورا ، وأن مبلغ ثلاثة ملايين و ١٥٦ ألفا من الجنيهات قد اعتمدت لانشاء ٤٧ مدرسة ابتدائية بها ألف فصل ، وإعادة بناء ١١ مدرسة اعدادية وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة صناعية .

ثم توالى بيانات مندوبى سبع عشرة وزارة ، لتحدد مشروعات العام الأول التى اختلفت بها المنطقة الباسلة ، ولتتوجها أولا ببيان مندوب وزارة النقل البحرى باعتماد خطة عاجلة بناء على توجيهات الرئيس السادات ، لتشغيل موانئ الأدبية وبور توفيق وبور ابراهيم خلال أربعة أشهر ، يعود بعدها الموانئ الثلاث للعمل بمعدل ٧٥٪ من طاقتها ، وثانيا بيان مندوب وزارة الزراعة باتخاذ الاجراءات الفورية التى تكفل إعادة ٢٥ ألف فلاح الى سبع قرى لزراعة ٣٠ ألف فدان .

وإذا كانت خطة إعادة الحياة الزراعية الى منطقة السويس قد نمت ، وقبل الوقت المحدد لها ، فقد تمت بالمثل ، وفى مدد قياسية بدافع من الروح المعنوية التى كانت السمة البارزة فى معركة التعمير ، انجازات تشغيل الموانئ الثلاث طبقا لما حددته الخطة . وفى خلال ثلاثين يوما فقط تم تطهير المسطحات المائية وعمل الجسات اللازمة للتأكد من صلاحية الأرضية ، وفى خلال شهرين أمكن انتشال الوحدات الغارقة واعداد الورش لاصلاح السفن وتزويد الموانئ الثلاث بالمنشآت القاطرة ، وبذا أمكن التمهيد للمرحلة الأخيرة من الخطة والتى تخصص لها مبلغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات ، والتى عادت بها الموانئ الى حالتها الأولى قبل ١٩٦٧ ، مع اعداد ميناء بور ابراهيم للصناعات البحرية واعداد ميناء الأدبية ليكون ميناء عالميا .

وعلى طول خطوات التنفيذ ، كان الرئيس السادات يتابع مراحل الانجاز أولا بأول . حتى اذا ما قيل له أن الخطه قد قطعت اولى مراحلها بنجاح ، اصدر توجيهاته فى الثانى من مارس ١٩٤٧ بمنح تصاريح العودة الى السويس فورا لأربع فئات من المواطنين هم الذين يتطلبهم دسع عجلة التعمير قدما ، على أن تتكون الفئة الأولى من التجار المكلفين وای تاجر يرغب فى العودة الى بلده ، والفئة الثانية من الموظفين والعاملين سواء فى القطاع العام والشركات أو مصالح الدولة ، والفئة الثالثة من المهنيين المتخصصين فى أعمال المرافق ، والفئة الرابعة من عمال الهدم والبناء .

ويرفع الستار عن الهدف الأخير الكبير الذى لم تكن هذه الخطط الابتدائية غير الخطوة الأولى فى الطريق اليه . وفى ٢٨ مارس ١٩٧٤ ، زارت اللجنة الاستشارية للتخطيط مدينة السويس لتراجع على الطبيعة امكانات التواصل الى ذلك الهدف الأخير . حتى اذا ما اطمأنت الى أن لا عائق هناك يحول دون تحقيق الهدف ، أعلنت أن المدينة سيتم تقسيمها الى خمسة أقسام ، يحوى كل منها ما يكفيه ذاتيا من مرافق الخدمات ، على أساس الوصول بسكان المدينة الى ٧٥٠ ألف مواطن فى عام ١٩٩٠ ثم الى مليون مواطن فى عام ٢٠٠٠ ، وعلى أساس رفع خطوط السكك الحديدية من وسط المدينة ومن قلب القطاع العريض .

بور سعيد • المدخل الشمالى للقناة

لم تسلم بورسعيد من العدوان ، سواء فى عام ١٩٦٧ أو عام ١٩٧٣ أو ما بينهما خلال عمليات الاستنزاف . وفى الواقع ، تحملت هذه المدينة الباسلة مالم تتحمله مدينة أخرى فى العالم ، بما تعرضت له من ضرب خسييس خلال عدوان ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وأخيرا حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .

وعلى غير الحال مع مدينة السويس ، خرجت بورسعيد من المعركة ، بفضل انتصارات السادس من أكتوبر التى حطمت من معنويات طيران اسرائيل بقدر ما حطمت من طائراته ، دون مساس جدى بمبانيها ومرافقها . ولما كانت نسبة الدمار الشامل قد اقتصرت على ٣٠٪ ، فقد كان يكفى المدينة من اللمسات السريعة ما يعيدها الى حياتها الطبيعية .

وكما حدث فى السويس ، انتقل الى بورسعيد فى ٢٤ فبراير ١٩٧٤ عشرة من الوزراء فى دراسة ميدانية لاحتياجات المدينة الباسلة ومراجعة

خطة التعمير التي وضعت من أجلها . وكان في مقدمة ما تقرر . وبدأ تنفيذه على الفور ، إعادة تشغيل الميناء بعد شهر واحد لاستقبال السفن التي تحمل امدادات قوات الطوارئ الدولية ، وغيرها من السفن التي لا يزيد غاطسها على ٢٨ قدما ، بشرط أن تخطر الجهات المسؤولة فسل وصولها بأربع وعشرين ساعة .

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده الوزراء العشرة ، أذيعت القرارات التي أصدرها الرئيس السادات بصفة عاجلة ، وفي مقدمتها أن يعاد عمير بورسعيد على أساس أن تكون مدينة حرة من جهة ، وخط دفاع أول حصين من جهة أخرى ، وأن يكون مفهوم التعمير شاملا لكل تغيير اجتماعي واقتصادي .

وفي نفس المؤتمر ، بعد أن أدلى شعب بورسعيد بمطالبه ، تقرر ان تبدأ الدراسة في بورسعيد من سبتمبر ١٩٧٤ وأن تعد ٤٠ مدرسة لاستقبال أبناء مائة ألف من المهجرين كدفعة أولى ، ورفع قوة محطة الكهرباء لمواجهة التوسعات القادمة ، واصلاح المستشفيات والمجاري ، وتجفيف جزء من بحيرة المنزلة لمد طريق فوقه بدذ من طريق بورسعيد القنطرة القديم . وكخطوة أولى اعتمد مبلغ مليون و ٨٠٠ ألف جنيه للاصلاحات التي تقرر أن تتم قبل أكتوبر ١٩٧٤ .

ومن بين ما تقرر في الخطة ، كان تطهير الميناء يحتل رأس قائمة المشروعات العاجلة . ولذا ماحل منتصف فبراير حتى كانت الجهود المصرية الخاصة قد أتمت انتشار ٢٥ وحدة بحرية صغيرة من قاع الميناء ، تضم قاطرات ولنشات وناقلات مياه وأوناشا عائمة بدأ العمل في اصلاح ستة عشرة وحدة منها ، كما بدأ مسح قاع الميناء بجهاز الجسات الصوتية للتأكد من تطهيره ، وتجهيز إحدى الكراكات الكبيرة لبدء تطهير البوغاز .

حتى اذا ما كان يوم العشرين من مارس ، بعد شهرين فقط من بدء الانسحاب الاسرائيلي ، عقد مؤتمر لأصحاب الخبرات من أبناء بورسعيد لاستعراض صورة المدينة التي ستكون عليها في المستقبل بعد تنفيذ خطة التعمير الموضوعة لها . وعلى طول يومين كاملين في دراسة الخطة ، تعددت الآراء موصية بالتعديلات التي انتهت بالخطة الى ما بدأ تنفيذه فوراً .

في صدد التوسع العمراني ، تقرر أن تمتد رقعة المدينة غربا الى دمياط بمساحة ٤٥ ألف فدان تجفف من بحيرة المنزلة ، وجنوبا الى القنطرة بمساحة ٤٢ ألف فدان ، وشرقا حتى اتجاه بورفؤاد بمدي ٢٠ كيلو مترا .

وبالنسبة للميناء ، نقرر زيادة عدد الأرصفة بما يكفل استقبال ٥٠ باخرة كمبره فى وقت واحد .

وحول تحويل بورسعيد الى مدينة حرة ، نقرر تطوير الميناء ليكون جازبا صناعيا حرا مع البدء بما بين بورفؤاد ومنطقة الشط ، مع ازالة ثلاثة ارباع مساكن المدينة ليعاد بخطيطها من جديد .

وفى مجال الصناعة ، نقرر اعادة الصناعات التى كانت قائمة من قبل . وازافة مئات الصناعات الجديدة التى يقنضها تطوير المدينة .

وفى محيط السياحة ، نقرر انشاء مطار دولى فى منطقة بورسعيد ، ومطار آخر عالمى شرق بورفؤاد ، وفنادق من الدرجة الاولى ، وبركة للمصيد ، وبلاج جديد بطول عشر كيلو مترات ، وحى كامل للبنوك العالمية .

وكلون جديد من الحياة الانماجية ، نقرر ادخال الزراعة الى بورسعيد لأول مرة فى تاريخها ، بضم مساحة قدرها مائة ألف فدان اليها تخصص لزراعة احتياجات المدينة وتقام عليها قرى نموذجية .

ولتوفير الاكتفاء الذاتى لمنطقة بورسعيد الحديثة فى مجال التعليم ، نقرر انشاء جامعة بورسعيد ، على أن تبدأ بكليات للهندسة ، والهندسة البحرية ، وبناء السفن ، والتجارة ، والزراعة ، مع اتخاذ اللغات الأجنبية أساسا فى جميع مراحل التعليم .

هذه الخطة المتكاملة ، مع خطة تطوير السويس ، وإلى جانب تعمير مدينة الاسماعيليه ، كانت تشكل المعنى الكامن وراء اعتبار ما جرى فى منطقة القناة (معركة تعمير) لا تقل فى ضراوتها وحيويتها عن معركة التحرير .

الشعب * * ومعركة التعمير

أدرك الشعب المصرى بحسه الصادق أن أزاله آثار العدوان الاسرائيلى عن منطقة القناة ، لون من ألوان التحدى عليه أن يتقبله ، وان يقبل عليه بنفس الروح التى سادت كل معارك التحدى التى فرضت عليه ، والتى اختتمت بمعارك السادس من أكتوبر .

أدرك الشعب المعطاء ان تعمير منطقة القناة معركة لا تخص الحكومة وحدها ، بل هى أيضا مسئولية التنظيم السياسى وال جماهيرى بكل فئاته ومهنه ، وأن على كل قادر على المساهمة أن يشارك بخبرته ، فان لم يكن من ذوى الخبرة فبجهده وساعده .

ولمست الحكومة رغبة الشعب فعملت على تنظيمها ، وأصدرت لذلك فى الاول من نوفمبر ١٩٧٢ تعليمات بمنع سفر جميع فئات العمال الفنيين ، وبخاصة عمال التشييد والبناء والانشطة الاقتصادية ، حتى لا يقتصر جهد المشاركة فى التعمير على البعض . وكان من الطبيعى ان تستثنى التعليمات العاملين فى فروع شركات القطاع العام المصرى فى الخارج ، الذين كان يجب أن يعودوا الى عملهم بعد انتهاء المأموريات المكلفين بها أو الاجازات الممنوحة لهم .

وكما أتاحت معركة التحرير الفرصة أمام الشباب المصرى ، بأفوت المسلحة من جهة وعلى أتساع الجبهة الداخلية من جهة أخرى ، للمشاركة بالدم والجهد وألروح لاسترداد الأرض ، قرر التنظيم الشبابى تنفيذ رغبته فى خوض معركة التعمير عن طريق تجربة جديدة ، هى تشكيل كتائب تعمير تخوض معركتها فى مدن القناة وغيرها من المناطق المحررة فى سيناء .

ولم يضع الشباب وقتنا ، فتم تدريب الفوج الأول من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية الذين تطوعوا للالتحاق بكتائب التعمير لمدة عشرة أيام ، على أعمال النجارة والسباكة والبناء والتوصيلات ورفع الأنقاض واصلاح المرافق . وفى السابع من نوفمبر ، كان أول فوج من طلائع التعمير ، مكونا من شباب تسع محافظات ، يخوض معركته فى بورسعيد برفع الأنقاض واصلاح الطرق ، كى يستبدل بغيره بعد عشرة أيام من العمل الشاق .

ولقد نجحت التجربة أيما نجاح ، بعد أن مضت سواعد الشباب المصرى تزيل الأنقاض وتمهد الأرض للبناء . وكان فى نجاحها ما أوحى بالتوسع فى الانتقال بالجهود الشبابية فى ضروب أخرى من التعمير المستهدف للنهضة المصرية اقتصاديا واجتماعيا ، فصدر قانون الخدمة العامة الذى يقضى بتكليف خريجي الجامعات والمعاهد العليا فى أداء ضريبة العرق من أجل الوطن قبل التحاقهم بوظائفهم . وفى المؤتمر الصحفى الذى عقدته وزيرة الشؤون الاجتماعية فى الرابع والعشرين من يناير ١٩٧٤ ، أعلنت الوزيرة أن جميع تعيينات الخريجين من الشباب تعتبر باطللة ابتداء من ذلك اليوم بعد موافقة مجلس الوزراء على قانون الخدمة العامة ، وأن على ادارات المستخدمين عدم تسليم العمل لأى خريج يخضع لأحكامه الا بعد حصوله على شهادة اتمام الخدمة الاجتماعية ، وأن على النقابات المهنية عدم قبول انضمام أى خريج لعضويتها ما لم يكن قد حصل على هذه الشهادة ، وأن الأولوية لتنفيذ القانون ستعطي لمدين السويس والاسماعيلية وبورسعيد .

وبمقتضى هذا القانون قضى من تنطبق عليهم شروطه من الخريجين شهرا فى التدريب ، ثم تسلموا تكليفهم رسميا بمدن القناة اعتبارا من السادس عشر من مارس ولمدة أحد عشر شهرا .

وعلت الصيحات : (لماذا يفتصر هذا التشريف على الطلبة وحدهم ، نانويين وجامعيين ؟) وجاء الجواب سريعا ، فتقرر انشاء لجان للتعمير على مستوى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربى ولجان المحافظات والمراكز وانقرى ، لتعبئة الجماهير وحشدتها باعتبار أن تعمير مدن القناة مهمة رئيسية ترتبط بمعركة السادس من أكتوبر وما حققته من انتصارات .

وكان طبيعيا بعد توفر هذا الحشد الكبير من الأيدي العاملة تطوعا ، والذي جمع بين الحقل والمصنع والجامعة فى صف واحد ، أن تتسرع الآمال فى مجال الانشاء والتعمير فتشمل آفاقا جديدة ، وأن تعيد الوزارات النظر فى خططها وتصوراتها لما يجب أن تكون عليه منطقة القناة .

فى وزارة الري ، تقرر انشاء شبكات ضخمة للرى والصرف ، وعدد من محطات الطلمبات للتوسع الزراعى فى ٢٣٠ ألف فدان من أراضى سيناء بين القناة وبحيرة البردويل ، وأنشاء جسور واقية من طغيان البحر الأبيض المتوسط بطول ٣٠ كيلو مترا تبدأ من بورفؤاد وتنتهى عند رمانة ، وتغذية سيناء من ترعة الاسماعيليه بعد توسيعها لتستوعب ٣٠ مليون متر مكعب من المياه بدل ١١ مليون متر كانت تستوعبها من قبل ، وإقامة ثلاث قنوات جديدة على ترعة الاسماعيليه وشق ترعة من أمامها تمر فى صحراء الصالحية ثم عبر نفق تحت القناة لتغذية شبكة سيناء ، وأنشاء شبكات أخرى من الترع والمصارف غرب القناة لمشروعات التوسع فى ٦٠٠ ألف فدان تدخل ضمنها أراضى سهل بورسعيد ومساحات شاسعة على ضفتى القناة ، وشق قناة من بورسعيد الى دمياط لتربط مدن القناة بكل محافظات الدلتا بعد أن تخترق ٥٦ ألف فدان تجفف من بحيرة المنزلة .

وفى وزارة استصلاح الأراضى تقرر استصلاح وزراعة ٩٠٠ ألف فدان فى سيناء بالمواالح والخضروات ومحاصيل الاعلاف .

وفى وزارة الكهرباء تقرر مضاعفة قوة خط الكهرباء بين التبين ومدينة السويس لمواجهة الاحمال الجديدة التى ستتطلبها التوسعات العمرانية والزراعية والصناعية .

وعلى هذا النحو من التطلعات عدلت باقى الوزارات من خططها ، لدرجة التفنن والابتكار أحيانا ، بعد أن تحولت معركة التعمير الى مباراة فى ايفاء منطقة القناة بعض حقها فى تعويضها عما عانت من دمار صمدت له صمود الأبطال .

تم حدث التطور التاريخي انذى انقل بمنطقة الغناة ، لأول مرة في تاريخها ، الى الوضع الذي لا نيسر لها اسباب اضمود فحسب ، بل ويعاونها أيضا على أن تكيل للعدو بمثل كيله ذاتيا . ففي الثالث من فبراير ١٩٧٤ ، طلب الرئيس أنور السادات أن تتم إعادة تعمير منطقة القناة وفق استراتيجية تراعى فيها الأسس العسكرية الى جانب الأسس الاقتصادية والاجتماعية .

رأى الرئيس عن حكمة أن عملية التعمير ليس معناها مجرد اقامة عدد من الوحدات الجديدة من المباني لسكنى المواطنين ومباشرة أعمالهم ، وأن الوضع الخاص للمنطقة يقتضى أن توضع فى المقام الأول الاعتبارات المميزة لها ، وفي مقدمتها أنها تطل على مجرى ملاحى عالمى ، وأن مصر تعرضت فى تاريخها الحديث لأكثر من هجوم عسكرى من ناحية القناة . وأن الأمر يقتضى من ثم أن تكون للمباني السكنية الجديدة طبيعة عسكرية خاصة ، وأن تقام المصانع على نحو يكفل لها الدفاع فى المرتبة الأولى . ولقد اقتضى هذا التوجيه السيدى مراجعة خطط ودراسات التعمير من جديد . وفي نفس الوقت ، قرر مجلس الوزراء فى اجتماعه يوم السادس من فبراير أن تقوم مختلف الوزارات بنقل أجهزتها التنفيذية الى مدن القناة لكي تباشر عملها من هناك فورا ، وأن يراعى فى كافة مشروعات التعمير ما طلبه الرئيس ، وأن احتمالات تجدد القتال قائمة دائما وفى أية لحظة ، وأن تتم دراسة المشروعات فى هذا الاطار وتنفيذها بالتنسيق الكامل مع القوات المسلحة .

ولم تقتصر مراجعة الخطط والدراسات على الاسكان والتعمير ومقتضياتها فقط ، بل شملت أيضا الجانب الاقتصادى على أسس صناعية تخلع على منطقة القناة من السمات ما يكفى لرد الدين الذى طوقت به عنق الوطن كله بصودها البطولى وامتصاصها صدمات العدوان المتكرر الذى تعرضت له .

ففى الصناعات العامة تقرر أن تتضمن الخطط تشغيل مصنع السماد الذى تم تدميره فى السويس بطاقة انتاجية قدرها ٢٥٠ ألف طن ، ومصنع ورق الكرافت بطاقة انتاجية ١٨ ألف طن ، واقامة مصنع للاسمنت بطاقة انتاجية مليون طن ، ومصنع المجبر قوته ١٠٠ ألف طن .

وفى الصناعات البحرية تقرر انشاء ترسانات وأحواض عائمة فى كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس لسفن حمولة ١٢٠ ألف طن .

وفى الصناعات الغذائية تقرر اقامة ثلاثة مشروعات لتبريد الأغذية بالمدن الثلاث بقوة ١٠ آلاف طن لكل مشروع ، ومصنع للزيوت ينتج ١٢

ألف طن زيت و ٢٠ ألف طن كسب ، ومحطة لفرز الموالح بالاسماعيلية
طاعتها الانتاجية ١٠ آلاف طن ، ومحطات لصناعة الزيوت بسيما
والاسماعيلية بطاقة ٦٠٠ طن ومصانع لتجفيف الخضر واللحوم والأسماك
وتعليبها بطاقة ١٠ آلاف طن ومصانع لتعبئة الفاكهة وأخرى لصناعة البيرة
بطاقة ٢ مليون لتر .

وفي صناعات الغزل والنسيج تقرر انشاء وحدة غزل لانتاج ٥ آلاف
طن غزل في السنة ، ووحدة نسيج لانتاج الأقمشة الثقيلة بطاقة ٣ ملايين
متر ، ووحدة لانتاج شبك الصيد النايلون .

وفي الصناعات البترولية تقرر انشاء مصنع لتكرير البترول في
السويس ، ومصنع للبتروكيماويات ، ومصانع للغازات الصناعية في كل
من السويس وبورسعيد .

وفي صناعات المناجم تقرر انشاء صناعات للنحاس والمنجنيز والقصدير
والتنجستين والرخام ورمل الزجاج والطفلة الكربونية والفوسفات والحديد
والفحم والرمل السوداء والجبس والكبريت .

وفي الصناعات الكهربائية والالكترونية تقرر انشاء مصنع لانتاج
الأجهزة اللاسلكية والالكترونية والراديو والتليفزيون .

وكان معنى هذه القرارات الجديدة أن النية كانت تتجه ليس الى
مجرد تعويض منطقة القناة عن سنوات العناء فقط ، بل والى أن تصبح
سيما مع مدن القناة اقليما واحدا ، متكاملا اقتصاديا واجتماعيا ، حصينة
من الوجهة العسكرية ، ترتبط بدلتا النيل .

حول التمويل والمساهمات الخارجية

كانت خطط التعمير تدرس منذ اليوم الأول لانسحاب القوات
الاسرائيلية ابتداء من منطقة الكيلو ١٠١ بطريق السويس . وكانت
نتائج الدراسات تبحث ولم يمر أكثر من أسبوع من بدء الانسحاب ، وفي
اجتماع مشترك بين وزارتي الاسكان والتعمير شارك فيه رؤساء مؤسسات
وشركات المقاولات وهبئات المياه والمجارى وغيرها من الأجهزة ، فأُسقرت
المناقشات عن أن الطاقة التنفيذية التي كانت متاحة في ذلك الوقت لدى
الشركات والمؤسسات تمكنها من البدء فورا في تنفيذ مشروعات بنحو ستة
ملايين جنيه شهريا ، وان هذه الطاقة يمكن مضاعفتها الى ١٢ مليون جنيه

شهريا في حالة تزويد جهاز المقاولات بمعدات اضافية لأغراض التعمير ، ثم الى أربعة أمثالها في حالة تقرير الاعتمادات الاضافية اللازمة للتوسع في ميكنة شركات المقاولات ، مع توفير الامكانيات اللازمة من مواد البناء المنتجة محليا أو المستوردة من الخارج . وعلى هذا الأساس قرر مجلس الوزراء بجلسته في ٣١ يناير ١٩٧٤ اعتماد ٢٠ مليون جنيه كدفعة أولى للبدء فورا في التنفيذ ، على أساس تدبير نصف هذا المبلغ باعادة النظر في مشروعات قطاعات الصحة والتعليم والتشييد والصناعات والمواصلات بالنسبة للجمهورية ، واعتماد النصف الآخر ضمن ميزانية ١٩٧٤ .

ووضعت خطة عاجلة لتحديد أوجه انفاق المبلغ المعتمد ، على أساس البدء بالأهم فالهم ، فكان على رأس قائمة الانفاق الاسراع بالاجراءات التنفيذية لصرف التعويضات لمن أضرروا من أهل المنطقة الباسلة بسبب الحرب ؛ وفي مجال الري والانتاج الزراعى تطهير مجرى ترعة السويس وترميم الجسور لتوصيل مياه الشرب للمدينة خلال شهر واحد ؛ واقامة كبرى مؤقتة على ترعة الاسماعيليه ، وتطهير المصارف ليشرع الفلاحون في زراعة أراضيهم .

واعتمدت وجوه أخرى للانفاق العاجل ، ففي مجال الكهرباء قررت الخطة تدعيم وحدات الديزل القائمة بوحدات متنقلة ، وسرعة اصلاح خطوط الضغط العالي ومحطات المحولات .

وفي قطاع النقل قدرت تلفيات خط سكة حديد الاسماعيليه بـ ١١ مليون جنيه ، فتم اعتماد مليون جنيه لعمليات الترميم الأولى ، كما تقرر أن يسند لشركة المقاولين العرب ترميم مينائى بور ابراهيم والأديبة في حدود مليونين من الجنيهات .

وتضمنت الخطة بالنسبة للصناعة البدء بتشغيل مصنع السماد بطاقة ربع مليون طن سنويا باستثمارات ٦ ملايين جنيه .

وتقرر اعتماد ٧٠٥ آلاف جنيه لترميم المساجد والكنائس مع ترك مسجد وكنيسة بدون ترميم في كل مدينة من المدن الثلاث رمزا للعدوان ، كما تقرر ترميم مباني وزارات العدل والداخلية والتربية والتعليم وتزويد كل مدينة بمركز لتدريب عمال المباني بما تبقى من المبلغ المعتمد .

ثم حدث الانقلاب الكبير فى التخطيط عندما طالب الرئيس السادات بأن يجرى التعمير وفق استراتيجيه اقتصادية وعسكرية كما سبق القول . فبعد اعادة النظر فى متطلبات تنفيذ هذا التوجيه الجديد السيد ، أعلن وزير التعمير ان الدراسات الشاملة أسفرت عن أن تعمير القناة وسيناء

سوف يتكلف (٣٦٠٠) مليون جنيه خلال السنوات الخمس ١٩٧٨/٧٤ ،
وان موارد مصر تكفى للوفاء بثالث هذا المبلغ على أساس توجيه جانب
كبير من اعتمادات المجهود الحربى الى مشروعات التعمير . وقد وزعت هذه
المبالغ على النحو التالى :

٤٥٠	مليون جنيه لتعمير مدينة بورسعيد .
٢٨٠	» » لتعمير مدينة الاسماعيلية .
٦٤٠	» » لتعمير مدينة السويس .
١٥٠	» » لانشاء خمسة أنفاق على طول القناة .
٢٢٠	» » لانشاء الموانئ بمدن القناة الثلاث .
٣٥٠	» » لانشاء المناطق الحرة ببورسعيد والسويس .
٣٥٠	» » للمصانع .
٢٨٣	» » للطاقة الكهربائية .
٢٧٠	» » للزراعة واستصلاح الأراضى .
٣٤	» » للرى والصرف .
٣٥	» » لمشروعات الثروة الحيوانية والسمكية .
١٠٦	» » للمواصلات والطرق .
٣١٠	» » للمشروعات السياحية .

وعلى ضوء ضخامة هذا المبلغ وما سوف يلقيه من عبء كبير على
كاهل الاقتصاد الوطنى ، بدأ يتراقص فى سماء الفكر المصرى سؤال عادل
وملح : (هل نحن مسئولون عما أصاب منطقة القناة من الدمار ؟) .
وكانت الاجابة واضحة ولا تحتاج الى تفكير أو تردد ، فنحن لم نسمع الى
الحرب وانما غيرنا هو الذى اعتدى علينا واحتل أراضينا ودمر مدننا ،
وهذه حقيقة يدركها العالم كله ، بقدر ما يدرك أن المسئولية تقع أساسا
على هذا الغير المعتدى وعلى من وقف معه وعاونه فعلا أو قولا . ومن جهة
أخرى فان فتح قناة السويس ، وتعمير منطقة هذه بالتبعية ، لا يخدم
مصر بقدر ما يخدم العالم كله ، وبالتالي فان مسئولية إعادة الملاحة الى
القناة وتعمير منطقة القناة تمتد الى العالم كله . واستنادا الى هاتين
الحقيقتين ، وتطبيقا للقانون الدولى فى نفس الوقت ، فان من حقنا أن
نحصل على تعويضات حرب من الذين تسببوا ظاهرا أو باطنا فى اغلاق
القناة وتدمير منطقتها .

واجتمع مجلس الوزراء ليصدر قراره ، بعد ست ساعات من المناقشات بدعوة بلاد العالم للاسهام فى مشروعات تطهير القناة ونعيم مدها . واذا كانت عقدة الذنب قد أخذت بتلاييب الدول التى ظهرت اسرائيل ايجابيا أو سلبيا منذ قيامها ، فقد كان لانتصارات السادس من أكتوبر فضل احيائها فى نفوس تلك الدول ، خصوصا بعد أن فتحت الدول العربية القادرة خزاينها للمشاركة فى تضييد جراح مصر .

وانهاالت العروض ، بعضها هبات وبعضها قروض وبعضها فى صورة مساهمة بالخبرات . وقبلت مصر بعضها واعتذرت شاكرة عن قبول البعض الآخر .

تقدمت فرنسا بعرض للاسهام بالخبرة الفنية والتمويل فى مشروعات التعمير بمحافظات القناة وسيناء ، وتقدمت ألمانيا الاتحادية فى نفس اليوم بمشروعات صناعية متكاملة فى سيناء ، من بينها اقامة مصانع ومناجم لاستغلال الموارد الطبيعية والمواد الأولية . ومن حيث التصنيع ، تضمن العرض الفرنسى مشروعا من شركة رينو ، كما تضمن العرض الالماني مشروعا من شركة مرسيدس ، لاقامة مصنعين لانتاج السيارات بالمنطقة الحرة التى ستقام فى بورسعيد .

وبدعوة من الحكومة الايرانية ، سافر نائب رئيس وزراء مصر الى ايران فى العشرين من مايو ، ليعود بعد ستة أيام بتقرير مفصل عن اتفاقات بلغ حجمها ألف مليون دولار ، تضمنت بالنسبة لمنطقة القناة أولا المساهمة فى تعمير مدينة بورسعيد بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار لتمويل عمليات بناء المدارس والمستشفيات والتعمير والاسكان والمياه والمجارى والطرق كقرض بشروط اثنيانية سهلة وبسعر فائدة منخفض ، وثانيا المساهمة فى مد خط جديد لأنابيب البترول بين السويس وبورسعيد لنقل البترول الى أوروبا على أساس انه مشروع متعدد الأطراف يمكن أن تساهم فيه الدول المعنية ، مع امكانية اقامة عمليات تصنيع بترولية الى جانب الخط . وكان توجيه الرئيس السادات هو أن تعطى ايران أسبقية أولى فى المناطق الحرة ببورسعيد بعد ان قبل شاه ايران فكرة أن يكون لبلاده منفذ على البحر الأبيض المتوسط ، وأن لا تكون علاقات مصر بايران محصورة فى النواحي التجارية والاقتصادية بل تمتد لتشمل آفاقا أخرى أكثر اتساعا بما فيها المجال الثقافى أيضا .

وما كان للنخوة العربية أن تسمع بعروض ايران دون أن تدخل الحلبة ، فلم تمض أيام ثلاثة حتى أعلنت الكويت استعدادها للمساهمة فى تعمير منطقة القناة باعادة بناء مدينة بورسعيد كلها ، مهما بلغت التكاليف .

واستمر التقدم بالعروض . ففي الثانى من يونيو ١٩٧٤ وصل وزير خارجية الدنمارك ليوقع مع مصر اتفاقيتين ، نصت احدهما على أن تقدم الدنمارك لمصر قرضا قيمته تسعة ملايين من الدولارات بدون فوائد ، على أن يبدأ سداداه بعد ٢٥ سنة .

وفى اليوم التالى مباشرة وصل ممثل لعدد من البنوك الأجنبية ، هو المالى الكبير زاهيتاكس ، ليقرر أن البنوك التى يمثلها قررت تقديم قرض مقداره ٣٠٠ مليون دولار للبنك المركزى المصرى ، وأن سندات هذا القرض ستطرح على بنوك العالم فى منتصف أغسطس . ولم يفت المالى الكبير أن ينوه بأن هذا المبلغ هو مجرد (فتح نفس) ، وبأنه يتوقع أن يرتفع القرض بعد فترة الى ٣٠٠٠ مليون دولار .

وعندما تحركت أمريكا ، فى اطار التحول الأمريكى الذى سبق أن فصلنا أسبابه فى فصل آخر من هذا الكتاب ، رأت ايفاد وزير خزانتهما للتعرف على مطالب مصر بالنسبة للاستثمارات الأمريكية ، مع الحرص على دراسة المشروعات التى أعدتها مصر لتعمير منطقة القناة وبخاصة المشروعات الصناعية والبترولية والزراعية والمناطق الحرة والموانئ ومشروعات السياحة والخدمات . وضمن بيانه الذى أذاعه بالقاهرة فى السادس عشر من يولية ١٩٧٤ ، قرر أن أمريكا ستراعى أفساح المجال لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية فى منطقة القناة وأنه استطاع أن يتفهم مشروعات التعمير وسيوفد عددا من خبراء أمريكا الى القاهرة لاجراء دراسات تفصيلية عن هذه المشروعات ، كما طلب اتاحة الفرصة أمام الصحفيين الأمريكيين للتعرف على ما عرفه هو ونقله الى الشعب الأمريكى ليدرك مدى قيمة هذه المشروعات .

وبعد أسبوع واحد من زيارة وزير الخزانة الأمريكى لمصر ، تقدم ستون مكتبا هندسيا من تسع دول كبرى بمشروعات ، بعضها بغطاءات ، لإعادة تخطيط بورسعيد التى كان معظم الاهتمام الخارجى موجهها اليها ، بعد أن اطمأنت تلك المكاتب الى أقبال العالم بأمواله للمساهمة فى تعميرها .

وازاء العروض الأمريكية السخية ، هبت النخوة العربية من جديد تنحدى على نحو أذهل العالم . ففي الأول من أغسطس قرر الملك فيصل أن يقدم الى شعب مصر هدية مقدارها ألف مليون دولار تسلم الى الحكومة المصرية على دفعتين ، الى جانب قرض بلا فوائد قيمته خمسمائة مليون دولار تسدده مصر على أقساط طويلة الأجل . ووفاء من مصر تقرر أن يكون أحدى أحياء مدينة السويس باسم « حى الملك فيصل » وسيكون الحى بمدخل المدينة حيث يجرى انشاء :

• ٣٠٠٠ وحدة سكنية اقتصادية

• ١٠٠ وحدة سكنية حرفية

• ٤٠٠ وحدة سكنية ريفية

كما تقرر أن يبنى حى جديد فى الاسماعيليه يحمل اسم الشيخ خليفه بن حمد آل ثان حاكم قطر الذى تبرع بمبلغ ٥٠ مليون دولار لهذا الغرض على أن يقوم الشباب بانشاءه وتكون الأولوية للسكن فيه للشباب أنفسهم •

• كما تبرع حاكم أبو ظبى بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لأغراض التعمير

ورغم هذه العروض بالمال أو المساهمة، لم تصدر من مصر كلمة واحدة تستند ثقة العالم باقتصادها استمطارا للمزيد من العروض ، بل التزمت كما هى عاداتها الصمت تاركة الواقع يحدث عن نفسه • ولقد تحدث الواقع على لسان وزارة التجارة الأمريكية ، فى تقرير هام أصدرته بعد الدراسة العميقة الواعية •

أكد هذا التقرير الذى صدر فى السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٧٤ ان الاقتصاد المصرى يتحسن باستمرار نتيجة السياسة المصرية بعد السادس من أكتوبر ، وأن الظروف الاقتصادية فى مصر تتحسن بسبب الاستثمارات الضخمة والمساعدات التى حصلت عليها مصر بعد أن أصبحت محل ثقة دول العالم أجمع •

وذكر التقرير أن عددا كبيرا من الشركات الأمريكية يعمل بالفعل على الاستفادة من المناخ المتحسن ، وأن كثيرا من المنشآت والمؤسسات أعربت عن رغبتها فى المشاركة فى تعمير منطقة قناة السويس التى تتطلب استثمارات بآلاف الملايين من الدولارات ، وأن المناقشات تجرى على قدم وساق حول مشروعات استثمارية تزيد قيمتها على ثلاثة آلاف مليون دولار ، وتتراوح بين مجمعات صناعية ضخمة للبتروكيماويات وتكرير البترول واقامة المناطق الحرة على طول قناة السويس •

بهذا الاقتصاد المتين ، والمساهمات العربية وغير العربية فى شتى صورها ، أمكن الاستقرار على مشروعات ثابتة لتعمير المنطقة حسب خطط واضحة تجعل منها اقليما جديدا تماما عمرانيا واقتصاديا وصناعيا وسياحيا واجتماعيا •

واعتبرت خطط عام ١٩٧٤ مرحلة أولية فى معركة التعمير ، وبلغ حجم الاستثمارات التى خصصت لها مائة مليون جنيه •

ووضعت خطط معدلة لعام ١٩٧٥ لتكون بمثابة مرحلة انتقالية ،
وتحدد حجم استثماراتها بمبلغ ٢٨٠ مليون جنيه .

واعتبرت خطط العاميين معا منطلقا لخطة خمسية كبيرة يبدأ تنفيذها
من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨٠ ، بتكاليف حجمها ١٢٠٠ مليون جنيه .

وهكذا يمكن القول بأن المنطقة الباسيلة لم نضع هباء بطولها التي
عانت بسببها ما عانت من تدمير وتشريد ، وأن الوطن لا ينسى تضحيات
أبنائه في سبيل الاستمساك بما عرف عن مصر من اصرار وابة .

تطهير القناة

في السنوات التي سبقت الستينيات كانت قناة السويس تتحكم في
بناء ناقلات البترول بالذات ، فكانت كل ترسانات العالم البحرية تسال ،
ومشروعاتها لا تزال رسوما على الورق ، عن المواصفات التي تتيح لناقلاتها
الجديدة عبور قناة السويس . وبذا كان بناء الناقلات وتطوير القناة
يسيران جنباً الى جنب بما يشبه الرتابة ، فكان غاطس القناة يزيد قدما
كل عام ، فيزيد معه غاطس كل ناقلة جديدة بنفس المقدار . وعندما
أنفقت مصر بعد تأميم القناة ٩٢ مليون جنيه ليزيد عمق القناة من ٣٥
قدما الى ٣٨ قدما مرة واحدة ، بدأ يومها ان القناة قد أحرزت على صناعة
الناقلات تفوقا يصعب اللحاق به قبل عشرين عاما .

ثم حدث في منتصف الستينات أن تمكنت الترسانة البحرية
اليابانية لأول مرة من بناء ناقلات بترول حمولتها ٢٥٠ ألف طن ، ومنذ
ذلك الحين بدأ النقاش حول مستقبل قناة السويس ، وتصورت بعض
الآراء أن قصب السبق قد أفلت منها تماما ، وأن عليها أن تتخلى عن دورها
كأنبوب الزيت الى العالم الغربي وأن تقنع بوظيفة متواضعة كمعبر ملاحى
لسفن البضائع . وكان على رأس ما قدمته تلك الآراء المتشائمة من أسائيد ،
ان اقتصاديات التشغيل أكدت أنه حتى الناقلات فوق المتوسطة حمولة ١٥
ألف طن تأخذ طريقها عبر القناة ، وأنه لم يعد هناك من ثم مبرر لارتباط
حجم سفن وناقلات المستقبل بمستقبل القناة . وفي نفس الوقت ، كانت
أكثر الآراء تفاؤلا ترى أن أهمية القناة كأنبوب للزيت لن نمند أكثر من
عشرة أو خمسة عشر عاما أخرى على أكثر تقدير ، هي السنوات الباقية
من عمر وحدات الأسطول العالمى لناقلات البترول المتوسطة والصغيرة التي
بنيت فيما بين عامي ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، خصوصا وأن ما يتم (تخريده)

من هذه الوحدات يجرى استبداله ، كاتجاه شامل فى ترسانات العالم ،
بوحدة من فوق ١٥٠ ألف طن .

وفى مواجهة الموقف ، أعلنت هيئة القناة قبل عام ١٩٦٧ عن عزمها
على تعميق القناة الى ٤٠ قدما عام ١٩٦٨ ، ثم اضافة عشرة أقدام ، أخرى
خلال السنوات الأربع التالية حتى يتاح للناقلات حمولة ١٠٠ ألف طن
استخدام القناة . ولكن اغلاق القناة أفسد هذه المشروعات ، مما أدخل
على النفوس القلق من جديد ، خصوصا بعد أن أعلنت هيئة القناة فى عام
١٩٧١ ، بعد أربع سنوات من وقف الملاحة فى القناة ، أن تطهيرها يقتضى
سنة أشهر ليصل عمقها الى مجرد ٣٤ قدما ، تزداد الى ٣٨ قدما ثم الى
٤٠ قدما بعد ستة أشهر أخرى ، وأن نفقات التطهير حسب تقديرها فى
ذلك العام سوف تتجاوز المائة مليون دولار .

ثم كان أكتوبر العظيم . وانسحب العدو الاسرائيلى بعد التلکؤ
المفتعل الى مسافة تكفل للقناة الأمن عند الشروع فورا فى تطهيرها . واذا
كان الرئيس السادات قد أعلن عن استعداده لفتح القناة للملاحة الدولية
بمجرد انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة ، فقد أردف اعلانه ،
والعدو ما زال يتعثر منسحبا بقلوله من حيث أتى ، بقرار لا يقل شجاعة
عن قرار المعركة ، هو أن تطوير القناة لن يتوقف عند حد ، وانها سوف
تتطور مع مشروعات بناء الناقلات العملاقة أيا كانت الأحجام التى تصل
اليها ، حتى تظل القناة أرخص وأقصر الطرق بين الشرق والغرب ، خصوصا
وأن جغرافية القناة تقبل التوسع تجاه الشرق توسعا غير محدود .

وكما هى العادة ، لم يصدر الرئيس السادات قراره هذا عفوا أو
لمجرد التحدى ، بل بعد حسابات دقيقة أكدت أن استسلام مصر للحذر أزاء
مشروعات تطوير الناقلات العملاقة لن يؤدى فقط الى فقدان القناة لمركزها
السياسى ، بل وسيفقدها أيضا عائدها الذى يشكل مرور البترول ٧٥٪
منه . وإلى جانب هذه الحقيقة ، أسفرت الحسابات والدراسات عن عوامل
أخرى .

لقد بدا واضحا منذ اللحظة الأولى أن كلا من الولايات المتحدة
الأمريكية والاتحاد السوفييتى يتهافتان على السعى للاسراع بتطهير
القناة . واذا كان دافع الروس هو ادراكهم لمزايا القدرة على ارسال
أساطيلهم عن أقصر طريق الى المحيط الهندى ، فقد كان دافع الأمريكين
رغم قلة مكاسبهم من الناحية الاستراتيجية ، هو ما يرونه فى إعادة فتح
القناة أولا من تحقيق خطوة أولى مجدية فى سبيل اقرار تسوية سياسية
دائمة فى الشرق الأوسط ، وثانيا من عائد كبير على مصالح العالم الغربى

الذى تصر أمريكا على أن تتزعمه ، بعدما نزل بهذا العالم من أضرار نبت أن مرجعها اغلاق قناة السويس في وجه الملاحة الدولية .

ثبت أن اغلاق القناة ، فضلا عما ترتب عليه من زيادة المسافة بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح بنسبة ٧٠٪ ، قد أدى الى زيادة هائلة في تكاليف النقل حاق أثرها بكل الدول المستهلكة للبتروöl دون استثناء .

وثبت من آخر تقرير لبنك إنجلترا عن أثر القناة على اقتصاديات أوروبا ، أن اغلاق القناة قد أثر على ميزان المدفوعات البريطاني بما يعادل ٢٥٠ مليون دولار سنويا ، وأن الحكومة الفرنسية تحملت في برنامج تعويض شركات الزيت عن الزيادة في تكاليف النقل ما يعادل ١٣٥ مليون دولار كل عام ، وأن ألمانيا تكبدت نتيجة هذه الزيادة ما يعادل ١١٠ ملايين دولار سنويا ، وأن نصيب إيطاليا من هذه الزيادة بلغ ٢٥ مليون دولار . وعندما يجعل تقرير بنك إنجلترا آثار اغلاق القناة على أوروبا فهو يضع في اعتباره أن استهلاك هذه الدول الأربع يعادل ثلثي استهلاك أوروبا من الزيت ، وأن خسارة أوروبا من ثم تصل الى بليون دولار سنويا .

وثبت من آخر تقرير اقتصادي للأمم المتحدة ، أعدته مجموعة من الخبراء العالميين الاقتصاديين بتكليف من سكرتارية مؤتمر التجارة والتنمية في جنيف ، أن اغلاق قناة السويس منذ عام ١٩٦٧ قد كلف العالم خسائر اقتصادية تصل الى سبعة آلاف مليون دولار حتى نهاية عام ١٩٧١ ، بالإضافة الى ١٧٠٠ مليون دولار سنويا خلال عامي ٧٢ ، ١٩٧٣ ، وأن إعادة فتح القناة سوف يخفض تكاليف شحن البترول من الخليج العربي والبحر الأحمر الى دول أوروبا بنسبة كبيرة ، وأن النظرية التي تردت حول إمكان الاستعاضة عن القناة باستخدام ناقلات البترول العملاقة قد ثبت فشلها خاصة بعد ارتفاع تكاليف بناء وتشغيل هذه الناقلات منذ عام ١٩٧٠ ، وأن أسعار الشحن البحري قد ارتفعت دون مبرر بسبب اغلاق القناة التي ستظل أكثر الطرق البحرية اقتصادا لسنوات بعيدة قادمة خاصة بعد تعميقها ، دون أن ينال من ذلك أن خط الأنابيب بين السويس والاسكندرية سيكون أقل تكلفة من القناة نفسها في نقل البترول الخام الى أوروبا .

وثبت من تقارير الخبراء التي انهالت على الصحف العالمية بمجرد بدء انسحاب العدو ، أن موجة من الحذر قد بدأت تسود رأس المال العامل في نقل الزيت ، تجاه بناء الناقلات العملاقة ، مصدرها أن الغاطس في معظم الموانئ بما فيها غاطس ميناء لندن الذي يعتبر أعرق موانئ العالم (٥٢ قدما)

ستعجز عن استقبال هذه الناقلات ، كما أن خزانات الزيت فى هذه الموانئ لن تقدر أبدا على استيعاب جمولة ناقلة واحدة من هذه الناقلات العملاقة .

وثبت من هذه التقارير أن الانقلاب الذى أحدثته الناقلات العملاقة ترك أسوأ الآثار على أسعار النقل وسوقها العالمية بعد أن أصبح فى مقدور هذه الناقلات قبول أسعار أقل من جداول أسعار النقل العالمى ، وأن سوق النقل الدولية تحولت بذلك الى مضاربات لم يصمد فيها سوى الاحتكارات الضخمة ، مما هدد بطرد رؤوس الأموال المتوسطة من السوق العالمية وانزل الخراب بأكثر من بيت بحرى فى العالم .

كما ثبت من هذه التقارير أن أبسط اشارة لقرب حدوث تسوية سياسية فى الشرق الأوسط ، كانت تكفى دائما لايقاط الاهتمام من جانب صناعة الملاحة البحرية ، وأن شركات الناقلات البترولية منذ اليوم انتالى للسدادس من أكتوبر قد بدأت فى اخراج الخراطى والرسوم من أصابيرها ، وبدء عملية تقويم جديدة لبناء الناقلات (وفى الزهن القناة) ، كما كان الحال قبل عدوان ١٩٦٧ .

وبعد ، فتلك كانت بعض نوانج الحسابات التى خامرت الزهن المصرى فى صدد اعادة فتح القناة ، ولذا لم نتردد وزارة التخطيط فى ادراج ١١ مليون جنيه للبدء فورا فى تطهير القناة ضمن مشروع خطة التنمية لعام ١٩٧٤ التى قدمتها لمجلس الشعب فى العشرين من ديسمبر ١٩٧٣ .

ولم يكن من اليسير الاستجابة فورا لما يخامر النفوس من شوق الى فتح القناة ، اذ كان يجب قبل هذا أن يتم تنفيذ خطة التعمير العاجلة التى تحدد لانتهائها شهر فبراير ١٩٧٤ ، والتى كانت تتضمن انشاء المساكن والمرافق والطرق اللازمة لاستقبال من سيعملون فى مشروعات تطهير القناة . وفى هذه الأثناء لم يضع الوقت هباء ، اذا توالى الاتصالات بين كل من المهندس عثمان أحمد عثمان وزير التعمير ، والمهندس مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة القناة ، للتنسيق بين مشروعات التطهير ومشروعات التعمير على الضفتين الشرقية والغربية للقناة ، ولايجاد صيغة من النكامل بين الاثنين وخاصة فيما يتعلق بانشاء الاتفاق الخمسة التى ستمر تحت القناة للربط بين ضفتيها .

وبحلول الأول من فبراير كانت خطة التعمير العاجلة على وشك الانتهاء ، كما كان المبلغ المعتمد للتطهير قد تعدل بجلسة مجلس الوزارة يوم ٣١ يناير ليصبح ١٥ مليون جنيه ، منها عشرة ملايين بالعملات الأجنبية ، لبدء المرحلة الأولى من عملية تطهير القناة التى قدرت تكاليفها

الاجمالية بحوالى ٩٠ مليون جنيه ، والمتوقع أن تحقق دخلا سنويا قدره ٢٥٠ مليون جنيه . فأما خطة مرحلة التطهير هذه فكانت تستهدف رفع العوائق وتطهير المجرى الملاحي بحيث يكون صالحا خلال ستة شهور على أكثر تقدير لمرور الناقلات حمولة ٧٠ ألف طن ، وهى ذات الحمولة التى كانت تمر بها قبل اغلاق القناة اثر عدوان ١٩٦٧ ، وأما خطة التطوير التى وضعت لتعقب خطة التطهير ، فقد تقرر ان تبدأ مع بدء الخطوات الأولى لاعادة الملاحة الى القناة وتنتهى مع الضغط خلال ستة الى سبعة أعوام ، على مرحلتين تقرر ضمنا أن تستهدف أولاها زيادة القطاع المائى من ١٨٠٠ الى ٣٢٠٠ متر مربع بغاطس ٥٣ قدما ، وأن تستهدف المرحلة التالية لذلك زيادة القطاع الى ٤٢٠٠ متر مربع بغاطس يصل الى ٦٧ قدما . وإذا كانت مرحلة التطوير الأولى ستسمح بمرور السفن حمولة ١٥٠ ألف طن ، فسوف تسمح المرحلة الثانية بمرور الناقلات العملاقة حمولة ٢٦٠ ألف طن . أما من حيث التكاليف ، فقد كان التقدير الأول لمشروع التطوير حوالى ٥٠٠ مليون جنيه ، منها ٢٨٠ مليون بالعملة الأجنبية .

وعن ثقة تامة بمستقبل القناة ، انهالت العروض على مصر تطلب المساهمة فى المشروع الضخم . عروض من الدول العربية وبنك التنمية الكويتى والبنك الدولى ومختلف الدول صاحبة المصلحة فى اعادة فتح القناة وتطويرها ، وفي مقدمتها دول أوروبا واليابان . كما لم تعد تكاليف التطوير تشكل أية متاعب بعد هذه العروض ، فان مشكلة الأيدى العاملة لم يكن لها أى اعتبار بالنسبة للمشروع ، نظرا لما تملكه هيئة القناة من ثروة بشرية لا تقدر بمال . وإذا كان عدد من الدول الأفريقية والعربية والصديقة قد استعان ببعض الخبراء والفنيين من الهيئة لمعاونتها فى فترة توقف الملاحة . فقد عادوا فور الاشارة باستئناف العمل .

وافتتح سلاح المهندسين المصرى ميدان العمل فى الحادى عشر من فبراير ، برفع الألغام والقنابل من مجرى القناة فى القطاع الممتد من القنطرة حتى مدينة بورسعيد شمالا ، كمرحلة أولى لتمكين هيئة قناة السويس من بدء عملها فى التطهير ، كما استقر رأى على أن يتم العمل فى تلاحق مستمر فى كل منطقة تنتهى القوات المسلحة من تطهيرها من القنابل والمفرقات والألغام فى المجرى الملاحي وعلى جانبي القناة ، على أن يكون الهدف الذى يسعى اليه الطرفان هو اخراج ١٤ سفينة محتجزة بمنطقة جنوب البحيرات وسفينة واحدة ببجيرة التمساح ، حتى يتسنى فتح القناة بأسرع ما يمكن وفى أقل وقت لخدمة الملاحة العالمية .

ومضت خمسة أيام على بدء العمل الجاد الشاق ، ولمس العالم كذا الجهد المصرى المبذول فبدأ يتحرك جديا لوضع عروضة التمويلية موضع

التنفيذ • وكانت اليابان في مقدمة الصف ، ففي التاسع عشر من فبراير وقعت مع مصر اتفاقا تحصل مصر بمقتضاه على قرض قيمته ١٤٠ مليون دولار كمساهمة في أعمال تطهير وتطوير القناة •

وفي الامم المتحدة ، بدأ يسود اتجاه قوى نحو انشاء مجموعة اقتصادية دولية تساعد في اعادة فتح وتوسيع قناة السويس ، كما أظهرت المجموعة الأمريكية استعدادها للقيام بهذا العمل والتعاون مع البنك الدولي •

وضاعفت الأموال التي بدأت تتجه الى مشروعات القناة من سرعة ايفاع تنفيذ الخطة العاجلة ، لدرجة أنه بحلول السابع والعشرين من فبراير كانت هيئة القناة قد تمكنت من تطهير ميناء بورسعيد من العوائق التي كانت غارقة فيه ، بانتشال ٢٥ وحدة بحرية تابعة لها وبدأت في ترميمها واصلاحها ، كما كان سلاح المهندسين قد قام برفع الألغام والقنابل والمواد الناسفة من الميناء • وعند هذه الحدود الأولى من تطهير القناة ، نتالت طلبات عنصر جديد ، هو المرشدون الأجانب الذين كانوا يعملون بالهيئة قبل عدوان ١٩٦٧ ، والذين رحبوا بالعودة للعمل في القناة بمجرد استئناف الملاحه فرجت الهيئة بطلباتهم •

كانت الدلائل كلها تدل على أن مشروعات اعادة فتح القناة ستجعل من مشروع فرديناند ديلسبس الأصلي لحفر القناة مجرد مشروع قزم ، وان القناة في صورتها الجديدة ، بعد سنوات التطوير ، ستكون ممرا مائيا يليق باحتياجات العصر ، ويلبي حاجة قارات العالم لا الى معبر للنفط فحسب ، بل كملتقى تتصل عنده القارات لتتبادل المنافع ، وتتقارب الثقافات في عالم اختزلت فيه المسافات ولم يعد له مركز واحد فقط •

هذه الحقائق وغيرها أدركتها الدول الكبرى ، ولم يكن غريبا بعدها أن تتقدم كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية عارضة المساهمة في مشروعات تطهير المجرى الملاحي عمليا بكاسحات الألغام • ولم تتردد مصر في القبول ، فالمجرى عالمي انتفاعا وأن كان مصريا امتلاكاً ، ومن حق الدول المنتفعة به أن تساهم في اعداده لخدمة البشرية من جديد •

وكانت أجهزة هيئة القناة قد بدأت في الخامس والعشرين من مارس في ازالة السد الحجري الذي أقامه العدو عند منطقة الدفرسوار خلال وجوده بها لسد مجرى القناة ، والذي كان مكونا من كتل خرسانية واحجار تزن الواحدة منها ما بين خمسة وعشرة أطنان جعلت منه جسرا ضخما ، حجمه ٣٠٠ ألف متر مكعب وطوله بين الضفتين حوالى ٢٥٠ مترا وعرضه عند المسطح ٢٠ مترا وعند القاع مائة متر • حتى اذا ما تقرر قبول مساهمة كل من إنجلترا وأمريكا في تطهير القناة بأسطوليهما ، وما اقتضاه ذلك

من دفع عجلة الاعداد لعملية تطهير المجرى ، نقرر الاستعانة بجهود شركه
المقاولين العرب للاشتراك مع هيئة قناة السويس فى ازالة السد .

وبدأت الجهود لرفع الأحجار فى مسافة ٦٠ مترا وسط السد لتيسير
حركة المعدات البحرية الصغيرة أولا داخل القناة . كما بدأت الكراكه
خوفو التى كانت محجوزة فى البحيرات المرة ، بعد أن تم اصلاح عنابرها
السى كان العدو قد اسعل النار فيها عملها فى ازالة الجزء المغمور من
السد تحت الماء . وفى نفس الوقت ، بدأ رفع أحجار جسم السد بالأوناش
وجرها بالجرارات الى خارج المجرى ، وانتشال عشرة عوائق كبيرة و ٥٥
عائقا كانت تعترض مجرى القناة .

وفى السابع من ابريل ١٩٤٧ وصلت ميناء بورسعيد أول مجموعة من
القطع البحرية الاجنبية التى اشتركت فى عملية التطهير ، وكانت عبارة
عن أربع كاسحات ألغام بريطانية ، لتجد الميناء معدا من كل الوجوه
لاستقبالها ، بأعداد المرباط وتوفير الوقود والمياه والمواد التموينية اللازمة
لنشغيل قاطرات التطهير والقطع البحرية والأطعم العامة عليها .

ثم وصلت باقى القطع البحرية البريطانية والأمريكية تباعا . وبدأت
سلسلة من الاجتماعات بين خبراء هيئة القناة والخبراء البريطانيين
والأمريكيين لاعداد الترتيبات النهائية للبدء فى عملية التطهير ، تقرر بعدها
نسيم العملية الى قسمين ، يتعلق الأول بتطهير سواطى القناة من الألغام
الغارقة فيها أو المدفونة على جانبيها بمعرفة سلاح المهندسين ، ويقضى
القسم الثانى بتطهير المجرى الملاحي وقاع القناة من القنابل والألغام والقطع
البحرية وغيرها من العوائق الغارقة فيه ، وذلك بمعرفة الوحدات البحرية
البريطانية والأمريكية بالمشاركة مع هيئة قناة السويس .

وبدأ سلاح المهندسين فى انجاز مهمته فى زمن مثالى . وكانت خطته
تتلخص فى تحديد مواقع الألغام والقنابل باستخدام مجسات خاصة تسم
نفسها فى مواقعها خشية انفجارها أثناء نقلها ، وقد تخصصت لهذه
العملية مجموعات من الأفراد على مستوى عال من الخبرة فى نسف
المتفجرات ، المدفونة على جانبي القناة فى القطاعات الشمالى والأوسط
والجنوبى من القناة .

والجدير بالذكر ان الطائرات بعد أن مسحت ميناء بورسعيد انحدرت
على طول القناة صوب الجنوب فى نطاق ممر جوى فوق القناة عرضه
أربعة أميال ، يحدده هوائى ضخم شرقي بورسعيد وآخر غربها على
الساحل ، وتوجهها خمس محطات رادارية أيضا على جانبي القناة ، منها
ثلاث محطات متنقلة .

وتأتى بعد ذلك عملية تفجير اللغم بوحدة من طرف ثلاث ، أولاها خداع الأنغام المخنطة بقضيب تجره الطائرة فوق سطح الماء فينجذب اللغم اليه مغناطيسيا وينفجر ، والثانية خداع الأنغام الصوتية بمحرك تجره الطائرة أيضا فوق سطح الماء فيجذب صوت دورانه اللغم الى المحرك وينفجر ، أما الثالثة فلم يكن لها غير المغامرة البشرية . فهي تختص بالغام الضغط ، أشد أنواع الألغام فتكا وأتى لم تبتكر وسيلة للنجاة منها حتى اليوم ، فهي ترقد فوق القاع وتنجذب لناحية القوة الضاغطة عليها والناجمة عن ضغط أية سفينة أو لنش على الأمواج تحته ، فيتأثر بها اللغم الحساس ، ويندفع من القاع الى السطح حيث ينفجر في مسبب القوة الضاغطة .

هذا النوع الفتاك من الألغام كان يجب أولا تحديد موقعه ، وقد تصدت لهذه العملية ثلاث من صائدات الألغام البريطانية هي (يوسنيتون) ، و (ويلتون) و (ماكستون) . وكان بكل صائدة ستة من أجهزة البحث ، سونار ورادار وراديو ، لبعضها شاشات في حجم شاشة التلفزيون مقاس ١٩ بوصة ، ومهمتها جميعا الاشتراك في تفتيش القاع عاملة بالأشعة الصوتية التي ترصد حاملة نتيجة البحث ومحددة مكان اللغم الرائد فوق القاع ، كى يبدأ العنصر البشرى أخطر عملية فوق سطح الأرض ، هي التخلص من اللغم .

هذه العملية انفردت بها مصر ، واسندتها الى قواتنا من الضفادع البشرية .

كانت غرفة العمليات فوق سطح صائدة الألغام ، بمجرد اكتشافها اللغم وتحديد موقعه ، توجه اليه قاربا من المطاط يحمل مجموعة من الضفادع البشرية كان يظهر بدوره كنقطة مضيئة فوق شاشات الأجهزة الستة ، بعد أن تحدد للقارب العمق والاتجاه والموقع الذى يكمن عنده اللغم ، تماما كما توجه الطائرات المقاتلة الى طائرة العدو بتحديد الارتفاع والاتجاه والمسافة .

ويوجه الضفادع البشرية جهاز سونار يحملونه معهم الى حيث أرشدت غرفة عمليات السفينة الصائدة ، حتى اذا ما ظهر اللغم فوق شاشة الجهاز ، وتم بذلك تحديد مرقده فوق القاع ، هبط أخذ الضفادع الى القاع ومعه الجهاز ، وحبل اتصال يربط ما بينه وبين القارب . حتى اذا ما وصل الى مكان اللغم دفن الى جانبه شحنة متفجرة عليها مفجر زمنى ، لتفجير الجسم القاتل بعد الوقت الكافى لابتعاد الضفدع والقارب عن منطقة الخطر .

وأقبلت أعياد يوليو ١٩٧٤ ، وأقبل معها عرضان جديدان ، الأول موافقة من البنك الدولى للانشاء والتعمير على تقديم قرض قيمته ٥٠ مليون دولار لهيئة قناة السويس للمساهمة فى مشروعات اعادة فتح القناة ،

مع وعد بتقديم قرض آخر لتوسيع القناة وتعميقها ، والثاني مجموعة من كسحات الألغام والسفن السوفينية للقيام بعمليات تطهير القناة في القطاع الجنوبي بمنطقة خليج السويس بالتعاون مع القوات المصرية . وقبلت مصر العرضين ، وقد وجدت فيهما دفعا جديدا للاسراع في تنفيذ الخطة .

وتم تطهير القطاع الشمالي من القناة بين بورسعيد والاسماعيلية . وكان يجب بعد هذه المرحلة أن تنتقل السفينة (أبديل) ، سفينة قيادة صائدات الألغام البريطانية ، الى البحيرات المرة لتباشر عملها من هناك في تطهير القطاع الجنوبي بين الاسماعيلية والسويس . وخففت القلوب ، فهاهي أول سفينة تعبر القناة من بابها الشمالي حتى الاسماعيلية ، لأول مرة منذ ١٩٦٧ .

وتعين أحد المرشدين المصريين لتوجيه السفينة كما هي العادة ، هو المرشد سامي عثمان . وعندما صعد الى السفينة استقبله ربانها قائلا (لقد سمعنا عنك قبل أن نراك ، وعرفنا انك من أكفأ المرشدين المصريين الذين نعتبرهم أكفأ المرشدين العالميين) . وعندما لاحت بوادر الخجل على وجه المرشد المصري ، قال الربان البريطاني : (هذه هي الحقيقة التي عرفتھا من كل الموانئ العالمية) .

وتحركت (أبديل) من عرض البحر لتدخل المجرى المائي . وعند مرورها بيميناء بورسعيد ودعها من حضروا عملية العبور بالهتاف ، والدموع تكاد تطف من عيونهم فرحا بتطهير هذه المسافة من القناة ، وانطلقت القاطرات تحيي السفينة الرائدة بصفاراتها حتى غابت عن الأنظار ، لتصل الى الاسماعيلية في سلام ودون حادث من أي نوع .

وبعد ما استعرضناه عن عملية تطهير القطاع الشمالي من قناة السويس من الألغام المبتوثة فيه ، لن يتعذر علينا تصور ما رسمته خطة المرحلة الأولى الموضوعية لاعادة القناة الى ما كانت عليه عام ١٩٦٧ ، تمهيدا لتوسيعها وتعميقها لخير العالم كله .

لن يتعذر علينا تصور عملية تطهير القطاع الجنوبي ، بين الاسماعيلية والسويس ، مما به من ألغام . بالطائرات الهليكوبتر الأمريكية ، فصائدات الألغام البريطانية ، ثم الضفادع البشرية المصرية .

أو تصور عملية انتشار العوائق الغارقة والتي تسد المجرى بأحجامها وأوزانها التي تشمل ما بين علب البولوييف الفارغة والسفينة الكبيرة . فلقد كشف الفحص الدقيق ، الى جانب ما لا يكاد يدخل تحت حصر من علب الصفيح والمواسير وأجزاء الطائرات وسيارات النقل والدبابات والقاطرات والمعدات والكراكات ، أن هناك عشر سفن و ٣٠ دبابة .

أو تصور عملية اخراج السفن التي ظلت محتجزة في القناة منذ ٦ يونيو ١٩٦٧ . فقد كانت هناك خمس عشرة سفينة ساء عليها الطريق وهي تعبر من السويس الى بورسعيد ، منها أربع بريطانية ، اثنتان لكل من أمريكا والسويد وبولندا وألمانيا الغربية ، وسفينة واحدة لكل من فرنسا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا .

أو تصور ما كان يملؤ قلوب أبناء منطقة قناة السويس ، رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا ، وهم يعودون الى مدنهم الباسلة بعد تدميرها وقناتهم بعد تطهيرها . . لقد شاركوا في معارك تاريخنا المعاصر بأروع ما تكون المشاركة بالنفس والنفيس ، في سخاء ودون تردد ، وحق لهم ما بذله ويبدله الوطن كله من أجل النهوض بمستوى مدنهم واعادة الحياة الى قناتهم .

الباب السابع

ورقة أكتوبر

بين الميثاق وبين ٣٠ مارس

لم يتقدم الرئيس « أنور السادات » الى الشعب بورقة أكتوبر في شهر أكتوبر ، بل بعده بشهور . وإذا كان الرئيس قد اختار للورقة هذا الاسم فلأن ما جاء بها - بعد الانتصار العسكرى - على رأس معطيات أكتوبر العظيم .

وعندما طرحت ورقة أكتوبر للاستفتاء في ١٥ مايو ١٩٧٤ ، أكدت النتائج التى أذيعت رسميا بعد ٢٤ ساعة من طرحها اجماع جماهير الشعب عليها ، كما أكدت اقبال الجماهير غير العادى على الاستفتاء بعد دراسة الورقة مليا ، اذ لم يرد عدد المتخلفين عن ١٨٦٥٦٨ مواطن فقط من بين كل الناخبين ، وهى أعلى نسبة للتصويت والمشاركة عرفتها مصر فى تاريخها . وللتاريخ ، نسجل هنا أن النتائج كانت كما يلى :

عدد الناخبين المقيدين بجداول الانتخاب	٨٠٤٤٢١٢٢
عدد الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم	٨٠٢٥٥٠٥٥٤
عدد الأصوات الصحيحة	٨٠٢٥٠٠٦٥١
عدد الأصوات غير الصحيحة	٤٩٠٠٣
عدد الأصوات التى وافقت	٨٠٢٤٦٩٣٧
عدد الأصوات غير الموافقة	٣٧١٤

وإذا كان معنى هذه النتيجة هو أن جماهير الشعب قد أيدت ورقة أكتوبر بنسبة ٩٩.٩٥٪ من الأصوات ، فإن ثمة دلالات أخرى عدة ، من الناحية الموضوعية ، توحى بها هذه النتيجة وتمتد الى آفاق بعيدة وعميقة التأثير فى حياة مصر ومستقبلها .

من هذه الدلالات أن جماهير الشعب تجدد البيعة مؤيدة للرئيس السادات .

ومنها أن نفس النتيجة ، وباعتبار أن منجزات حركة التصحيح هى الأساس الثانى الذى تستند اليه ورقة أكتوبر ، توضح أن الشعب يؤيد بحماس الخط السياسى فى دولة المؤسسات « الأمر الذى يقطع بأن ثورة ٢٣ يوليو قد وصلت الى مرحلة نجاحها الأخير ، مرحلة الاستقرار والنظام وتقنين مبادئ الثورة .

ومنها أن انتصارات السادس من أكتوبر كانت دافعا الى انطلاق شعبية عارمة ، لما فى المعدلات العالية للاقبال على الاستفتاء من اشارات واضحة الى أن الشعب قد نفى عن نفسه السلبية نهائيا ، وأنه بدأ يشارك بحماس فى العمل القومى .

ومنها أن انتهاء الاستفتاء الى هذا التأييد الساحق يجعل من ورقة أكتوبر من حيث الشكل ، وثيقة ملزمة للشعب أفرادا وفئات ، ومواطنین ومستولين ، كما يجعل منها اختيارا شعبيا — بالديموقراطية المباشرة — لفاهيم وحلول قضايا المصير والمبادئ ووسائل التطبيق .

ورقة أكتوبر والمواثيق الأساسية

بورقة أكتوبر تصبح بين أيدينا ثلاثة مواثيق أساسية ، هى ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، ثم ورقة أكتوبر . ولعله من المفيد ، قبل أن نبدأ باستعراض ورقة أكتوبر من حيث المضمون ، أن نلقى بعض الضوء على موقعها الحقيقى من الميثاقين اللذين سبقاها ، لنرى هل هى اضافة أو تعديل أم امتداد لهما . وأول ما سوف يطالعنا فى هذا الصدد هو أن المواثيق الثلاثة لا تتفق فى طبيعتها . فالى جانب أوجه المقارنة التى قد يقتضيها الحديث عن هذه الورقة بالذات ، يحسن أن نلم مسبقا بالفوارق الرئيسية التالية بين المواثيق الثلاثة .

ومع الايجاز الكلى ، يمكن القول بأن ميثاق العمل الوطنى يعتبر الوثيقة السياسية الأساسية التى تبين أهداف النضال العربى فى الحرية والاشتراكية والوحدة . كما يمكن تقسيم محتويات الميثاق الى جانبين رئيسيين ، تناول أحدهما (المبادئ) وقدم الثانى وسائل (التطبيق) .

فمن بين المبادئ مثلا (حتمية الحل الاشتراكى) كعنصر يستهدف خلق مجتمع الكفاية والعدل عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات وازالة التناقضات بين القوى الاجتماعية سلميا وبالحوار الديموقراطى . ومن المبادئ أيضا (تحالف قوى الشعب العاملة) وضمنان خمسين فى المائة للفلاحين والعمال فى المجالس السياسية والشعبية المنتخبة . كما أن من بين هذه المبادئ (الوحدة العربية) كهدف أسمى لنضالنا .

ومن التطبيقات التى قدمها الميثاق ، كل ما يتعلق بالتطبيق الاشتراكى من مضاعفة للدخل القومى ، ومشاكل الزراعة والتصنيع

بالريف ، ودور رأس المال الوطني والأجنبي • كما أن من بين التطبيقات طرق وأساليب بلوغ الهدف الأسمى وهو الوحدة الوطنية •

ثم أن الميثاق ، من جهة أخرى ، يعتبر في جانبه الفكري الوثيقة الأساسية السياسية التي تحكم بمبادئها كل ما أتى بعدها ، أو ما قد يأتي بعدها ، من وثائق ، بل وتحكم بمبادئها أيضا ما يجب أن يتضمنه الدستور • ومن هنا نرى أن مبادئ الميثاق لا تتغير ، حتى لو غيرت الظروف الطارئة من التطبيق كما حدث عندما حتمت الظروف المتغيرة خروج بيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر • ولقد عبرت هذه الورقة عن هذه الحقيقة بقولها (ان المبادئ الأساسية لا تتغير بتغير الظروف والا لما كانت ترقى الى مرتبة المبادئ ، وانما الذي يتغير هو التطبيق) •

أما عن بيان ٣٠ مارس ، فيمكن القول بأنه صدر تعبيرا عن مرحلة خاصة من مراحل نضالنا الوطني • فعندما حلت نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وخرجت جماهير (٩ و ١٠ يونيو) تطالب بالتغيير ، جاء بيان ٣٠ مارس ليعبر عن طبيعة هذه المرحلة الجديدة من حيث اعطاء الأولوية للمعركة ، بحيث لا يعلو صوت فوق صوت الاعداد لها في مرحلة الصمود ورفض الهزيمة ، في شكل برنامج عمل هدفه حشد القوى الوطنية والعربية ، ووسائل اقامة الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب ، وتحديد المهام الرئيسية لدعم بناء الدولة الحديثة ، واثاحة دفعة أكبر للتنمية الشاملة ، ورسم آمال الغد في خطوط عريضة رشحها البيان للدستور الجديد ، والعمل على تحقيق سيادة القانون •

ونحن لو أمعنا النظر لوجدنا أن بيان ٣٠ مارس قد استنفذ أغراضه • فانتخابات الاتحاد الاشتراكي تحققت ، والمبادئ المقترحة للدستور نقل الشعب أهمها الى الدستور الدائم يوم أعلن إرادته ، ومبدأ سيادة القانون وجد طريقه الى التطبيق وأصبح شعارا • ومن هنا فإن بيان ٣٠ مارس لم يعد صالحا بذاته اليوم ، وإن كان علينا أن ننظر اليه كوثيقة أساسية تعبر عن مرحلة تاريخية معينة على طريق نضالنا ، وكحلقة النجاة التي تعلق بها الإرادة الوطنية في مجابهة مراكز القوى وكفالة شرعية الثورة حينما عهد الشعب الى الرئيس محمد أنور السادات بمسئولية الحكم •

الطبيعة العامة لورقة أكتوبر

ولعل طبيعة ورقة أكتوبر تبدو لنا أكثر وضوحا بعد هذا التصوير الخاطف لطبيعتي الميثاق وبيان ٣٠ مارس . وعلى وجه التعميم ، يمكن القول بأن ورقة أكتوبر قد جاءت بدورها تسجيلا للدروس المستفادة من ظرف معين هو ما ترتب على انتصارات أكتوبر العظيمة ، وتصورا لاستثمار هذا الظرف بتطبيقات لاحقة للمبادئ السابقة .

وثمة ما يخلق بنا التنويه عنه دفعا لما قد يتسلل الى الذهن من ليس . ذلك أن أبرز ما تتسم به طبيعة ورقة أكتوبر هي أنها تقوم أول ما تقوم على تنقية تجربتنا مما علق بها من سلبيات وقصور ، في حكمة بالغة بين تيار العمل الوطني وبين الظروف الجديدة التي أصبحنا نعيشها ويعيشها العالم من حولنا عموما ، والتي غيرت وجه التاريخ في مصر والعالم ولآجال طويلة بعد أكتوبر بوجه خاص ، مما قد يوحي عن تعثر في الفهم بأن ما أرسى قواعده ما سبقها من موانيق قد عفا عليه الدهر . وليس الأمر كذلك .

ان ورقة أكتوبر ان كانت بطبيعتها تسعى الى انتشارال الجماهير ماديا ومعنويا من عثرات الماضي ، فان من أكبر حسناتها اصرارها على ربط هذه الجماهير فكريا بما سبق الورقة من مبادئ ، ونظرتها الى موانيق الثورة على أنها لا تنسخ بل تكمل بعضها البعض ، لدرجة استشهادهما بما جاء بالميثاق في أكثر من موضع ، وتفسيرها ذلك بأن (تاريخ الأمم التي تتقدم هو التاريخ المفصل وليس المقطع الأوصال) . واذا كان هناك ما يجب أن نؤمن به بعد هذا ، فهو أن عجلة التطور ، ما كان منه بالأمس وما تنطلع اليه اليوم ، تجري بتداخل موانيق الثورة الثلاث ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر ، وأن التطورات ترتبط تبعا لتغير الظروف ببعضها البعض عضويا في تواصل وبلا ثغرات ، وأن الذين يجرحون الميثاق من ثم لا يخدمون ورقة أكتوبر ، والذين لا يحسنون فهم ورقة الميثاق من ثم لا يخدمون ورقة أكتوبر والذين لا يحسنون فهم ورقة أكتوبر لا يؤمنون بالميثاق .

وحتى ثورة ٢٣ يوليو لم تشجبها ورقة أكتوبر كما كان يتبادر الى الذهن القاصر ، ولم تجحدها أو تمسها بتجريح . واذا كانت الورقة قد وقفت من الثورة موقف التأييد والتمجيد ، فلعل مبعث ذلك حرصها على تقديم اجابة شافية ومسبقة لكل جدل أثير قبلها أو قد يثار بعدها

حول الأهداف الحقيقية لحركة التصحيح التي أمسك بزمامها الرئيس أنور السادات ، أو تصوير هذه الحركة على أنها حركة مستقلة جذريا عما قبلها .

ان ورقة أكتوبر عندما تعرض منجزات ثورة ٢٣ يوليو ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا ، بمثل الحرارة والوضوح اللذين يلمسهما المواطن وهو يستعرض الورقة بعمق وتفهم منزّه عن الهوى ، وعندما تطالب (أن يكون هذا العرض موضوع دراسة ولا سيما من الشباب الذين لم يعيشوا فترة ما قبل الثورة حتى يقدرُوا الأبعاد الحقيقية لما أنجزته ، فهي انما ترقى بثورة ٢٣ يوليو ، بعد الايمان بجوهر الرسائل السماوية ، الى مرتبة الدعوة لسلطة تحالف قوى الشعب العاملة لبناء الحرية والاشتراكية والوحدة ، وتهبط بمن يحاول الفصل بين ثورة مصر ومستقبل مصر الى مرتبة الافلاس الفكرى ، لسبب بسيط هو أن استقراء الخلفية النضالية للرئيس السادات ، يكشف عن ايمان هذا الانسان العربى الأصيل بالثورة التي شارك في تفجيرها ، وفى تحمل مسئولية أعظم القرارات خطورة قبل أن يمسك بيده زمام الأمر كله .

لقد كان للثورة فضل إرساء قواعد الحرية والاشتراكية ، ولكن ضمان استمرار واستقرار هذه القواعد يستلزم تطوير تطبيقها كى تسير من مرحلة ثورة الى نظام مستقر وطيد الأركان . واذا كان فى هذا ما ينفى تماما فكرة أن ورقة أكتوبر بطبيعتها قد هونت من شأن الثورة بطرحها سلبيات الماضى على الجماهير ، فإن الورقة لم يفتحها التنويه بما ترمى اليه من التنديد بهذه السلبيات ، بما قررته من أن هدفها هو (أن تصبح الثورة نظاما للحياة ومجموعة سائدة من القيم والمبادئ تستمد استقرارها من هندستها الداخلية وتناسقها الذاتى واتساعها لآمال الجماهير وجركتها وليس من اجراءات استثنائية تحميها) .

لقد تحدثت ورقة أكتوبر فى الباب الثالث عن مهام شتى ، بعضها ضخمة يرتب لمستقبل مصر سنة ٢٠٠٠ ، وبعضها يتناول المشاكل العاجلة للجماهير . واستقرأ سطور هذا الباب بين أن أهم الأسس التى سترتكز عليها استراتيجية العمل فى الجبهة الداخلية هي تحقيق هدفين ، أولهما العمل على تحرير الأرض وتأكيد الحق العربى ، وهما أعز أهداف ثورة ٢٣ يوليو ، والثانى بناء مصر الثورة على الأسس الاقتصادية بكل أبعادها أملا فى اللحاق بالعصر وتأكيدا لحق المواطن فى حياة كريمة تلبي بشعب تآكدت أصابعه ، مما يعتبر بدوره دعما لمبادئ الثورة وأخذها بمبادئها .

وتتخذ ورقة أكتوبر من انتصاراتنا برهاناً على أن تحركنا الثوري قد وصل الى قمته ، والى أننا قد استفدنا من أخطائنا فتعلمنا الدرس ، وعرفنا كيف نحسب الحساب ونرسم الخطط ، ونمسك بزمام المبادرة سياسياً وعسكرياً لأول مرة منذ قامت اسرائيل . وهذا صحيح ، فبعد التصميم طوال السنوات الست الحالية على تصحيح أخطائنا ، ويوم أدركنا بعد الحسابات الدقيقة أننا قادرون على استثمار هذا التصحيح ، أطلقنا في الوقت المناسب الشرارة لتؤتي ضوءها ، ولتقنعنا بأننا عندما نقرر أن نحقق شيئاً فإننا قادرون على تحقيقه . وعلى هذا الأساس رسمت ورقة أكتوبر للأجهزة التنفيذية أسلوب التحرك ، وحساب الحساب ورسم الخطة ، والامساك بزمام المبادرة ، حتى تتحرك كل هذه الأجهزة لتعوض للوطن وللجماهير ما فات خلال سنوات الكفاح والنضال .

لقد أتاحت لنا حرب أكتوبر فرصة لا تعوض لتحقيق تطوير حقيقي وفعال في موقفنا من عالم يحلق بسرعة هائلة الى القمر ويطوف بين الكواكب والنجوم ، دون لفطة الى الوراء للأخذ بيد من يقوته الركب .

ونحن لو أضفنا الى ذلك أن عناصر الاقتصاد العالمي تتغير بدورها بنفس السرعة وفي أكثر من اتجاه ، وأن الجمود في موقف حاضر أو الرضاء بواقع اليوم معناه التخلف عن عالم الغد ، لا تضح أنه لا مفر من تطوير عمليات (التطبيق) بالنسبة لكافة (المبادئ) التي اعتنقناها ورسخت في نفوسنا ، ليس فقط بالقدر الكافي للتغلب على السلبيات ، بل وأيضا بما يفسح لنا مكاناً بين ركب الحضارة العالمية .

ورقة أكتوبر تعتبر بطبيعتها هذه ، ليس فقط الثمرة الأولى والأساسية للنصر العظيم ، بل هي تجسيد أيضاً لروح السادس من أكتوبر ، يستهدف بالدرجة الأولى بث هذه الروح في كافة نواحي الحياة المصرية بما توجه الورقة الأنظار اليه ، عن صدق وعن حق ، من أننا (ما دمنا قد استطعنا في ساحة القتال ، فإنه يجب أن نستطيع بنفس المستوى في كل مجال) .

بهذه الروح تتألق ورقة أكتوبر بالجديّة التامة في انبثاقها من بؤرة الثقة الكاملة بالنفس ، لتجدد معالم الطريق الى استراتيجية دقيقة وشاملة لكافة الأجهزة تقوم على التخطيط السليم بعد الظرف الجديد . ولعلنا لاحظنا أن هذه العناصر الثلاثة ، الجديّة والثقة بالنفس والاستراتيجية الشاملة ، كانت نفس العناصر التي حققت لنا النصر في المجال العسكري .

ويبقى ما تجدر الإشارة إليه في صدد ورقة أكتوبر من حيث طبيعة بنائها . ذلك أنها لم تحاول أن تقسم موضوعاتها على نحو جامد اصطفاي يقيم بين هذه الموضوعات خطوطا جامدة ينقل القارىء عبرها من فصل الى فصل ، بل هى تركت نفسها على سجيته . ولذا فما لم يستعرض قارئها ما جاء بها ككل متماسك مترابط ، فسيتعذر دراستها ومن ثم تقييمها عن قصور فى استيعابها . مثال ذلك أن من يعنى بالفلسفة الاجتماعية سيظلم الورقة لو اقتصر على استعراض ما جاء بها تحت عنوان (التنمية الاجتماعية) ، وسيفوته الكثير مما تضمنته الأقسام الأخرى من كل ما يتصل أوثق الاتصال بالجانب الاجتماعى .

لقد أشارت ورقة أكتوبر بوضوح الى أنها (استراتيجية حضارية شاملة لبناء الدولة العصرية والمجتمع الحديث) . وهى بهذا الوصف وبسببه جاءت المشاكل متشابكة متداخلة ، نعرض الوضع أو تدلى بالرأى حيشا يجب أن يعرض طالما اقتضى السياق الفكرى الإشارة إليهما ، وبغض النظر عن العنوان الذى اختير لمادة القسم من الباب ، أو حتى الباب من الكل . ولعل فى هذا واحدا من الأسباب ، الى جانب السبب الرئيسى وهو أن الورقة فى حد ذاتها تعتبر احدى ثمرات حرب أكتوبر ، التى تحتم علينا القاء الضوء على الورقة على وجه الشمول فى هذا الفصل من الكتاب .

ورقة أكتوبر والتنمية الاقتصادية

تقول ورقة أكتوبر أن (التنمية بالنسبة لنا هى قضية حياة أو موت ، ونجاحنا فى معركة التنمية هو الذى سيحدد كل أوضاعنا المحلية والدولية) . ولا شك أن أولى دعائم هذه التنمية هى التنمية الاقتصادية بالذات ، كما لا شك أن اعتبار التنمية هدفا حيويا يعتبر فى حد ذاته تجسيدا للجدية فى معالجتها .

لقد كانت الحجة الأساسية التى ترددها الدول المتقدمة فى المؤتمرات الدولية الخاصة بالتنمية الاقتصادية للدول المتخلفة ، هى أن الدول النامية لا تعطى التنمية الاقتصادية أولوية أساسية بين أهدافها ، وبالتالي فإنها لا تستحق أن تنال أولوية قصوى من حيث الدعم الاقتصادى . ومن هنا كان أعلى ما يبعثه رنين ورقة أكتوبر من دقات أجراسها هو أن المهمة التى ينبغى أن تلى المعركة مباشرة ، بنفس قوة وحسابات وتصميم المعركة ، هى مهمة التنمية الاقتصادية ، باعتبارها (قضية حياة) تنبج

لنا أن تلج أبواب سنة ٢٠٠٠ ونحن في وضع أفضل ، أو (قضية موت)
يتركنا مترامين على أعتاب هذه السنة وما زلنا راسفين في أغلال التخلف .

لقد كنا في حاجة حقيقية الى التنمية الاقتصادية دائما ، ثم زادت
الحاجة الى هذه التنمية بسبب المعركة ضد العدوان . ويكفي أن نعلم أن
الاقتصاد المصري تحمل منذ ١٩٦٧ ما يزيد على ٥٠٠٠ مليون جنيه انفاقا
عسكريا مباشرة ، وما يقارب هذا المبلغ من الخسائر ومن فرص الربح
التي ضاعت بسبب العدوان ، كي ندرك معنى ما أفصحت عنه ورقة
أكتوبر من أن (التنمية بالنسبة لنا هي قضية حياة أو موت) .

ولقد كان يمكن التخفيف من وقع الآثار التي ترتبت على الانفاق
العسكري والخسائر وفرص الربح المضيعة ، وكلها عوامل طارئة على مجرى
التنمية الاقتصادية في الوطن ، لولا ما اقترن بهذه العوامل من عوامل
أخرى جانبية فادحة ، هي التخلف في عمليات الاحلال والتجديد في
المرافق الأساسية والوحدات الانتاجية والخدمات ، مما يضاعف من السبب
الضخم الذي يتعين على اقتصادنا حمله في المرحلة المقبلة في هذا المجال
وحده . فاذا أضيف الى ذلك أن التقديرات لحتميات تعمير المناطق التي
أصابها العدوان بشكل مباشر قد تجاوزت ٣٠٠٠ مليون جنيه ، لأدركنا
الحكمة فيما ذهبت اليه ورقة أكتوبر عن بعد نظر من (أن الرخاء يحتاج
منا الى عمل كثير طويل وشاق) ، وعن دقة موفقة في الحساب من أن
(السبيل الأساسي لمواجهة هذا كله هو الارتفاع السريع بمعدلات التنمية ،
فما نحققه من تنمية في عام يزيد من قدراتنا في العام التالي) وعن اصرار
وترشيد من أن (هدف الارتفاع بمعدل التنمية الى أعلى مما كانت عليه
قبل ١٩٦٥ هو الهدف الأول والحيوي والضروري في مرحلة التقدم
والبناء) .

وفي القائما الأضواء على مقومات التنمية الاقتصادية ، تشير ورقة
أكتوبر في أكثر من موضع من أقسامها الى التنمية الزراعية ، ولعل في
هذا ما يدخل الحيرة على نفس المواطن المصري الذي كادت تختتم على سمعه
صيحات الدعم الصناعي طوال مرحلة ما قبل المعركة ، وضرورة التركيز
على انهاء الجهد وبذل النفس والنفيس لانتاج ما بين الابرة والصاروخ ،
مما يقتضيها التطرق الى الوضع الزراعي في البلاد بنفس اليجاز .

لقد كادت تضيق في زحمة التصنيع الحقيقية الكبرى ، وهي أن
العبء الأكبر في قضية التنمية الاقتصادية عامة يقع على كاهل القطاع
الزراعي ، وأن على ما ينتجه هذا القطاع من فائض غلاته يتوقف الى حد
كبير تمويل القطاعات الأخرى وفي مقدمتها الصناعة .

لقد أصبحت مشكلة المشاكل التى نواجه الزراعة بعد التهاك بالدرجة الأولى على حركة التصنيع ، هى التفاوت الكبير بين معدل نمو الموارد الأرضية ومعدل نمو الموارد البشرية ، وفى بداية هذا القرن كانت مساحة الأرض الزراعية نحو خمسة ملايين فدان ، وكان عدد السكان وقتذاك نحو عشرة ملايين نسمة . وفى عام ١٩٥٢ زادت مساحة الأراضى المنزرعة الى ٨ره مليون فدان ، فى حين زاد عدد السكان الى ٢١ره مليون نسمة . أما اليوم فإذا كانت المساحة المنزرعة قد ارتفعت الى ٦ ملايين من الأقدنة ، فقد ارتفع عدد السكان فى نفس الوقت الى حوالى ٣٦ مليون نسمة . وبالحسابات التى آمن بنظريتها الرئيس أنور السادات وطبقها فى كل خطواته ، يمكن أن نرى كيف تهاوى نصيب الفرد من الأرض الزراعية عبر المراحل الثلاث من نصف فدان ، الى أقل من ثلث فدان ، فالى سندس فدان .

لقد تناثرت فى أبواب ورقة أكتوبر الآراء المعبرة عما يعتبره الرئيس أنور السادات من أمنيات النهوض بمستوى التنمية الاقتصادية مباشرة والانسان المصرى بالتبعية . على أننا لن يعيينا حصر هذه الأمنيات أولا فى توفير المزيد من الغذاء والكساء كما وكيفما يناسب المواطنين الذين يتزايد عددهم ويتزايد فى نفس الوقت معدل استهلاكهم ، وثانياً فى زيادة الصادرات حجما وهيكلًا مع خفض الب واردات بما يدعم الميزان التجارى ، وثالثاً فى تدعيم القدرة الشرائية للقطاع الزراعى باعتباره أكبر مستهلك للانتاج الصناعى مما يدفع عجلة التصنيع ويوفر بالتالى أكبر قدر ممكن من مستلزماته وخاماته ، ورابعاً فى توفير المزيد من فائض الدخل والمدرخات اللازمة لتمويل الانتاج والخدمات باعتبارهما عناصر أساسية فى التنمية .

وإذا كان هناك ما تمليه هذه الأمنيات فليس غير حتمية التنمية الزراعية لصالح التنمية الاقتصادية .

ولقد كانت هناك محاولات سابقة لدعم التنمية الاقتصادية عن طريق دعم التنمية الزراعية ، ولكنها كانت مبتورة وواهنة بدليل نظرة ورقة أكتوبر إليها على أنها من أوجه القصور الماضية ، وفى هذا الصدد يكفى أن نشير الى أن التنمية الزراعية الحققة فى تصور ورقة أكتوبر ينبغى أن تشمل مجالين رئيسيين ، هما التنمية الرأسية ، والتنمية الأفقية معا .

فأما التنمية الرأسية فيقصده بها زيادة الكفاية الانتاجية واستخلاص أقصى انتاج ممكن من الموارد الزراعية المتاحة ، مما يقتضى التخطيط والتنفيذ

على أساس واضح المعالم والحدود بعد الحساب الدقيق انذى أوصت به ورقة أكتوبر ، وباعتبار ان الزراعة هي أولا السبيل الى حياة أكثر رخاء وصناعة أرقى مستوى ، ونانيسا القوام لحياة سنه من كل عشرة من السكان . وأما التنمية الأفقية فيقصد بها زيادة مساحة الرقعة المنزرعة عن طريق استصلاح الأراضي ، بعد أن عجزت المحاولات في مواجهة التناقص المستمر في الأراضي القديمة ، وتدهور متوسط نصيب الفرد منها نتيجة للعمران وزيادة السكان ، لافتقارها الى دراسة المشروعات على أسس سليمة من الدقة والواقعية ، وتحديد الأهداف ووضوحها ، والمتابعة والتقويم السليم ، وترشيده العمليات وفق الأساليب العصرية .

وفي الحديث عن التنمية الاقتصادية نادى ورقة أكتوبر بما عرف باسم (الانفتاح) ، وهو الاصطلاح الذى أثار من التساؤلات بعدد ما آثار من آراء متضاربة .

لقد تقاعسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ عن التركيز على السلع الاستهلاكية ، وتحولنا بجهودنا الكاملة تقريبا الى المشروعات الطويلة الأجل والنسب قد تجيء بعائد كبير ولكن بعد وقت طويل . ولقد كان فى ذهننا ونحن نضع هذا التصور أن نبدا فى جنى ثمار هذه المشروعات بعد تحرير الارض ونجد القدرة بذلك على مواجهة أعباء ما بعد التحرير بعائد هذه المشروعات ، بما فيها مجمع الحديد والصلب ومصنع الألومنيوم وغيرها .

ثم جاءت ورقة أكتوبر لترسم للجماهير خطة العمل حتى سنة ٢٠٠٠ ، ونوهت بالانفتاح الاقتصادى كمشارك فى تحمل أعباء مرحلة ما بعد الحرب وحتى نهاية القرن العشرين . وإذا كان هذا الانفتاح لا يعتبر وليد اليوم ، اذ بدأ التفكير فيه والاعداد له منذ أوائل ١٩٧٢ فى تردد شبه معوق ، فان الثقة بالنفس التى أحييتها استراتيجيات حرب أكتوبر فانتهدت بنا الى الانتصار ، جعلت من الانفتاح الاقتصادى استراتيجية للتنمية الاقتصادية لا يعتورها الخوف الباعث على التردد .

لقد ثبت واقعا أنه ما من دولة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، تستطيع فى هذا العصر أن تعيش بمعزل عن المجتمع العالمى . وثبت أنه حتى لو استطاعت أية دولة أن تكفى نفسها بنفسها ذاتيا من الناحية الاقتصادية ، فان مثل هذه الدولة لو انعزلت عن العالم فسوف يقضى عليها بالتخلف أو على الأقل بالعرج المعوق . وإذا كان هذا صحيحا ، بدليل السوق

الأوروبية المشتركة ، والتبادل الاقتصادي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، فهو أكثر من صحيح بالنسبة للدول النامية باعتبارها أشد حاجة الى التعاون مع المجتمع العالمى فى كافة نواحي الحياة عامة ، وفى مجال التنمية الاقتصادية بوجه خاص ، حتى تلحق بالركب الحضارى بخطوة أولى ثم تسايره كخطوة أخيرة .

ورقة أكتوبر لا ترسى مبدأ جديداً على حياة الشعب الاقتصادية بهذا الذى تقرره من حتمية الانفتاح الاقتصادى ، بل هى تقرع الجرس لتنبيه الجماهير الى واحد من مبادئ الميثاق التى آمنت بها الجماهير ظل شسبه معطل ، هو (أننا نقبل المساعدات غير المشروطة والقروض ، كما نقبل الاستثمار المباشر فى النواحي التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة ونقول : هذا بالدقة هو خطنا) .

وإذا كانت ورقة أكتوبر فى هذه الناحية من تعاليمها قد نوهت بأن الانفتاح على العالم الخارجى لن يتأتى بعضا سحرية تحرر الاقتصاد والتجارة الخارجية من القبود ، ونقيم نظام التصدير والاستيراد على أساس تبادل دولى حر يراعى فيه نظام المدفوعات وسعر الصرف مع توافر الثقة فى الاسواق الخارجية باعتبارها المرآة العاكسة للمركز الاقتصادى وللقيمة الحقيقية للنقد فى المبادلات الدولية ، وإذا كانت قيمة الجنيه المصرى قد ارتفعت بعض الشيء بعد السادس من أكتوبر ، فقد حرصت الورقة على أن تربط ، وأن يكن تنويعها ، بين الانفتاح الاقتصادى وبين عوامل عدة فى مقدمتها ما قيل ، كطريق لتحقيق أهداف الورقة ، عن تعويم الجنيه المصرى ، فإن مثل هذا التعويم لا يجب أن يترك فيه الجنيه دون طوق نجاة .

وطوق النجاة هذا المحت اليه ورقة أكتوبر أيضاً وان يكون بطريق غير مباشر ، عندما نوهت بأن صادراتنا محدودة ، وأن حاجتنا شديدة الى الواردات الأجنبية التى تشمل ما بين رغيف الخبز والآلات وقطع الغيار ، ثم عندما نوهت الى ضرورة تحسين اقتصادياتنا وخفض مديونياتنا وزيادة انتاجنا . ولا شك أنه الى أن يكتمل البناء الجديد للهيكلة الاقتصادى ، وتتوافر تماما الثقة التى نادت بها ورقة أكتوبر ، فلن يتأتى لنا ترك الجنيه المصرى حراً فى المبادلة وقابلاً للتحويل كعملة قوية يساندها الاقتصاد الذى اتخذت منه الورقة أساساً للتنمية .

ورقة أكتوبر تصبم بالسخرية عقدة الخوف من الاستثمارات الأجنبية كطريق الى الانفتاح الاقتصادى ، وتزدري المتشككين فى جدوى

المساعدات الأجنبية • وإذا كان الميثاق قد نوه بأنه (بسيادة الشعب على أرضه واستعاداته لمقدرات أموره ، يمكنه أن يضع الحدود التي يستطيع من خلالها أن يسمح لرأس المال الأجنبي بالعمل في بلاده) ، أو إذا كان قد قرر عن ادراك (أن شعبنا في نظرتة الواعية يعتبر أن المساعدات الأجنبية واجب على الدول السابقة في التقدم نحو تلك التي ما زالت تناضل للوصول) ، فقد حسمت ورقة أكتوبر الأمر بأننا (نرحب بالاستثمار الأجنبي لما يحمله معه من معركة تكنولوجية متقدمة تحتاج إليها • وظروف عالم اليوم بعد إعادة تشكيل العلاقات الدولية ، وظهور افطاب دولية متعددة . والمكانة التي أصبحت لمصر والعرب بعد حرب أكتوبر . كلها أمور تتيح لنا فرصا للاستفادة من الاستثمار الأجنبي لا يمكن بأمانة الوطنية أن نضيعها) • ودفعنا لأي شك أو نشكيك فيما تشجه اليه ورقة أكتوبر ، طرحت الورقة الحقيقة التي تمخضت عنها ، ضمن ما تمخضت عنه ، انتصارات أكتوبر العظيم ، وهي (اننا قادرون على معرفة ما هو في مصلحتنا • ولا ينبغي أن تركبنا عقدة الخوف على أنفسنا) • كما أنها استدركت فصارحت العالم شرقه وغربه بحقيقة سياستنا الشجاعة المتحررة ، وهي (أن الانفتاح الذي أعلنه هو انفتاح على العالم كله ، شرقه وغربه ، لأننا ندرك تماما أن تنوع علاقاتنا الاقتصادية الدولية هو الأساس لحرية حركتنا السياسية) •

وتمة ما هو جدير بالوقوف عنده قليلا في صدر الانفتاح الاقتصادي عن طريق استثمار رأس المال الأجنبي ، وذلك هو ما قد يخامر الأذهان ، عن حسن أو سوء ظن ، من أن هذا الانفتاح يجب أن يرتبط بقوانين . هو أن عبرته ليست بالقوانين ، بل بالثقة بنا في أسواق المال الدولية ، أولا لجلبه وثانيا لحكمه • والجواب فيما يختص بجلب رأس المال الأجنبي . وهي ثقة تتوافر بتحقيق السلام في ربوعنا والاستقرار السياسي في علاقاتنا والتحرر التام لاقتصادنا • وإذا كانت فنادقنا قد غصت بعد انتصارنا بممثلي رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال من الأجانب ، فقد قبعوا في فنادقهم متريثين ينتظرون ، ويدرسون الأمور عن كثب ، ويكملون على الطبيعة ما ستنتهي اليه أمور مصر من حيث السلام والاستقرار والتحرر الاقتصادي •

كما أن الجواب فيما يختص بحكم رأس المال هذا وتطويعه لمصالحنا لا ترتبط عبرته بدورها بإصدار القوانين ، فهو سيدخل الى البلاد أما في صورة اعتمادات ائتمانية أو في شكل معونات • والقاعدة في مثل هذه الأمور أنها لن تعمر ، تلقائيا ، لغير الأمد القصير الذي نعتمد بعده على .

أنفسنا ومواردنا ، لسبب بسيط هو أننا بتنفيذنا لتعاليم ورقة أكتوبر بالحساب الدقيق والتخطيط السليم ، سيصبح اقتصادنا قويا ، فنحن لا نقبل أن نظل ، شعبا من السائلة عالية على الغير كما هو الحال بين اسرائيل والولايات المتحدة مثلا . ثم انه لا غضاضة فى تقبل أى اعتماد ائتماني أو معونة بعد ظروف قهرية كظروف الحرب وما سبقها من اعداد ، فاذا كانت أمريكا قد وقفت نفس الموقف مع أوروبا الغربية ، بما عرف باسم مشروع مارشال عقب الحرب العالمية الثانية ، فلقد كان ذلك لأمد قصير لم تجد دول أوروبا طوالة غضاضة من أى نوع ، بل هى ظلت راضية عنه سعيدة به حتى وقفت بإمكانياتها الخاصة عملاقا اقتصاديا وسياسيا بين العملاقين الأمريكى والسوفيتى .

وتبقى بعد هذا الدعامة الأساسية الثالثة التى حددتها ورقة أكتوبر .
كعنصر جوهرى من عناصر التنمية الاقتصادية ، وهى القطاعان العام والخاص .

وفى صدد القطاع العام ، تستشهد الورقة أيضا بمواثيق النورة ونرى أنها واضحة من حيث دعوتها الى التأميم الشامل والى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الأساسية . بل هى تشير أيضا الى بعض المبادئ الدستورية التى نقلها الدستور عن الميثاق ، والتى تؤكد أن الأساس الاقتصادى هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات .

والورقة لم تنزه القطاع العام عن سلبيات الماضى ، فهى تطالب القطاع العام بالمزيد من الترشيده ، والمزيد من الانطلاق ، والمزيد من التخلص من المعوقات والأساليب التى قللت من كفاءته ، حتى يقوى على أداء دوره فيما رسمته الورقة لمستقبل مصر خلال ما بقى من القرن العشرين ، وهو دورا يختلف اثنان فى مدى أهميته .

فى ظل سياسة الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص والقطاع التعاونى ، سيكون القطاع العام بحكم تكوينه الأداة الأساسية لتنفيذ أية خطة للتنمية ، وفى تولى المشروعات الأساسية التى لا يقوى على مثلها غيره بحكم التزامه المباشر .

ومن حيث التحرر الاقتصادى ، يعتبر القطاع العام الأداة الرئيسية لتعبير عن ارادتنا الوطنية فى تشكيل اقتصادنا القومى ، وليس هناك غيره ضمنا رئيسيا لأن تظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية . وتجسيدا لاستقلالنا الاقتصادى فى اطار القوانين الشابتة التى تكفل

الاستنفار بسائر القطاعات دون اللجوء الى اجراءات استثنائية بغية
كتلك التي كادت تودى بمصر والتي تم العدول عنها .

وارتكازا على قاعدة ثابتة خير ما يمثلها هو القطاع العام ، سيقوم
ضلعا التنمية الاقتصادية ، القطاع الخاص والاستثمارات الأجنبية .
بنشكيل المثلث الاقتصادي الذي لا غنى عنه لدولة نامية .

وأما في صدد القطاع الخاص ، فقد حرصت الورقة على ايتائه ما هو
حدير به من أهمية وما يجب أن يحظى به من اهتمام ، بما وجهت الأنظار
اليه من أن كل عمل جاد يستهدف التنمية يجب أن يدخل في حسابه
استثمار كل الموارد البشرية ، بالاستفادة من كل مبادرة فردية خلاقة
وقادزة على العطاء . وبتشجيع المدخرات على دخول ساحة الاقتصاد
الوطني . بعد أن طرحت مبادئ الميثاق من حسابها نظرية التأمين الشامل
وفصر الساحة على القطاع العام وحده .

واذا كانت ورقة أكتوبر قد ركزت على القطاع العام كقاعدة أساسية
للتنمية ، فقد أبرزت أهمية القطاع الخاص بما نادى به من ضرورة الوفاء
باحتياجاته وتوفير كل الظروف التي تشجعه على مضاعفة نشاطه
الانتاجي ، بعد أن تعاقبت عليه القرارات المتناقضة فصرفته الى
الاستثمارات الطفيلية ودفعت أصحابه الى أنماط استهلاكية مسرفة .

ورقة أكتوبر والتنمية الاجتماعية

نعتبر ورقة أكتوبر ، من حيث مادتها في جملتها ، (فلسفة للتنمية
دات وجه انساني) . واذا كان هذا هو الاصطلاح العالمي الذي يطلق
على الجهود التي تعتبر الانسان غايتها الأولى ، فان ورقة أكتوبر لم تتردد
في النظر الى الانسان (رصيدها الأساسي) على حد تعبيرها ، وتعتبره
الممثل للمستوى الحضاري من جهة ومستوى التقدم الوطني من جهة
أخرى .

وعندما تؤكد ورقة أكتوبر أنه (لا بد أن تلقى التنمية الاجتماعية
مصيبها الحق في استراتيجية الحضارة الشاملة) ، وأن (الحضارة الشاملة
لا يمكن أن تكون فنية اقتصادية خالصة ، بل لابد أن تكون اجتماعية
في نفس الوقت) ، فان استيعاب أوجه الحكمة في هذا الاصرار ، وفيما
طرحته الورقة كأهداف للتنمية الاجتماعية ، يقتضي استعراض بعض
جوانب الخلفية التي كانت تفتش ذهن صاحب الورقة وهو يصوغ ويقنن
أركانها .

ونحن فى هذا لن نعود الى بعيد ، اذ يكفى أن نلاحظ أننا فى خلال العشرين عاما الأخيرة كنا منهمكين فى عمليتين أساسيتين ، أولاهما التحرر من السيطرة الأجنبية ، وثانيتها التمهيد سواء من ناحية رأس المال أو الادارة أو العمل . ولقد كانت هاتان العمليتان فى مقدمة ما ركز عليه الميثاق من مبادئ ، كما أنه من الانصاف أن نعترف بأنه كان هناك تطوير دون ريب فى هذين الاتجاهين ، أتاح تكوين قاعدة السيطرة على دعائمه الفكر المصرى والارادة المصرية .

وعلى طول الطريق الى تكوين هذه القاعدة كان هناك التزام واضح ، اعتنقته القاعدة نفسها بعد تكوينها فى محاولتها تطبيق مبادئ الميثاق ، هو تحقيق عملية جديدة بالغة الأهمية اتخذت لنفسها بدورها اتجاهين أساسيين هدفهما الموازنة بين حاجتين ، أولاهما اشباع مباشر لحاجات الجماهير ، والثانية ارساء القواعد لمستقبل أفضل . وبمعنى آخر ، كان الجيل الحاضر يعمل لنفسه بمشروعات قصيرة الأجل سريعة العائد من جهة ، ويرسم خطط النمو للجيل التالى بمشروعات طويلة الأجل تؤتى أكلها بعد حين من جهة أخرى .

فأما من حيث اشباع حاجات الجيل الحاضر مباشرة وبالمشروعات قصيرة الأجل ، فيمكن القول بأننا قطعنا شوطا لا بأس به على طريق النجاح .

فالعامل والفلاح أصبحا يأكلان ويلبسان ويعيشان بوجه عام على نحو أفضل ، وأفراد الفئات الأخرى أصبح طريقهم الى تحقيق تطلعاتهم أكثر وضوحا مما كان من قبل ، الجميع بين عمال وفلاحين وفئات أخرى أصبحوا يحسون بأن لهم الحق فى العمل والكسب والمشاركة وزيادة الدخل وأداء دور فى المجتمع .

وأما من حيث تحقيق آمال المستقبل بالمشروعات طويلة الأجل ، فصفوة ما يقال هو أنه كانت هناك جهود وتضحيات قابلتها الجماهير بأمل فلسفى وصبر جميل ، ولكنها لم تؤت أكلها أو هى آتت به ولكن على غير ما كانت الجماهير ترجو وتأمل .

كانت هناك مشروعات الحديد والصلب ، والسد العالى ، واستكشاف البترول ، واستصلاح الأراضى ، ومجمعات الصناعات الثقيلة ، ومراكز ومؤسسات الانتاج الغذائى والكسائى والترفيهى . وكانت أهداف هذه المشروعات ليس فقط التنمية الاقتصادية ، بل التنمية الاجتماعية بالدرجة

الأولى ، ولكن ، الى جانب هذه المشروعات الضخمة وغيرها ، كانت هناك
فى نفس الوقت خسائر ، وانحرافات ، وحاجة ماسة الى الترشييد لوقف
التسيب والسلبيات من جهة ، وتحسين السلوكيات من جهة أخرى .

وبدأت تتراقص علامات الاستفهام فوق رؤوس الجماهير . هل نحقق
ما كنا نحلم به للمستقبل ؟ وما الذى لم يتحقق ؟ ولماذا لم
ينحقق ؟ وكيف السبيل الى تحقيقه ؟

وتتابعت التجارب لايجاد الحلول . وتتابعت بنتائجها القرارات تلغى
أو تعدل أو تضيف الجديد ، حتى أصبحت كشبكة أحاطت بالمواطن من
كل صوب ، فراح يدق أبواب وزارات الخدمات حائرا بحثا عن المرفق
المستول . أهى وزارة العمل ؟ أم وزارة الصحة ؟ أم وزارة
الثقافة ؟

وفى حمى تساؤلات المواطنين لأنفسهم (أين نحن) ، استقرت
الآراء كلها عند جواب واحد ، هو أن عناصر التطبيق لمبادئ الميثاق لم
تكن بالواضحة ولا بالمتكاملة ولا بالتناسقة ، وأن كل ما صدر من قرارات
كان مبعثه اجتهادات فردية متناثرة لا رابط بينها ، وأن كل شئ فى
حاجة الى اعادة التقييم . . . تقييم للصناعات ودورها فى الانتاج ، تقييم
للتعليم ، للخدمات الاجتماعية ، للثقافة . . . الخ .

تقييم لكل السياسات التى كانت تستخدم بين كل حين وآخر فى
مجال التنمية الاجتماعية للانسان المصرى ، وتقييم للمتغيرات التى شملت
العالم ولم نعرها نحن التفاتا ، ولوسائل التطبيق للمبادئ التى رسم
خطوطها الميثاق فجمع وأوعى .

وكان السؤال الجديد الذى أصبح يخامر الأذهان فى غلالة من الشك
والياس هو (هل نستطيع ؟) .

وجاءت ورقة أكتوبر لتحىيى الآمال بما بشرت به من أننا (ما دمنا
قد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع فى كل مجال) .
ولم تقل الورقة (اننا نستطيع) ، بل هى قالت (يجب أن
نستطيع) . وبمعنى آخر ، لم نقدم الورقة هذه (الاستطاعة) أملا
مجردا . بل هى قدمتها فرضا واجبا .

لقد اتخذت ورقة أكتوبر ما بين الريف والمدينة من فوارق اجتماعية
مثالا لتوانج سواء التطبيق لأعز مبادئ الميثاق ، الا وهو رفع مستوى

القرية اجتماعيا الى مستوى المدينة ، مما لا يأتى عن غير طريق رسم استراتيجية شاملة ومحكمة للتنمية الاجتماعية .

فى هذا الشأن قالت المادة السابعة من نصوص وثيقة التنمية الدولية (أن الهدف النهائى للتنمية يجب أن يحقق تحسينا مطردا لرفاهية الفرد وأن يعود بالنفع على الناس جميعا ، اذ أنه لو دامت الفوارق فى الامتيازات ، والتباين بين الشروات ، والظلم الاجتماعى ، فسوف تفشى التنمية فى تحقيق غايتها الأساسية) .

وبناء على هذا الذى حذرت منه وثيقة التنمية الدولية ، وكبرهان على أن التنمية أيا كانت معدلاتها وأيا كان نصيبها من النجاح لا تعتبر غاية فى حد ذاتها بل وسيلة لهدف أسمى ، نصت المادة الرابعة من دستورنا بتوجيه من مبادئ الميثاق ، على أن الأساس الاقتصادى (لجمهورية مصر العربية) هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل ، بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات) .

وانطلاقا من هذه النصوص السامية أكدت ورقة أكتوبر فى صراحة تامة (أن من حق الأقاليم علينا ، وهى التى ما زالت مصدر ثرائنا القومى الرئيسى ، ومنبع ذخيرتنا البشرية ، الا نتركها تقاسى من آثار ذلك الفاقد المستمر لحساب العاصمة المجرد أن العواصم بطبيعتها أعلى صوتا وأقرب الى عيون وآذان الحكام .

وبهذا النقد المذهب ألقت ورقة أكتوبر الضوء على التباين الفاضح بين القرية والمدينة وبين الريف والحضر .

هذا التباين يعتبر ظاهرة عاصرتها كل المجتمعات فى العالم النامى ، حيث تقوم المدينة كمجتمع استقطاب تشتد الحيوية فيه ، وتتسع الفرص لأوفى جزاء فى ظروف أشد راحة وأكثر رخاء . ولكن الظروف تغيرت فى العالم كله ، بحيث أصبحت الهجرة من الريف مصدر قلق تخشى الدول تفاقم خطورته لما يخلق من مشاكل نبهت ورقة أكتوبر إليها بقوة ووضوح ، واقترحت لها حلولاً تركت للمخططين تنفيذها وهم يرسمون الخريطة الجديدة لمصر .

لقد بذلت فيما مضى ، وعلى نحو جدى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو باعادة توزيع الأرض على الفلاحين ، ومحاولات للنهوض بمجتمعنا الريفى وتطويره اجتماعيا ، ولكن تلك المحاولات لم تحقق ما كان مرجوا من الآمال . وليس سرا أن السبب الأول كان مرجعه الى نسيان شاغلى مراكز

القوى وأصحاب السلطة وأولى النفوذ لمساقط رؤوسهم ، وتذكركم لأهلهم وذويهم ، وتركهم الريف مهملا لا يكاد يحصل على معشار ما كان يخصص لمراق العمران في الدولة كلها من أوجه الانفاق .

وهكذا حدث أنه في حين كان قانون الاصلاح الزراعي أول ما حققته الثورة تقريبا في سعيها لرفع مستوى التنمية الاجتماعية في البلاد ، بردها للفلاح شيئا من اعتباره ، وتحريره من الكبر مما رزح تحنه عبر قرون طويلة ، فقد أبت الانحرافات والسلبيات التي سادت البلاد طوال فترة من أقسى فترات ما بعد الثورة الا أن تحول ، ان عفوا وان عمدا ، دون التطبيق المثمر لأحد أهداف الثورة الستة وأحد مبادئ الميثاق في نفس الوقت ، الى أن جاءت ورقة أكتوبر لتضع للأمور حدا ، ولتوصي عن اصرار مبعثه الايمان بافساح مكان للريف في خريطة مصر المستقبل .

ونحن اذا كنا قد اخترنا من ريفنا المنهار صورة تبرز مدى الحاجة الى التنمية الاجتماعية الحقة ، فعلى أساس المبدأ الذي نادت بتطبيقه ورقة أكتوبر من أن استراتيجية العمل التي تنادى بها تهدف أساسا الى توضيق الفوارق بين الطبقات ، ولأن النجاح في تطبيق هذا المبدأ على النحو المرجو يهيئ للبلاد ، ريفا وحضرا ، فرصة متكافئة للانتفاع بما نوهت به الورقة من سبل النهوض بالتنمية الاجتماعية .

ولعل أهم ما نوهت عنه ورقة أكتوبر من السبل المشار اليها ، في صراحة ووضوح ، « مشكلة التعليم والتثقيف » . ولا مفر من الاعتراف . بأننا بقدر ما أسرفنا كثيرا في مجالات معينة ، بقدر ما قفنا على التعليم والثقافة اللذين كان المفروض أن يعطينا المحصلة الحقيقية للتنمية المنشودة في النهاية .

واذا كانت ورقة أكتوبر قد نصت بحق على أن العلم والثقافة هدفان . متلازمان ، ويتطلبان فهما أكثر عمقا مما تعودنا ، كما يستوجبان إعادة النظر في استراتيجتهما وفلسفتهما ، فلأنهما في العالم كله على وجه التعميم ، وفي الدول النامية بوجه خاص ، يمران اليوم بأزمة خطيرة مردها ما بدأ ينبثق من تساؤلات مستمرة حول تبرير الأموال الطائلة التي تنفق فيهما ، بالقياس الى العائد منهما ، وما بدأ يشير الحريجون أنفسهم من شكوك عندما يجدون أنفسهم ضائعين في سوق العمل ، ويلبسون على الطبيعة الفارق الشاسع بين حقائق الأمر الواقع وبين نطاعات الشباب العريضة . كما تتزايد هذه الشكوك من جهة أخرى ،

عند تقييم اسهام التعليم فى عملية التنمية ، أو دور المعلمين فى بناء حضارة المجتمعات •

أن ما نلمسه اليوم يبرز بقوة انعزال معاهد التعليم عن حاجات البيئة ، وانفصام المناهج والبرامج عن متطلبات التنمية ، والاندفاع المقلق نحو اغراق ساعات العمل المكتبى بفيضان من الزاهدين فى العمل اليدوى . وإذا كان هناك من سبب فهو اندفاع المجتمع ، تحت ضغط عقد النقص الذى أورثتنا اياها عهود الاستعمار الوافد من الخارج والاستعباد الذى كان منتشرا فى الداخل ، نحو لون من التعليم النظرى خصصت له الحكومات المتعاقبة نسبة عالية من ميزانياتها المحدودة للتوسع فى اقامة المدارس والمعاهد والجامعات التقليدية •

ثم ترتب على التهام هذه المدارس والمعاهد والجامعات للجانب الأخر من ميزانياتنا المحدودة ، أن أصبحنا اليوم أمام متناقضات تعارض ما نص عليه الميثاق والدستور من أن التعليم حق لكل مواطن . بعد أن انقلب الهرم التعليمى رأسا على عقب بشكل ضيق من قاعدته وأوسع من قمته . بسبب حرمان الغالبية العظمى من أبناء الشعب من حقهم المشروع فى حد أوفى من التعليم ، وارتفاع الأمية تبعا لذلك الى نسبة مخيفة لجزء ارضاء رغبات قلة محدودة دون مبرر عادل أو سبب معقول •

هكذا استحوالت شعارات مجانية التعليم وديمقراطيته الى مجرد لافتات زائفة • ولعلنا نلمس أننا بذلك كنا نمضى بالفوارق بين الطبقات صعدا بدل أن نقضى عليها اذابة أو حتى تضييقا •

وصحيح أنه كانت هناك محاولات لاعادة الهرم التعليمى الى وضعه الصحيح ، بقرارات لمحو الأمية تحددت لها أكثر من مدة زمنية ، ولكنها كانت مشروعات على الورق ولا تحقق غرضا ولا نوصل الى حل مجد . فى نفس الوقت الذى واجهت فيه الحكومات الجيش تلو الجيش من خريجين لا يحتاج الى أكثرهم المجتمع ، لتجد نفسها مضطرة الى فرضهم بقرارات رسمية على مختلف الوزارات والمؤسسات ، فحملت الميزانيات أعباء ثقالا ، وأنزلت بأداة العمل أضرارا معوقة ، وتسببت فى رفع تكاليف الانتاج •

لهذه الأسباب وما ماثلها حرصت ورقة أكتوبر على سرد عناصر استراتيجية التعليم والتثقيف ، كاستجابة صريحة للشعور العام بالحاجة الماسة الى ثورة اصلاحية جريئة ، بعد أن فشلت كل الوسائل الارتجالية

المؤقتة في الماضي ، وبعد أن انتهت تلك الوسائل الى تجريج مبادئ الميثاق والدستور ، وعرقلة مجرى التنمية وشل حركة التفكير العام ، وابعاد السواد الأعظم من أبناء الشعب عن الاسهام الواعي المستنير في مجريات الأمور ، وتمكين الأقلية من النحكييم في مصائر الأكتيرية دون حق أو تفويض .

ولهذه الاسباب أيضا عنيت ورقة أكتوبر بأكثر ما عنيت . بطرح ما يكفي لاقالة العثرة القائمة حاليا من مبادئ سامية في تعبيرات صريحة ، مل (زوال المسافة بين الفكر والعمل ، لايجاد الفرد المتعلم المستنير) ، (عدم صبب التعليم في قوالب واحدة) ، (ربط أنواع معينة من التعليم بالبيئة) ، (توثيق الصلة بين الجامعات والمعاهد على اختلافها وبين مواقع العمل) ، (القضاء على فكرة الفارق الاجتماعي بين تعليم وتعليم) . (الأخذ بما أصطلح على تسميته بنظرية التعليم المستمر) ، وهكذا .

بل لقد ذهبت ورقة أكتوبر في عرضها لمبادئ التنمية الاجتماعية عن طريق التعليم والتثقيف الى ما هو أبعد ، بطرحها مبادئ أساسيين . فالورقة أولا تعتبر أن (الانفاق على البحت العلمي التكنولوجي بمثابة الاستثمار في صناعة ثقيلة ، لأنه استثمار لا يساعد فقط على التنمية في المستقبل القريب ، ولكنه يضمن استمرارها وتساعد معدلاتها في المدى الطويل) . وهي ثانيا تطلب (أن يستهدف البحت العلمي والتكنولوجي تطويع التكنولوجيا المستوردة للواقع المصري وأن يكتشف حلولاً لمشكلاتنا المحدودة) . وبذلك العبارات المقتضبة بلورت الورقة خلاصة أحدث ما انتهت اليه بحوث المتخصصين من رجال العلم والاجتماع والاقتصاد ، كما لم يفتها التحذير من أن يجعل منا التطبيق عبداً للآلة ، أو أن نغفل عن تنادى التطبيق العفوى أو الجزافي للتكنولوجيا على نحو يحرمانا من أن نكون سادة أنفسنا .

ورقة أكتوبر لا تخلع هذه الأهمية الكبيرة على التعليم والتثقيف لغاية مجردة ، بل لغرض أسمي هو ايجاد رصيد من القوى البشرية ذات القدرة على تحقيق مطالب البلاد في التنمية ، بدليل اعتبارها الانفاق في هذا السبيل (بمثابة الاستثمار في صناعة ثقيلة) ، مما يجرنا الى القاء نظرة على نوع استخدامنا للقوى البشرية التي قدمها لنا التعليم والتثقيف حتى الآن . ولنسوف ترسم أمامنا صورة مفزعة حقا .

سوف نرى دون حاجة الى حسابات أو تقييم أننا قد أسأنا استخدام هذه القوى . فعندما نلاحظ أن هناك حشدا كبيرا من مهندسى البترول وخريجي كليات الزراعة مثلا لا مكان لهم فى ساحة العمل ، فى نفس الوقت الذى تلح حاجتنا فيه الى عمال البناء والخبرات الفنية والادارية ، فان ما سوف نستخلصه من هذا لن يكون الا أن هناك خللا فى استخدام الطاقة البشرية التى هى فى الأصل عماد الدولة الأساسى . كما أننا عندما نلاحظ أن الدول العربية فى حاجة ماسة الى مدرسين للغة العربية ، وأننا عاجزون عن سد هذه الحاجة لدرجة المساومة فى عددهم وتوزيعهم مما يعنى أننا لا نملك منهم العدد الكافى ، واننا فى نفس الوقت نقرر أن يعود المعار منهم بعد ثلاث أو أربع سنوات كى يعطى الفرصة لزميل له مما يعنى أن هناك فائضا من المدرسين ، فان معنى هذا بدوره أن هناك خللا فى البناء وفى التخطيط . والخلاصة أن النوعيات التى يجب توافرها غير موجودة ، وأن هناك سوء توزيع للعمالة .

هذه الحقيقة لمستها ورقة أكتوبر . ولم يكن اعنباطا أو رمية بغير رام أن تقول الورقة فى موضع منها أن (لا بد أن تستهدف سياسة التنمية الاجتماعية توفير أكبر قدر ممكن من فرص العمل) ، أو أن تقول فى موضع ثان أن (القوى العاملة التى تزيد عن فرص العمل المتاحة لا بد أن تنظم الدولة ظروف عملها فى الخارج على النحو الذى يحفظ كرامة المواطن ويصون قيمة عملهم ، أو أن تلج فى موضع ثالث فى (أن تتفرغ لجنة عليا لاعادة توزيع العمالة فى كل أجهزة الدولة بحيث لا تبقى أماكن تشكو اكتظاظ العمل وأماكن يشكو المواطنون من تأخير مصالحهم فيها لقلة العاملين) .

وتفاهم أوضاع العمالة عندنا يجعل من تنفيذ ما تطالب به ورقة أكتوبر مهمة شاقة وخطيرة ، خصوصا بعد أن عولج الأمر حتى اليوم معالجة أشبه بالهواية ، أن كان قد عولج حقا . والمشكلة أن كانت تبرز كأحد أركان استراتيجية التنمية عندنا فسيكون لها انعكاس واضح على كثير من أركان الاستراتيجية الشاملة التى توحى ورقة أكتوبر بأن تكون الموجه لسياستنا فى التصنيع والزراعة والتعليم والتدريب ، بدل الحلول الأشبه بالمسكنات التى سادت الموقف طوال ما قبل أكتوبر فلا هى استأصلت الداء ولا هى قضت على جرثومة التخلف ، بل اكتفت بشعارات خادعة مؤداها أن ميادين العمالة خارج حدودنا كفيلة بامتصاص الزائد عن حاجتنا من الخريجين الى أمد غير محدود ، أو أن سياستنا فى فرض العمالة الزائدة على وزاراتنا ستحقق الفرص وترضى طموح المتعلمين وتطلعاتهم .

ورقة أكتوبر والديمقراطية السياسية

من ثنايا ما استعرضناه حتى الآن مما رسمته ورقة أكتوبر لاستراتيجية الغد ، نستطيع أن نرى أن الهدف الذى لا خلاف عليه هو الانسان المصرى الآمن على يومه وغده ، المتمتع بالفرصة المتكافئة ، صاحب الحق السياسى فى بلده دون رادع الا القانون . واذا كانت ورقة أكتوبر قد اتخذت من الانسان المصرى محورا للمرجاء والأمل ، فلأنه صاحب الحق فى الاضطلاع بالمهام الأساسية ، وصاحب الحاجة بالتالى الى الظروف المواتية التى تتيح له بالفعل أن يخلق عالمه الأفضل .

وهذه الظروف لن تتاح له ما لم تتح له قبل ذلك حياة ديمقراطية سليمة . واذا كانت ورقة أكتوبر قد طالبت ضمن ما طالبت به أن تتوفر للمواطن المصرى تلك الحياة الديمقراطية ، فلأنها فى الواقع لم تتوفر له بالدرجة الكافية من قبل ، رغم ما نص عليه الميثاق ونص عليه الدستور من كل ما يجعل من الديمقراطية أمرا حتميا .

أن الحقائق العلمية المسلم بها فى علم السياسة وعالمها أن الديمقراطية لا تتحقق بمجرد وجود دستور مكتوب أو وثيقة عليا مهما أطلق عليها من تسميات . ومن المسلم به أيضا فى هذا المقام أن وجود مؤسسات سياسية أو دستورية لا يشكل وحده الضمان الكافى لقيام واستمرار النظام الديمقراطى . ولذا لم يحظ الانسان المصرى بالحياة الديمقراطية السليمة التى تتيح له صوغ عالمه الأفضل .

لقد هيأت لنا التجربة المصرية عناصر القوة الموصلة الى الديمقراطية السياسية فى مجموعة من القيم والعلاقات كان المفروض أن تكون ضمير المستقبل وحكمه . فمن هذه العناصر أولا الادراك العميق واليقظ لأهمية التنمية الشاملة كقضية حياة أو موت ، وثانيا الادراك بأن هدف التنمية النهائى يجب أن يكون خدمة القاعدة الاجتماعية الأوسع ، وثالثا الرؤية الواضحة لدور القاعدة الشعبية باعتبارها أداة صنع المستقبل التنفيذية ، ورابعا الوعي الكامل بأننا جزء من العالم وليسنا فبه مجرد موقع أو مكان .

ولكن عناصر القوة هذه سارت الى جانبها عناصر قصور حالت عن حسن أو سوء نية دون بلوغ الهدف ، منها أولا المفارقة ما بين الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية السياسية التى لم يتحقق لها الكثير ، وثانيا المفارقة بين حق الفرد أو الصفوة فى الاختيار السياسى نيابة عن الأمة وحق

الأمة في الزام الفرد أو الصغوة باختياراتها ، وثالثا المفارقة ما بين القدر
الهائلة لمؤسسات السلطة التنفيذية ، والحرمان من ثقل مناسب تناله
مؤسسات التمثيل الشعبى والسياسى .

وفيما بين عناصر القوة وعناصر القصور ، وبعد ما انتهت اليه التجربة
المصرية من الافتقار الى الديمقراطية السياسية الحقة التى تطالب بها اليوم
ورقة أكتوبر ، يثبت لنا بالقطع أنه (لا ديمقراطية بدون ديمقراطيين) .
وأن الديمقراطية تتطلب كشرط مسبق وأساسى أن تكون السلطة
السياسية وديعة بين أيدي من يؤمنون بها ويدافعون عنها ، وأن يكون
مسند السلطة فى الأمة هو ارادتها ومشيتها النابعة عن الأمة بأسرها وليس
عن قطاع خاص تحتكره مجموعة معينة عن اعتقاد باطل بأن كراسى السلطة
حق مكتسب لها .

كل هذا أمنت به ورقة أكتوبر كما يمكن ان نستشف من بين سطورها
فى أكثر من موضع . وكل هذا رسمت له الورقة العلاج الحق فى أهداف
عشرة تعطى لقوى المجتمع متحالفة حقها السياسى دون خوف من انقضا
قوة على أخرى . فالورقة تلزمنا بالحفاظ على الاتحاد الاشتراكى إطارا لحوار
قوى المجتمع السياسية ، ولا تحول دون أن يكون للرأسمالية الوطنية
منبرها وبرنامجها داخل التحالف ، بل هى لا ترى بأسا فى أن يكون لقوى
الشعب الأوسع منبرها وبرامجها أيضا على أن يكون ذلك بالحوار وليس
بالانابة .

وفى نفس الوقت ، توصى ورقة أكتوبر بأن يتهيأ لمؤسسات التمثيل
الشعبى ، وهى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ، دور أكثر توازنا مع
مؤسسات السلطة التنفيذية . وأن يتحقق للمثقف المصرى دور المشاركة
عن طريق المجالس القومية ، ليس فقط كمجرد خبرات مجمعة وإنما أيضا
كأجهزة استقبال لتطلعات مختلف طوائف الشعب التى تنظمها النقابات ،
حتى تكون بمثابة لجان مركزية لمؤتمرات المهنيين كل فى تخصصه ، وحتى
يتحقق ما هو مرجو من التواصل بين التخطيط وحقائق الواقع .

ورقة أكتوبر وسيادة القانون

لقد فطر الانسان على عشق الحرية . تسكره رباحها ، ويشعر فى
طلها بمثل تبشير دفء الربيع ، وتقوى فى نفسه بفضلها عوامل الأمل .
ولقد تتطلب الحرية خيالا لارتياذ آفاقها ، ولكنها لا تقوم بالقطع على

الأوهام • فلكى يخلق المجتمع على جناح الحرية فى السماء ، لا بد أن تركز
حرية الى قاعدة راسخة فوق الأرض •

وإذا كان من المؤكد أن انتهاك حرية الانسان لا يحتمل التبرير فى
أى ظرف وبأية دعوى ، فانه فى نفس الوقت يتعارض مع كل المثل المعصرة ،
ومع كل نظريات وفلسفات التحرر على اختلاف محتواها الاجتماعى ، ولعل
هذا وأمثاله كان السبب فى واحد من الفلسفات الست التى قامت عليها
ثورة ٢٣ يوليو وهو اقامه مجتمع حرصت الثورة على أن تقرن فيه الكفاية
بالعدل • وبهذا جعلت الثورة من العدل ركيزة للحرية فوق الأرض أودعت
ميزانها ، كما هو الحال فى كافة المجتمعات قديمها وحديثها وأيا كانت
مبادئها ، يدا واحدة هى يد القانون • ولعلنا نلاحظ بذلك مدى الرابطة
التى لا انفصام لها ، والتى توثق ما بين الحرية وسيادة هذا القانون •
فهل حظى القانون دائما بسيادته هذه ؟ •

أن ما من واحد فينا الا ويكتنز فى ذهنه صورة أو أكثر من صور
انتهاك القانون ، أو الشرعية ، أو حرية الانسان • وما من واحد فينا الا
ويعلم أن سجون أجهزة القمع ومعتقلات السياسيين وغرف الاستجواب لم
نخل من جرائم اكتشف بعضها ولم تكتشف خبايا بعضها الآخر بعد •
وأن حيننا من الدهر غير بعيد أتى على مصر لم يكن المواطن المصرى فيه يشعر
بأمن من أى نوع على نفسه وماله بدعاوى ظاهرها الحفاظ على مسار مبادئ
الثورة وباطنها التشبث بمراكز القوى • ظاهرها الايجابية وباطنها
السلبية • وهى حقيقة دفعت الرئيس أنور السادات الى اجراء حركة
التصحيح على أسس جوهرها ازالة مراكز القوى (حفاظا على ايجابيات
الماضى وتصحيحا لسلبياته) وإذا كانت سنوات الهزيمة قد حالت دون
السير فى الأمر قدما لسبب أو لآخر ، فقد جاءت ورقة أكتوبر بعد النصر ،
وبعد أن عرف الشعب نفسه ، لتلقى بزمام الأمور جميعا فى يد هذا
الشعب ، دون أن تضن عليه بالأضواء التى تمكنه من التخطيط لاستراتيجية
شاملة ينهض عن طريقها بشأن نفسه الى حيث يجب أن يكون •

ترفض ورقة أكتوبر رفضا قاطعا الوقوف عند حد تنحية مراكز القوى
عن الطريق ، وننادى بانطلاق حركة التصحيح (الى تحقيق جوهرها
الأهم ، بالعمل على ارساء سيادة القانون ، واعزاز كلمة القضاء) •

وقصة شجب سيادة القانون ودحر كلمة القضاء تقدم صورة من
أكثر صور الانحراف ودوس الحريات سُناعه فى العهد الأخير ، كانت
ولا شك فى ضمير صاحب الورقة بشفاصيلها المزرية ، كما كانت الدافع

الى اعتباره سيادة القانون واعزاز كلمة القضاء جوهرها حركة التصحيح هدفه اقالة عشرات قضاء الحريات .

ونحن اذا تحدثنا عن قضاء الحريات فانما نعنى بذلك القضاء الادارى لمجلس الدولة ، فقد كانت المحاكم العادية منذ قيام القضاء عام ١٨٧٥ والقضاء الأهلى عام ١٨٨٢ ممنوعة بموجب قوانين انشائها من تاويل قرارات جهات الادارة ومن وقف تنفيذها أو الغائها ، ولم تكن نملك ازاءها غير الحكم للمضروور بتعويض لم يكن مهما بلغ مقداره بالوسيلة المثلى لاهالة الحرية الشخصية أو الحريات عموما .

كان يكفل هذه الحريات ويصونها تحويل القضاء ولاية الغاء القرار الادارى اذا كان فيه انتهاك أو تهديد لهذه الحريات . وكان مجلس الدولة قد اضطلع بممارسة هذه الصلاحية منذ انشائه عام ١٩٤٦ الى جانب صلاحياته الأخرى فى الافتاء والتشريع . وكان لأحكامه التى استهل بها عهده فى حماية حقوق الموظفين والهيئات صدى بت الطمأنينة والارتياح فى نفوس جميع فئات الشعب ، بما جعل منه ملاذا لكل لاجئ وحصنا حصينا للحريات . بل لقد بلغ سلطان مجلس الدولة الى حد بسط رقابته على القوانين الصادرة عن البرلمان والسلطة الشرعية ، ففضى فى أحكام متتالية خالدة ترجع الى عام ١٩٤٨ باختصاصه بفحص القوانين من ناحية ومطابقتها لأحكام الدستور شكلا وموضوعا من ناحية أخرى ، نصا وروحا . حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو لتفتح بقيامها الثغرة التى حمت فتحتها المتغيرات والتى تسلت خلالها مراكز القوى تنشر بين الناس أوبئتها .

ولسنوات عدة كانت هناك شرعيتان متناقضتان . شرعية كانت وظلت فى ظل الدستور الملكى قائمة ، وشرعية الثورة التى تحولت الى حركة تغيير شاملة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا . ولقد أدرك مجلس الدولة ذلك من أول الأمر ، فحاول جاهدا التوفيق بين الشرعية القائمة ومتطلبات الحركة الجديدة . ولم يكن التوفيق سهلا وسط سلسلة المتناقضات ، وفى ضرورة التقيد بمواد الدستور الملكى بما كان له من شرعيته وقديسيته ، فى مواجهة ثورة تبغى الإبقاء على نفسها وترفض بطبيعتها القيود والحدود .

ووجد مجلس الدولة حلا مؤقتا لذلك فى ازدواجية التشريع
نشرع عادى يصدره مجلس الوزراء فى شكل مراسيم وقوانين منسوبة خطأ أو صوابا الى ما نص عليه الدستور الملكى فى صدد التشريع فى غياب البرلمان ، ثم استنادا الى نظرية الضرورة بعد اعلان سقوط ذلك الدستور ،

ونشره آخر ثوري في صورة (أوامر) أو (بيانات) كانت تصدر عن مجلس الثورة أو من القائل العام للقوات المسلحة وتعتبر بطبيعتها ومن حيث مصدرها بمنأى عن الرقابة القضائية فلا سيادة للقانون عليها .

ونستدرك فنقول ان ما كان يصدر عن الثورة كان أمرا محتوما . فالثورة كان يجب أن تحمي نفسها أولا ، وتطبق المبادئ التي قامت عليها ومن أجلها ثانيا . ولذا لم يكن هناك مفر من تغاضي القانون عن أوامر وبيانات الثورة رغم ما كان لها من أثر بالغ الخطورة في حياة البلاد . كإعلان سقوط دستور ١٩٢٣ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ، وإعلان حل الأحزاب والهيئات السياسية في ١٧ يناير ١٩٥٣ ، وإعلان الدستور المؤقت لفترة الانتقال في ١٠ فبراير ١٩٥٣ ، وإعلان النظام الجمهوري وسقوط حقوق أسرة محمد علي في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وإعلان مصادرة أموال الملك السابق في سبتمبر ١٩٥٣ ، وإعلان مصادرة أموال أفراد الأسرة المالكة السابقة وممتلكاتهم في ٨ نوفمبر ١٩٥٣ ، وغير ذلك من إعلانات ختمت الثورة صدورها كي تشق بها الطريق إلى غاياتها ، إلى أن جاء أخيرا إعلان الدستور المؤقت في ١٠ فبراير ١٩٥٣ ليقرر (أن يتولى قائد الثورة في مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير التي يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها) .

واتسعت الشجرة التي أتاحت لبعض القوى وسائل الانحراف ، فقد كان معنى هذا بلغة القانون أن تلك التدابير لا تخضع لرقابة القضاء من حيث إمكان طلب الغائها أو حتى استحقاق التعويض عنها ، رغم ما كان القضاء قد استقر عليه سابقا من أن الحرمان من الإلغاء والتعويض معا أمر لا تملك السلطة التنفيذية فرضه حتى ولا بقانون ، والا كان ذلك القانون باطلا لمخالفته للمحق الطبيعي الذي كفلته جميع الدساتير ، وهو حق الانتصاف بالبلجاء إلى القضاء .

وهكذا أقر المجلس مستسلما صحة العديد من القوانين المانعة من حق التقاضي ، أو التي أخرجت من ولايته القضائية رد الحقوق المهددة إلى أصحابها وأسندت التظلم فيها إلى جهات لا يتوافر لها ما يتوافر للتقاضي أمام جهات القضاء فضلا عن أنها نفس الجهات التي أهدرت الحق مما يجعل منها خصما وحكما .

وهكذا ، وسط تغول السلطة الإدارية وتساعد نفوذها وجبروتها ، وانكماش الحماية القضائية وضمورها ، ضاعت الشرعية وتبخرت سيادة القانون ، وتحكمت الغزوات والاهواء ، وانتهكت الكرامات والحريات ،

وحرست أو صودرت الأموال ، وضربت القيود على الحفوف ، بل و...
تسلم قدسية القضاء ذاته من الاعتداء لدرجة أنه أمكن بجرعة قام احاطه
العديد من خيرة رجاله الى التقاعد وعلى نحو لم يسبق له بدوره مثيل .

وعندما تنصح ورقة أكتوبر بأنه (لا بد أن يزول الخوف ، وأن نخفي
بدور الشك ، وأن تتراجع الحزازات والأحقاد ، وأن يحس كل فرد أنه آمن
على يومه وغده ، وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله) . عندما تنصح الورقة
بهذا فانما تقصد بذلك دون شك ما عرف باسم (الحراسات) التي أنزلت
أفدح الضرر بالفرد وأهله وماله . وأفقدته الشعور بالأمن على يومه وغده ،
بعد أن ابتدعنها مراكز القوى اضطرابا في أول الأمر ثم تنفذها لمخاطبها
في العمل على تفويض وحدة الأمة بدافع من الحزازات والأحقاد .

ويبرز فداحة شأن الحراسة هذا ، منذ فرض في أكتوبر ١٩٦١
وما تلاه من حراسات على الأموال والممتلكات ، لو علمنا أنه طبق على
١٥٥٨٠ حالة تأثر بها ما يربو على عشرين ألف نفس بين رجال ونساء
وشيوخ وأطفال . تم يبرز مدى مخالفة هذا النظام لروح العدالة والانصاف
لو علمنا أنه حتى الدول المعادية لنا وجدت من العدالة والانصاف رادعا
عن فرضه علينا .

فالتاريخ يروى أن الجنرال مكسويل ، عقب اعلان الحماية على مصر
أثناء الحرب العالمية الأولى وبصفته حاكما عسكريا ، فكر في فرض الحراسة
على أموال وممتلكات أسر بعض من شايعوا الحديو السابق عباس من المصربين
فنفوا الى خارج البلاد ، مستندا في ذلك الى ما أتبع أزاء رعايا دولتي ألمانيا
والنمسا ، ولكن حسين رشدي باشا ، رئيس الوزراء وقتذاك ، اعترض
استنادا الى أن الحراسة بمفهومها في القانون العام لا تفرض الا على رعايا
دول الاعداء وفي حالة الحرب ، وأن المصريين لا يعتبرون أعداء لبلادهم .

والتاريخ يروى أن الجنرال اللنبي طلب في عام ١٩٢٢ فرض هذه
الحراسة على أموال وممتلكات سعد زغلول وأصحابه الذين نفوا الى جزيرة
سميشل . ولكن لويد جورج ، رئيس الحكومة البريطانية في ذلك الوقت ،
رفض ذلك استنادا الى نفس المبدأ مما دعا السلطة العسكرية الى الاكتفاء
بالنحفظ على حسابات البعض في المصارف والبنوك لفترة انتهت بالافراج
عن المنفيين في سبتمبر ١٩٢٣ .

ولهذين السببين على الأقل كانت الحراسة التي فرضت عام ١٩٦١
لا تعبدو بدعة سياسية ما أنزل القانون بها من سلطان ، لسبب واضح

مصر بعد العبور - ١٩٥٦

ومنطقي هو أنه لأول مرة في تاريخنا يفرض المصري الصميم هذا النظام المقيت على ابن حلدته المصري الصميم ، وكأنه عدو ، كي يجد من فرضت عليه الحراسة نفسه مع زوجته وأبنائه محروما بين عشية وضحاها من كافة وسائل العيش وأسباب الحياة •

وحسب السادس من أكتوبر ، رغم محاولات التصفية لأكثر من مرة ، ظلت الحراسات على الأموال والممتلكات قائمة بمآسيها ومخازيها التي كشفت عنها لجنة الاقتراحات البرلمانية في تقريرها الخطير بمجلس الشعب ، ورغم أن ما انتهت إليه هذه اللجنة كان يدين في صراحة تامة نظام الحراسة على الأموال والممتلكات •

قالت اللجنة في تقريرها أنه (حينما صدر دستور ١٩٦٤ كان من الميعين تصفية نظام الحراسات ورد الأموال والممتلكات الى أصحابها في حدود ما نص عليه الميثاق ، غير أن مراكز القوى في ذلك الوقت والتي كان تتبوأ برئاسة الوزارة ، رأيت أن خير تصفية للمحراسات هي مصادرة الأموال بالقانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ الذي انعقد قبل انعقاد مجلس الأمة مباشرة • وترى اللجنة ان هذا القانون قد جاء مخالفا للدستور ، بل لجميع المبادئ الدستورية التي أجمعت على حماية الملكية الخاصة) •

ثم قررت اللجنة أنه (اذ ينص دستور مصر الدائم على حماية الملكية الخاصة مسترشدا في ذلك بالميثاق الذي سبق صدور هذا القانون ، فان اللجنة ترى أن هذا القانون باطل ويتعين الغاؤه والغاء كل ما ترتب عليه من آثار وأوامر وقرارات) •

ويجرنا ما نبين من بطلان القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ الى التنويه بما كان عليه الكثير من القوانين من فوضى أساءت الى سمعة التشريع في البلاد ، مما دفع ورقة أكتوبر الى الحث على (وضع الضوابط التي يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ، ويمارسها في طمأنينة) •

استجابة لأهواء مراكز القوى ، لم يكن التشريع يتفق في الشكل ولا في المضمون مع سمو رسالته وجسامته مسئوليته ، أو يصدر بهدف تحقيق مصلحة عامة عن طريق تنظيم أحوال المجتمع الذي يخطئه وتسوده أحكامه • والى جانب العبث الفاضح الشائن الذي قضى على مستقيمين مواطنين ضابط ، والبطلان الواضح في القانون ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ سالف الذكر ، حفلت تشريعات ما قبل السادس من أكتوبر بالكثير من الحالات حلا فيها لأصحاب الأمر والنهي أن يعفوا أنفسهم من رقابة القضاء ، وحرمان أفراد

الشعب بالتالى من ضمانه أساسية يدافعون بها عن حق مسلوب أو طلم نزل بهم ، كما فيما تضمنته بعض القوانين من تحصين قرارات فصل الموظفين بغير الطريق التأديبى من رقابة القضاء على مشروعيتها ، وما جرى من هذا القبيل فى شأن قوانين وقرارات الحراسات التى سبق أن أشرنا إليها .

وزاد من الأمر سوءا على سوء ، صدور التشريعات بتوجيه من فئة بعيدة عن روح العدالة والقوانين هى التى كانت تحتل مراكز القوى . وبأسراف تمشى مع تقلب نزواتهم وتصاعد مطامعهم وتشعب أهوائهم ، حتى لقد بلغت التشريعات التى صدرت فى عام ١٩٥٥ ستمائة وخمسين قانونا بخلاف مائة وواحد وثلاثين أمرا عسكريا . ونحن لو عرفنا أن ما صدر من التشريعات بعد ذلك بخمس سنوات ، وفى عام ١٩٦٠ ، بنح مائتين وثمانية وأربعين قانونا بالاضافة الى ألفين ومائة واثنين وثلاثين قرارا جمهوريا ، للمسنا كيف أن الاسراف فى اصدار التشريعات كان متصلا على نحو تاه فى تلافيفه المواطن وضاعت بين ثناياه حقيقة المقصود من التشريع بسبب ما كان يعقبه من الغاء أو تعديل بالحذف أو الاضافة .

بل تعدى العتب بالتشريعات ، الى الجانب السياسى من حياة الفرد ، واحدا من أعز أركان الحرية هو حرية الرأى ، الأمر الذى ندد به الرئيس أنور السادات فى ورقة أكتوبر بقوله (اننى أومن بأنه لا معنى للحرية السياسية بالنسبة للجائع الذى يضطر الى بيع صوته فى الانتخابات ، ولكنى أومن أيضا بأنه لا جدوى للقيمة العيش اذا فقد الانسان أهم ما يميزه وهو الحرية السياسية) .

لقد صدر الميثاق ليكون بمثابة عهد أو اتفاق بين مختلف قوى الشعب على أن تعيش معا فى سلام ، داخل اطار حوار ديموقراطى هدفه الوصول الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، وقد اتفقت هذه القوى على أن الحل الاشتراكى هو الحل الحتمى المحقق للهدف . ومن هنا يختلف الاتحاد الاشتراكى عن التنظيمات السياسية الأخرى فى أنه تنظيم ديموقراطى يقوم على الانتخاب ، وأنه منبر لأراء مختلف قوى التحالف وليس رأى طبقة بعينها من مختلف طبقات الشعب . فهل تركت مراكز القوى لتحالف قوى الشعب حريته السياسية فى ممارسة حرية رأيه داخل الاتحاد الاشتراكى ؟

لقد تحولت عضوية هذا الاتحاد السامى الغرض ، وهى اختيارية أصلا ، الى نوع من العضوية الاجبارية نتيجة ادخال صيغة تكاد تكون

واحدة على كل قوانين النقابات المهنية ، هي أن العضوية العاملة شرط للترشيح لمجالسها * بل لقد تطرف القانون الخاص بنقابة المهن الزراعية مثلا فاعتبر العضوية العاملة شرطا لحضور جلسات الجمعية العمومية ، ولترشيح مجالس التشكيلات النقابية العمالية والجمعيات التعاونية الزراعية *

وفانون بنظم الصحافة ، الصادر في ظل الاتحاد القومي ، وهو تنظيم سياسي يختلف مفهومه عن الاتحاد الاشتراكي ، ظل حنى السادس من أكتوبر يتطلب الحصول على ترخيص من الاتحاد الاشتراكي لمزاولة مهنة الصحافة دون الاكتفاء بالقيود في نقابة الصحفيين ، كما ظل في حاجة الى الحصول على ترخيص باصدار جريدة دون الاكتفاء بالشروط التي يفرضها قانون المطبوعات *

وحتى قانون مجلس الأمة السابق لم يكتف بالعضوية العاملة في الاتحاد الاشتراكي كشرط للترشيح ، بل ذهب الى المطالبة بتقديم شهادة بذلك دون اكتفاء ببطاقة العضوية *

والنتطاعات الشعبية لا يخدم أوارها في النفوس عن رغبة في الانتماء أن لم يكن الى مجلس الأمة فالى الصحافة أو مجالس النقابات * واذا كان الطريق الى أى منها بابه العضوية العاملة في الاتحاد الاشتراكي ، فلا مفر من العضوية الجبرية في الاتحاد الاشتراكي ، والاتحاد تحت سيطرة مراكز القوى ، وقبول العضوية مشروط بقبول ما تقبله مراكز القوى ورفض ما ترفضه * والنتيجة أن تنطلق الأفواه في مجلس النواب ومجالس النقابات ، والأقلام في الصحافة ، مرددة ما تريد مراكز القوى ترديده عن مشايعة تكسب منها الأفواه والأقلام أو على الأقل لا تضار ، فالمضرة لن تقع الا في حالة واحدة هي ابداء صاحب الرأي لرأيه الحقيقي *

ولا نقول أن هذا كان شأن كل أعضاء مجلس الأمة أو مجالس النقابات أو ساحة الصحافة ، ولكن على هذا النحو كان عدد كبير من الأعضاء في الميادين الثلاثة * وعلى هذا النحو بالنال انفتح الباب على مصراعيه للنفاق السياسى ، وأصبح من المألوف أن يكون لنفس الشخص رأيان ، أحدهما معلن في الاجتماعات العامة يتشدق بالاشتراكية وحقوق الجماهير وبأنه ليس في الامكان أبدع مما كان ، والآخر وقف على المجالس الخاصة لا يكف عن الانتقاد * كما أنه على هذا النحو أصبح اصطلاح حرية الجماعة شعارا زائما اختاره الطغاة لخنق حرية الفرد *

وبسبب هذه السلبيات فى نظام الاتحاد الاشتراكى والتى مس
تنظيمه ، بل ومفهومه . فقد شفع الرئيس محمد أنور السادات ورقة
أكتوبر بورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى وقدمها الى الأمة فى أغسطس
١٩٧٤ .

وعلى ضوء ما ورد بهذه الورقة بزغت ظاهرة صحية نعر عن حرية
الرأى وحرية الفكر ، بين الفئات التى تناولتها بالمناقشة والاستماع
والنقد . وفى هذا المجال ترددت فى مصر نغمة لم يسمع بها شباب الثورة
وتوارت تحت الانقراض منذ زمن ، تلك هى نغمة احياء تشكيل الأحزاب ،
وتحويل الاتحاد الاشتراكى الى حزب اشتراكى . سواء باطلاق حرية تكوين
الأحزاب السياسية ، على العموم ، أو بالتمسك بتكوين حزبين فقط بغرض
وجود الرأى المعارض دائما ، لترشييد المجتمع الى أخطائه .

ورقة أكتوبر وتطبيق المواثيق الأساسية

بورقة أكتوبر ، بعد أن أدلى الشعب برأيه فيها على نحو الذى افتتحنا
به هذا الفصل من كتابنا ، تخرج الى حيز وجودنا وثيقة تحكم سياستنا
المستقبلية ، وعهد بالانجاز والممارسة يلتزم به المواطنون كما تلتزم به
أجهزة الدولة .

لقد كانت مواثيق الثورة التى صدرت قبل ورقة أكتوبر بخضع
لظروف العمل الوطنى ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، وترسم الطريق
أمامه . أما ورقة أكتوبر فتتميز بأنها تنظر الى ظروف العمل الوطنى نظرة
أعم وأشمل ، وتعتبر أن كل عمل وطنى داخل أية دولة من الدول ،
والظروف الدولية المحيطة بالدولة ، لم يعد قادرا على أن يتجاهل ما يجرى
حوله من متغيرات ، بعد أن أصبح للقوى الخارجية عسكрия وسياسيا
واقتصاديا دورها الأساسى فى العلاقات الدولية المباشرة وغير المباشرة ،
وبعد أن لم تعد أية دولة تملك العيش بمعزل عن هذه الظروف ، أو أن
تتغاضى عن المواءمة بين حركتها فى كافة المجالات وبين حركة الدول الأخرى
القريبة والبعيدة على السواء .

وهنا تبرز الميزة الكبرى لورقة أكتوبر . فهى ان كانت قد عرضت
على وجه الدقة ظروفنا وامكانياتنا ، وأكدت أن مصر تعتبر (قوة اقتصادية
وسياسية وعسكرية لها وزنها ويعمل حسابها) ، فهى لم يفتها شرح
المتغيرات كما لم يفتها رسم الطريق لها فى اطار الحفاظ الكامل على مبادئنا
النابعة من وحى اخلاقياتنا .

ومن جهة أخرى ، اتسم عرض المسائل الشائكة المعقدة التي حوتها ورقة أكتوبر ، كورقة عمل ، بالصراحة والشجاعة والنقاء النام من السياسيات ، دون محاولة للتحلل من المسئولية عن أخطاء الماضي ، أو تردد في تأكيد العزم على تصحيح ما فسد وتقويم ما أعوج منذ بدء التجربة الثورية عام ١٩٥٢ .

وبنفس الصراحة والشجاعة مضى الأفراد ومضت أجهزة الدولة في تطبيق مبادئ ورقة أكتوبر ، فسقطت قرارات فرض الحراسة على الأفراد ، والغيت الرقابة على الصحف ، وفتح باب القصر الجمهوري لكل نظم ، وبدأت إعادة النظر في وضع الاتحاد الاشتراكي ، وباختصار ، بدأ (التطبيق) السليم لمبادئ الميثاق وبيان ٣٠ مارس في ضوء المتغيرات الجديدة ، بعد أن عبثت مراكز القوى بكل مبدأ تقريبا .

تقول الورقة على لسان الرئيس محمد أنور السادات (ان شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج لوصاية أحد) . ولقد يادر الشعب بالبرهنة على صحة رأى الرئيس ، بمبادرته الى ارساء القواعد ، والتخطيط للاستراتيجية الشاملة التي رسمت صورتها في الأذهان ورقة أكتوبر .

القسم الخامس

على أبواب الجّولة الخامسة

الفصل الأول

النضال السلمى

• حي على السلام

السلام كالحرية •• يؤخذ ولا يعطى •

والسلام هو الحق ، سبحانه وتعالى •• والانسان من روح الله ،
فيها أيتها الحروب ، كم من الأرواح زهقت بسببك !؟

« والاستراتيجية » هي الأهداف العليا •• أما « التكتيك » فهو
الوسائل اللازمة للوصول الى هذه الأهداف والتي يلزم لتحقيقها
الايمان بها مع سرعة الحركة ومواكبة الظروف والمرونة المطلقة ، لمجابهة
المواقف بجرأة وشجاعة ومقدرة •• هذا بجانب سرعة المناورة والصبر
على تحمل مشاق الطرق الوعرة • ولا يمكن أن تتحقق الأهداف دفعة
واحدة ، بل يلزم لتحقيقها التمسك بعنصرين أساسيين هما : الوقت
والصبر •

ولم تخرج هذه المبادئ ، عن بعض الصفات التي كان يتسم بها
الرئيس السادات المخطط لاستراتيجية السلام المصرية ، والذي اختار
طريق الحرب لفتح السبيل نحو السلام العادل الدائم لمصر وشعوب
المنطقة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين ، والقضاء التام على مشاكل
الشرق الأوسط •

• استراتيجية السلام المصرية

تقول الحكمة الصينية القديمة :

« رحلة الألف ميل ، تبدأ بخطوة واحدة » •

وكما يقول المثل التركي :

« طالما أنت تمشي فالطريق لا ينتهى » •

أما إذا توقفنا عن السير وانتابنا الخوف أو أجبرنا على الخوف ،
«فان التوقف فى منتصف الطريق ، أشبه بمن يسير وهو واقف ويدور
حول نفسه •

ولذلك ، بدأ الرئيس السادات التحرك ، باسم الشعب المصرى
الذى يؤيد ويدعم موقفه - للخروج على السلبية السياسية ، التى يدور

- حولها كثير من أصدقاء مصر ، الذين ينادون بشعارات براقة ، ويتسترون بغباء الماضي ويدورون حول أنفسهم دون أن يحققوا هدفا يخرجهم من مشاكلهم .

فقد ظلوا سادريين في حوارات جوفاء بلا طائل ، ولم يفكروا أبدا في تخطي حواجز التخلف التي انكسرت منها زوايا الرؤية الصحيحة . حتى نسوا - أو تناسوا - فضائل مصر .

وكان على مصر ، أن تتحرك بحرية ومرونة دون أى معوقات أو خوف .

ووضعت مصر خطة العمل السياسى المكثف الشاق ، بكل صراحة . رئيسها السادات وصدقته ووضوحه وقوة إيمانه بالحق والعدل .

وتتلخص عناصر الموقف المصرى لتحقيق الأهداف العربية فى :

١ - أن تكون التسوية شاملة .

٢ - أن تستعيد الشعوب العربية ، جميع أراضيها المحتلة منذ عام ١٩٦٧ .

٣ - أن تضمن حقوق الشعب الفلسطينى ، باعتبار أن المشكلة الفلسطينية هى جوهر النزاع .

٤ - أن تتيح لجميع دول وسعوب المنطقة ، أن تنعم بالأمن والأمان داخل حدودها .

وانطلاقا من نصر أكتوبر المبين ، ارتكزت استراتيجية السلام المصرية ، على أسس وخطوط واضحة هى :

١ - دعم القوة الذاتية المصرية ماديا ومعنويا .

٢ - كسب الرأى العام العالمى إلى جانب مصر .

٣ - تشجيع الاتجاهات التى تتماشى مع الجهود المصرية الصادقة من أجل السلام العادل والشامل .

٤ - تحقيق المشاركة الكاملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى كان طابع مواقفها الدولية ، التحيز الكامل للمواقف الاسرائيلية .

٥ - تجاوز الخلافات الناشئة فى العالم العربى التى تعوق مسيرة السلام . تلك المسيرة التى تؤدى بالإمة العربية الى كل ماتصبوا اليه من أهداف .

استقطاب القوة المؤثرة

من المسلم به ، أن الولايات المتحدة الأمريكية ، نساند اسرائيل في جميع عناصر بقائها ، حيث شئت الصهيونية العالمية أن يكون . . لأنها الحليفة المفضلة التي ترتبط بها بقران أبدي لا انفصام فيه . . .
ومن نافله القول ، أن يتخيل الى سياسى محنك ، أنه من الممكن أن تتخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن اسرائيل ، أو حتى تدير ظهرها اليها ، لأن الاعتراف بالدولى بدولة اسرائيل ، فد أوجدها على خريطة منطقة الشرق الأوسط .

وذلك ما تعلنه دائما وتجاهر به الولايات المتحدة الأمريكية في كل وقت ومكان . وهو ما صرح به الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى فى كتاب استراتيجية السلام (عام ١٩٦٠) ، فجاء رأيه فى موقف دول الشرق الأوسط ، كالآتى :

(ان طبيعة الشرق الأوسط فى الأجيال القادمة سيحددها عامل لم يكن موجودا منذ قرن مضى ، وهو دولة اسرائيل . ولقد حان الوقت الذى ينبغى فيه أن تدرك المنطقة ودول العالم ، أن اسرائيل قد وجدت لتبقى . ويجب أن تشمل كل المفاوضات بين الولايات المتحدة والعرب هذه الحقيقة) .

ويقول الرئيس السادات :

(فى حرب أكتوبر وضحت الحقيقة وهى أن القوتين العظميين فى هذا العالم لن يسمحا بأن يتغير الوضع قبل اسرائيل) .

وعليه ، ومن نفس هذا المنطلق ، تأسست رؤية الرئيس المصرى محمد أنور السادات عند شق الطريق نحو السلام الشامل الراسخ . واستند التحرك المصرى الدولى ، على هذا العامل ، الذى يمثل واقعا لايمكن تجاهله أو إسقاطه ، لتحقيق استراتيجية السلام المصرية .

مسيرة مبادرات السلام

وتوالى المبادرات السلمية السياسية ، على مدى احدى عشرة سنة ، انطلاقا من وقت قبول القرار ٢٤٢ (سنة ١٩٦٧) ، الى التعاون مع جوناثان يارنج فى جهوده لتنفيذ هذا القرار ، الى قبول مبادرة روجرز ، الى حرب رمضان / أكتوبر المجيدة ، الى مبادرات السادات للسلام العادل الدائم الشامل ، الذى حققته اتفاقيتى كامب ديفيد (سنة ١٩٧٨) .

وكانت مصر تواصل العمل من أجل تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط ايماناً منها :

- بالمبادئ التي قامت على أساسها هيئة الأمم المتحدة .
- ومبادئ مجموعة عدم الانحياز ، وقد أسهمت مصر في ارسائها ، والتي تنادي بعلاقات دولية عادلة ، في اطار تحرير الشعوب واستقلالها ، وفي مواجهة تقلب العلاقات بين القوى العظمى .
- وتعتبر حركة عدم الانحياز ، الطريق الوحيد لضمان أمن وسلامة دول العالم الثالث في مواجهة سياسات التكتل والأخلاف والاستقطاب .
- مبادئ منظمة الوحدة الأفريقية .
- قرارات مؤتمرات القمة العربية .
- ان حرب رمضان / أكتوبر لم تنشب فقط من أجل حل القضية المصرية الاسرائيلية ، بل أيضا لحل الصراع العربي الاسرائيلي ، واستخلاص الحقوق العربية المشروعة بما فيها الحق الفلسطيني .

ولاتقل معركة السلام ضراوة عن معركة القتال وكذلك كانت ادارة معركة السلام ، تحتاج الى نفس المقومات التي تحتاجها معركة الحرب ، كالقوة والشجاعة والمرونة وغيرها من العناصر التي تتكون منها مبادئ الحرب .

وولت مصر السادات جهدها ، نحو قبلة السلام . ونورد فيما يلي أبرز الخطوات التي مهدت لتحقيق السلام الشامل ، القائم على العدل ، والذي يكفل له الدوام والاستقرار .

١ - مبادرة السلام الأولى (٤ فبراير ١٩٧١) :

قال الرئيس السادات بعد تسلمه مهام الرئاسة بأربعة أشهر ، أن جمهورية مصر العربية تعتبر نفسها ملزمة بمسئولية واحدة لا بديل لها ، وهي تحرير جميع الأراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ . وأن الالتزام المقدس لكل أمة ، هو التزامها تجاه حريتها في اطار مبادئ القانون الدولي ، وعلى أساسه فان عليها أن تحتفظ لنفسها بحرية وحق التصرف فيما تواجهه .

كما أعلن قائلا :

(اننا نضيف الى كل الجهود الرامية الى حل الأزمة ، مبادرة مصرية جديدة ، نعتبر العمل بمقتضاها ، مقبسا حقيقيا للرغبة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن .

اننا نطلب أن ينحقق فى هذه الفترة التى نمتنع فيها عن إطلاق النار ، وقد حددتها الرئيس بالآ تزيد عن ثلاثين يوما من انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الشاطئ الشرقى لقناة السويس ، وذلك كمرحلة أولى من خلال جدول زمنى وضعه بعد ذلك ، لتنفيذ بنود القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . وإذا تحقق ذلك فى هذه الفترة ، فاننا على استعداد للبدء فوراً فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس ، وإعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة ننقل جهود السفير جونار يارنج ، ومن الألفاظ الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الأمن) .

(. . . لقد أدينا واجبنا تجاه العالم وتجاه السلام . بأقصى مانسطيع . ولقد حان الوقت الذى يجب أن يؤدى فيه غيرنا ، واجبه تجاه العالم والسلام) .

وكان السادات يوجه كمنه عبر حدود مصر ، مخاطبا الضمير العالمى بتقديم هذا العمل الذى يعود بالنفع العميم على كل الدول التى تأثر اقتصادها بإغلاق قناة السويس بسبب العدوان .

وفى أول مايو ١٩٧١ . . حدد الرئيس السادات مفهوم الانسحاب الجزئى المقترح فى مبادرته ، بأنه تحرك اجرائى مرتبط بالحل الكامل على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بكل بنوده وأدله الانسحاب من جميع الأراضى التى احتلت أثر العدوان وفى ٥ مايو ١٩٧١ . . طلبت مصر أن يتم الانسحاب على مرحلتين :

— الأولى : انسحاب القوات الاسرائيلية ، الى خط يمتد من العريش الى رأس محمد . . ثم يبدأ العمل فى تطهير قناة السويس .

— الثانية : انسحاب اسرائيل ، الى الحدود الدولية ومن غزة . على أن يتم تحديد موعد لانتهاه من كل مرحلة .

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧١ ، وأمام مجلس الشعب ، حدد السادات بأن الانسحاب يشمل الأرض المصرية وكل الأراضى العربية المحتلة . . وأنه لابد من عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية لقناة

السويس ، تحقيقا للسيادة المصرية على أرضها . . وأن وقف إطلاق النار المقصود في هذه المبادرة يجب أن يكون محددا بما لا يزيد على ستة أشهر والا فان غير ذلك معناه القبول بوقف إطلاق نار دائم .

٢ - المبادرة الثانية (١٥ فبراير ١٩٧١) :

وفيها اعلنت مصر - مرة أخرى - عن استعدادها لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل ، اذا أوفت بالتزاماتها في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

ووجه ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، الى المندوبين الدائمين لمصر واسرائيل ، مذكرة بشأن الخطوات اللازمة لتحقيق تسوية سلمية يقبلها الجانبان ، وفقا للقرار رقم ٢٤٢ ، طلب فيها أن تتعهد اسرائيل بالانسحاب الى الحدود الدولية ، مقابل نعهد مصر بعقد اتفاقية سلم مع اسرائيل .

ووافقت مصر على ما جاء بالمذكرة ، بينما رفضت اسرائيل . وفي ١٣ ديسمبر ١٩٧١ ، صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، باستنكار عدم امتثال اسرائيل لمبادرة السلام ، التي قام بها المبعوث الخاص للسكرتير العام ، لافزار سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط بينما عبرت عن تقديرها لرد مصر الايجابي .

وعلى ذلك ، كان على مصر مواصلة استعداداتها لتجهيز قواتها المسلحة في سرية مطلقة ، على أعلى مستوى من الاعداد للحرب ، وخوض معركة المصير . وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وعبرت القوات المصرية قناة السويس وحطمت خط بارليف ، وأحرزت النصر لمصر والعرب .

٣ - المبادرة الثالثة (١٦ أكتوبر ١٩٧٣)

بينما كان القتال مستمرا ، في معارك شرسة ، كفلت النصر المحقق للقوات المسلحة المصرية ، أعلن السادات في مجلس الشعب ، يوم ١٦ أكتوبر ، مبادرته الثالثة للسلام والذي قال فيها :

١ - اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التي أمسك بها الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . ونحن في هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة في الجمعية العامة ومجلس الأمن .

٢ - اننا على استعداد لقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولى ، الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

٣ - اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل الاراضى ، أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة . وسوف أحاول جهدى أن أقنع به رفاقى من القادة العرب المسئولين مباشرة عن ادارة الصراع مع العدو ، كما اننى سأحاول جهدى أن أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى ، وذلك لكى يشارك معنا ومع مجتمع الدول ، فى وضع قواعد وضوابط السلام فى المنطقة ، يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

٤ - اننا على استعداد (هذه الساعة بل هذه الدقيقة) أن نبدأ فى تطهير قناة السويس ونفتحها أمام الملاحة الدولية ، لكى تعود الى أداء دورها فى رخاء العالم وازدهاره . ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس هيئة قناة السويس ، بالبدء فى هذه العملية غداة اتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة . وقد بدأت بالفعل ، مقدمات للاستعداد لهذه المهمة .

★ ★ ★

وفى ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر ١٩٧٣ ، صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، الداعى الى وقف اطلاق النيران ، فى مدة لاتتجاوز ١٢ ساعة ، وذلك فى المواقع التى احتلها كل طرف . على أن تبدأ المفاوضات فورا ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وقبلت مصر القرار فى نفس يوم اقراره .

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ ، صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٤ ، أعرب فيه عن أمله فى أن تحرز مباحثات السلام فى جنيف . تقديما سريعا نحو اقرار السلام المنشود .

واتفقت الأطراف على أن يرأس هذه المباحثات ، كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، بجانب الموافقة على مناقشة اشتراك دول أخرى من الشرق الأوسط فى المرحلة الأولى للمؤتمر .

وفى ١٨ يناير ١٩٧٤ ، تم توقيع الاتفاقية المصرية الاسرائيلية الأولى بشأن فك الاشتباك فى منطقتى سيناء والجولان .

مصر بعد العبور — ٤٨١

وفى أول سبتمبر ١٩٧٥ ، وافقت مصر واسرائيل على اتفاقية فك الاشتباك الثانية فى سيناء .

وقد نص فى كل اتفاقية ، على أن كلا منهما تشكل ، فى اطار مؤتمر السلام خطوة نحو سلام نهائى عادل ودائم وفقا للقرار رقم ٣٣٨ .
وقد ترتب على هاتين الاتفاقيتين : اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية . . واسترداد بعض حقول البترول فى سيناء . . وتحول الموقف الأمريكى بالنسبة للفلسطينيين .

٤ - البيان الأمريكى - السوفيتى

لعقد مؤتمر جنيف للسلام

(٢ أكتوبر ١٩٧٧)

كان سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية ، وأندرية جروميكو وزير الخارجية السوفيتى ، يرأسان مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الأوسط .

وعندما نبادلا وجهات النظر بشأن الموقف غير الآمن فى منطقة الشرق الأوسط ، أصدرنا بيانا باسم دولتيهما ، بأن كلا منهما مقتنع بأن المصالح الحيوية لشعوب هذه المنطقة ، تحتاج بصفة عاجلة الى تقوية السلام ، وتحقيق تسوية عادلة ودائمة ، للصراع العربى الاسرائيلى ، ومشكلة الشرق الأوسط .

على أن تضم التسوية جميع الأطراف المعنية لحل كل المسائل المتعلقة مثل : انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ . . وحل المشكلة الفلسطينية وضمان الحقوق المشروعة للفلسطينيين . . وانهاء حالة الحرب وانشاء علاقات سلام طبيعية على أساس الاعتراف المتبادل ، وذلك من خلال المفاوضات فى اطار مؤتمر جنيف للسلام ، على أن تبدأ أعمال المؤتمر فى وقت لايتجاوز ديسمبر ١٩٧٧ .

كما أوضح البيان بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مستعدان للمساهمة فى ضمان القرارات النهائية للمؤتمر .

وقد باءت محادثات السلام فى جنيف بالفشل ، لما تعرضت له من مناورات وتعويق وتسويق من الطرف الاسرائيلى ، مما أدى الى أن .

يعلن السادات عن عدم استعداد مصر ، لتكرار مؤتمر نزع السلاح الذي استمر خمسة وعشرين عاما ، وأن مصر تريد أن تذهب الى مؤتمر جنيف للاتفاق الكامل على مضمون الحل ، بعد التخلص من اثاره التفاهات المعوقة .

ولم تسفر المباحثات عن أى شىء يذكر .

وفى ٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، أعلن الرئيس السادات ، أمام مجلس الشعب أنه مستعد للسفر الى آخر هذا العالم ، ومستعد للسفر الى اسرائيل لمناقشتهم فى الكنيست بشأن السلام العادل الدائم .

وأصدر مجلس الشعب بيانا جاء فيه :

(ان مصر التى تقدم هذه المبادرة ، لتثبت لهذا الجيل والايال القادمة ، أننا فى سبيل السلام ، لم نجد بابا موصدا الا وطرقناه ، ولا طريقا مسدودا الا حاولنا فتحه ، ولا فرصة سائحة الا سعيينا اليها . فقد واجهت مصر أربع حروب تلقت فيها طلقات الرصاص بصدرها خوضا لتحدى الحرب . . ومصر الآن تواجه الطعنات وحملات التشهير من بعض الأصدقاء ، وتتلقاها أيضا بصبرها خوضا لتحدى السلام . واذا كانت بعض الاعتراضات العربية ، هى من باب العودة الى الاسفاف واذا كانت من باب فرض الوصاية ، فان مصر ترفض هذه الوصاية .

ان مصر قد سددت أكثر من نصيبها فى القضية العربية بااملة الوحيدة التى لا تقبل المزايدة ، ودفعته بدماء أبنائها) .

٥ - المبادرة الخامسة

القدس (١٩ - ٢١ نوفمبر ١٩٧٧)

كان السادات يفكر فيما لا يمكن التفكير فيه أبدا . فقد قرر - فعلا - الذهاب الى اسرائيل ، لمواجهة شعبها بالحقائق كاملة .

حقا ، كان القرار مذهلا ، وبدى كالغير مصدق من كل العالم دولا وشعوبا . . فقد فاق كل تصور ، أن يتوجه رئيس أكبر دولة عربية الى أرض الخصم ، وما زالت حالة الحرب قائمة بينهما .

وفى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، فوجيء العالم بوصول السادات الى اسرائيل ، بقمعين ثابنتين وبايمان راسخ بالسلام الشامل ، التى تستقيمه منه جميع الشعوب .

وكان من الطبيعي عدم تصديق قيام الرئيس المصري بمخاطرة التوجه الى خصمه في عقر داره . واعتبر العالم أجمع ، أن هذا الكلام لا يخرج عن كونه مناورة سياسية من السادات . . . الا أنه في يوم ٢٠ نوفمبر ، شاهد العالم بأسره الرئيس السادات وهو يقف أمام الكنيسة الاسرائيلي ، يوجه خطابه الى الشعب . . . بكل شموخ العزة والكبرياء المصري . . . وأخذت حقيقة هذا الموقف التاريخي تسبق أحلام الناس .

وأعلن الرئيس السادات في خطابه ، أن مصر لا تسعى الى سلام جزئي أو عقد اتفاق منفرد . . . وقال :

(لقد جئت اليكم لكي نبني معا ، السلام الدائم العادل ، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو اسرائيلي) .

وكان هدف هذه المبادرة : تأكيد النية في السعي الى السلام . . . وإزالة حواجز الشك القائمة في منطقة الشرق الأوسط . . . وتحطى عقبة الاجراءات والدخول مباشرة الى جوهر المشكلة . . . والتركيز على تأكيد وجهة النظر العربية . . . والتمسك بالقدس العربية وعدم الاعتراف بضمها الى اسرائيل . . . وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ ، أعلن الرئيس السادات أمام مجلس الشعب ، أنه قد اتفق مع المسئولين الاسرائيليين على :

— الاتجاه داخل المؤتمر الى بحث المسائل الموضوعية بجدية دون تعويق بسبب الاجراءات الشكلية .

— استبعاد فكرة الاستيلاء على الأرض من أجل الأمن ، والبحث عن توفير الأمن للجميع في ظل أوضاع عادلة .

ويعلق الرئيس كارتير ، على تلك المبادرة ، في خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلس الكونجرس (١٨ سبتمبر ١٩٧٨) . . . فيقول :

(ونحن جميعا نتذكر أمام توفير السلام التي أوحى بها مبادرة السادات . . . تلك الزيارة العظيمة والتاريخية التي أثارت العالم ، الى القدس في نوفمبر الماضي . . . والتجاوب الحار لرئيس الوزراء بيجين والشعب الاسرائيلي والوعد المشترك بينهما علنا ، بأنه لن تكون هناك حرب جديدة . . . وقد تعززت هذه الآمال عندما رد بيجين الزيارة للاسماعيلية في يوم عيد الميلاد) .

٦ - عقد مؤتمر القاهرة التحضيرى لمباحثات جنيف (٣ ديسمبر ١٩٧٧)

وجهت مصر الدعوة لهذا المؤتمر ، الى أطراف النزاع . . وعم :
سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والولايات
المتحدة والاتحاد السوفيتى واسرائيل والسكرتير العام للأمم المتحدة .
وكان الهدف من هذا المؤتمر ، هو الاعداد الجيد لمؤتمر جنيف
لضمان نجاحه ، والوصول الى تسوية شاملة لنزاع الشرق الأوسط ،
باحلال السلام العادل والدائم فى المنطقة ، وحل المشكلة الفلسطينية .
ورفعت أعلام المدعوين فى المؤتمر أمام فندق مينهاوس ، وفوجئت
مصر برفض سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد
السوفيتى حضور المؤتمر .

★ ★ ★

ومن المؤسف أن نذكر موقفا أثناء القاء السادات لخطابه فى
البرلمان الأوروبى بلوكسمبرج (فى ١٠ نوفمبر ١٩٨١) . فقد رفع
العضو الراديكالى الايطالى ماريو كابانا ، لافتة كتب عليها « يجب .
الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا لكاتب ديفيد » .

وعندئذ خرج الرئيس المصرى عن نص خطابه ، وقال لأعضاء
البرلمان :

- اننى لم آت الى هنا لكى أبيع لكم كامب ديفيد .

فطوى العضو اللافتة ، ورفع بدلا منها علم فلسطين ، فنظر اليه
السادات قائلا :

- كنت أتمنى أن تكون معنا عندما رفعنا هذا العلم فى مينا هاوس .
جنبنا الى جنب مع علم اسرائيل ، لكن أحدا لم يحضر هذا المؤتمر .
وصفق الجميع لرد الرئيس المفحم بما فىهم العضو الايطالى نفسه .

★ ★ ★

وكالمعتاد ، كان على مصر أن تتحمل المسؤولية بمفردها وتواصل
المسيرة .

٧ - مباحثات السادات - بيجن

الاسماعيلية (٢٦ ديسمبر ١٩٧٧)

ونم فيها الاتفاق على تشكيل لجنتين : لجنة سياسية تعقد في القاهرة ولجنة سياسية تعقد في القدس ، ويرأسهما وزراء الخارجية والدفاع .

وقد أعلن السادات في المؤتمر الصحفي في الاسماعيلية :

(. . . أننا لانسعى الى اتفاق للفصل أو اتفاقية مؤقتة ، إنما نحن هنا من أجل السلام ، السلام الحقيقي والتسوية الشاملة) .

كما أعلن بيجن :

(ان اسرائيل تود أن يكون السلام شاملا مع كل جيرانها في الشمال والجنوب والشرق) .

وفي ١٧ يناير ١٩٧٨ ، اجتمعت اللجنة السياسية في القدس .

وفي ١٩ يناير ١٩٧٨ ، اضطر السادات الى اصدار تعليماته الى وفد مصر بالعودة الى القاهرة ، بعدما تبين من متابعة المواقف الاسرائيلية ومن تصريحات رئيس الوزراء الاسرائيلي ووزير الخارجية ، أنها تعتمد الى تمييز الموقف ، وطرح حلول جزئية لا يمكن أن تؤدي الى اقرار سلام عادل ودائم وشامل في منطقة الشرق الأوسط .

٨ - اجتماع كارتر والسادات

واشنطن (٢ - ٨ فبراير ١٩٧٨)

وتوجه السادات الى واشنطن للاجتماع بالرئيس الأمريكي كارتر للتشاور في مجريات الموقف الذي توقف بسبب المراوغات الاسرائيلية .

وفي ٦ فبراير ١٩٧٨ ، ألقى السادات خطابا أمام نادي الصحافة القومي بواشنطن قال فيه :

(. . . يتعين أن أخبركم بكل اخلاص ، أن أحداث الأسابيع القلائل الماضية ، قد سببت لنا بعض القلق . فقد اختارت الحكومة الاسرائيلية ، العودة الى الدوائر المفرغة للجدل حول كل كلمة وفضلة ، لقد عادوا مرة أخرى الى التكتيكات القديمة والأفكار البالية) .

(٠٠ وما هو مطلوب هو تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل أجزائه ، ولقد أعلننا أننا على استعداد لقبول الآتي :

- ١ - انتهاء حالة الحرب وما يترتب عليها .
 - ٢ - إقامة العلاقات السلمية .
 - ٣ - توفير كل الضمانات الأساسية لأمن كل دولة .
 - ٤ - السماح بالمرور البريء خلال مضيق تيران .
 - ٥ - احترام حق كل دولة في المنطقة في الحفاظ على سيادتها ، وتكامل أراضيها واستقلالها السياسي .
- وأنه يظل على الطرف الآخر ، اظهار رغبته بتحمل التزاماته داخل اطار التسوية الشاملة . وبطريقة أكثر تحديدا ، فهو مطالب بقبول الآتي :

- ١ - الانسحاب من كل الأراضي العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ وفقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق الحرب .
 - ٢ - تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه الطبيعي في تقرير مصيره .
 - ٣ - توفير الضمانات اللازمة لأمن الدول العربية .
- وفي ٨ فبراير ١٩٧٨ ، أذاع البيت الأبيض البيان الأمريكي المصري حول أسس التسوية ، في أعقاب الاجتماع الختامي بين الرئيسين كارتر / السادات .

وجاء في البيان المبادئ العريضة ، التي تحدد مشاركة الولايات المتحدة في السعي نحو السلام ٠٠ وهي :

- سوف تظل الولايات المتحدة ، أمينة على التزاماتها التاريخية بأمن إسرائيل ، وحق كل دول المنطقة في العيش في سلام ، داخل حدود آمنة ومعترف بها .
- مساعدة الأطراف على تحقيق تسوية شاملة عن طريق التفاوض ، سوف يظل أمرا له أهميته القصوى في السياسة الأمريكية . ولن يدخر الرئيس كارتر جهدا في السعي نحو الطريق التي تكفل دفع عملية السلام الى الامام .

- ان اقرار السلام ، يجب أن يتجاوز مجرد انهاء حالة الحرب ، وينبغي أن يكفل علاقات طبيعية وسامية بين اسرائيل وجيرانها .
- ان قرار السلام ، يجب أن يكون شاملا ، ويجب أن ينص عليه في معاهدات سلام بين اسرائيل وجيرانها .
- ينبغي أن تبنى التسوية ، على أساس جميع مبادئ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، بما في ذلك انسحاب القوات الاسرائيلية من اراض محتلة عام ١٩٦٧ ، وحق كل دولة في المنطقة في العيش في سلام ، داخل حدود آمنة ، ومعترف بها . وينطبق القرار رقم ٢٤٢ على كافة جبهات الصراع .
- لا يمكن أن يكون هناك سلام دائم وعادل ، بدون حل المشكلة الفلسطينية .
- وقد أكد الرئيس السادات ، أن الباب لا يزال مفتوحا للتفاوض ، وأن مصر ستستمر في القيام بدورها لتأكيد استمرار عملية التفاوض في جو بناء من أجل السلام .
- وقد التزم كارتر والسادات ، بأن يظلا على اتصال شخصي ، خلال القنوات الدبلوماسية والاتصالات المباشرة ، لضمان استقرار التفاهم الكامل بينهما لتحقيق السلام الشامل والدائم في منطقة الشرق الأوسط .

٩ - اجتماع ليدز ببريطانيا

(يوليو ١٩٧٨)

- وأثناء عقد جلسات اللجنة السياسية ، اتضح لمصر أن اسرائيل تعمل على كسب الوقت ، بتمسكها بمبدأ التوسع والاستيطان ، واصرارها على الاحتفاظ بما احتلته سنة ١٩٦٧ من اراض عربية .
- وحصلت الدبلوماسية المصرية ، على تأييد واسع لموقف مصر بانسحابها من تلك اللجان . الا أن مصر رفضت استئناف أى مباحثات ، وطلبت أن تقوم الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل ، حتى يمكن بدء المباحثات مع اسرائيل .
- وفي يوليو ١٩٧٨ ، اجتمع وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة في ليدز ، بشأن ايجاد حلول للمشكلة .

١٠ - مفاوضات كامب ديفيد

(من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨)

وفي ٥ سبتمبر ١٩٧٨ ، تدخل الرئيس كارتر شخصياً بدعوة مصر واسرائيل للتفاوض بشأن حل النزاع القائم بينهما بشأن تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل بنوده والوصول الى سلام دائم وشامل .

وقبل الدعوة ، الرئيس السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، وكل منهما يمثل شعبه .

وبدأت اجتماعات كامب ديفيد ، بحضور جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كشريك كامل ، للسعي وراء اقامة السلام الدائم الشامل المستقر في منطقة الشرق الأوسط .

وتحول الحلم المستحيل الى حقيقة واقعة .

فخلال الثلاثين سنة الأخيرة ، من حرب فلسطين ١٩٤٨ حتى مفاوضات كامب ديفيد ١٩٧٨ ، خاضت مصر أربعة حروب قاسية ، وتم العدوان عليها أكثر من مرة ، من أجل حقوق شعب فلسطين ، وموقف مصر بالنسبة للمشكلة الفلسطينية مبدئي وثابت . وفقدت مصر الكثير عزيزا وغاليا ، من الطاقات البشرية والمادية . كما دفعت شعوب منطقة الشرق الأوسط ثمنا من الآلام والكراهية وارقة الدماء .

وقد مارست مصر ، الكفاح حربا وسلميا . وكلها كانت على مراحل من النضال الشاق المضني ، كل مرحلة تمهد لمرحلة تالية ، يتعين على مصر الاتجاه اليها ، حتى وصلت الى مفاوضات السلام الدائم في كامب ديفيد بالمشاركة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وبذلك تكون مصر قد وصلت أخيرا - وليس آخرا - الى هدفها المنشود وهو السلام العادل الشامل ، بعد بذل الجهد والتعب والعرق . فكان هذا النجاح الرائع ، الذي لابد أن تعلم أنه ليس هناك ما هو أصعب ، الا الاحتفاظ به .

الفصل الثانی

اتفاقیات کامب دیفید

سلام الاتفاق

كان من قدر مصر ، أن تتكبد بنفسها مسئولية السير جعفردها على طريق السلام العادل الدائم في منطقة الشرق الأوسط . مع تجاوزها عن العراقيل والعقبات ، التي كان يثيرها السليبين الأصفار ، لاعاقة المسيرة . . . وكأنه قد عز عليهم أن تنجح مصر دونهم ، في مساعيها لتحقيق السلام الراسخ ، الذي سيعيد اليهم النفع والخير ، غير أنهم لايتفهمون !!

وتحركت مصر السادات بخطى واثقة نحو الهدف ، بعد التخطيطية الدولية اللازمة التي قامت بها الدبلوماسية المصرية واللقاءات الشخصية الثنائية مع الدول ذات الثقل الدولي . وبذلك استطاع السادات أن يضم الى جانب مصر ، الرأي العام العالمي - الذي يقدر موافقته وشجاعته - بعد أن تجسدت أمام بصره وسمعه ، حقيقة وعدل المطالب العربية -

لقد كان نصر رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ والعبور العظيم ، عبورا الى العالم أجمع بمفاهيم جديدة . فكان من اليسير ان يعترف المجتمع الدولي ، بسلامة الخط الذي بدأته مصر ، وأن يدرك باحساسه ووعيه ، ضرورة مساندة هذا الاتجاه الصحيح ، الهادف الى السلام واسترداد جميع الحقوق العربية وكل ما ينص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . ومن هذا المنطلق ، أرسل الرئيس الأمريكي كارتر ، دعوته الى السادات رئيس مصر ، والى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ، للاجتماع بهما في كامب ديفيد ، للوصول الى نهاية جذرية لحل مشكلة الشرق الأوسط ، والنزاع العربي الاسرائيلي .

واجتمع الطرفان على مائدة المفاوضات ، بحضور الرئيس كارتر بصفة الولايات المتحدة الأمريكية شريكا كاملا في هذه المفاوضات . وبهبة المقدمين على عمل جدى ، وفى ظل التفرغ المطلق للوصول الى القرار السليم ، بدأت المفاوضات يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٨ واستغرقت حتى يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

ودارت الحوارات والمباحثات خلال الثلاثة عشر يوما ، فى جو متوتر من هذا الموقف الصعب ، المشحون برواسب أحداث الماضى التي هزت بها شعوب المنطقة . فكان كل جانب مصر متوصدا ، يتلقف كل

كلمة - بل وأى نقطة أو فصلة بين كلمات كل جملة بتوجس وتشكك حتى غلب على ظن كارتر ، احتمال عدم نجاح هذه المفاوضات .

التوقيع النهائي على السلام

واستطاع السادات وبيجين ومستشاروهما المجتهدون ، التغلب على كل الصعاب ، حتى تم الوصول الى الصيغ النهائية لاتفاقيتين ، وقعا عليهما وعلى وثائقيهما ، كما وقع الرئيس كارتر كشاهد على التوقيع .

وكان عنوان وثيقة الاتفاقية الاولى : « اطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط » وهى تتعلق بتسوية شاملة بين اسرائيل وجميع جيرانها ، بالإضافة الى قضية الشعب الفلسطينى ومستقبل الضفة الغربية وغزة .

أما وثيقة الاتفاقية الثانية فعنوانها : « اطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » التى تعيد الى مصر الممارسة التامة لسيادتها على سيناء ، وتخصيص بعض مناطق أمنية لحماية جميع الأطراف ، كما تنص على أن تعترف مصر باسرائيل اعترافا دبلوماسيا تاما ، حالما تتم اسرائيل انسحابا مؤقتا لقواتها المسلحة ، من غالبية مناطق سيناء ، خلال فترة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر . بعد عقد معاهدة السلام التى سيتم التفاوض بشأنها بصورة شاملة وذلك فى موعد أقصاه ثلاثة أشهر من يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ . واتفق على أن يتم انسحاب جميع القوات الاسرائيلية من سيناء فى موعد أقصاه ثلاث سنوات بعد توقيع المعاهدة .

ونجحت قمة كامب ديفيد لتحديد الأسلوب العملى لتطبيق قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ، وفقا للتفسير العربى والدولى فجاءت الاتفاقيتان لتحقيق تماما الأهداف العربية ، التى اتفقت عليها جميع الدول العربية فى مؤتمرات القمم العربية .

ونجحت مصر فى تحقيق المشاركة الفعلية للولايات المتحدة الأمريكية فى جهود السلام ، بعد أن كانت - قبل ذلك - فى موقف المتحيز الكامل لاسرائيل .

ووافق مجلس الشعب بالأغلبية المطلقة على الاتفاقيتين ، مما يدل على رغبة الشعب المصرى الأكيدة ، فى تحقيق سلام شامل بالمنطقة .

ما حققته الاتفاقيتان

وأثمرت قمة كامب ديفيد ، اتفاقيتان تعطيان التفاوض بإمكانيه الوصول الى نقطة تحول في الشرق الأوسط وخاصة الدول العربية وذلك يعد التغلب على المسائل الصعبة المعقدة ، التي كانت كامنة في صميم الثلاثين عاما من العداء العربي الاسرائيلي .

وأصبح السلام حقيقة لا مجرد حلم .

وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية ، ملتزمة بسلام شامل وعادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط .

ويوفر اطار العمل من أجل السلام ، فرصة لم يسبق لها ميل لشعوب الشرق الأوسط ، للتحرر من سبج الضغوط والتهديدات الخارجية . وللتحول بعيدا عن النزاع ، الذي يخلق جوا من القلق والتوتر والرعب الذي انتاب العرب والاسرائيليين زمنا طويلا .

فقد أرسيت الاتفاقية المبادئ والأسس التي يمكن أن يستخدمها جميع جيران اسرائيل الراغبين في التفاوض بشأن السلام والأمن ، على أساس التطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ .

كما نصت الاتفاقيتان على اعتراف اسرائيل ، بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، كما التزمت اسرائيل خطيا باشتراك الشعب الفلسطيني في جميع جوانب المشكلة الفلسطينية بجانب استعادة مصر لسيادتها على سيناء حتى الحدود المعترف بها بدوليا ، دون أى التزام من جانب مصر بالدخول في أى أحلاف مع أية دولة سواء مع الولايات المتحدة أو غيرها ، فستظل مصر دولة من دول عدم الانحياز ، لايربطها الا التزامها الوحيد وهو اتفاقية الدفاع العربي المشترك . ودون أن يكون فوق الأراضي المصرية أى وجود أجنبي أو أية قواعد عسكرية أمريكية .

وقد جاءت مواد ونصوص الاتفاقيتين واضحة تماما . كما تدل كل كلمة على معناها الحقيقي فقط ، لئلافى أى التباس أو غموض أو تداع للمعاني أثناء التنفيذ . ولا ينسى أحد ، أن كلمة « أراض » في القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، التي جاءت في مبدأ :

« انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير » بعيدة عن التحديد اللازم الذي توضحه كلمة « الأراضي » اذا، حلت محلها . . وكان صائب القرار قد وضع مجلس الأمن في مظنة

التحيز لاسرائيل ، التي قد تنجيه نواياها للاحتفاظ بأجزاء من الأرض المحتلة تحت ظل ما تعنيه كلمة « أراضى » .

الا أن المفاوض المصري فى كامب ديفيد ، أصر على تصحيح الكلمة ، ونجح فيما أراده ، فأصبحت كلمة الأراضى هى المتبادلة بعد ذلك فى جميع الاتفاقيات والوثائق .

الموقف العربى

يقول الرئيس السادات فى خطابه يوم ٢٨ يناير ١٩٨٠ أمام مجلس الشعب :

« وقبل أن يجف مداد هذه الاتفاقيات ، وقبل أن يقرأها أئمة الشرك والجهالة ، بدأوا فى الهجوم على مصر ، وبدأوا فى شجب ما لم يقرأوه بعد .. »

فقد شنت الأنظمة الرافضة فى بعض الدول العربية ، وبمعنى أصح ، افتعلوا حملات عنيفة ضد مصر دون تعقل وتبصر فأصبحوا أدوات صماء فى أيدي الهادفين الى هدم العلاقات العربية وتفتيت وحدة العرب .

وحسب أى قارئ ، أن يمر بعينه على نصوص اتفاقيتى كامب ديفيد ، ليتأكد من أنها تطابق تماما ، قرارات بيانات القمم العربية فى مؤتمراتهم من حيث اجماعهم على :

- الحل السلمى للمشكلة .
- استرداد الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .
- اقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

وقد حققت اتفاقية كامب ديفيد الأولى ، جميع هذه المتطلبات فيما جاء فى مقدمة الوثيقة .

« ان الأساس المتفق عليه ، لتسوية سلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها ، هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه » .

« من أجل تحقيق إقامة سلام ، بروح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، فإن اجراء مفاوضات مقبلة بين اسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادئ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ » .

وقد أعلن السادات فى خطابه أمام مجلس الشعب يوم ٢ أكتوبر ١٩٧٨ ، بأن :

« هذا هو ما استطاعت مصر من أن نحققه فى هذه المرحلة ، وان استطاعت اللات بتحالفها مع الاتحاد السوفينى ، أن نحقق المزيد ، فنحن لها مؤيدون ومصفقون وشاكرون . واذا استطاعت أية قيادة عربية أن تصل بنا الى كل آمالنا ، فنحن أول من يقول لها نعم بكل الاخلاص والثناء والتأييد الصادق » .

كما يعلق السادات - لاحقاً - أمام مجلس الشعب يوم ٢٨ يناير ١٩٨٠ ، موجها كلامه الى الرافضين :

« اذا كانت كامب ديفيد غير مناسبة ، فأين البديل المناسب الذى يقترحونه ونحن أول من ينفذه » .

وعرضت اتفاقيتى كامب ديفيد ووثائقيهما ، على مجلس الشعب مع تقرير اللجنة الخاصة التى شكلت لدراستها ، ووافق عليها المجلس .

وأرسل التقرير الى الجانب المصرى للاسترشاد بما جاء فيه خلال مراحل المفاوضات ، خاصة وقد تضمنت وثائق كامب ديفيد أساس التفاوض .

ويقول الرئيس كارتر ، فى خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلس الكونجرس يوم ١٨ سبتمبر (اليوم التالى لتوقيع الاتفاقيتين) :

« ونود أن نتشاور فى هاتين الوثيقتين وما تعنيانه ، مع جميع الزعماء ، وخاصة الزعماء العرب . ويسعدنى أن أقول لكم الليلة ، أن الملك حسين ملك الأردن ، والملك خالد ملك العربية السعودية ، قد وافقا الآن على استقبال وزير الخارجية (سيروس فانس) الذى سيسافر غدا لشرح لهما شروط اتفاقية كامب ديفيد ، وليضمن دعمهما لتحقيق الآمال والأحلام الجديدة لشعوب الشرق الأوسط » .

غير أن الحملات المعاكسة ، قد ازدادت شدة وضراوة على مصر قلب الأمة العربية ، وتجسدت فى :

- قطع العلاقات السياسية مع مصر .
- نقل جامعة الدول العربية من مقرها فى القاهرة الى تونس .
- تعليق عضوية مصر فى المؤتمر الإسلامى .
- قطع المعونات والمساعدات الاقتصادية عن الشعب المصرى .

مصر بعد العبور - ٤٩٧

— أصدروا قرارهم بسحب ودائعهم وأرصدتهم من البنوك المصرية ، بهدف تخريب الاقتصاد المصرى .

— محاولة تشويه صورة مصر ، بمحاولات الضغط على المجتمع الدولى لتعليق عضوية مصر فى بعض الهيئات والمنظمات الدولية .

ولم يصدر عن مصر ، أى رد فعل تجاه تلك الحملات فهي نعلم تماما الخواء الذى يحيط بالرافضين ، وتدرك بيقينها أن مسيرة التاريخ عامة ، ومسيرة مصر خاصة ، سوف تلفظ كل عبث رافض ، تنفته سموم الحاقدين .

ويكفى مصر ، أنها الدولة الوحيدة التى ناضلت وتناضل عمليا من خلال خطة عمل للوصول الى تحقيق السلام العادل الشامل الدائم فى منطقة الشرق الأوسط مع تركيزها على مصير الشعب الفلسطينى ، وحقوقه المشروعة ، حتى كلل الله مسعاها باتفاقيات السلام ، محققة بها كل ما كانت تبغيه الدول العربية .

ولكم تعذرت المفاوضات بسبب مشكلة فلسطين ، الا أن السادات قد استطاع أن يستخلص للشعب الفلسطينى اعترافا مكتوبا من اسرائيل ، بحقه فى الحكم الذاتى وبحقه فى تقرير مصيره . . . وكان ذلك واجبا والتزاما مفضلا على عائق السادات ، فكان كثيرا ما يعلن — حتى فى الكنيست الاسرائيلى — أن مصر لا تقبل حلا منفردا لأرضها المحتلة فى سيناء ، فبغير حل المشكلة الفلسطينية فلن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط . . . ومواد وثائق السلام فى كامب ديفيد ، تشير بما لا يقبل أى شك ، ليس فقط الى حق تقرير المصير ، بل تجاوز ذلك الى اقامة كيان فلسطينى يمثل دولتهم القائمة بذاتها .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية ، رفضها للجهود التى تبذلها مصر من أجلهم . الأمر الذى حدا بإسرائيل أن ترفض الاعتراف بتلك المنظمة ، ورفضت التعامل معها ، ووصفتها للمجتمع الدولى ، أنها منظمة لاتريد السلام .

وتمادت المنظمة فى غيها وحملاتها الفارغة . . . وكأنها قد نسيت — بل تناست — أن مصر كانت وراءها تساندها وتدعمها بل وهيأت لها التمرکز فى القاهرة عند تأسيسها عام ١٩٦٤ ، بل كانت مصر هى التى خططت لتعبئة الشعب الفلسطينى واقامة أجنحته العسكرية ، فى بداية الستينيات ، لتثبت للمجتمع الدولى أن هذا الشعب مفترى عليه ولا يزال متواجدا ، بعد أن أشاع الاسرائيليون أنه انتهى أو سوف ينتهى ، لأن الكبار يموتون والصغار سوف ينسون .

كما أبرزت مصر حركة تحرير فلسطين على المستوى العالمى بل.
قدمتها للمجتمعات الدولية ، ووضعت بذرتها لعضويتها كمستمع فى
هيئة الأمم المتحدة ٠٠ وغير ذلك من مساندات ومواقف عديدة ٠

ولم تعر مصر أدنى اهتمام لتلك الصغائر التى تصدر عن الاقزام
٠٠ واندفعت الى الأمام لتواصل تحقيق أهدافها المصرية ، دون نظرة
أو رجعة الى الوراء ٠

القدس ٠٠ ومشاعرنا الدينية والتاريخية

يرتبط المواطن بأرضه بوشائج عاطفية كبيرة ، لأنها المكان الذى
نبت فيه تاريخه ، والنبع الذى استقى منه شخصيته الدينية ، وذاكرات
آبائه وأجداده ٠٠ فالأرض قطعة من روح الانسان ، فتصبح رمزا لحبه
وتعلقه بالحياة فوق أديمها ٠

ولا يعلو أى شئ على حب المواطن العربى ، للمقدسات الدينية
التي تزخر بها الأرض المقدسة فى الضفة الغربية ، لأنه حب قدسى
مفعم بالمشاعر الدينية ٠٠ ذلك الحب الذى يؤكد أن حاضرا امتداد لذلك
الماضى البعيد الذى عاشته الأمة العربية فى حضارتها المجيدة ٠

فيوجد بالقدس :

— الحرم الابراهيمى الشريف ، على جبل حوريا ، ويضم المسجد
الأقصى (بدأ فى بنائه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وأتمه
ابنه الوليد) ويوجد بالقرب من المسجد الأقصى ، جدار « البراق »
الذى يقده المسلمون لعلاقته بأسراء النبی الكريم من مكة الى بيت
المقدس ٠٠ ومسجد الصخرة ، وعدد من المنشآت الدينية ، من بينها
أربعة مساجد أخرى ٠ وكانت رقعة الحرم مهملة مهجورة منذ القرن
الخامس الميلادى ، الى أن جاء الخليفة عمر بن الخطاب فأمر بإظهار
الصخرة وتنظيفها ، وبنى فى ناحية منها مسجدا ٠

وفى جبل الزيتون مدافن شهداء المسلمين وأولياهم مثل :
رابعة العدوية وسلمان الفارسي ٠

— كنيسة القيامة ٠٠ وهى من أهم الأماكن الدينية للمسيحيين على
اختلاف طوائفهم ومذاهبهم فى جميع أنحاء العالم ٠ وقد أنشئت
على المكان الذى يعتقد أن السيد المسيح صلب فيه ٠ وبدأ انشاء
هذه الكنيسة سنة ٣٣٥ م ، عندما جاءت الملكة هيلانة الرومانية
لزيارة بيت المقدس ، بعد أن اعتنقت هى وابنتها الديانة المسيحية ٠

- كنيسة المهدي . ولد السيد المسيح في مغارة أصبحت تعرف فيما بعد باسم مغارة المهدي . وقد أنشأت الملكة هيلانة ، كنيسة فوق تلك المغارة . ويوجد في آخر المغارة باب يؤدي الى مصلى القديس يوسف . وهي بمدينة بيت لحم .
- طريق الآلام . وهي الطريق التي سلكها السيد المسيح بعد أن حكم عليه بالصلب . ويقع الطريق في القدس القديمة . وهي تبدأ من مبنى الروضة وتنتهي بالجلجلة في كنيسة القيامة .
- جبل الزيتون . المحيط بالقدس . وكان السيد المسيح يتردد كثيرا على هذا الجبل ، حيث توجد نمان شجرات زيتون ، يعتقد أنها من أيام السيد المسيح . بالإضافة الى مغارة الجسمانية التي كان يأوي إليها السيد المسيح للراحة .
- وهذا الجبل ممتلئ بالكنائس ، ومنها كنيسة مريم المجدلية . وكنيسة مريم البتول ، وكنيسة الابانا .
- الحرم الابراهيمي . بمدينة الخليل حيث دفن أبو الأنبياء ابراهيم الملقب بخليل الرحمن .
- جبل التجربة . في أريحا ، ويعتقد أن السيد المسيح صعد اليه وأوى في أحد مغاوره .

وكان المفاوض المصري دائم التمسك ببقاء القدس عربية ، والتأكيد بما يفيد ذلك وبكل وضوح ، في جميع المفاوضات والمباحثات . لأن القدس قد تجمعت فيها أهم وأعز مقدسات الديانات السماوية : اليهودية والمسيحية والاسلام .

وقد توصلت مصر الى النص المباشر بذلك ، في اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، كما تم تدعيم ذلك الاصرار ، في خطاب متبادل اتفق عليه بين الجانب المصري والاسرائيلي والولايات المتحدة الأمريكية .

وئاق مۆتور قىمەت كىمب دىنىيە

الوثيقة الأولى

إطار السلام فى الشرق الأوسط

اجتمع محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، ومناحيم بييجن ، رئيس وزراء إسرائيل ، بجيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فى كامب ديفيد ، من الخامس من سبتمبر (ايلول) حتى السابع عشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٨ ، واتفقا على إطار العمل التالى ، للسلام فى الشرق الأوسط . وهما يدعوان الأطراف الأخرى فى النزاع العربى الاسرائيلى للتقيد به .

مقدمة

ان السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب ان يسترشده بما يلى ، ان الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها . هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه .

بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة ، وبالرغم من الجهود البشرية المكثفة ، فان الشرق الأوسط ، مهد الحضارة ، ومكان ولادة ثلاث ديانات عظيمة ، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام . ان شعوب الشرق الأوسط تنوق الى السلام ، حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة الى نشدان السلام ، ومن أجل ان تتمكن هذه المنطقة من ان تصبح نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم .

ان مبادرة الرئيس السادات التاريخية ، المتمثلة بزيارته للقدس ، والاستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب اسرائيل ، والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بييجن الى الاسماعيلية ، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان ، بالاضافة الى الترحيب الحار الذى قابل به سعبا الدولتين ، هاتين المهمتين ، قد أوجدتا فرصة للسلام لا سابق لها . يجب ان لا تضيع ، اذا كان لهذا الجيل والأجيال المقبلة ان يتجنب مآسى الحرب .

ان نصوص ميثاق الأمم المتحدة ، والقواعد الأخرى المقبولة في القانون الدولي والشرعية الدولية ، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول . .

من أجل تحقيق إقامة علاقة سلام بموجب روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، فان اجراء مفاوضات مقبلة بين اسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادئ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ان السلام يتطلب احتراماً للسيادة ، وسلامة اقليمية واستقلالاً سياسياً لكل دولة في المنطقة ، وحققها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، خالية من التهديدات أو أعمال العنف . وان التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه ان يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة في الشرق الأوسط يتسم بالتعاون في تعزيز النمو الاقتصادي وفي المحافظة على الاستقرار وفي ضمان الأمن .

ان الأمن يتعزز بعلاقات سلمية ، ويتعاون بين الدول التي تتمتع بعلاقات طبيعية . وبالإضافة الى ذلك ، وبموجب شروط معاهدات السلام ، تستطيع الأطراف على أساس التبادل ، ان تتفق على ترتيبات أمنية خاصة ، مثل مناطق منزوعة السلاح ، ومناطق محدودة التسليح ، ومحطات انذار مبكر ، وتواجد قوات دولية ، وإقامة اتصال متبادل ، وتدابير مراقبة متفق عليها ، وترتيبات أخرى يوافقون على انها مفيدة .

إطار العمل

مع أخذ هذه العوامل في الاعتبار ، فان الطرفين مصممان على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط . من خلال عقد معاهدات سلام ، تستند الى قراراتى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ، بجميع أجزائهما . ان هدف الطرفين هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة . وهما يعترفان بأنه اذا كان للسلام ان يدوم ، فانه يجب ان يتناول جميع الذين تاثروا بصورة عميقة بالنزاع . ولهذا فانهما يتفقان على ان إطار العمل هذا باعتباره ملائماً ، قد قصدا به ان يشكل أساساً للسلام . ليس فقط بين مصر واسرائيل ، بل أيضاً بين اسرائيل وكل من جيرانها . الذين هم على استعداد للتفاوض بشأن السلام مع اسرائيل على هذا الأساس . ومع وجود هذا الهدف ماثلاً في الذهن ، فقد اتفقا على المتابعة كما يلي :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

١ - على مصر واسرائيل والاردن ، ومملى الشعب الفلسطيني . ان يشتركوا فى مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوها . ولتحقيق ذلك الهدف ، يجب ان تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل :

(أ) ان مصر واسرائيل تتفقان على انه من أجل ضمان انتقال سلمى ومنظم للسلطة ، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف ، يجب ان تكون هناك ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة ، لمدة لا تتجاوز خمس سنوات . ومن أجل توفير حكم ذاتى تام للسكان ، فان الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية ، سوف تنسحب حالما يجرى انتخاب سلطة حكم ذاتى انتخابا حرا ، من قبل سكان هذه المناطق ، لتحل محل الحكومة العسكرية القائمة . ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الانتقالية ، ستدعى حكومة الاردن الى الاشتراك فى المفاوضات على أساس اطار العمل هذا . ويجب ان تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتبارا مناسباً لمبدأ الحكم الذاتى من قبل سكان هاتين المنطقتين وللإهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية فى آن معا .

(ب) ستتفق مصر واسرائيل والاردن على كيفية انشاء سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وغزة . وقد يتضمن وفدا مصر والاردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، أو فلسطينيين آخرين ، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة .

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسئوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة . وسيجرى سحب القوات الاسرائيلية المسلحة ، وستتم إعادة تمركز القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمنية معينة .

وستتضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لضمان الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام . وسيتم انشاء قوة بوليس محلية قوية ، قد تشمل على مواطنين أردنيين اضافة الى ذلك ستشارك القوات الاسرائيلية والقوات الاردنية فى دوريات مشتركة ، وفى تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان أمن الحدود .

(ج) وعندما يتم انشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الادارى) فى الضفة الغربية وغزة ، وتباشر هذه السلطة أعمالها ، ستبدأ

فترة الخمس سنوات الانتقالية . وفى أسرع وقت ممكن ، ولكن فى وقت لايتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية ، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها بجيرانها ، ولعقد معاهدة بين اسرائيل والاردن فى نهاية الفترة الانتقالية .

وستجرى هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والاردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة المنتخبين . وسيعقد اجتماع للجنيتين مستقلتين ولكن مرتبطتين . احدهما تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتناوَض وتتنفق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها وتتألف اللجنة الثانية من ممثلين عن اسرائيل وممثلين عن الاردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سلام بين اسرائيل والاردن ، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل اليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة .

ان المفاوضات ستتركز على جميع نصوص ومبادئ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى : موقع الحدود ، وطبيعة ترتيبات الأمن ، ويجب أيضا ان يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة . وبهذه الطريقة سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق .

١ - المفاوضات بين مصر واسرائيل والاردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المعلقة ، فى موعد أقصاه نهاية الفترة الانتقالية .

٢ - عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ - تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من ان يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتمشى مع بنود اتفاقهم .

٤ - المشاركة حسبما ذكر أعلاه ، فى عمل اللجنة التى تجرى المفاوضة حول معاهدة السلام بين اسرائيل والاردن .

(د) جميع الاجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن اسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما ورائها .

وللمساعدة فى توفير مثل هذا الأمن ، سيجرى تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتى . وستتألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شئون الأمن الداخلى مع الضباط الاسرائيليين والاردنيين والمصريين المعتمدين .

(هـ) أثناء الفترة الانتقالية ، سيشكل ممثلو مصر واسرائيل والاردن وسلطة الحكم الذاتى ، لجنة مستمرة لتبث بالاتفاق فى كيفية معالجة ادخال أشخاص سردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ ، مع الاجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب . كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك .

(و) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما ، ومع الأطراف الأخرى المعنية ، على وضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ فورى وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين .

(ب) مصر واسرائيل

١ - تتعهد مصر واسرائيل بالالتجأ الى التهديد بالقوة أو استعمالها لتسوية النزاعات وإن أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

٢ - لكي يتم تحقيق السلام بينهما ، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع اطار العمل هذا ، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضى فى نفس الوقت فى التفاوض وعقد معاهدات سلام مائة بقصد تحقيق سلام شامل فى المنطقة ، وسيحكم اطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، ومفاوضات السلام بينهما . وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمنى لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة .

مبادئ مرافقة

١ - تعلن مصر واسرائيل ان المبادئ والنصوص المشروحة أدناه يجب ان تنطبق على معاهدات السلام بين اسرائيل وكل واحدة من جاراتها : مصر والأردن وسوريا ولبنان .

٢ - ان الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كذلك القائمة بين دول في سلام مع بعضها • ومن أجل هذه الغاية يجب ان يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة • وتشمل الخطوات التي ستتخذ في هذا الصدد •

(أ) الاعتراف الكامل •

(ب) ازالة المقاطعة الاقتصادية •

(ج) الضمان بأن مواطنى الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيضمنون بحماية عملية القانون المناسبة •

٣ - يجب أن يتقصى الموقعان الامكانيات من أجل تطور اقتصادى فى اطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة الذى هو هدفهما المشترك •

٤ - يمكن انشاء لجان مطالبة من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية •

٥ - ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين •

٦ - سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن بالا تخرق نصوصها • وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها • وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة فى اطار العمل هذا •

عن حكومة جمهورية مصر العربية عن حكومة اسرائيل

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الوثيقة الثانية

إطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل

اجتمع الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل مع جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى كامب ديفيد من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ واتفقوا على الاطار التالى للسلام فى الشرق الأوسط ، وهم يدعون أطراف النزاع العربى - الاسرائيلى الأخرى الى الانضمام اليه .

ان البحث عن السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بالآتى :

ان القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه . . . وسيرفق القراران رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ بهذه الوثيقة .

بعد أربعة حروب خلال ثلاثين عاما ورغم الجهود الانسانية المكثفة فان الشرق الأوسط مهد الحضارة ومهبط الأديان العظيمة الثلاثة لم يستمتع بعد بنعم السلام ، ان شعوب الشرق الأوسط تتشوق الى السلام حتى يمكن تحويل موارد الاقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة أهداف السلام وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم .

ان المبادرة التاريخية للرئيس السادات بزيارته للقدس والاستقبال الذى لقيه من برلمان اسرائيل وحكومتها وشعبها وزيارة رئيس الوزراء بيجين للاسماعيلية ردا على زيارة الرئيس السادات ومقترحات السلام التى تقدم بها كل من الزعيمين ، وما لقيته هذه المهام من استقبال حار من شعبى البلدين كل ذلك خلق فرصة للسلام لم يسبق لها مثيل وهى فرصة لا يجب اهدارها ان كان يراد انقاذ هذا الجيل والأجيال المقبلة من مآسى الحرب .

وان مواد ميثاق الأمم المتحدة والقواعد الأخرى المقبولة للقانون الدولى والشرعية توفر الآن مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول .

وأن تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة وإجراء مفاوضات فى المستقبل بين إسرائيل وأى دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام والأمن معها هى أمر ضرورى لتنفيذ جميع البنود والمبادئ فى قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ان السلام يتطلب احترام السيادة والوحدة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحققها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها غير متعرضة لتهديدات أو أعمال عنف . وأن التقدم تجاه هذا الهدف من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من التصالح فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون على تنمية التطور الاقتصادى وفى الحفاظ على الاستقرار وتأكيد الأمن .

وان السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طيبة . وبالإضافة الى ذلك فى ظل معاهدات السلام ويمكن للأطراف - على أساس التبادل - الموافقة على ترتيبات أمن خاصة مثل مناطق منزوعة السلاح ومناطق ذات تسليح محدود ومحطات انذار مبكر ووجود قوات دولية وقوات اتصال وإجراءات يتفق عليها للمراقبة والترتيبات الأخرى التى يتفقون على أنها ذات فائدة .

ان الأطراف اذ تضع هذه العوامل فى الاعتبار مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ومعمرة لصراع الشرق الأوسط عن طريق عقد معاهدات سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل فقراتها .

وهدفهم من ذلك هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار وهم يدركون أن السلام لكى يصبح معمرا يجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثير .

لذا فانهم يتفقون على أن هذا الاطار مناسب فى رأيهم ليشكل أساسا للسلام لا بين مصر وإسرائيل فحسب بل وكذلك بين إسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ممن يريدون استعدادا للتفاوض على السلام مع إسرائيل على هذا الأساس .

ان الأطراف اذ تضع هذا الهدف فى الاعتبار ، قد اتفقت على المضى قدما على النحو التالى :

١ - ينبغى أن تشترك مصر وإسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل

جوانبها ، ولتحقيق هذا الهدف فان المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية ينبغي أن تتم على ثلاث مراحل :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

(أ) تتفق مصر واسرائيل على أنه من أجل ضمان نقل منظم وسلمي للسلطة مع الأخذ في الاعتبار الاهتمامات بالأمن من جانب كل الأطراف يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات ولتوفير حكم ذاتي كامل لسكان الضفة الغربية وغزة فان الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية منهما ستنسحبان بمجرد أن يتم انتخاب سلطة حكم ذاتي من قبل السكان في هذه المنطقة عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية وللمناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية فان حكومة الاردن ستكون مدعوة للانضمام للمباحثات على أساس هذا الاطار ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الأراضي واهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التي يشملها النزاع .

(ب) أن تتفق مصر واسرائيل والاردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة . . وقد يضم وفدا يضم مصر والاردن وممثلي الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين طبقا لما يتفق عليه .

وستفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد مسئوليات سلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب للقوات المسلحة الاسرائيلية وسيكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التي ستبقى في مواقع أمن معينة وستضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام .

وسيتم تشكيل قوة بوليس محلية قوية قد تضم مواطنين أردنيين . . بالإضافة الى ذلك ستشارك القوات الاسرائيلية والاردنية في دوريات مشتركة وفي تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

(ج) وستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم ذاتي « مجلس اداري » في الضفة الغربية وغزة في أسرع وقت ممكن دون أن تتأخر عن العام الثالث بعد بداية

الفترة الانتقالية ٠٠ وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية ، وستدور هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتهين لسكان الضفة الغربية وغزة .

وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنهما مترابطتان ٠٠ احدى هانين اللجنتين تتكون من ممثلى الأطراف التى ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائي للضفة وغزة وعلاقتها مع جيرانها . وتتكون اللجنة الثانية من ممثلى اسرائيل وممثلى الأردن التى سيشترك معها ممثلو السكان فى الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن واطعة فى تقديرها الاتفاق الذى تم التوصل اليه بشأن الضفة الغربية وغزة .

وستركز المفاوضات على أساس جميع النصوص والمبادئ لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن ٠٠ ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومتطلباتهم العادلة وبهذا الاسلوب سيششارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم من خلال :

١ - أن يتم الاتفاق فى المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن وممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة والمسائل البارزة الأخرى بحلول نهاية الفترة الانتقالية .

٢ - أن يعرضوا اتفاقهم للتصويت من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ - اناحة الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان فى الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها أنفسهم تمشياً مع نصوص الاتفاق .

٤ - المشاركة - كما ذكر أعلاه - فى عمل اللجنة التى تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن .

(د) سيتم اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن اسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها ٠٠ وللمساعدة على توفير مثل هذا الأمن ستقوم سلطة الحكم الذاتى بتشكيل قوة قوية من الشرطة المحلية .

وتشكل هذه القوة من سكان الضفة الغربية وعزة... وسنكون قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الاسرائيليين والأردنيين والمصريين المعينين لبحث الأمور المتعلقة بالأمن الداخلي .

(هـ) خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر واسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتي لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر باتفاق الأطراف صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وعزة في ١٩٦٧ مع اتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع الاضطراب وأوجه النمزق ويجوز أيضا لهذه اللجنة أن تعالج الأمور الأخرى ذات الاهتمام المشترك .

(و) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما البعض ومع الأطراف الأخرى المهتمة لوضع اجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والعادل والشامل لحل مشكلة اللاجئين .

(ب) مصر واسرائيل :

١ - تتعهد مصر واسرائيل بعدم الالتجاء للتهديد أو لاستخدام القوة لتسوية المنازعات ، وسيتم تسوية أى نزاع بالطرق السلمية طبقا لأحكام المادة ٣٣ لميثاق الأمم المتحدة .

٢ - فى سبيل تحقيق السلام فيما بينهما يوافق الطرفان على التفاوض بنية حسنة بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما خلال ثلاثة أشهر اعتبارا من تاريخ توقيع هذا الاطار . وفى ذات الوقت يدعون أطراف النزاع الأخرى الى العمل فى نفس الوقت للتفاوض وللتوصل الى معاهدة سلام مماثلة تستهدف تحقيق تسوية شاملة فى المنطقة . أن الاطار الخاص بتوقيع معاهدة سلام بين مصر واسرائيل سيحكم مفاوضات السلام الخاصة بتلك الأطراف . سبتفق الطرفان على ترتيبات وجدول تنفيذ التزامهم وفقا للمعاهدة .

(ج) المبادئ المرتبطة :

١ - تعلن مصر واسرائيل أن المبادئ والنصوص المذكورة أدناه ينبغى أن تطبق على معاهدة السلام بين اسرائيل وبين كل من جيرانها مصر والأردن وسوريا ولبنان .

٣ - على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كذلك القائمة بين الدول التى هى فى حالة سلام كل منها مع الأخرى .

وعند هذا الحد ينبغي أن يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق الأمم المتحدة ، ويجب أن تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

- (أ) اعتراف كامل .
- (ب) إلغاء المقاطعات الاقتصادية .
- (ج) الضمان في أن يتمتع المواطنون في ظل السلطة القضائية بحماية الإجراءات القانونية في اللجوء للقضاء .
- ٣ - يجب على الموقعين استكشاف إمكانيات التطور الاقتصادي في إطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة في جو السلام والتعاون والصداقة التي تعتبر هدفا مشتركا لهم .
- ٤ - يجب إقامة لجان للدعوى القضائية للحسم المتبادل لجميع الدعاوى القضائية المالية .
- ٥ - يجري دعوة الولايات المتحدة للاشتراك في المحادثات بشأن موضوعات متعلقة بشكليات تنفيذ الاتفاقيات واعداد جدول زمني لتنفيذ تعهدات الأطراف .
- ٦ - سيطلب من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المصادقة على معاهدات السلام وضمان عدم انتهاك نصوصها ، وسيطلب من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التوقيع على معاهدات السلام وضمان احترام نصوصها ، كما سيطلب منهم مطابقة سياستهم وتصرفاتهم مع التعهدات التي يحتويها هذا الإطار .

عن حكومة جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

عن حكومة اسرائيل
مناحم بيجين

عن حكومة الولايات المتحدة
جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة

١٧ سبتمبر ١٩٧٩

أطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل

من أجل تحقيق السلام ٠٠ وافقت مصر واسرائيل على المفاوضات
بنيّة صادقة بهدف التوصل الى معاهدة سلام بينهما خلال ٣ أشهر من
تاريخ هذا الاتفاق ٠

وتم الاتفاق على مايلي :

— أن تجرى المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة ، فى المكان ، و
الأماكن التى يتفق عليها الجانبان ٠

— أن يتم تطبيق كل مبادئ قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى حل
النزاع بين مصر واسرائيل ٠

— أن يتم تنفيذ بنود معاهدة السلام فى فترة بين عامين و ٣ أعوام
من تاريخ توقيع المعاهدة ، فيما لو لم يتفق الطرفان على شئ آخر ٠
وقد اتفق الجانبان على المسائل التالية :

(أ) ممارسة مصر لسيادتها الكاملة على المنطقة التى تمتد الى الحدود
المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين فى فترة الانتداب ٠

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء ٠

(ج) استخدام المطارات الجوية التى يخلفها الاسرائيليون بالقرب من
العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ — للأغراض المدنية فقط
بما فى ذلك الاستخدام التجارى المحتمل من جانب جميع الدول ٠

(د) حرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس
على أساس اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تنطبق على
جميع الدول ٠

اعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات دولية مفتوحة أمام جميع
الدول لحرية الملاحة وحرية المرور البرى والطيران فوقها ٠

(هـ) انشاء طريق سريع يربط بين سيباء والأردن بالقرب من ايلات مع ضمان حرية المرور السلمى فبه لكل من مصر والأردن .

(و) أن تتم مرابطة قوات عسكرية على النحو المبين فيما يلى :

مرابطة القوات :

(أ) لن ترابط مايزيد على فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) فى القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد بما يقرب من ٥٠ كيلو مترا شرق خليج السويس وقناة السويس .

(ب) قوات الأمم المتحدة والبوليس المدنى فقط المزودة بأسلحة خفيفة ، لممارسة مهام البوليس العادية وسوف ترابط فى منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة ، يتراوح عمقها ما بين ٢٠ و ٤٠ كيلو مترا .

(ج) فى المنطقة الممتدة على مسافة ٣ كيلو مترات شرق الحدود الدولية تكون هناك قوات عسكرية اسرائيلية لاتزيد عن أربع كتائب مشاة ومراقبو الأمم المتحدة .

(د) وحدات حرس حدود لاتزيد على ثلاث كتائب تقوم بمعاونة البوليس المدنى فى صيانة النظام فى المنطقة التى لم ترد عالية .

وتعيين المناطق المذكورة عاليه سوف يكون حسبما يتم الاتفاق عليه خلال مفاوضات السلام . ومحطات الانذار المبكر قد توجد لضمان الالتزام ببند الاتفاقية .

وتتمركز قوات الأمم المتحدة فى :

(أ) فى المنطقة فى سيباء التى تبعد عن البحر المتوسط بعشرين كيلومترا والقريبة من الحدود الدولية .

(ب) فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران - ولن يتم سحب هذه القوات الا فى حالة موافقة مجلس الأمن على سحبها بالأغلبية المطلقة .

وبعد أن يتم توقيع اتفاقية السلام وأثر اتمام الانسحاب المرحلى ، نقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل بما فى ذلك : الاعتراف الكامل - متضمننا علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية .

وانهاء المقاطعة الاقتصادية ورفع القيود على حرية انفعال البصائع
والأشخاص • على أن يتمتع مواطنو كل من الدولتين بحمايه القوانين
المطبقة في دولتهم •

- الانسحاب المرحلى :

ان تنسحب جميع القوات الاسرائيلية بعد فترة نراوح بين
٣ و ٩ أشهر من توقيع الاتفاقية الى سرق الخط الممتد من نقطة العريش
حتى رأس محمد ، وسيتم تعيين هذا الخط على وجه التحديد من الاتفاق
بين الجانبين •

عن جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

عن حكومة اسرائيل
مناحم بيجين

شهد التوقيع •••

جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية •

١٧ سبتمبر ١٩٧٩ •

نص الخطابات المتبادلة

الملحقة بوثائق كامب ديفيد

بين كاتر والسادات وليجين بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢

(أ) حول القدس

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كاتر من الرئيس السادات :

- ١ - اكتب اليكم لأعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بشأن القدس
- ١ - تعتبر القدس العربية جزءا لا يتجزأ من الضفة الغربية ويجب احترام واعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية فى المدينة •
- ٢ - ان القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية •
- ٣ - ان من حق السكان الفلسطينيين فى القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة بوصفهم جزءا لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية •
- ٤ - ان القرارات الصادرة من مجلس الأمن وخاصة القرارات رقم ٢٤٢ ، و٢٦٧ يجب أن تطبق بشأن القدس وتعتبر كافة الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة لاغية وغير قائمة ويجب ابطال آثارها •
- ٥ - يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول الى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الأماكن المقدسة بدون أى تمييز أو تفرقة •
- ٦ - يجوز وضع الأماكن المقدسة لكل دين من الأديان الثلاثة تحت ادارة واشراف ممثل هذا الدين •
- ٧ - ينبغي ألا تقسم الوظائف الضرورية فى المدينة • ويمكن اقامة

مجلس بلدى من كل من العرب والاسرائيليين للاشراف على تنفيذ هذه الوظائف . وبهذه الطريقة فانه لن يتم تقسيم المدينة .

رسالة رقم (٢)

الى الرئيس كارتير من رئيس الوزراء بيجين :

يشرفنى ان ابلغكم يا سيادة الرئيس بان البرلمان الاسرائيلى « الكنيست » اصدر قانونا فى ٢٨ يونيو عام ١٩٦٧ يقضى بان يكون من سلطة الحكومه عن طريق مرسوم تصدره - اخضاع اى جزء من ارض اسرائيل الكبرى للقانون والقضاء والسلطة الادارية للدولة على النحو المبين فى المرسوم .

وقد قامت حكومة اسرائيل على اساس هذا القانون باصدار مرسوم فى يوليو ١٩٦٧ ينص على ان القدس مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم وأنها عاصمة لدولة اسرائيل .

رسالة رقم (٣)

الى الرئيس السادات من الرئيس كارتير :

لقد تسلمت رسالتكم المؤرخة فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتي توضح الموقف المصرى بشأن القدس . وقد ارسلت نسخة من هذه الرسالة الى رئيس الوزراء مناحم بيجين لاحاطته علما بها .

ان موقف الولايات المتحدة بشأن القدس يظل هو نفس الموقف الذى أعلنه السفير جولد بيرج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو عام ١٩٦٧ وهو ما أكدته من بعده السفير بوست أمام مجلس الأمن فى أول يوليو ١٩٦٩ .

(ب) حول المستوطنات

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كادتر من الرئيس السادات :

الحاقا باطار التسوية فى سيناء الذى ينبغى التوقيع عليه هذا المساء أود أن أوكد من جديد موقف جمهورية مصر العربية بشأن المستوطنات .

١ - يجب اجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقا لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام .

٢ - لذلك فان موافقة حكومة اسرائيل ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسى تعتبر شرطا مسبقا لبدء مفاوضات السلام التى تستهدف الوصول الى معاهدة سلام .

٣ - فى حالة فشل اسرائيل فى الوفاء بهذا الالتزام فان اطار التسوية سيكون لاغيا وغير قائم .

رسالة رقم (٢)

الى الرئيس كادتر من رئيس الوزراء مناحم بيجين :

أتشرف أن أبلغكم أنه خلال الأسبوعين التاليين لعودتى الى اسرائيل سأطرح على البرلمان الاسرائيلى (الكنيست) مشروع قرار للبت فيه يتضمن الاجابة على السؤال التالى :

إذا تمت خلال المفاوضات الخاصة بإبرام معاهدة سلام بين مصر واسرائيل تسوية جميع المشاكل المتعلقة هل تؤيدون اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المناطق التى يقيمون فيها شمال وجنوب سيناء أم أنكم تؤيدون بقاء هؤلاء المستوطنين فى تلك الأماكن ؟

ان التصويت على هذا السؤال - سيدى الرئيس - سيتم بحرية تامة بعيدا عن جميع تقاليد البرلمان المتبعة التى تقضى بأن يتقيد النائب برأى حزبه وذلك برغم أن الائتلاف الحكومى بتأييد ٧٠ نائب من بين

١٢٠ نائباً هم كل الكنيست وفي اعتقادي أنه سيكون في استطاعة كل عضو في الكنيست سواء من المؤيدين للحكومة أو في مقاعد المعارضة الادلء بصوته بوحى من ضميره الشخصى .

رسالة رقم (٣) :

من الرئيس كارتير الى الرئيس السادات بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٣ الى الرئيس السادات من الرئيس كارتير :

مرفق بهذه الرسالة نسخة من الرسالة التى بعث بها الى رئيس الوزراء مناحم بييجن موضحاً كيفية طرح قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لاتخاذ قرار بشأنها فى وقت لاحق .

وفيما يتعلق بهذه القضية فأنا أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على أجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقاً لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام تعتبر شرطاً مسبقاً لآى مفاوضات من أجل ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

رسالة رقم (٤) :

نص رسالة كارتير الى بييجن بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢

الى رئيس الوزراء بييجن من الرئيس كارتير :

لقد تسلمت رسالتكم بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ توضحون فيها كيفية طرح قضية مستقبل المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء على الكنيست كى تتخذ قراراً بشأنها .

ومرفق هنا نسخة من رسالة الرئيس السادات الى حول هذا الموضوع .

(ج) حول الضفة الغربية وغزة

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتر من الرئيس السادات :

الحاقا على اطار السلام فى الشرف الأوسط أكتب لكم هذه الرسالة لأحيطكم علما بموقف جمهورية مصر العربية بشأن تطبيق التسوية الشاملة .

أنه من أجل ضمان تنفيذ البنود المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ومن أجل حماية الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى فان مصر ستكون على استعداد للاضطلاع بالدور العربى الذى تحدده هذه البنود وذلك بعد المشاورات مع الأردن ومملى الشعب الفلسطينى .

رسالة رقم (٣)

الى رئيس الوزراء بيجين من الرئيس كارتر :

احبطكم علما هنا أنكم أبلغتمونى بما يلى :

(أ) أنكم ستفسرون وتفهمون عبارات « الفلسطينيون » أو « الشعب الفلسطينى » الواردة فى كل فقرة من وثيقة اطار التسوية المتفق عليها باعتبارها تعنى « عرب فلسطينيون » .

(ب) ان الحكومة الاسرائيلية ستفهم تعبير « الضفة الغربية » فى أى فقرة يرد فيها من وثيقة اطار التسوية على أنه يعنى « يهودا والسامرة » .

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧

في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، صوت مجلس الأمن على مسودة قرار قدمتها بريطانيا ، وأفرها بالاجماع ، وفيما يلي نص القرار :

ان مجلس الأمن اذ يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير في الشرق الأوسط ، واذ يؤكد عدم جواز اكتساب الأرض بالحرب والحاجة للعمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن .

واذ يؤكد كذلك أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفق المادة الثانية من الميثاق .

١ - ثبت أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يجب أن يشمل تطبيق المبادئ التالية كليهما .

✳ انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير

✳ انهاء كل تمسك بصفة المحاربة أو في حالة الحرب وإبلاء الاحترام والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وحققها في أن تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة .

٢ - يتبث كذلك الضرورة .

(أ) لضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية في المنطقة .

(ب) لتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) لضمان الحرية الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة باتخاذ اجراءات بما فيها انشاء مناطق مجردة من السلاح .

٣ - يطلب الأمين العام انتداب ممثل خاص ليذهب الى الشرق الأوسط لاقامة ومواصلة الاتصالات مع الدول المعنية بغية تشجيع الاتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفق النصوص والمبادئ الواردة في هذا القرار .

٤ - يطلب من الأمين العام موافاة مجلس الأمن ، في أقرب وقت ممكن ، بتقرير عن سبر جهود الممثل الخاص .

قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣

أن مجلس الأمن :

- ١ - يدعو جميع أطراف القتال الحالى الى وقف كل اطلاق للنيران، وانهاء كل نشاط عسكري فورا ، فى فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اعتماد هذا القرار وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن .
- ٢ - ويدعو الأطراف المعنيين الى البدء فور وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ بكل أجزاءه .
- ٣ - ويقرر أن يبدأ فوز وقف اطلاق النار ، اجراء المفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الرعاية المناسبة بهدف اقرار سلم عادل ودائم فى الشرق الأوسط :

الفصل الثالث

معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل
والاتفاق التكميلي

المعاهدات من قديم التاريخ

لعل اقدم معاهدة سلام فى تاريخ البشرية ، هى المعاهدة التى أبرمها (عام ١٢٦٩ ق م) فرعون مصر « رمسيس الثانى » مع « حاتوسيليس » ملك الحيثيين .

وقد نقشت هذه المعاهدة باللغة الهيروغليفية على حائط معبد الكرنك ، وهى تشمل نصوصا فريدة فى أهميتها لتاريخ العلاقات الدولية، اد تتضمن معانى الصداقة الأبدية ، والسلم الدائم ، والسلامة الإقليمية، وعدم الاعتداء وتبادل المجرمين والمساعدة المتبادلة .

ويوجد نموذج مجسم لهذه المعاهدة باللغة المسمارية ، فى البهو المؤدى الى مجلس الأمن ، من اهداء جمهورية تركيا الى هيئة الأمم المتحدة .

معنى المعاهدة :

والمعاهدة أو الميثاق أو العهد ، يعنى اتفاقا أو محالفه . وقد تنم المعاهدة بين طرفين فتعرف بالمعاهدة الثنائية ، أو بين أكثر من طرفين فتكون معاهدة جماعية .

وقد تكون مدة سريان المعاهدة غير محددة التاريخ ، فتكون لها صفة الاستمرار فهى معاهدة دائمة ، أو محددة الأجل بتاريخ معين متفق عليه ضمن النصوص فتسمى معاهدة مؤقتة .

وإذا كان هناك تقارب بين طرفين أو أكثر من حيث القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية ، فتكون المعاهدة متكافئة ، أما اذا تفاوتت القوى وتباعدت ، فتميز طرف لانفراده وتفوقه فى تلك القوى ، فتصبح المعاهدة غير متكافئة .

وقد لا تتوفر الثقة المطلقة بين طرفى المعاهدة ، فيطلبون ضمانا من دولة قوية ، فتكون معاهدة الضمان . ومن الأرجح أن تباشر الضمان دولة قوية « الدولة الضامنة » ، التى تأخذ على عاتقها ، الزام المتعاهدين على احترام شروط المعاهدة وتقييدهم بها . وغالبا ما يكون موقف الدولة الضامنة حساسا ، ولذا لا تقبل أى دولة أن تقوم بدور الدولة الضامنة الا اذا كانت :

- دولة لها مصلحة مباشرة في احترام المعاهدة والالتزام بشروطها .
- دولة تربطها بدولتي التعاقد صداقة خاصة .

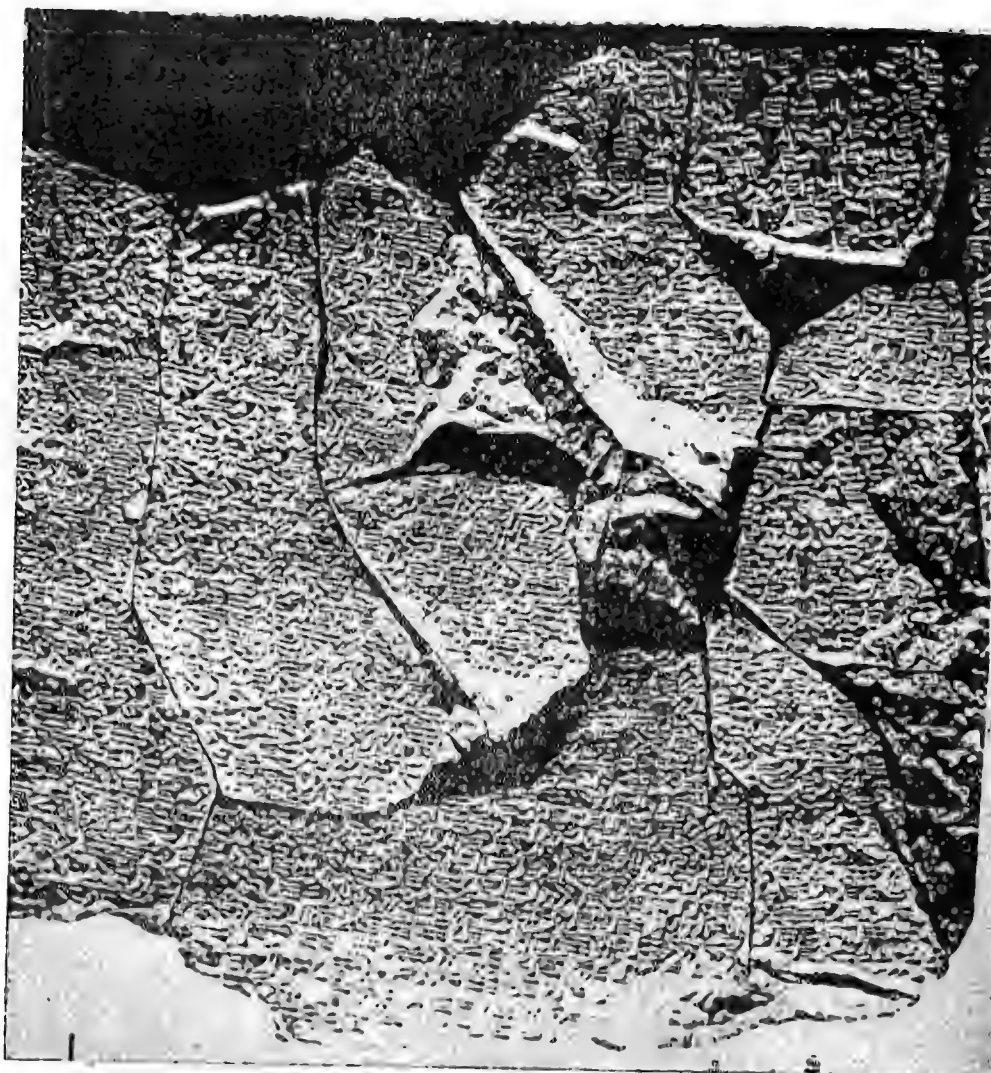
ونعتبر معاهدة « بلوا » (عام ١٥٠٥ م) ، أول معاهدة ضمان في تاريخنا الحديث ، وكانت بين فرنسا وملك أراجون . وقامت انجلترا بدور الدولة الضامنة ، والتزمت بدور المشرف المنفذ لتطبيق شروط المعاهدة ، ووعدت بأن تضمن احترام المتعاهدين للشرط وعدم خروجهما عليها .

وقد يتجاوز الضمان حدود تعهد الدولة الواحدة ، الى ضمان مجموعة من الدول ، فيسمى الضمان الجماعي ، الذي طبق في ميثاق عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى . كما طبق ميثاق هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي ميثاق الضمان الجماعي العربي .

أحلاف الجاهلية .

ومن أهم أحلاف الجاهلية :

- حلف الأحلاف . . عقده بنو عبد الدار مع سادة القبائل الموالية والمطلب ونوفل ، بهدف جمع ما تفرق من شملهم . وسمى بالمطيين لأنهم غمسوا أيديهم في طيب ، جاءوا به الى الكعبة وأقسموا عليه ألا ينقصوا حلفهم .
 - حلف الأحلاف . . عقده بنو عبد الدار مع سادة القبائل الموالية لهم للتصالح مع قريش ، بعد أن كادت الحرب أن تضيع من شأنها واتفق فيما بينهم على أن يكون اللواء لبني عبد الدار والسقاية لبني عبد مناف .
 - حلف الفضول . . اسنمرت حرب الفجار بين هوزان وقريش أربع سنوات كان القتال فيها يدور لعدة أيام ، وفيما عداها كان العرب يكفون عن القتال لتصريف شئونهم وتجارتهم .
- وقد اشترك في هذه الحرب ، الرسول محمد وهو في حديثه . . فكان يجمع السهام التي كانت ترميها قبيلة هوازن ، ويعطيها لجده عبد المطلب ليُردها الى صدور مقاتلي هوازن .
- وفي هزم الحرب ، قتل عبد المطلب وهاشم ، وتشتت بعدهما العرب لصراغهم على الزعامة والسيادة . فرأى الزبير بن عبد المطلب ، أن



أقدم معاهدة سلام في العالم وقعتها مصر عام ١٢٦٩ قبل الميلاد

يعينه جمع الشمل ، وتعاهدوا على مناصرة المظلومين حتى يظهر الحق وينالوه . وقد حضر الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - هذا الحلف .

وكان العرب يوثقون عهودهم ، ببلع الدم ثم يسوائل أخرى فى لون الدم . وكانوا يغمسون أيديهم فى الماء ، فكأنما أمسك بعضهم بيد بعض ، وكأنهم أرادوا أن يسرى العهد فى جسدهم .

المعاهدات فى الاسلام

فى صدر الاسلام ، كان معظم الأحلاف والعهد بين المشركين وبين أنبيى محمد عليه الصلاة والسلام ، وضده بالذات ، لأن الوحى هبط بالاسلام عليه لذاته .

وكان هناك صلح الحديبية ، وهو عهد بين محمد النبى الكريم وبين كفار قريش ، عقد فى شهر ذى القعدة عام ٦ هجرية ، عند بئر الحديبية بالقرب من مكة . ويعتبر هذا الصلح نقطة الانطلاق الجوهرية لانتشار الدعوة المحمدية .

فقد خرج المسلمون ، بعد احرامهم بالمدينة ، وطريقهم مكة للزيارة ، قد سبقهم خبر بين الناس بأن محمدا لا يرغب قتالا . ولكن المشركين من قبائل قريش فى مكة ، توجسوا خيفة وتوقعوا أمرا ، وصمموا قائلين :
- لا يدخلن محمد علينا مكة فيظن العرب أنه دخلها علينا عنوة .

وبعثوا برسول ليتقصى الخبر ويستطلع الأمر . فقال له النبى محمد عليه الصلاة والسلام :

- انا لم نجى لقتال ولكن جئنا معتمرين ، وأن قريشا قد نهكتهم الحرب وأجهدتهم ، فان شاءوا ماردتهم (هادنتهم) مدة ويخلوا بينى وبين الناس .

وعاد رسول قريش وأخبر قومه بالأمر .

وبعد مشاورة الصحابة ، أوفد الرسول الكريم عثمان بن عفان لخبيرهم بسبب قدمهم . وكان عثمان ينتمى الى بنى أمية ، احدى بطون قريش التى يرأسها أبو سفيان . وبذلك يعتبر عثمان من أقرباء أقوى رجل فى قريش .

ولاقت قريش عثمان مرحبة به ، وأنبأهم بعزم المسلمين . ولما طالت غيبة عثمان ، حسب المسلمون أن شرا قد لحقه ، وراجت بينهم اشاعة

قتله ، ففتحسوا لقتال قبائل مكة ، حتى فاجأهم قدوم عثمان وفص
عليهم ما حدث .

وأرسلت قريش ، سهيل بن عمرو ، مبعوثا عنها . فلما رآه النبي
الكريم ، هتف قائلا :

— لقد أراد القوم الصلح حتى بعثوا هذا الرجل .

وقال الرسول الكريم :

— أكتب يا علي . هذا ما ضالغ عليه محمد بن عبد الله ، سهيل
ابن عمرو . وقرر الاتفاق شروطا ملزمة للطرفين .

وهكذا عقد الرسول الكريم هذا الصلح ، حرصا منه على السلام
وتجنب الحرب ، ولاطمئنانه الى صلح يكفل له الأمن من جانب قريش ،
حتى يصل الى حرية الدعوة في ظلال الاسلام .

وروى ابن هشام : أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لم تمض له
سوى مدة قليلة في المدينة ، حتى اجتمع له اسلام أهل المدينة من العرب
ولم يبق دار من دور الأنصار ، الا أسلم أهلها ، عدا أفراد من قبيلة
الأوس .

فكتب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كتابا بين المهاجرين
والأنصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ،
وشرط لهم واشترط عليهم .

لقد كان بالامكان أن تؤتى هذه المسألة العادلة ، ثمارها فيما بين
المسلمين واليهود ، لو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم من حب الغدر
والخديعة ، فكان المسلمون بذلك في حل مما التزموا به تجاههم .

والأصل أن مشروعية فرض الجهاد ، حكم تبليغي لا يخضع لأي
نسخ أو تبديل ، وكذلك أصل مشروعية الصلح والمعاهدات فهو ثابت
لا يجوز ابطاله أو اجتثائه من أحكام الشريعة الاسلامية ، وهو يخضع
للسياسة الشرعية أو ما يسمى بـ « حكم الامامة » ، وتتحكم فيه ظروف
الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة أعدائهم . والميزان المحكم في ذلك ،
أنما هو بصيرة الامام العادل ، بجانب اعتماده الدائم على مشاورة المسلمين
والاستفادة من خيراتهم وآرائهم .

فاذا رأى الحاكم أنه من الخير للمسلمين أن لا يجابهوا أعداءهم
بالحرب والقوة ، بعد التشاور ، فله أن يجتنب الى سلم معهم لا يصنادم

نصا من النصوص الشرعية النابتة • وله أن يحمل رعيته على القتال •
إذا ما رأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة في ذلك الجانب • وهذا
ما اتفق عليه عامة الفقهاء ، ودلت عليه مشاهد كثيرة من السيرة النبوية
الشريفة • والصحيح الذي اتفق عليه الفقهاء ، أن الشورى مشروعية
ولكنها ليست بملزمة للحاكم المسلم ، فليس عليه أن يأخذ بأراء الأكثرية
لو خالفوه الرأي •• ويقول الامام القرطبي في كتاب الجامع لأحكام
القرآن :

« المستشير ينظر في اختلاف الآراء ، وينظر أقربها الى الكتاب
والسنة ان أمكنه ، فإذا أرشده الله تعالى الى ما شاء منها عزم عليه
وأنفذه » •

معاهدة السلام

بين مصر واسرائيل

كانت اتفاقيات كامب ديفيد •• كاتار شامل وعادل للسلام في
الشرق الأوسط •• تمثل صرحا عظيما ومنطلقا حيويا لدفع عجلة السلام
قدما ، بدون ابطاء أو توقف ، لتحقيقه بشكل عملي •

وقد نص في مقدمة اتفاق اطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر
واسرائيل ، على موافقة الطرفين على التفاوض بنية حسنة ، بهدف عقد
معاهدة سلام بينهما ، في غضون ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاق (يوم ١٧
سبتمبر ١٩٧٨) •

وفي الفترة ما بين ١٢ أكتوبر الى ٤ ديسمبر ١٩٧٨ ، عقدت مباحثات
بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة بوصفها شريكا كاملا في السلام ،
في « بليز هاوس » بواشنطن ، بهدف الوصول الى اتفاق شامل للسلام
بأثارة موضوعات فرعية سبق بحثها في كامب ديفيد •

ودارت المباحثات في حلقة مفرغة ، لجأ اليها الجانب الاسرائيلي
بأثارة موضوعات فرعية سبق بحثها في كامب ديفيد •

ولعل اسرائيل قد تناست ، أن مصر تتحمل مسئولية خاصة في
المنطقة ، جعلتها في أول صفوف المحاربين ، حين كانت الحرب هي الوسيلة
الوحيدة للتعامل مع الموقف ، كما جعلتها في أول صفوف المفاوضين حين
سبحت الفرصة •• وأن مصر لا يمكن أن تقبل أى موقف يحاول فيه
أحد أطراف النزاع أن يأخذ في يده مقاليد التصرف والتحكم •• فكان

أن رفضت مصر أى نسوية فى قضية السلام ، وتعرى سر المباحثات
حتى غلب الظن على فشلها المؤكد .

ورأى الرئيس كارتر ، أن تجميد المباحثات لا يفيد مطلقاً قضية
السلام فى الشرق الأوسط ، فكان عليه أن يتحرك شخصياً كشريك كامل
لحسم العقبات ولتفهم وجهة نظر كل من الطرفين . فقرر أن يقوم بزيارة
مصر واسرائيل يوم ٥ مارس ١٩٧٩ .

وبعد انتهاء زيارة الرئيس الأمريكى ، وقبل مغادرته مطار القاهرة
الدولى يوم ١٣ مارس ، صرح كارتر بأنه قد تم تحديد كل عناصر
اتفاق السلام ، ووجه دعوته الى مصر واسرائيل للتوقيع على الاتفاق فى
واشنطن .

ونجحت مساعى كارتر مع السادات وبيجين ، وتم التوقيع النهائى
على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وملحقاتها فى واشنطن ٢٦ مارس
١٩٧٩ . وذلك بعد ستة أشهر من الاستغراق المطلق فى العمل الجاد
المتواصل ، الذى أسفر عن :

١ - معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها الثلاثة .

٢ - اتفاق تكميلي - على شكل خطاب موقع عليه من السادات
وبيجين - موجه الى الرئيس كارتر ، بشأن اقامة الحكم الذاتى الفلسطينى
الكامل فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة انتقالية مدتها خمسة أعوام ،
تمهيدا لتقرير الشعب الفلسطينى لمصيره .

٣ - تفسيرات رسمية لبعض المواد ، تعتبر جزءاً لا يتجزأ من
المعاهدة .

٤ - الرسالة المرسلة من جمهورية مصر العربية الى الرئيس الأمريكى
بشأن تبادل السفراء بين مصر واسرائيل .

وقد حصلت مصر على تعهد قاطع من الرئيس الأمريكى ، بأن تستمر
الولايات المتحدة فى الاضطلاع بدور الشريك الكامل ، والقيام بجهد مكثف
للتوصل الى حل عادل للمشكلة الفلسطينية .

السلام العادل الدائم :

لم تشط مصر أو تخرج - فى اتفاقيات ومعاهدة السلام - عن
التزاماتها العربية . فكلها تحقق الأهداف المصرية والعربية ، التى

أجمعت عليها الأمة العربية ، فى قرارات مؤتمرات القمة العربية ، على
الأخص قرارات مؤتمر الرباط (أكتوبر ١٩٧٤) .

كما تتمشى مع التطبيق العملى لقرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة
١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ، التى وافقت عليهما مصر والدول
العربية ، على مراحل وفترات مختلفة على مدى ١٣ سنة .

وتحقق معاهدة السلام واتفاقياتها المرتبطة بها شكلا وموضوعا
أهدافا كثيرة من أهمها :

بالنسبة لمصر :

- ١ - انتهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، بمجرد تبادل التصديق
على المعاهدة .
- ٢ - انسحاب القوات الاسرائيلية من الأرض المصرية ، التى احتلتها
سنة ٦٧ ، على أن يتم الانسحاب دون تدمير المنشآت والطرق
والطارات والموانئ . واستعادة مصر لممارسة سيادتها كاملة على
سيناء .
- ٣ - تصفية جميع المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء .
- ٤ - تأكيد أن ترتيبات الأمن فى سيناء التى وضعت على أساس التبادل
بين الطرفين ، هى ترتيبات مؤقتة .
- ٥ - تأكيد التزام مصر القومى والتاريخى الى الأمة العربية والتضامن
العربى .
- ٦ - نظرا لتمسك مصر بسياسة عدم الانحياز ، فقد تم الاتفاق على حق
مصر فى اختيار الدول التى ستتبع لها قوات الطوارئ الدولية
لحفظ السلام بالمنطقة . وذلك حتى تضمن مصر عدم اشتراك
الدول الكبرى فى تلك القوات .
- ٧ - عودة القوات المسلحة المصرية ، بالحجم والتسليح التى كانت عليه
قبل ١٩٦٧ ، بما يكفل قدرتها على تنفيذ مهامها وتأمين سلامة
مصر .
- ٨ - رفض التعهد بامداد اسرائيل بالبشرى ، الا اذا دخلت فى العطاءات
الدولية بالنسبة للكميات الفائضة عن حاجة مصر .

بالنسبة للشعب الفلسطيني

- ١ - الاعتراف بالحقوق المشروعة .
- ٢ - اقامة حكم ذاتي كامل في الضفة الغربية بما فيها مدينة القدس الشرقية وقطاع غزة . بعد مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات . تتم خلالها مفاوضات يشارك فيها الممثلون المنتخبون من الشعب الفلسطيني . على أن تتم تلك المراحل وفقا لجدول زمني ، ينتهي ببدء انسحاب القوات الاسرائيلية الى خارج الضفة والقطاع أو الى مواقع محددة يتفق عليها .
- ٣ - تأكيد ارتباط التسوية على الجبهة المصرية ، بتسوية القضية الفلسطينية . وذلك بالتوقيع على الاتفاق التكميلي الخاص بالضفة وغزة ، في نفس وقت توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية وبين نفس الأطراف .
- ٤ - مشاركة مصر ، في جميع المفاوضات الخاصة بمستقبل الشعب الفلسطيني .

بالنسبة لعرب المواجهة

تطبيق مبدأ الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الأراضي العربية التي احتلت سنة ١٩٦٧ ، وممارسة السيادة الكاملة عليها ، تنفيذاً لقراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ .

وقد تم التأكيد على ذلك في مقدمة المعاهدة ، على أن « اطار السلام »، لم يقصد به أن يكون أساسا للسلام بين مصر واسرائيل فقط ، بل يرسى أيضا كأساس للسلام بين اسرائيل وجيرانها (الأردن وسوريا وممثلي الشعب الفلسطيني) اذا رغبوا في التفاوض .

التصديق على المعاهدة

وفقا للقرار الجمهوري رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩ ، حول مجلس الشعب بجلسته يوم ٥ ابريل ١٩٧٩ ، المعاهدة ووثائقها والاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي في فلسطين (الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة) ، الى اللجنة المشتركة من لجان العلاقات الخارجية والشئون العربية والأمن القومي والتعبئة القومية للقيام بالدراسة اللازمة ، حتى يتسنى للمجلس مناقشتها واقرارها ، تطبيقا للمادة ١٥١ من الدستور .

وسرح رئيس اللجنة ما قامت به من بحث ودراسة ، أمام مجلس الشعب بجلسة يوم ١٠ ابريل ١٩٧٩ . تم أخذ رأى ممثلى الشعب فى المعاهدة وملحقاتها والاتفاق التكميلى ، وذلك نداء بالاسم ، ووافقت الأغلبية (كان عدد الموافقين ١٥ عضوا ، وامتنع عضو واحد عن التصويت) . فصدر قرار المجلس بالموافقة على معاهدة السلام المصريه الاسرائيلية ووثائقها والاتفاق التكميلى مع التحفظ بشرط التصديق .

وصدر القرار الجمهورى رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩ ، لدعوة الناخبين يوم ١٩ ابريل ١٩٧٩ ، لابتداء الرأى فى الاستفتاء على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلى ، وعلى عدد من المواضيع لتصحيح المسار الديمقراطى .

وفى يو ٢٠ ابريل ١٩٧٩ ، أعلنت نتيجة الاستفتاء ، فكان عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت بالموافقة ٩٩.٩٥٪ .

وباسم الشعب ، صدق الرئيس السادات يو ٢١ ابريل ١٩٧٩ على معاهدة السلام وملحقاتها ، وعلى المحضر المتفق عليه بشأن بعض المواد ، وعلى الخطاب المشترك الموجه من رئيس مصر ورئيس وزراء اسرائيل الى الرئيس الأمريكى ، بشأن الحكم الذاتى الفلسطينى .

كما قامت اسرائيل من جانبها باتخاذ اجراءات التصديق اللازمة بدءا بموافقة الكنيست يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ ، وقرار حكومة اسرائيل بالتصديق على الوثائق الخاصة بالمعاهدة يوم ١ ابريل ١٩٧٩ ، تم توقيع رئيس دولة اسرائيل (كشاهد على ذلك) الذى أمر بالتصديق عليها بختتم الدولة يوم ٢٣ ابريل ١٩٧٩ .

وتم تبادل وثائق التصديق بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة، الشريك الكامل للطرفين .

وأصبح اتفاق السلام نافذ المفعول .

وتبددت الى الأبد ظلمات السنين الغائرة ، وأشرق على الشعب المصرى نور الحياة من جديد .

٠٠ وأخيرا وليس آخرا

وأخيرا ٠٠ انتصرت مسيرة السلام العادل الدائم الذى يكفل الأمان لمصر ، والتنمية والرخاء لشعبها الصامد ، ويمهد الطريق الديمقراطى ، لبسط الحرية للانسان المصرى .

وليس آحرا ٠٠ لأن مصر قد حققت السلام ، بالعمل الجدى الذى بدأ بالقوة والردع ، وانتهى بالتفاوض السلمى لتحقيقه .
وليس هناك أصعب من الحصول على السلام ، الا الاحتفاظ به .
وهذا فرض وواجب على الجيل الحاضر وأجيال المستقبل .
وسوف يصبح تيار السلام ، الذى سرى فى ربوع مصر المباركة .
تيار التاريخ القادم فى كل مكان .

أهمية سيناء العسكرية

تعتبر سيناء ، مدخل مصر الشرقى ، والحائط الدفاعى العظيم .
ونقع بين قارتى آسيا وأفريقيا . وتعتبر حلقة الوصل بين شقى العروبة
فى الشرق والغرب ، وعلى أرضها تلتقى مصر والأردن وشبه الجزيرة
العربية .

وسيناء ، شبه جزيرة مساحتها ٦١٠٠٠ كم ٢ ، مثلثة الشكل
تقريبا ؟ طول القاعدة ٢٠٠ كم ، تمتد على ساحل البحر الأبيض
المتوسط ، من بور فؤاد غربا الى رفح شرقا . ورأس مثلث سيناء عند
منطقة رأس محمد فى أقصى الجنوب ويبعد ٣٩٠ كم تقريبا عن ساحل
البحر الأبيض المتوسط .

ويحد شبه جزيرة سيناء :

- الحد الغربى . وطوله ٥١٠ كم تقريبا ، على امتداد خليج السويس
وقناة السويس .

- الحد الشرقى . بطول ٢٤٠ كم تقريبا ، على الساحل الغربى لخليج
العقبة .

- حد الخط الوهمى للحدود السياسية بين سيناء وفلسطين . بطول
٢١٥ كم تقريبا ، ويمتد من طابا على رأس خليج العقبة حتى رفح على
ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ومن الناحية العسكرية ، تنقسم سيناء الى جزئين ، لكل منهما
قيمتها الاستراتيجية المتميزة :

١ - المثلث الجنوبى : وتدخل فيه الهضبة الوسطى وجبال الطور
ونعتبر شرم الشيخ ، مفتاح المثلث الرئيسى ، فهى التى تتحكم تماما فى
كل خليج العقبة ، عن طريق مضيق تيران . كما تتحكم شرم الشيخ فى

السهلين الساحليين بحكم التقائهما عندها ، ومضيق مدخل خليج العقبة عند جزيرتي تيران وصنافير ، مع وجود الشعب المرجانية التي تقلل من عمق المضيق ، وتجعل الملاحة فى المياه الإقليمية المصرية وحدها ، أى فى مضائق تيران الأكثر صلاحية للملاحة ، مما أعطاها أهمية عسكرية خاصة بالنسبة لمصر .

٢ - المستطيل الشمالى : ويتفوق بأهميته الاستراتيجية المميزة . ويمتد بمحاذاة الطريق البرى ، ويحتوى على المحاور الثلاثة الأساسية للحركة فى سيناء كلها ، والتي يستحيل تحريك القوات الميكانيكية خارجها .

ودائما ما كان المستطيل الشمالى بموقعه وتضاريسه ومحاوره - طريق الحرب وممرها لتحكمه فى كل سيناء . كما هو طريق التجارة قديما وحديثا .

وتعتبر هذه المحاور بامتدادها من الشرق الى الغرب ، من أهم طرق المواصلات والحركة المدنية والعسكرية . وهذه المحاور هى :

(أ) المحور الشمالى . من القنطرة لبيتجه شمال شرق ، موازيا لسهل الطينة الرخو ، فيمر ب : بالوظة - الفرما - بير العبد - العريش ثم رفح ، ويضيق هذا الطريق عند رمانه .

(ب) المحور الأوسط . يمتد بين الاسماعيلية فأبو عجيبة ثم البوابة (داخل اسرائيل) وهو العمود الفقري فى المحاور الثلاثة لصلاحية التامة لتحريك القوات الميكانيكية الثقيلة . ويزيد من أهميته أنه يؤدى شرقا الى قلب هضبة فلسطين الداخلية ، وغربا الى قلب الدلتا مباشرة .

(ج) المحور الجنوبى . يمتد بين السويس والقسيمة ، ولا يصلح الا لتحريك الحملات الخفيفة .

الطريق الحربى القديم

وعادت سيناء بأكملها الى أحضان أهلها المصريين . فمنذ عهد يزيد على ٥ آلاف سنة ، امتزج البدو بممثلى الادارة المصرية . حتى كان عهد الأسرة الحادية عشر عندما تمصرت سيناء تماما . وهذا يؤكد بوضوح ، أن مصر جعلت سيناء أرضا مكتملة لها منذ فجر التاريخ . وتدل على ذلك ، أقدم آثار الوجود المصرى فى سيناء والتي اكتشفت فى وادى المغارة . ومنها لوحات فرعونية تعتبر أقدم أثر انسانى من نوعه ، تدل على أن

الفراعنة بسطوا سلطانهم على سيناء . كما توجد أقدم النفوش الفرعونية وهو ما سمي (بصخرة سمرخت) وهو سابغ ملوك الأسرة الأولى ومن بين اللوحات العديدة في وادي المغارة ، لوحتين للملك سنفرو من الأسرة الثالثة .

ولما طبقت مصر الفرعونية في استراتيجيتها العسكرية مبدأ : « هاجم حتى لا تهاجم » : أقام مؤسس الأسرة البانية عشر ، الاستحكامات الدفاعية والحصون المنيعة ، وأرسلت إليها الحاميات على امتداد حدود مصر الشرقية والشمالية الشرقية . وذلك حتى ينقل الفراعنة الحرب وساحتها الى ما وراء سيناء حتى لا يضطرون الى الحرب في داخل وادي النيل .

وقد سلك تحتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٧٦ ق م) الطريق الحربي القديم (القنطرة - رفح) عبر سيناء ، لتأمين حدود مصر الشرقية . وقد سجلت تفاصيل حملته هذه ، على جدران معبد آمون بالكرنك .

ويعتبر هذا الطريق أهم الطرق الحربية في العالم القديم ، وكان يعرف بطريق حورس ، وقد اهتم الفراعنة ، وخاصة في الأسرة التاسعة عشر ، بحفر الآبار في أماكن متعددة منه وبناء القلاع لتقيم فيها الحاميات .

كما سلك نفس الطريق :

— رمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق م) ، عندما قاد جيشه لتأديب جيوش مملكة خيتا ، وانتصر عليهم في معركة قادش .

— الاسكندر الأكبر (٣٣٢ ق م) عندما جاء لغزو مصر والشام فدخل مصر من البحر قرب بورسعيد ، ودخلها من البر عن طريق الشمال عند العريش .

— عمرو بن العاص وجيش المسلمين (١٨ هـ = ٦٣٩ م) ، فقد دخل مصر من طريق الفرما الشمالي .

خطوط الدفاع الاستراتيجية في سيناء

وئمة ثلاثة خطوط دفاعية أساسية عن مصر ، بامتدادها من الشمال الى الجنوب هي :

١ - خط الدفاع الأول . يقع قرب الحدود السياسية لمصر ، ويكاد يوازيها ويمتد أساساً من رأس خليج العقبة حتى

العريش ويعلو الخط فى قطاعه الجنوبي . ما بين رأس النقب والقسيمة ، قوس من المرتفعات الجبلية أو شبه الجبلية . ويبعد هذا القطاع عن طريق التحركات العسكرية الأساسية .

ويؤلف هذا القطاع ، سلسلة هضبية تصل ما بين هضبة التية فى قلب سيناء ومرتفعات وسط النقب فى جنوب اسرائيل . أما القطاع الشمالى لهذا الخط ، فيبدأ من القسيمة وينتهى بالعريش . وهو متوسط الارتفاع كثير المنخفضات . ويمثل الممر الطبيعى بين سهول سيناء وسهل فلسطين . ولذلك يعتبر مركز الخط فى الخط كله ، اذ نجتمع فيه نهايات محاور سيناء الاستراتيجية الثلاثة .

ويعتبر خط الدفاع الأول ، أكثر تعرضا للخطر ، لعدم تمتعه بالعمق الاستراتيجى الكافى . كما أنه يقع فى منطقة استراتيجية حرجية حيث تقارب فى دائرة واحدة حدود مصر واسرائيل والأردن والسعودية .

وتوجد فى خط الدفاع الأول ، مواقع ذات أهمية استراتيجية حيوية . وهى :

— الكونتلا . . بموقعها عند بداية أحد رواق وادى العقبة ، فوق هضبة عالية مشرفة ، تسيطر على المنخفضات والطرق والأودية المحيطة بها . كما يوجد بها مصادر المياه الوحيدة فى المنطقة . . . فهى تمثل بذلك نقطة حصينة للغاية .

— القسيمة . . التى تسيطر على طريق سيناء الجنوبى الى السويس .

— العريش . . التى تسيطر على المحور الشمالى الممتد من القنطرة الى اسرائيل ، كما تسيطر على الطريق الموصل الى أبو عجيلة .

٢ — خط الدفاع الثانى . . ويقع على بعد يتراوح بين ٣٢ و ٧٥ كم من قناة السويس . ويتميز الخط بجباله الوعرة فى قطاعه الجنوبى ، ثم يتحول فى الشمال الى بحر من الرمال والمستنقعات السبخة مما يجعل الخط بأكمله غير صالح للإختراق أو العبور الا من خلال خمس فتحات محددة مما يجعل الخط متحكما فى التحركات من شرق سيناء الى غربها .

ومن بين هذه الفتحات ، اثنتان أساسيتان هما :

— ممر متلا على المحور الجنوبى ، ويبدأ من علامة الكيلو ٣٢ على طريق شرق القناة/نخل ، وينتهى عند علامة الكيلو ٦٣ . وهو عبارة عن أرض محدودة بين جبل الراحة شمالا وجبل الحيطان جنوبا . ويعتبر

- ممر متلا الفتحة الجبلية الحاكمة ، ومن هنا تبرز أهمية هذا الممر الدفاعية عن السويس والقناة ثم القاهرة .
- مضيق جفجافة على المحور الأوسط ، بين جيلي الختمية وبلق جنوبا ، وجبل المغارة ومنطقة الكثبان الرملية شمالا ، وهو أقوى وأهم مواقع سيناء الاستراتيجية .
 - أما الثلاث فتحات الثانوية . . فهي :
 - وادي السدر ، جنوب ممر متلا ويوازيه .
 - ويفصل وادي سدر جبل الراحة شمالا ، عن كتلة الهضبة الوسطى جنوبا .
 - ممر الجدي ، الذي يفصل بين جبل أم خشيب وجبل حيطان . ويقع شمال ممر متلا .
 - ممر الختمية ، الذي يفصل بين جبل الختمية وجبل أم خشيب .
 - ويمتد خط الدفاع الثاني نحو الشمال ، بعد مضيق الجفجافة وجبل المغارة عبر نطاق الكثبان الأساسي ، حتى بحيرة البردويل كمانع أخير على نهاية الخط .
 - ويتفاوت عرض بحيرة البردويل بين أقل من كيلو متر وبين ١٥ كيلو مترا ويبلغ تنفث نيرانها لتغطي مياه القناة حينما تشاء إسرائيل .
 - وأقامت الاستحكامات وقواعد للصواريخ ومحطات الرادار عند الممرات ، وأنشأت المستوطنات في سيناء .
 - وكانت مصر تستعد للحرب ، ووضعت القيادة السياسية والعسكرية التخطيط الجيد لحرب أكتوبر .
 - وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - ١٠ رمضان ، وبمفاجئة لم تتوقعها إسرائيل بل العالم بأسره ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، كانت طائرات القوات الجوية المصرية تملأ السماء فوق القناة متجهة باصرار وعزيمة نحو المواقع الاسرائيلية في سيناء . وفي نفس الوقت ، عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس لتقتحم بجرأة فائقة ، حصون خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة . ولم يجد جنود اسرائيل مفرا سوى الهرب وهم في فزع وذهول ، مما رآوه بأعينهم ولمسوه بأنفسهم ، من براعة المقاتل المصري وجسارته . وبعد ساعة واحدة من لحظات العبور ، رفر العلم المصري فوق حصون خط بارليف مكان العلم الاسرائيلي . وتقدمت القوات المصرية في أعماق سيناء ورسخت الأقدام المصرية في سيناء . . وكان النصر لمصر .

وكانت مصر توافقه الى السلام الشامل العادل المستقر ، فخاضت مرة أخرى أخطر المعارك السلمية من أجل ادراك السلام .

وبنصر أكتوبر المجيد ، استعادت مصر جزءا من شبه جزيرة سيناء ، واستردت بقيتها بعد اتفاقية كامب ديفيد التي وقعتها مصر واسرائيل في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

• طولها ١٠٠ كيلو مترا .

ويماثل خط الدفاع الثاني في أهميته ، المحور الأوسط ، الذي يقع عند تقاطعها مضيق جفجافة .

قناة السويس •• خط الدفاع الأخير

تعتبر قناة السويس أهم وآخر خط دفاع عن مصر كلها ، حيث يتقارب بحراها (الأبيض المتوسط والأحمر) ، وتتخللها بحيرات داخلية (المرة والتمساح) مما يوطد ويقوى مناعتها .

وهي مانع مائي فريد مميز بالغ الطول • وتصب في قناة السويس ، نهايات محاور الحركة الثلاث عند القنطرة والاسماعيلية والسويس .

وتتميز قناة السويس ، كمانع استراتيجي بالآتي :

- يحدها شاطئ شديد الانحدار .

- يختلف فيها منسوب المياه عدة مرات في اليوم الواحد ، بسبب المد والجزر •• ولذلك أثره الهام عند التخطيط للعبور • وتنفيذه .

- سرعة التيار ، وتغير اتجاهه كل ٦ ساعات •• مما يؤثر على تخطيط العبور .

- انخفاض سطح الماء بمقدار ٢ متر عن حافة الشاطئ .

وتجرى قناة السويس لنحو ٤٠ كيلو مترا فيما بين بورسعيد والقنطرة ، في مضيق مختنق بين سهل الطينة • وإذا تحققت السيطرة بما يقوى الدفاع عن القنطرة ، فيمكن التحكيم في بورسعيد دفاعا وهجوما ، مما يجعل تقدم أى قوات هجومية محكوم عليها بالفشل .

ويتضح مما تقدم ، مدى أهمية سيناء من الناحية الجيوستراتيجية-
(الجغرافيا العسكرية) ، مما يستوجب اعطاء الأهمية القصوى لأمن سيناء-
الاستراتيجى الذى يعد من أهم مبادئ الأمن القومى المصرى .

وضع سيناء

(من حرب ١٩٦٧ حتى حرب ١٩٧٣)

فى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وافقت فرنسا وانجلترا ، على انتهاء العمليات
الحربية ، وأجلت قواتهما عن الأراضى المصرية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ .
وأرادت اسرائيل الاحتفاظ بقطاع غزة ، ولكنها اضطرت للجلء عنها فى
٥ ديسمبر ١٩٥٧ ، بعد تدخل الاتحاد السوفيتى .

وكانت الجمعية العمومية لهيئة الأمم ، قد قررت فى ٥ نوفمبر
١٩٥٦ ، انشاء قوة طوارئ دولية تحت قيادة الأمم المتحدة لوقف النزاع
بين مصر وقوات العدوان الثلاثى . وتمركزت قوات الطوارئ فى موقعها
بين المتحاربين على حدود سيناء وفى خليج العقبة وسرم الشيخ وغزة ،
وعلى طول خطوط الهدنة ، وذلك بعد جلاء القوات الاسرائيلية .

وقد امتدت قوات الطوارئ فى الجانب المصرى ، دون اسرائيل التى
رفضت مرابطة القوات فى جانبهم .

وكانت موافقة مصر على قوات الطوارئ على أساس وجودها المؤقت ،
بحيث يمكن لمصر طلب سحبها اذا اقتضت الظروف .

وفى ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ، أعلنت حالة الطوارئ فى القوات
المسلحة المصرية ، وطلبت مصر من هيئة الأمم ، سحب قوات الطوارئ
الدولية .

وفى ٢٢ مايو تم اغلاق خليج العقبة أمام السفن الاسرائيلية والسفن
التي تحمل مواد استراتيجة لاسرائيل .

وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بدأت الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة ،
واحتلت اسرائيل سيناء بأسرها حتى الضفة الشرقية لقناة السويس ،
حيث أقامت على طولها خط بارليف وحصونه المنيعه ، ودعمته بواسير
النابالم .

معاهدة السلام

بين مصر واسرائيل

كانت معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية النى تم التوقيع عليها يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ المنطلق الى انتهاء حالة الحرب ، واسترداد الأرض المصرية السليبة عام ١٩٦٧ ، بعد انسحاب القوات الاسرائيلية بأكملها عن سيناء ، وعلى مراحل يتفق عليها بين مصر واسرائيل .
على أن يتم ذلك بعد التصديق الرسمى على المعاهدة ، طبقا للأصول الدستورية المرعية فى دولة كل طرف .

الانسحاب الاسرائيلى من سيناء

يمثل هذا الانسحاب ، التطبيق الكامل للمعاهدة فى شقها العسكرى وجاء فى المادة الأولى (فقرة ٢) من معاهدة السلام المصرى الاسرائيلى :

٢ - تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) .

وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء » .

واشترطت لاقامة علاقات طبيعية وودية ، بين مصر واسرائيل ، اتمام الانسحاب المرحلى (المنصوص عليه فى البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن) . على أن يتم الانسحاب الى ما وراء حدود مصر وفقا لاتفاقية عام ١٩٠٦ .

وكان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أن أرتفع العلم المصرى ، على ضفة قناة السويس الشرقية لبسط السيادة العسكرية المصرية ، فوق مساحة تمتد بطول القناة وبعمق ١٠ كيلو مترا فى سيناء .

ثم انتهت اسرائيل من تنفيذ أول مراحل الانسحاب فى ٢٦ مايو ١٩٧٩ ، من خط العريش/رأس محمد .

وعادت سبنا بأكملها الى السيادة المصرية ، بانتهاء آخر مرحلة للانسحاب يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٢ .

وكان ذلك فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى تمسك بحق مصر الواضح فى اتفاقية السلام . ودخلت سيناء المصرية عهدا جديدا ، لرحمته السلام والأمن والاستقرار ، وسداته الرخاء والخير العقيم .

وعادت مصر الى وادى القمر (وهو الاسم الذى اشتهرت به سيناء)
ولم تبق الا طابا المصرية ، التى تقع فى آخر الحدود الدولية لمصر
وتطل على خليج العقبة •

منطقة طابا

نم تحديد خط الحدود الدولية الشرقية لمصر ، وفقا لاتفاقية
القسطنطينية بين حكومتى مصر وتركيا ، ويمتد بين رأس طابا ورفع •
كما نص عليه الدكرى العثمانى سنة ١٨٩٢م والمصاحب لفرمان عباس
حلمى الثانى ، الذى تقرر أن سيناء المحدودة شرقا بخط يصل من رفح
الى رأس العقبة ، هى جزء طبيعى من مصر •

وقد تشكلت لجنة مشتركة من المصريين والأتراك (سنة ١٩٠٦)
قامت بتعليم نقط الحدود على الطبيعة ب ٩١ علامة على شكل هرم ناقص •
وتم تثبيت أول علامة فى رأس طابا يوم السبت ٣١ ديسمبر ١٩٠٦
وأعطيت رقم ٩١ ، وثبتت آخر علامة على تل الجرائم بساحل رفح فى ٩
فبراير ١٩٠٧ وأعطيت رقم ١ •

ولكن طرف التفاوض الاسرائيلى ، رأى أن هناك اختلافا فى خط
الحدود بالنسبة لمنطقة طابا ، اذ اختلف الخط المحدد على الأرض عن
الخط المحدد على الخريطة ، بحوالى كيلو متر و ٢٠ مترا • واستند
الجانب الاسرائيلى فى ذلك ، الى كتاب وضعه نعيم شقير سكرتير اللجنة
المصرية التركية التى حددت الحدود ، وفيه أعطى وصفا للخريطة
مخالفا لما جاء فى اتفاقية سنة ١٩٠٦ •

وفى اجتماعات اللجنة الفنية المصرية الاسرائيلية ، أصر كل جانب
على موقفه • كما أن مجموعتى اللجنة العليا للانسحاب ، برئاسة كمال
حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى ، وايريل سارون
وزير الدفاع الاسرائيلى لم يقتنع كل منهما بوجهة نظر الآخر •

ويوم ١٥ مارس ١٩٨٢ ، قدم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
المصرى خلال زيارته لاسرائيل ، اقتراحا وافق عليه وأقره مناحم بيجين
رئيس الوزراء الاسرائيلى ، الذى نص على :

١ - أن يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية الى خط الحدود
الدولية الذى تراه مصر •

مصر بعد العبور - ٥٤٥

٢ - أن تتقدم الشرطة المدنية المصرية في هذا القطاع (المنطقة ج) الى الخط الذي تراه اسرائيل .

٣ - ان ننشأ بعد ذلك منطقة حدود مختلف عليها ، الى أن يتم الاتفاق على أساس حل الخلاف الفنى حول تحديد خط الحدود .

ومن المعروف دوليا ، أن « منطقة حدود مختلف عليها » لا تعطى حقا للسيادة لأى من الدولتين المتنازعتين على هذه الأرض .

وتحولت منطقة طابا - التى تشملها مساحة كيلو متر و ٢٠ مترا - الى منطقة خلاف الى أن يتم التوصل الى اتفاق بشأنها . ونظرا لعدم نجاح التوفيق ، لنمسك الجانب الاسرائيلى برأيه ، فقد تحول الخلاف الى التحكيم الدولى . وتعتبر نتيجة التحكيم ملزمة لكل طرف .

معاهدة السلام

بين

جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل

والملاحق والخرائط الملحقة بها

والمحضر المتفق عليه

معاهدة السلام بين جمهورية مصر ودولة اسرائيل

ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة اسرائيل . .

الديباجة

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشامل ودائم
فى الشرق الأوسط وفقا لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

اذ تؤكدان من جديد التزامهما « باطار السلام فى الشرق الأوسط
المتفق عليه فى كامب دافيد » ، المؤرخ فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ . .

واذ تلاحظان أن الاطار المشار اليه انما قصد به أن يكون أساسا
للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل فحسب ، بل أيضا بين اسرائيل وأى
من جيرانها العرب كل فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من
أجل السلام معها على هذا الأساس . .

ورغبة منهما فى انهاء حالة الحرب بينهما واقامة سلام تستطيع فيه
كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن . .

واقتناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يعتبر
خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى المنطقة والتوصل الى تسوية
النزاع العربى الاسرائيلى بكافة نواحيه . .

واذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى فى النزاع الى الاشتراك فى
عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادئ اطار السلام المشار اليها
آنفا واسترشادا بها . .

واذ ترغبان أيضا فى انماء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا
لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولى التى تحكم العلاقات الدولية
فى وقت السلم . .

قد اتفقتا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرية لسيادتهما من
تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل . .

المادة الأولى

- ١ - تنتهى حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وناثق التصديق على هذه المعاهدة .
- ٢ - تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وراة بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء .
- ٣ - عند امام الانسحاب المرحلى المنصوص عليه فى الملحق الاول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣) .

المادة الثانية

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة فى الملحق الثانى وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة . ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضي الطرف الآخر بما فى ذلك مياهه الاقليمية ومجاله الجوى .

المادة الثالثة

- ١ - يطبق الطرفان فيما بينهما احكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم ، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيها واستقلاله السياسى .

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها .

(جـ) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ، أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وبحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية .

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من افعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيها أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيها ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر . كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أى مكان . كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى سنقَام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع المتميزة المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع . كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطني الطرف الآخر بالخاضعين للاختصاص القضائي بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها - بالتوصل الى اقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة .

المادة الرابعة

١ - بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الأراضي المصرية والاسرائيلية وقوات أهم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الأول وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يوقع عليها الطرفان .

٢ - يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الاول ويتفق الطرفان على ألا يطلب سحب هؤلاء الأفراد وعلى أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما فى ذلك التصويت الايجابى للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

٣ - تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الأول .

- ٤ - يتم بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر في ترتيبات الأمن المنصوص عليها في الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين .

المادة الخامسة

- ١ - تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها في كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول . كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز في كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة .
- ٢ - يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوي . كما يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوي من وإلى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة .

المادة السادسة

- ١ - لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .
- ٢ - يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة .
- ٣ - كما يتعهدان بأن يتخذوا كافة التدابير اللازمة لكي تنطبق في علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التي يكونان من أطرافها بما في ذلك تقديم الاخطار المناسب للأمن العام للأمم المتحدة وجهات الايداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات .
- ٤ - يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أى التزامات تتعارض مع هذه المعاهدة .
- ٥ - مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى

من التزاماتهما الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة وناقذه .

المادة السابعة

- ١ - تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق
المفاوضة .
- ٢ - اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق
أو تحال الى التحكيم .

المادة الثامنة

يتفق الطرفان على انشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة
المطالبات المالية .

المادة التاسعة

- ١ - تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق
عليها .
 - ٢ - تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل في
سبتمبر ١٩٧٥ .
 - ٣ - تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة
جزءاً لا يتجزأ منها .
 - ٤ - يتم اخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقاً
لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة .
- حررت في واشنطن د.ي.س في ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ،
٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ من ثلاث نسخ باللغات العربية والعبرية
والانجليزية ، وتعتبر جميعها متساوية الحجية وفي حالة الخلاف في
التفسير فيكون النص الانجليزي هو الذي يعتد به .

عن حكومة جمهورية مصر

محمد أنور السادات

عن حكومة دولة اسرائيل

مناحم بيجين

شهد التوقيع

جيمي كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

ملحق (١)

البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن

المادة الأولى

أسس الانسحاب

١ - تقوم اسرائيل باتمام سحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من
حسيناء في موعد لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق
على هذه المعاهدة .

٢ - لتوفير الأمن لكلا الطرفين سيصاحب تنفيذ الانسحاب على
مراحل ، الاجراءات العسكرية وانشاء المناطق الموضحة في هذا الملحق
وفى الخريطة رقم (١) والمشار اليها فيما بعد بكلمة « المناطق » .

٣ - يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلي حتى شرق خط العريش / رأس محمد كما هو
مبين على الخريطة رقم (٢) وذلك خلال تسعة أشهر من تاريخ
تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(ب) الانسحاب النهائي من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية في مدة
لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه
المعاهدة .

٤ - تشكل لجنة مشتركة فور تبادل وثائق التصديق على المعاهدة
من أجل الاشراف على وتنسيق التحركات والتوقيعات أثناء الانسحاب ،
وأحكام الخطط والجدول الزمنية وفقا للضرورة في حدود القواعد المقررة
في الفقرة (٣) أعلاه ، والتفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة الموضحة
في المادة (٤) من المرفق لهذا الملحق .

وسوف تحل اللجنة المشتركة عقب اتمام الانسحاب الاسرائيلي
النهائي من سيناء .

المادة الثانية

تحديد الخطوط النهائية والمناطق

١ - بغية توفير الحد الأقصى لأمن كلا الطرفين بعد الانسحاب النهائي
فان الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (١) يتم انشاؤها
وتنظيمها على الوجه التالي :

(أ) المنطقة « أ » :

١ - المنطقة « أ » يحدها من الشرق الخط « أ » (الخط الأحمر) ومن
الغرب قناة السويس والساحل الشرقي لخليج السويس كما هو موضح
على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتواجد في هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة
ميكانيكية واحدة ومنشآت عسكرية وكذا تحصينات ميدانية .

٣ - تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

(أ) ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ،

(ب) لواء مدرع واحد ،

(ج) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية ،

(د) سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية
أرض / جو وحتى ١٢٦ مدفع مضاد للطائرات عيار ٣٧ مم
فأكثر ،

(هـ) حتى ٢٣٠ دبابة ،

(و) حتى ٤٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع ،

(ز) اجمالى حتى ٢٢ ألف فرد .

(ب) المنطقة « ب » :

١ - المنطقة « ب » يحدها من الشرق الخط « ب » (الخط الأخضر)
ومن الغرب الخط « أ » (الخط الأحمر) كما هو موضح على الخريطة
رقم (١) .

٢ - توفر الأمن في المنطقة « ب » وحدات حدود مصرية من أربع

كثائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل يعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة ، وتتكون العناصر الرئيسية لكثائب الحدود الأربع من اجمالي حتى ٤٠٠٠ فرد .

٣ - يمكن اقامة نقاط انذار ساحلية ارضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحداث الحدود على ساحل هذه المنطقة .
٤ - تنشأ في المنطقة « ب » تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكثائب الحدود الأربع .

(ج) المنطقة « ج » :

١ - المنطقة « ج » يحدها من الغرب الخط «ب» (الخط الأخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتمركز في المنطقة «ج» قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط .

٣ - تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة .

٤ - توزع قوات الأمم المتحدة داخل المنطقة «ج» وتؤدي وظائفها المحدودة في المادة السادسة من هذا الملحق .

٥ - تتمركز قوات الأمم المتحدة أساسا في معسكرات تقع داخل مناطق التمرکز التالية والموضحة على الخريطة رقم (١) ، على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر :

(أ) في ذلك الجزء من المنطقة في سيناء التي تقع في نطاق ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .
(ب) في منطقة شرم الشيخ .

(د) المنطقة « د » :

١ - المنطقة «د» يحدها من الشرق الخط «د» (الخط الأزرق) ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتواجد في هذه المنطقة قوة اسرائيلية محدودة من أربع كثائب مشاة ومنشآتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبي الأمم المتحدة .

- ٣ - لا تتضمن القوة الاسرائيلية فى المنطقة «د» دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ أرض/جو .
- ٤ - تتضمن العناصر الرئيسية لكثائب المشاة الاسرائيلية الأربع حتى ١٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع واجمالى حتى ٤٠٠٠ فرد .
- ٥ - يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقا للقوانين والنظم المعمول بها فى كل دولة .
- ٦ - تتواجد بهذه المناطق تلك التحصينات الميدانية والمنشآت العسكرية والقوات والأسلحة المسموح بها والمحددة فى هذا الملحق .

المادة الثالثة

نظام الطيران العسكرى

- ١ - تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الاستطلاع ، لمصر واسرائيل فوق المنطقتين « أ » و « د » فحسب ، كل فى منطقته .
- ٢ - تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر واسرائيل فى المنطقتين « أ » و « د » فقط ، كل فى منطقته .
- ٣ - تقلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط فى المنطقة «ب» ويمكن الاحتفاظ فى المنطقة «ب» بعدد ٨ طائرات منها .
- يمكن تجهيز وحدات الحدود المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائفها فى المنطقة «ب» .
- ٤ - يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائف الشرطة العادية فى المنطقة «ج» .
- ٥ - يمكن انشاء مطارات مدنية فقط فى هذه المناطق .
- ٦ - دون المساس بأحكام هذه المعاهدة ، يقتصر النشاط الجوى العسكرى فى المناطق المختلفة أو فى المجال الجوى الواقع فوق مياهها الإقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق .

المادة الرابعة

النظام البحري العسكرى

- ١ - يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر واسرائيل التمرکز والعمل على سواحل المنطقتين « أ » و « د » كل فى منطقته .
- ٢ - يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح أن يمرکز وتعمل فى المياه الاقليمية للمنطقة « ب » لمعاونة وحدات الحدود فى اداء وظائفها فى هذه المنطقة .
- ٣ - تؤدى الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا وظائف الشرطة العادية داخل المياه الاقليمية للمنطقة « ج » .
- ٤ - ليس فى هذا الملحق ما يعتبر انتقاصا من حق المرور البرى للقطع البحرية لكلا الطرفين .
- ٥ - يمكن أن تقام فى المناطق المختلفة موانئ ومنشآت بحرية مدنية فقط .
- ٦ - دون المساس بأحكام هذه المعاهدة يقتصر النشاط البحرى العسكرى فى المناطق المختلفة وفى مياهها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق .

المادة الخامسة

نظام الانذار المبكر

- يمكن لكل من مصر واسرائيل انشاء وتشغيل نظم انذار مبكر فى المنطقتين « أ » ، « د » كل فى منطقته .

المادة السادسة

عمليات الأمم المتحدة

- ١ - يطلب الطرفان من الأمم المتحدة أن توفر قوات ومراقبين للاشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل كل جهودها لمنع أى خرق لأحكامه .
- ٢ - يتفق الطرفان ، كل فيما يخصه ، على طلب الترتيبات التالية فيما يتعلق بقوات ومراقبى الأمم المتحدة :

- (أ) تشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة على امتداد الحدود الدولية وعلى الخط «ب» وداخل المنطقة «ج» .
- (ب) التحقق الدورى من تنفيذ أحكام هذا الملحق مرتين فى الشهر على الأقل ، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .
- (ج) اجراء تحقق اضافى خلال ٤٨ ساعة بعد تلقى طلب بذلك من أى من الطرفين .
- (د) ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران وفقاً للمادة الخامسة من معاهدة السلام .
- ٣ - تنفذ الترتيبات المقررة عالية لكل منطقة بواسطة قوات الأمم المتحدة فى المناطق « أ » ، «ب» ، «ج» وبواسطة مراقبى الأمم المتحدة فى المنطقة « د » .
- ٤ - يرافق أطعم التحقق للأمم المتحدة ضباط اتصال من الطرف المختص .
- ٥ - تخطر قوات الأمم المتحدة ومراقبوها كلا الطرفين بالنتائج التى يتوصلون إليها .
- ٦ - تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها الذين يعملون فى مختلف المناطق بحرية الحركة والتسهيلات الأخرى الضرورية لأداء واجباتهم .
- ٧ - لا تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها بأية صلاحيات للسماح باجتياز الحدود الدولية .
- ٨ - يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبو الأمم المتحدة وسيتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة .
- ٩ - يتفق الطرفان على أن تقوم الأمم المتحدة بوضع ترتيبات القيادة التى تضمن أفضل تنفيذ فعال لمسئولياتها .

المادة السابعة

نظام الاتصال

- ١ - عقب حل اللجنة المشتركة يتم انشاء نظام اتصال بين الطرفين ، ويهدف هذا النظام الى توفير وسيلة فعالة لتقييم مدى التقدم فى تنفيذ الالتزامات وفقاً لهذا الملحق وحل أية مشكلة قد تطرأ أثناء

التنفيذ ، كما تقوم بحالة المسائل التى لم يبت فيها الى السلطات العسكرية الأعلى للبلدين كل فيما يخصه للنظر فيها .

كما يهدف أيضا الى منع أية مواقف قد تنشأ نتيجة أخطاء او سوء فهم من قبل أى من الطرفين .

٢ - يقام مكتب اتصال مصرى فى مدينة العريش ومكتب اتصال اسرائيلى فى مدينة بئر سبع ويرأس كل مكتب ضابط من البلد المعنى يعاونه عدد من الضباط .

٣ - يقام اتصال تليفونى مباشر بين المكتبين وكذا خطوط تليفونية مباشرة بين قيادة الأمم المتحدة وكلا المكتبين .

المادة الثامنة

احترام النصب التذكارية للحرب

يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة فى ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة ، وهى النصب المقامة بواسطة اسرائيل فى سسيناء والنصب التى ستقام بواسطة مصر فى اسرائيل ، كما سيسمح كل طرف الوصول الى هذه النصب .

المادة التاسعة

الترتيبات المؤقتة

ينظم المرفق لهذا الملحق والخريطتان رقم (٢) و (٣) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى ، وكذا حركة قوات الطرفين والأمم المتحدة حتى الانسحاب النهائى .

مرفق الملحق (١)

بشأن تنظيم الانسحاب من سيناء

المادة الأولى

مبادئ الانسحاب

١ - يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين من سيناء على مرحلتين كما هو مبين في المادة الأولى من الملحق (١) . ويتضمن هذا المرفق تحطيط وتوقيت الانسحاب . وتقوم اللجنة المشتركة بإعداد التفاصيل الخاصة بهذه المراحل وتقدمها الى كبير منسقى قوات الأمم المتحدة بالشرق الأوسط قبل شهر من ابتداء أى مرحلة من مراحل الانسحاب .

٢ - اتفق الطرفان على المبادئ التالية بشأن ترتيب التحركات العسكرية :

(أ) على الرغم مما تقضى به أحكام المادة التاسعة الفقرة الثانية من هذه المعاهدة ، وحتى يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الخطين (ي و م) الحاليين الذين انشأ بناء على الاتفاقية المصرية/الاسرائيلية الموقعة فى سبتمبر ١٩٧٥ والمشار إليها فيما بعد باتفاقية عام ١٩٧٥ ، الى خط الانسحاب المرحلى ، فان جميع الترتيبات العسكرية المنصوص عليها خلاف ذلك فى هذا المرفق .

(ب) مع انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية تدخل قوات الأمم المتحدة فوراً للمناطق المخلاة لاقامة مناطق عازلة مؤقتة كما هو موضح على الخريطين (٢) ، (٣) على التوالي بغرض الإبقاء على الفصل بين القوات . ويكون داخل قوات الأمم المتحدة سابقاً لتحرك أى أفراد آخرين الى داخل هذه المناطق .

مصر بعد العبور - ٥٦١

- (ج) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لآية مساحة واقعة فى المنطقة « ا » تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا المرفق .
- (د) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لآية مساحة واقعة فى المنطقتين « أ » و « ب » تنتشر وحدات الحدود المصرية وفقا لأحكام المادة الثانية من الملحق (١) .
- (هـ) تدخل الشرطة المدنية المصرية الى المساحات المخلاء عقب دخول الأمم المتحدة مباشرة لآداء الوظائف العادية للشرطة .
- (و) تنتشر وحدات القوات البحرية المصرية فى خليج السويس وفقا لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق .
- (ز) وباستثناء تلك التحركات المشار اليها أعلاه فان أعمال الانتشار للقوات المسلحة المصرية والأنشطة الموضحة فى الملحق (١) تكون سارية المفعول فى المناطق المخلاء بعد أن تتم القوات المسلحة الاسرائيلية انسحابها الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى .

المادة الثانية

المراحل الفرعية للانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى

- ١ - يتم الانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى على مراحل فرعية كما هو منصوص عليه فى هذه المادة وكما هو موضح على الخريطة (٣) وتتم كل مرحلة فرعية خلال العدد المقرر من الأشهر التى يبدأ احتسابها من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة :

(أ) المرحلة الفرعية الأولى :

خلال شهرين تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة العريش بما فى ذلك مدينة العريش ومطارها والمشار اليها بالمنطقة (١) على الخريطة (٣) .

(ب) المرحلة الفرعية الثانية :

خلال ثلاثة شهور ، تنسحب القوات الاسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الخط « م » المقرر بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ والخط «أ» والمشار اليها بالمنطقة (٢) على الخريطة رقم (٣) .

(ج) المرحلة الفرعية الثالثة :

خلال خمسة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المنطقة الواقعة شرق وجنوب المنطقة (٢) والمشار اليها بالمنطقة (٣) على الخريطة رقم (٣) .

(د) المرحلة الفرعية الرابعة :

خلال سبعة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة الطور - رأس الكنيسة والمشار اليها بالمنطقة (٤) على الخريطة رقم (٣) .

(هـ) المرحلة الفرعية الخامسة :

خلال تسعة أشهر ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلي بما فى ذلك منطقة سانت كاترين والمناطق شرق ممرى الجدى ومتلا والمشار اليهما بالمنطقة (٥) على الخريطة رقم (٣) ويكتمل بذلك الانسحاب الاسرائيلى الى ما وراء خط الانسحاب المرحلي .

٢ - تنتشر القوات المصرية فى المناطق المخلاة من القوات المسلحة الاسرائيلية وفقا لما يلى :

(أ) ينتشر حتى ثلث القوات المسلحة المصرية الموجودة فى سيناء وفقا لاتفاقية عام ١٩٧٥ فى الأجزاء من المنطقة « أ » التى تقع داخل المنطقة (١) وذلك حتى اتمام الانسحاب المرحلي . وبعد ذلك تنتشر القوات المسلحة المصرية كما هو موضح فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة « أ » حتى حد المنطقة العازلة المؤقتة .

(ب) يبدأ نشاط القوات البحرية المصرية وفقا للمادة الرابعة من الملحق (١) على امتداد سواحل المناطق (٢) و (٣) و (٤) عقب اتمام المراحل الفرعية الثانية والثالثة والرابعة على التوالى .

(ج) تنتشر كتيبة واحدة من وحدات الحدود المصرية الموضحة فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة (١) عقب اتمام المرحلة الفرعية الأولى . كما تنتشر كتيبة ثانية فى المنطقة (٢) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثانية . وتنتشر كتيبة ثالثة فى المنطقة (٣) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثالثة . والكتيبتان

الثانية والثالثة المذكورتان عاليه يمكن أن تنتشر فى أى من المناطق المخلاه بعد ذلك بجنوب سيناء *

٣ - يعاد توزيع قوات الأمم المتحدة فى المنطقة العازلة (١) المقررة بمقتضى اتفاقيه عام ١٩٧٥ لتمكين انتشار القوات المصرية الموضع فى السابق وذلك عقب اتمام المرحله الفرعية الأولى ، وفيما عدا ذلك تستمر فى أداء مهامها وفقا لأحكام الاتفاقية المشار إليها فى الأجزاء المتبقية من المنطقة المذكورة حتى اتمام الانسحاب المرحلى ، وفقا لما هو موضح فى المادة الأولى من هذا المرفق *

٤ - يمكن للقوافل الاسرائيلية استخدام الطرق جنوب وشرق التقاطع الرئيسى للطرق الواقع شرف العريش لاختلاء القوات الاسرائيلية ومعداتها حتى اتمام الانسحاب المرحلى . وتتحرك القوافل فى ضوء النهار بعد تقديم اخطار بذلك ، بأربع ساعات الى مجموعة الاتصال المصرية وقوات الأمم المتحدة ، وتصاحبها قوات الأمم المتحدة . وسيتم ذلك وفقا للتوقعيات المنظمة من قبل اللجنة المشتركة . ويصاحب القوافل ضابط اتصال مصرى لتأمين التحركات دون عائق ويمكن للجنة المشتركة أن توافق على ترتيبات أخرى بالنسبة للقوافل *

المادة الثالثة

قوات الأمم المتحدة

١ - يطلب الطرفان توزيع قوات الأمم المتحدة وفقا للضرورة لأداء الوظائف الواردة فى هذا المرفق حتى موعد اتمام الانسحاب النهائى ، ولهذا الغرض يوافق الطرفان على اعادة توزيع قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة *

٢ - تشرف قوات الأمم المتحدة على تنفيذ هذا المرفق وتبذل ما فى وسعها لمنع أية مخالفة لأحكامه *

٣ - عندما توزع قوات الأمم المتحدة تبعا لأحكام المادتين الأولى والثانية من هذا المرفق ، تباشر مهمة التحقق فى المناطق محدودة القوات وفقا للمادة السادسة من الملحق (١) ، وتقيم نقاط مراجعة ، ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة فى المناطق العازلة المقتضىة بالمتابعة بالمادة الثانية أعلاه ، والوظائف الأخرى لقوات الأمم المتحدة والمتعلقة بالمنطقة العازلة للمخطط المرحلى موضحة فى المادة الخامسة من هذا المرفق *

المادة الرابعة

اللجنة المشتركة والاتصال

- ١ - تعمل اللجنة المشتركة المشار إليها في المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ، وحتى تاريخ اتمام الانسحاب الاسرائيلي النهائي من سيناء *
- ٢ - تتكون اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف برئاسة ضباط من رتب عالية وتدعو اللجنة المشتركة ممثلين للأمم المتحدة لحضور اجتماعاتها عند مناقشة موضوعات تتعلق بالأمم المتحدة أو اذا طلب أى من الطرفين وجود الأمم المتحدة ويتم التوصل الى قرارات اللجنة المشتركة باتفاق كل من مصر واسرائيل *
- ٣ - تشرف اللجنة المشتركة على تنفيذ الترتيبات الموضحة فى الملحق (١) وفر هذا المرفق * ولهذا الغرض وبالاتفاق بين الطرفين وتقوم بما يلى :
- (أ) تنسيق التحركات العسكرية الموضحة فى هذا المرفق وتشرف على تنفيذها *
- (ب) تتناول بالبحث وتسعى الى حل أية مشكلة تنشأ عن تنفيذ الملحق (١) وهذا المرفق وتناقش أية مخالفات تبلغ اليها بواسطة قوات الأمم المتحدة ومراقبيها ، وتحيل الى حكومتى مصر واسرائيل أية مشاكل لم يتم حلها *
- (ج) تساعد قوات الأمم المتحدة ومراقبيها فى تنفيذ مهامهم * وتبحث الجداول الزمنية الخاصة بالتحقيقات الدورية عندما يطلب منها الطرفان ذلك ، كما هو وارد فى الملحق رقم (١) وفى هذا المرفق *
- (د) تنظم وضع العلاقات على الحدود الدولية وجميع الخطوط والمناطق المشار إليها فى الملحق (١) وهذا المرفق *
- (هـ) تشرف على تسليم المنشآت الرئيسية فى سيناء من اسرائيل الى مصر *
- (و) توافق على الترتيبات اللازمة للعثور على الجثث المفقودة لجنود مصر واسرائيل واعادتها *

(ز) تنظم اقامة وتشغيل نقاط المراجعة للمداخل على امتداد خط العريش رأس محمد ، وفقا لأحكام المادة الرابعة من الملحق (٣) .

(ج) توالى أعمالها عن طريق استخدام أطقم اتصال مشتركة من منزل واحد عن كل من مصر واسرائيل من مجموعة اتصال دائمة وسوف تمارس أنشطتها وفقا لتوجيه اللجنة المشتركة.

(ط) توفر الاتصال والتنسيق مع قيادة الأمم المتحدة التي تنفذ أحكام المعاهدة وعن طريق أطقم الاتصال المشتركة تحافظ على التنسيق والتعاون المحلي مع قوات الأمم المتحدة المتمركزة في مناطق معينة أو مراقبي الأمم المتحدة الذين يرصدون مناطق معينة لتوفير أية مساعدة مطلوبة .

(ى) تناقش مسائل أخرى قد يتفق الطرفان على طرحها على اللجنة .

٤ - تعقد اجتماعات اللجنة المشتركة مرة واحدة كل شهر على الأقل وفي حالة طلب أحد الطرفين أو قيادة الأمم المتحدة عقد اجتماع خاص ، فيتم عقد هذا الاجتماع خلال ٢٤ ساعة .

٥ - تجتمع اللجنة المشتركة في المنطقة العازلة حتى اتمام الانسحاب المرحلي ، ثم تجتمع في مدينتي العريش وبيرسبع بعد ذلك بالتبادل ، على أن يعقد أول اجتماع لها ليس متأخرا عن اسبوعين بعد بدء سريان مفعول المعاهدة .

المادة الخامسة

تعريف المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها

١ - تنشأ منطقة عازلة مؤقتة بغرض قيام قوات الأمم المتحدة بالفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، وذلك غرب خط الانسحاب المرحلي ومتاخمة له كما هو مبين في الخريطة رقم (٢) ، وذلك بعد تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي وتوزيع القوات خلف خط الانسحاب المرحلي .

وتتولى الشرطة المدنية المصرية المجهزة بأسلحة خفيفة القيام بمهام الشرطة العادية في هذه المنطقة .

٢ - تقوم قوة الأمم المتحدة بتشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع، ونقاط مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة بغية التأكد من الالتزام بأحكام هذه المادة .

٣ - وطبقا للترتيبات التي أُنفق عليها الطرفان والتي سيتم تنسيقها في اللجنة المشتركة ، يتولى أفراد اسراييليون ادارة منشآت حربية فنية في أربع مواقع محدودة وموضحة على :

الخريطة رقم (٢) ومشار إليها بـ (ف ١) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٥٧١٦٣٩٤٠ (ف ٢) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٥٩٣٥١٥٤١ (ف ٤) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٥٩٣٣١٥٢٧ (ف ٤) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٦١١٣٠٩٧٩ (وذلك طبقا للمبادئ التالية :

(أ) يتولى العمل بالمنشآت الفنية أفراد فنيون واداريون مسلحون بالأسلحة الصغيرة اللازمة لحمايتهم (مسدسات ، بنادق ، مدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة ، قنابل يدوية وذخيرة) كالاتى :

ف ١/ ما لا يزيد على ١٥٠ فرد .

ف ٢ ، ٣/ ما لا يزيد على ٣٥٠ فرد .

ف ٤/ ما لا يزيد على ٢٠٠ فرد .

(ب) لا يحمل الأفراد الاسراييليون أسلحة خارج المواقع ، باستثناء الضباط الذين يجوز لهم حمل الأسلحة الشخصية .

(ج) سيدخل طرف ثالث يتفق عليه بين مصر واسرائيل لأجراء تفتيشات داخل محيط المنشآت الفنية فى المنطقة العازلة ، ويقوم الطرف الثالث بالتفتيش مرة كل شهر على الأقل وبطريقة فجائية ويتحقق المفتشون من طبيعة عمل وتشغيل المنشآت من الأسلحة والأفراد داخلها ، ويقوم الطرف الثالث بإبلاغ الطرفين فورا عن أى تحول لأمى منشأة عن دورها فى أعمال المسح البصرى والالكترونى والمواصلات .

(د) يجوز القيام بامداد المنشآت وزيارتها لأغراض فنية وإدارية واستبدال الأفراد والأجهزة المقسومة فى المواقع دون تعطيل

وذلك من خلال نقاط مراجعة الأمم المتحدة حتى مداخل المنشآت الفنية بعد المراجعة والمرافقة بواسطة قوة الأمم المتحدة فحسب .

(هـ) يسمح لإسرائيل أن تدخل فى منشآتها الفنية المواد اللازمة للاداء الصحيح للمنشآت والأفراد .

(و) يسمح لإسرائيل بما يلى وطبقا لما تحدده اللجنة المشتركة :

١ - الإبقاء داخل منشآتها على معدات مكافحة الحريق والصيانة العامة وكذلك العربات الادارية ذات العجل والمعدات الهندسية المتحركة اللازمة لصيانة المواقع وجميع العربات تكون غير مسلحة .

٢ - صيانة الطرق وخطوط المياه وكابلات المواصلات التى تستخدم هذه المواقع سواء بداخلها أو بداخل المنطقة العازلة وفى كل من مواقع المنشآت الثلاثة (ف١، ف٢/٣، ف٤) ويجوز أن تتم هذه الصيانة بما لا يتجاوز عربتين ذات العجل وغير مسلحتين وبما لا يتجاوز اثني عشر فردا غير مسلحين ومعهم المعدات الضرورية فقط بما فى ذلك المعدات الهندسية الثقيلة اذا ما دعت الحاجة لها . ويجوز اتمام عمليات الصيانة هذه ثلاث مرات أسبوعيا باستثناء المشاكل الخاصة وبعد اعطاء الأمم المتحدة اخطارا مسبقا بأربع ساعات ويرافق الطاقم قوات الأمم المتحدة .

(ز) يتم التنقل من المنشآت الفنية واليها خلال ساعات النهار فقط ويكون الدخول اليها والخروج منها على الوجه التالى :

١ - ف١/ عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق الموصل بين أبو عجيلة ومفترق طريقي أبو عجيلة وجبل لبنى (كيلو متر ١٦١) كما هو موضح على الخريطة رقم ٢ .

٢ - ف٢، ف٣/ عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق المنشأ عبر المنطقة العازلة الى جبل كاترين (الخريطة ٢) .

٣ - ف٢ ، ف٣ ، ف٤/ من خلال طائرات الهليكوبتر على أن نستخدم ممرا جويا وفى الأوقات وطبقا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة .

وتقوم قوة الأمم المتحدة بتفتيش طائرات الهليكوبتر فى مواقع الهبوط وخارج نطاق المنشآت .

(ح) تخاطر اسرائيل قوة الأمم المتحدة قبل ساعة على الأقل من قيامها
بأى تحرك تعتزم القيام به من المنشآت واليهما .

(ط) يحق لاسرائيل اخلاء المرضى والجرحى واستدعاء الخبراء
الطبيين والأطعم الطبية فى أى وقت بعد إعطاء بلاغ فوري الى
قوة الأمم المتحدة .

٤ - تتناول اللجنة المشتركة بحث تفاصيل المبادئ المشار اليها أعلاه
وكل الأمور الأخرى الواردة فى هذه المادة التى تتطلب التنسيق بين
الطرفين .

٥ - يتم سحب هذه المنشآت الفنية عند انسحاب القوات الاسرائيلية
من خط الانسحاب المرحلى أو فى وقت يتم الاتفاق عليه بين
الطرفين .

المادة السادسة

أسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية

يحدد الطرفان أسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية
طبقاً للأسس الآتية :

١ - تقوم اللجنة المشتركة خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع قبل
انسحاب اسرائيل من أية منطقة بالاعداد لقيام أطقم الاتصال
والأطعم الفنية المصرية والاسرائيلية بعمل تفتيش مشترك على جميع
المنشآت المناسبة للاتفاق على حالة المنشآت والمواد التى ستسلم الى
الجانب المصرى ولترتيب عملية التسليم . وستعلن اسرائيل فى
ذلك الوقت عن خططها فيما يتعلق بكيفية التصرف فى هذه
المنشآت والمواد التى بداخلها .

٢ - تتعهد اسرائيل أن تنقل لمصر كل ما يتفق عليه من المرافق
الاساسية والمنافع العامة والمنشآت بحالة سليمة بما فى ذلك
المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانئ . وتقدم اسرائيل لمصر
المعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل هذه المنشآت وتسمح للأطعم
الفنية المصرية بمراقبة تشغيل هذه المنشآت والتعرف على طريقة
عملها لمدة تصل الى أسبوعين قبل التسليم .

٣ - عندما تخلى اسرائيل نقاط المياه العسكرية بالقرب من العريش والطور تباشر الأطقم الفنية المصرية ادارة هذه المنشآت والمعدات المعاونة لها طبقا لعملية استلام منظمة وسابقة الاعداد بواسطة اللجنة المشتركة . وتتعهد مصر بأن تستمر فى توفير الكميات العادية من المياه المتوفرة حاليا عند مختلف نقاط المياه لحين انسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود الدولية ، الا اذا تم الاتفاق على خلاف ذلك فى اللجنة المشتركة .

٤ - تتعهد اسرائيل بازالة أو تدمير جميع العوائق العسكرية بما فى ذلك الموانع وحقول الألغام فى المناطق التى تجلو عنها ومن المياه المجاورة لها تبعا للأسلوب التالى :

(أ) تزال أولا الموانع العسكرية من المناطق القريبة من السكان والطريق والمنشآت الرئيسية والمنافع العامة .

(ب) بالنسبة للموانع وحقول الألغام التى لا يمكن ازالتهأ أو تدميرها قبل الانسحاب الاسرائيلى ، تقوم اسرائيل بتقديم خرائط مفصلة الى مصر والأمم المتحدة عن طريق اللجنة المشتركة وفى موعد لا يتجاوز ١٥ يوما قبل دخول قوات الأمم المتحدة الى هذه المناطق .

(ج) يقوم المهندسون العسكريون المصريون بالدخول الى هذه المناطق بعد دخول قوات الأمم المتحدة لاجراء عمليات ازالة هذه الموانع طبقا لخطة تقوم مصر بتقديمها قبل التنفيذ .

المادة السابعة

النشاط الاستطلاعى

١ - يتم النشاط الجوى الاستطلاعى خلال الانسحاب على الوجه التالى :

(أ) يطلب كلا الطرفين من الولايات المتحدة الاستمرار فى طلعات الاستطلاع الجوى وفقا للاتفاقات السابقة حتى اتمام الانسحاب الاسرائيلى النهائى .

(ب) تغطي الطلعات الجوية المناطق المحدودة القوات للتأكد من حجم القوات والتسليح وللتأكد من أن القوات الاسرائيلية قد انسحبت من المناطق المبينة في المادة ٢ من الملحق (١) ، والمادة الثانية من هذا المرفق والخريطين (٢) ورقم (٣) ، ومن بقاء القوات خلف خطوطها بعد بناء ذلك ، ويمكن القيام بطلعات تفتيش خاصة بناء على طلب أى من الطرفين أو بناء على طلب من الأمم المتحدة .

(ج) تقتصر التبليغات على العناصر العسكرية الرئيسية لتنظيم كل

طرف كما هي موضحة في الملحق (١) وفي هذا المرفق .
٢ - يطلب الطرفان من بعثة سيناء الميدانية التابعة للولايات المتحدة أن تستمر في عملياتها طبقاً للاتفاقات السابقة وحتى اتمام انسحاب اسرائيل من المنطقة الواقعة شرق ممرات الجدى ومتلا . . وبعد ذلك تنتهى مهمة البعثة .

المادة الثامنة

ممارسة السيادة المصرية

تستأنف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على الأجزاء التى يتم إخلاؤها فى سيناء بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه الأجزاء ، كما هو منصوص عليه فى المادة (١) من هذه المعاهدة .

ملحق (٢)

الخريطة رقم (١)



الحدود الدولية وخطوط المناطق



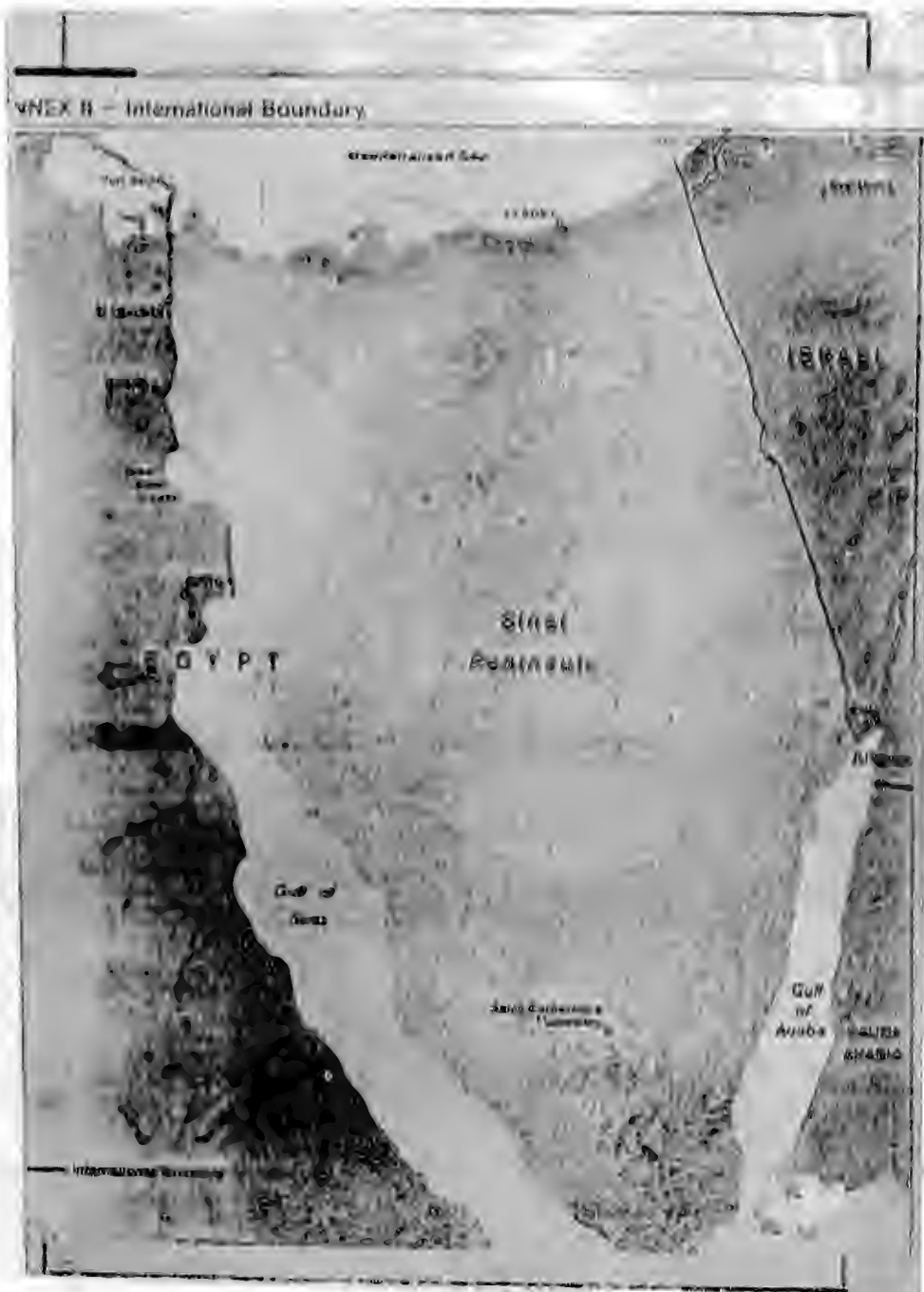
الخطوط والمناطق السارية عند انسحاب
اسرائيل الى خط العريش - رأس محمد

الخريطة رقم (٣)



المراحل الفرعية للانسحاب الى خط العريش - رأس محمد

ملحق (٣)



خريطة الحدود الدولية

ملحق (٤)

بروتوكول بشأن علاقات الطرفين

المادة الأولى

العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

يتفق الطرفان على اقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية وتبادل السفراء عقب الانسحاب المرحلي .

المادة الثانية

العلاقات الاقتصادية والتجارية

١ - يتفق الطرفان على ازالة جميع الحواجز ذات الطابع التمييزي القائمة في وجه العلاقات الاقتصادية العادية ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية لى منهما عقب اتمام الانسحاب المرحلي .

٢ - يدخل الطرفان في مفاوضات في اقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المرحلي بغية عقد اتفاق تجارة يستهدف انماء العلاقات الاقتصادية ذات النفع المتبادل بينهما .

المادة الثالثة

العلاقات الثقافية

١ - يتفق الطرفان على اقامة علاقات ثقافية عادية بعد اتمام الانسحاب المرحلي .

٢ - يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافي في كافة الميادين أمر مرغوب فيه وعلى أن يدخل في مفاوضات في اقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد اتمام الانسحاب المرحلي بغية عقد اتفاق ثقافي .

المادة الرابعة

حرية التنقل

- ١ - عقب اتمام الانسحاب المرحلي يسمح كل طرف لمواطني وسيارات الطرف الآخر بحرية الانتقال الى اقليمه والتنقل داخله وذلك طبقا للقواعد العامة التي تطبق على مواطني وسيارات الدول الاخرى .
ويمنع كل طرف عن فرض قيود ذات طابع تمييزي على حرية تنقل الأشخاص والسيارات من اقليمه الى اقليم الطرف الآخر .
- ٢ - كما يسمح بالدخول دون اعاقا الى الأماكن ذات القيمة الدينية والتاريخية وذلك على أساس تبادلي وغير ذي طابع تمييزي .

المادة الخامسة

التعاون في سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار

- ١ - يقر الطرفان أن هناك مصلحة متبادلة في قيام علاقات حسن الجوار ويتفقان على النظر في سبل تنمية تلك العلاقات .
- ٢ - يتعاون الطرفان في انماء السلام والاستقرار والتنمية في المنطقة ، ويوافق كل منهما على النظر في المقترحات التي قد يرى الطرف الآخر التقدم بها تحقيقا لهذا الغرض .
- ٣ - يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية تجاه الطرف الآخر .

المادة السادسة

النقل والمواصلات

- ١ - يقر الطرفان بأن الحقوق والمزايا والالتزامات المنصوص عليها في اتفاقيات الطيران التي يكونان من أطرافها تنطبق على كل منهما ، وبصفة خاصة الواردة في الاتفاقية الدولية للطيران المدني لعام ١٩٤٤ (اتفاقية شيكاغو) والاتفاق الدولي بشأن خدمات النقل الجوي لعام ١٩٤٤ .

٢ - عقب اتمام الانسحاب المرحلى لا ينطبق أى اعلان لحالة الطوارئ الوطنية الذى يعلنه أحد الطرفين وفقا للمادة ٨٩ من اتفاقية شيكاغو فى مواجهة الطرف الآخر على أساس تمييزى .

٣ - نوافق مصر على أن المطارات الواقعة بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ التى سوف تخليها اسرائيل يكون استخدامها للأغراض المدنية فحسب بما فى ذلك امكان استخدامها تجاريا بواسطة كافة الدول .

٤ - يدخل الطرفان فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المرحلى وذلك لغرض إبرام اتفاق طيران مدنى .

٥ - يقوم الطرفان بإعادة فتح الطرق وخطوط السكك الحديدية بين بلديهما وصيانتها ، كما ينظران فى اقامة طرق وسكك حديدية اضافية . كما يتفق الطرفان أيضا على اقامة وصيانة طريق برى بين مصر واسرائيل والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة مرور الأشخاص والسيارات والبضائع بين مصر والأردن وذلك على نحو لا يمس بالسيادة على الجزء من الطريق الذى يقع داخل اقليم كل منهما .

٦ - عقب اتمام الانسحاب المرحلى تقام بين الطرفين وسائل اتصالات بريدية وتليفونية وتلكس وصور بالراديو ومواصلات سلكية ولاسلكية وخدمات نقل الارسال التليفزيونى عن طريق الكابلات والراديو والأقمار الصناعية وذلك وفقا للاتفاقيات واللوائح الدولية المنطبقة .

٧ - عقب اتمام الانسحاب المرحلى ، يسمح كل طرف بالدخول المسموح به عادة الى موانئه لسفن وبضائع الطرف الآخر ، وكذلك للسفن والبضائع المتجهة الى الطرف الآخر أو القادمة منه بنفس الشروط المنطبقة بصفة عامة على سفن وبضائع الدول الأخرى . وسوف ينفذ حكم المادة ٥ من معاهدة السلام عقب تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

المادة السابعة

التمتع بحقوق الانسان

يؤكد الطرفان التزامهما باحترام ومراعاة حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع ، وسوف يدعمان هذه الحقوق والحريات وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

المادة الثامنة

المياه الإقليمية

مع مراعاة أحكام المادة ٥ من معاهدة السلام ، يقر كل طرف بحق
سفن الطرف الآخر في المرور البريء في مياهه الإقليمية طبقاً لقواعد
اتفاقون الدولي ٦

محضر متفق عليه

للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة

للملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام

المادة الأولى

ان استئناف مصر لممارسة السيادة الكاملة على سيناء المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة الأولى تتم بالنسبة لكل منطقة بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه المنطقة .

المادة الرابعة

من المتفق عليه بين الأطراف أن تتم إعادة النظر المنصوص عليها في المادة ٤ فقرة (٤) عندما يطلب ذلك أحد الأطراف ، وعلى أن تبدأ في خلال ثلاثة أشهر من طلبها ولكن لا يجرى أى تعديل الا باتفاق كلا الطرفين .

المادة الخامسة

لا يجوز تفسير الجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة على أنها تنتقص مما جاء بالجملة الأولى من تلك الفقرة . ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لما جاء بالجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة التي تقضى بما يلي :

« يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوي من وإلى أراضيهِ عبر مضيق تيران وخليج العقبة » .

المادة السادسة (فقرة ٢)

لا تفسر أحكام المادة السادسة بما يخالف أحكام اطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب دافيد .

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لأحكام المادة السادسة (فقرة ٢) من المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هذه المعاهدة .

المادة السادسة (فقرة ٥)

من المتفق عليه بين الأطراف أنه لا توجد أى دعوى بأن لهذه المعاهدة أولوية على المعاهدات والاتفاقيات الأخرى ، أو للمعاهدات والاتفاقيات الأخرى أولوية على هذه المعاهدة .

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالفة لأحكام المادة السادسة (فقرة ٥) من هذه المعاهدة التى تنص على ما يلى :

« مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة وناقذة » .

الملحق الأول

تقضى المادة السادسة (فقرة ٨) من الملحق الأول بما يلى :

« يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبوا الأمم المتحدة ويتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة » .

وقد اتفق الطرفان على ما يلى :

« فى حالة عدم الوصول الى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الأول ، فإنهما يتعهدان بقبول أو تأييد ما تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين » .

الملحق الثالث

تنص معاهدة السلام والملحق الثالث لها على اقامة علاقات اقتصادية طبيعية بين الأطراف - ووفقا لهذا فقد اتفق على هذه العلاقات سوف

يشمل مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر الى اسرائيل - وأن يكون من حق اسرائيل الكامل التقدم بعطاءات لشراء البترول المصري الأصل الذي لا تحتاجه مصر لاستهلاكها المحلي - وأن تنظر مصر والشركات التي لها حق استثمار بترولها في العطاءات المقدمة من اسرائيل على نفس الأسس والشروط المطبقة على مقدمي العطاءات الآخرين لهذا البترول .

عن حكومة	عن حكومة
اسرائيل	جمهورية مصر العربية
مناحم بيجين	محمد أنور السادات

شهد التوقيع
جيمي كارتر
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الخطابات المصاحبة للمعاهدة

الخطابات الخاصة بتبادل السفراء

(١) نص خطاب الرئيس السادات الى الرئيس كارتر

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

استجابة لرجائكم ، أستطيع أن أؤكد أنه فى خلال شهر واحد بعد اتمام انسحاب اسرائيل الى الخط المؤقت طبقا لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، مصر سوف ترسل سفيرا مقيما لدى اسرائيل ، وسوف نستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر .

المخلص

محمد أنور السادات

السيد الرئيس

البيت الأبيض

(٢) نص خطاب الرئيس كارتر الى رئيس وزراء اسرائيل

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء

لقد تلقيت كتابا من الرئيس السادات يفيد بأنه فى خلال شهر من اتمام اسرائيل لانسحابها الى الخط المؤقت فى سيناء طبقا لما

تقضى به معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، فان مصر ستوفد سفيرا مقيما
فى اسرائيل وستستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر .

وسأكون ممتنا اذا ما أكدتم لى أن هذا الاجراء يعد مقبولا من
حكومة اسرائيل .

السيد مناحم بيچين
رئيس وزراء دولة اسرائيل

المخلص
جيمى كارتر

(٣) نص خطاب رئيس وزراء اسرائيل الى الرئيس كارتر
٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

يسرنى أن أؤكد لكم أن حكومة اسرائيل توافق على الاجراء الموضح
بكتاپكم المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ والذي ينص على ما يلى :

« لقد تلقيت كتابا من الرئيس السادات يفيد بأنه ، فى خلال شهر
من اتمام اسرائيل لانسحابها الى الخط المؤقت فى سيناء ، طبقا لما
تقضى به معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، فان مصر ستوفد سفيرا
مقيما فى اسرائيل وستستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر » .

المخلص
مناحم بيچين

السيد الرئيس
البيت الابيض

الخطابان المتطابقان الموجهان من الرئيس جيمى كارتر الى الرئيس
محمد أنور السادات والسيد مناحم بييجين رئيس وزراء اسرائيل بشأن
الالتزامات الأمريكية تجاه الطرفين :

(١)

عزيزى السيد الرئيس

٢٦ مارس ١٩٧٩

أود أن أؤكد لكم ، وذلك رهنا باستيفاء الاجراءات الدستورية فى
الولايات المتحدة أنه :

فى حالة حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السلام بين مصر
واسرائيل فان الولايات المتحدة ستقوم - بناء على طلب أحد الأطراف أو
كليهما - بالتشاور مع الأطراف فى هذا الشأن وستتخذ الاجراءات
الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة .

وستقوم الولايات المتحدة بعمليات الاستطلاع الجوى بناء على طلب
الأطراف طبقا للملحق رقم ١ من هذه المعاهدة .

وتعتقد الولايات المتحدة أن مواد المعاهدة الخاصة بتمركز أفراد الأمم
المتحدة فى المنطقة المحدودة التسليح يمكن ويجب أن تنفذ بواسطة مجلس
الأمن التابع للأمم المتحدة . وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها
لحصول على موافقة مجلس الأمن على هذا الاجراء . وإذا لم يتمكن
مجلس الأمن من اقامة الترتيبات التى تتطلبها المعاهدة ، فان رئيس
الولايات المتحدة سيكون على استعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة لضمان
انشاء واستمرار قوة بديلة مقبولة مكونة من دول متعددة .

المخلص

جيمى كارتر

صاحب السعادة

محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

عزيزى السيد رئيس الوزراء

٢٦ مارس ١٩٧٩

اود أن أؤكد لكم ، وذلك رهنا باستيفاء الاجراءات الدستورية فى الولايات المتحدة أنه :

مى حالة حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل فان الولايات المتحدة ستقوم - بناء على طلب أحد الأطراف أو كليهما - بالتشاور مع الأطراف فى هذا الشأن وستتخذ الاجراءات الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة .

وستقوم الولايات المتحدة بعمليات الاستطلاع الجوى بناء على طلب الأطراف طبقا للملحق رقم ١ من هذه المعاهدة .

وتعتقد الولايات المتحدة أن مواد المعاهدة الخاصة بتمركز أفراد الأمم المتحدة فى المنطقة المحدودة التسليح يمكن ويجب أن تنفذ بواسطة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها للحصول على موافقة مجلس الأمن على هذا الاجراء . واذا لم يتمكن مجلس الأمن من اقامة الترتيبات التى تتطلبها المعاهدة ، فان رئيس الولايات المتحدة سيكون على استعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة لضمان انشاء واستمرار قوة بديلة مقبولة مكونة من دول متعددة .

المخلص

جيمى كارتر

صاحب السعادة

مناحم بيجين

رئيس وزراء دولة اسرائيل

التصديق على معاهدة السلام

بين

جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل
وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص بالحكم الذاتى
الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة

١ - قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩

بشأن الموافقة على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة
اسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل
فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس
سنة ١٩٧٩ .

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على الفقرة الثانية من المادة ١٥١ من الدستور .

قرر :

(مادة وحيدة)

ووفق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل
وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى
الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما فى واشنطن فى
٢٦ مارس ١٩٧٩ ، مع التحفظ بشرط التصديق .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ (٥ أبريل ١٩٧٩) .

« أنور السادات »

٢ - المذكرة التفسيرية لقرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩

٨ أبريل ١٩٧٩

مذكرة

للعرض على السيد رئيس الوزراء

تم توقيع اتفاق سلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٣٩٩ هجرية الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، ويتألف هذا الاتفاق من شقين : أولهما معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها ، والثاني اتفاق تكميلي على شكل خطاب مشترك بشأن اقامة الحكم الذاتى الفلسطينى الكامل فى الضفة الغربية وغزة .

وفيما يلى موجز بأحكامها الرئيسية :

تتألف المعاهدة من ديباجة وتسع مواد ، الحقت بها اللوائح التالية :

- ملحق رقم (١) وهو البروتوكول الخاص بانسحاب اسرائيل وترتيبات الأمن .

- وملحق رقم (٢) خاص بالخرائط .

- وملحق رقم (٣) هو البروتوكول الخاص بتطبيع العلاقات .

- ومحضر متفق عليه بالتفسيرات الرسمية لبعض مواد المعاهدة وملاحقها .

٢ - وقد نصت المعاهدة على أن مقصدها الرئيسى هو اقامة سلام عادل وشامل ودائم فى الشرق الأوسط ، وأن أساس هذا السلام هو قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ والالتزامات التى تضمنها اطار

السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد فى سبتمبر
١٩٧٨ (الفقرتان ١ و ٢ من الديباجة) •

٣ - وقد حرصت المعاهدة على أن تؤكد على أن عقد معاهدة سلام بين
مصر واسرائيل إنما هو خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى
المنطقة والتوصل الى تسوية للنزاع العربى / الاسرائيلى بكافه
نواحيه ، وأن المبادئ التى يستند اليها اقامة السلام بين مصر
واسرائيل إنما قصد بها أن تكون أساسا للسلام أيضا بين اسرائيل
وأى من جيرانها العرب كل فيما يخصه (الفقرتان ٤ و ٦ من
الديباجة) •

٤ - والخاصية الرئيسية للسلام الذى تقيمه هذه المعاهدة وتنتهى به
حالة الحرب بين مصر واسرائيل هى أنه سلام "تحكمه" - فى اقراره
وتحقيقه والعلاقات التى تترتب عليه - ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ
القانون الدولى التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم
(الفقرة ٧ من الديباجة ، والمادة الثالثة فقرة ١) •

٥ - والخاصية الرئيسية الثانية لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل
هى ارتباطها بالحل الشامل للنزاع العربى / الاسرائيلى على النحو
الذى يتحقق به سلام شامل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط • ففى
نفس الوقت الذى توقع فيه مصر معاهدة للسلام مع اسرائيل فإنها
توقع أيضا اتفاقا تكميليا يستهدف تمكين الشعب الفلسطينى من
اقامة سلطته الوطنية الذاتية تمهيدا لممارسته لحقه فى تقرير مصيره
واقامة دولته المستقلة • واذا كان هذا الربط يترجم عن موقف
مبدئى لمصر وهو أن جوهر النزاع ولبه وسببه هو المشكلة
الفلسطينية ، ومن ثم فلا بد من الربط المتكامل بين أية خطوة على
طريق السلام الشامل وبين الخطوات الأخرى المكملة لها ، فإن هذا
الربط ليس ربطا شكليا ، وإنما هو ربط عضوى حددت فى الاتفاق
التكميلى خطواته ومراحله وأهدافه وغاياته •

٦ - وتأخذ الأحكام الخاصة بانسحاب اسرائيل من سيناء مكان الصدارة
بين مواد المعاهدة (المادة الأولى) • ووفقا لهذه الأحكام فإن انسحاب
اسرائيل من سيناء شامل سواء فى شموله للقوات الحربية والمدنية
أى انهاء المستعمرات أو فى شموله لأراضى سيناء بأسرها • كما
يقرتب على هذا الانسحاب استئناف مصر ممارستها لسيادتها
الكاملة على كل جزء تنسحب منه اسرائيل (المادة الأولى فقرة ٢ من

المعاهدة والفقرة الخاصة بالمادة الأولى في المحضر المتفق عليه بشأن التفسيرات الرسمية) .

وأخيرا فإن النقطة التي يتم الانسحاب الى ما وراءها هي الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب (المادة الثانية من المعاهدة) وبالرغم من أن وصف الحدود الدولية إنما هو في إطار الحدود بين مصر واسرائيل فقد حرصت مصر أن تحتفظ تماما بحيث لا يمس أو يفسر مثل هذا النص بوضع قطاع غزة (الفقرة الأولى من المادة الثانية) .

٧ - وقد تضمنت المعاهدة بياناً بالمبادئ الرئيسية التي تحكم العلاقات بين مصر واسرائيل بعد انتهاء حالة الحرب بينهما . فذكرت المادة الثالثة من المعاهدة كمبدأ أساسى أن العلاقات بين مصر واسرائيل تحددها أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولى التي تحكم العلاقات الدولية فى وقت السلم ، ثم أشارت - بصفة خاصة - الى مبدأ احترام السيادة وسلامة الأراضى والاستقلال السياسى ، واحترام حق كل طرف فى العيش فى سلام داخل حدوده الآمنة المعترف بها ، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ، وحل المنازعات بالطرق السلمية . وأوردت الفقرة الثانية من المادة الثالثة أمثلة للأفعال التي يتعهد كل طرف بعدم ارتكابها وهى جميعها تفريعات عن مبدأ عدم استخدام القوة وأفعال العنف ضد سلامة الأراضى أو مواطنى الطرف الآخر وممتلكاته تفرضها الأحكام العامة للقانون الدولى ، ووردت نصوص مماثلة لها فى اتفاق الهدنة بين مصر واسرائيل ، وفى رد مصر على مذكرة پارنج ، وفى اعلان الأمم المتحدة الخاص بمبادئ القانون الدولى بشأن العلاقات الودية والتعاون بين الدول الذى تم اقراره بالاجماع فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٧٠ .

٨ - قد وردت ترتيبات الأمن فى المادة الرابعة من المعاهدة ، والسمات الرئيسية لهذه الترتيبات أنها من ناحية تستهدف توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين على أساس التبادل المتفق عليه ، ومن ناحية أخرى فإنها ذات طابع مؤقت اذ تفترض منذ التوقيع على المعاهدة أنها سيعاد النظر فيها بناء على طلب أحد الطرفين بغية الاتفاق على تعديلها الذى سيحتمه تطور العلاقات بينهما بعد انها حالة الحرب وزوال عوامل عدم الثقة وعدم الشعور بالأمن التى نجمت عن الحروب العديدة بينهما . وقد حرصت مصر على أن تتضمن التفسيرات الرسمية الواردة فى المحضر المتفق عليه على أن تتم إعادة

النظر فى ترتيبات الأمن خلال ثلاثة شهور من طلب أحد الأطراف بذلك .

٩ - تؤكد المادة الخامسة من المعاهدة على حرية الملاحة فى قناة السويس ومضيق تيران . وقد ورد هذا المبدأ كمبدأ من مبادئ التسوية السلمية فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وفى قبول مصر للمذكرة يارنج ، وهو نتيجة لانهاء حالة الحرب التى كانت تستند اليها مصر فى قيود الملاحة التى تفرضها على السفن والبضائع الاسرائيلية فى قناة السويس ومضيق تيران .

١٠ - وقد اشتملت المادة السادسة على عدة فقرات تؤكد عزم الطرفين على تنفيذ التزاماتها بمقتضى معاهدة السلام بحسن نية ، واتخاذ التدابير التى تكفل انطباق المعاهدات المتعددة الأطراف التى قد يكونان من أطرافها على العلاقات فيما بينهما بعد أن كانت مصر تحتفظ عند انضمامها الى هذه المعاهدة بالنسبة لانطباقها على العلاقات بينهما وبين اسرائيل كنتيجة لعدم اعتراف مصر باسرائيل ووجود حالة الحرب بينهما .

وقد سجلت المادة السادسة فى فقرتها الأولى مبدأ رئيسياً تفسر على أساسه وفى ضوءه الفقرات الأخرى للمادة ، وهو أن المعاهدة لا تمس ولا يجوز تفسيرها على أى نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .

وقد حرصت مصر على أن تسجل فى التفسيرات الرسمية الواردة فى المحضر المتفق عليه أن النص فى آخر الفقرة الثانية من المادة السادسة على أن البدء فى تنفيذ التزامات المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج المعاهدة لا يمكن أن يفسر على أى نحو يتناقض مع أحكام اطار السلام المتفق عليه فى كامب دافيد . كما حرصت مصر على أن تسجل فى هذه التفسيرات الرسمية أن التعارض بين التزامات المعاهدة والالتزامات الأخرى للطرفين لا يمس بذاته وضعها كالتزامات يتعين تنفيذها ، وحرصت على أن تسجل أنه ليس هناك أى أداء بوجود أولوية لهذه المعاهدة على أية معاهدات أخرى .

ومما تجدر ملاحظته أن الفقرة الخامسة من المادة السادسة من المعاهدة تؤكد - بشكل قاطع - عدم المساس بالمادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة التى تعطى لأحكام الميثاق الصدارة بين المعاهدات بما فى ذلك

أحكام الفصل الثامن من الميثاق الخاص بالترتيبات والمنظمات الإقليمية
وحق الدفاع الشرعى الجماعى الذى تنظمه معاهدات الدفاع المشترك .

١١ - التزم الطرفان بمقتضى المادة السابقة على أن يتفاوضا لحل أى خلاف بشأن تطبيق المعاهدة أو تفسيرها ، وأنه إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم .

١٢ - كما حرصت مصر على أن تضمن المعاهدة نصا هو نص المادة الثامنة الذى يقضى بأنه ستنشأ لجنة تعويضات لتسوية التعويضات .

١٣ - وقد اشتملت المادة التاسعة على ما يعرف بالأحكام الختامية ووفقا لهذه الأحكام حدد تاريخ تبادل وثائق التصديق عليها ، وانها تحل محل اتفاق فك الاشتباك الثانى المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ .

١٤ - كما تتضمن الأحكام الختامية للمعاهدة أن كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقه بالمعاهدة تعتبر جزءا لا يتجزء منها . وأنه يتم ايداع نصها لدى الأمين العام للأمم المتحدة وفقا للمادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة وانها حررت من ثلاث نسخ باللغات العربية والانجليزية والعبرية التى تعتبر جميعها متساوية الحجية ، وأنه فى حالة الخلاف فى التفسير فىكون النص الانجليزى هو الذى يعتد به .

١٥ - أما الاتفاق التكميلى بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة فيتضمن الأحكام التالية :

(أ) أن الخطاب منبثق عن اطار السلام الشامل الموقع فى كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

(ب) أن تدخل مصر واسرائيل فى مفاوضات خلال شهر من التصديق على اتفاقية السلام ، وذلك للاتفاق على قواعد الانتخابات وصلاحيات الحكومة الفلسطينية الذاتية ، ويمكن أن يتضمن الوفد المصرى فى المفاوضات عناصر فلسطينية .

(ج) أن الدعوة مفتوحة للأردن للانضمام الى هذه المفاوضات .

(د) أن تسعى مصر واسرائيل الى الانتهاء من هذه المفاوضات خلال عام بحيث تجرى الانتخابات بأسرع ما يمكن ، ثم تقسم

الحكومة الفلسطينية الذاتية خلال شهر واحد بعد اجراء الانتخابات .

(هـ) أن الهدف هو اعطاء الضفة الغربية وغزة حكما ذاتيا كاملا .

(و) تلغى الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية التابعة لها بمجرد أن تقوم الحكومة الذاتية الفلسطينية ، وفى نفس الوقت يتم انسحاب بعض القوات الاسرائيلية . ويعاد تمركز القوات الباقية فى أماكن محدودة خارج المناطق السكنية .

(ز) تتعهد الولايات المتحدة بالمشاركة الكاملة والفعالة فى جميع مراحل المفاوضات .

١٦ - وتشمل ملحقات المعاهدة على الوثائق التالية :

(أ) الملحق رقم (١) وهو البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن ، ويتناول أسس الانسحاب وتحديد المناطق وتسليحها وهو يشتمل على تسعة مواد وبه مرفق يبين مبادئ الانسحاب ويشتمل أيضا على ثمانية مواد وعدد ٣ خرائط ، الأولى تبين الحدود الدولية وتحديد المناطق ، والخريطة الثانية تبين الخطوط والمناطق فى الفترة التى تكون فيها قوات اسرائيل على خط العريش - رأس محمد ، والخريطة الثالثة تبين تفاصيل انسحاب الاسرائيليين الى خط العريش رأس محمد .

(ب) الملحق رقم (٢) خريطة تبين الحدود الدولية للدولتين ،

(ج) الملحق رقم (٣) بروتوكول بشأن علاقات الطرفين الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والتجارية والثقافية وحرية التنقل والتعاون فى سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار والنقل والمواصلات ، وهو يشتمل على ثمانية مواد .

(د) كذلك وقع مع المعاهدة محضر متفق عليه بين الجانبين المصرى والاسرائيلي بشأن المواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام .

تفضلوا بقبول فائق الاحترام

(د . بطرس بطرس غالى)

وزير الدولة للشئون الخارجية

مصر بعد العبور - ٥٩٣

نص قرار (١) مجلس الشعب بجلسته المعقودة

يوم ١٠ ابريل ١٩٧٩

بالموافقة على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلي

« ووفق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها ، وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي العامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، والموقع عليهما في واشنطن في ٢٦ مارس ١٩٧٩ م التحفظ بشرط التصديق » .

(١) تم أخذ الراى على القرار بدء بالاسم وبلغ عدد الموافقين ٣٢٩ عضوا ، وغير
الموافقين ١٥ عضوا ، وامنع عضو واحد عن التصويت .

قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩ بدعوة الناخبين الى الاستفتاء

رئيس الجمهورية *

بعد الاطلاع على الدستور *

وعلى القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ ، بتنظيم مباشرة الحقوق
السياسية والقوانين المعدلة له *

قرر

(المادة الأولى)

الناخبون المقيمة أسماؤهم في جداول الانتخاب بالتطبيق لأحكام
القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ ، المشار إليه ، مدعوون للاجتماع في
مقار لجان الاستفتاء الفرعية المختصة ، وذلك لبدء الرأى في الاستفتاء
على الموضوعات الآتية :

أولا : معاهدة السلام وملحقاتها بين جمهورية مصر العربية ودولة
اسرائيل ، والاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتى الكامل فى
الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس سنة
١٩٧٩ ، والصادر بالموافقة عليهما القرار الجمهورى رقم ١٥٣ لسنة
١٩٧٩ ، واللذان وافق عليهما مجلس الشعب بتاريخ ١٠ من ابريل ١٩٧٩ .

ثانيا : اعادة تنظيم الدولة على الأسس التالية ، تدعيما للديمقراطية .

١ - حل مجلس الشعب والدعوة الى انتخابات عامة فى الموعد الذى حدده
الدستور *

٢ - اطلاق حرية تكوين الأحزاب *

٣ - اعلان حقوق الانسان المصرى *

٤ - الالتزام بالحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى
والاشنراكية الديمقراطية .

٥ - شعار الدولة هو العلم والايمان .

٦ - الشرعية الدستورية فى الدولة تقوم على مبادئ وانجازات ثورتى
٢٣ يوليو و ١٥ مايو ٠٠ فى :

(ا) انتماء مصر العربى حقيقة وهصير .

(ب) الالتزام بسياسة عدم الانحياز .

(ج) القضاء على الفساد الحزبى والاقطاع وتطهير الحياة السياسية

(د) الالتزام بنسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى جميع
التنظيمات .

(هـ) الالتزام بالسلوك الأخلاقى الذى ينبع من ديننا ومن القيم
الأساسية لأرض مصر .

(و) الالتزام فى كل الظروف بسيادة القانون .

٧ - الدستور هو الوثيقة الأساسية الوحيدة التى يقوم عليها نظام الدولة
وتعديله بالاسلوب الدستورى - هو الطريق الوحيد للتعبير عن
متطلبات مرحلة التطور للشعب .

٨ - انشاء مجلس للشورى يكون بمثابة مجلس العائلة لمصر ويضم
ممثلين عن كل فئات الشعب وهيئاته .

٩ - تفنين الصحافة كسلطة رابعة ضامانا لحريتها وتأكيدا على
استقلالها .

المادة الثانية

تجرى عملية الاستفتاء المشار اليها فى المادة السابقة يوم الخميس
الموافق ١٩ من أبريل سنة ١٩٧٩ وتبدأ الساعة الثامنة صباحا وتنتهى فى
الساعة الخامسة مساء بالكيفية المنصوص عليها فى قانون تنظيم مباشرة
الحقوق السياسية .

المادة الثالثة

توقف جلسات مجلس الشعب اعتبارا من تاريخ نشر هذا القرار
بالجريدة الرسمية .

المادة الرابعة

على وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار .

المادة الخامسة

ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية .
صدر برئاسة الجمهورية في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ،
الموافق ١١ من أبريل سنة ١٩٧٩ م .

النتائج الرسمية للاستفتاء الشعبي الذي أجري

يوم ١٩ أبريل ١٩٧٩

على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم
الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة *

اعلن السيد وزير الداخلية يوم ٢٠ أبريل ١٩٧٩ النتائج الرسمية
التالية للاستفتاء :

- ١ - عدد الناخبين المدعوين لبدء الرأى وهم جملة
الأشخاص المقيمة أسماؤهم فى جداول الانتخاب
بالتطبيق لأحكام القانون ١٠٩٩٨٦٧٥ ناخبا
- ٢ - عدد من حضر منهم واشترك فى عملية الاستفتاء ٩٩٢٠٢٦٠ ناخبا
- ٣ - عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩١٠٦٢٦ صوتا
- ٤ - عدد الآراء الباطلة ٩٦٣٤ صوتا
- ٥ - عدد آراء الموافقين ٩٩٠٥٣٨٠ صوتا
- ٦ - عدد آراء غير الموافقين ٥٢٤٦ صوتا
- ٧ - النسبة المئوية لعدد الحاضرين الى عدد الناخبين
المدعوين ٩٠.٢٠٪
- ٨ - النسبة المئوية لعدد آراء الموافقين الى عدد الآراء
الصحيحة التى أعطيت ٩٩.٩٥٪

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على
معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها
الموقع عليها فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلم الى الجانب
الاسرائيلى يوم ٢٥ ابريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية فى سيناء *

باسم الشعب
محمد أنور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م . وموافقة الشعب المصري في الاستفتاء الذي جرى في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ م .

وحيث أننا نوافق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها الموقع عليها في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة أننا نقبلها ونؤيدها ونصدق عليها .

واشهدا على ذلك وقعنا هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها .

القاهرة في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م

بأمر

رئيس الجمهورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على المحضر المتفق عليه للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام الموقع عليهما في واشنطن يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلم الى الجانب الاسرائيلي يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية في سيناء .

باسم الشعب
محمد أنور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميل الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م . وموافقة الشعب المصرى فى استفتاء الذى جرى فى ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ م .

وحيث أننا نوافق على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية الخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام الموقع عليه فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة اننا نقبلها ونؤيدها ونصدق عليها .
واشهادا على ذلك وقعت هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها .

القاهرة فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ
الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م
بأمر
رئيس الجمهورية
وزير الدولة للشئون الخارجية

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس حكومة اسرائيل الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية المتضمن الاتفاق التكميل الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة الموقع عليه فى واشنطن بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، والذى سلم الى الجانب الاسرائيلى يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية فى سيناء .

باسم الشعب
محمد أنور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م . وموافقة الشعب المصري في استفتاء الذي جرى في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ م .

وحيث اننا نوافق على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس حكومة اسرائيل الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المتضمن الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة الموقع عليه في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ م .

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة اننا نقبله ونؤيده ونصدق عليه واشهادا على ذلك وقعنا هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها .

القاهرة في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ
الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م
بأمر
رئيس الجمهورية
وزير الدولة للشئون الخارجية

- الخطاب الموجه من السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء الى السيد مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٧٩

بشأن تبادل وثيقة التصديق الخاصة بالخطاب المشترك المؤرخ فى
٢٦ مارس ١٩٧٩ الموجه الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

٢٩ أبريل ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء

بالإشارة الى تبادل وثيقة التصديق المتعلقة بالخطاب المشترك
المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ والموجه الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من
الرئيس محمد أنور السادات عن حكومة جمهورية مصر العربية ورئيس
الوزراء مناحم بيجين عن حكومة إسرائيل .

أؤكد أن الوثيقة المشار إليها تقرأ تمشيا مع الخطاب المشترك
المؤرخ ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ والمرفق صورة منه .

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

صاحب السعادة

السيد مناحم بيجين

رئيس وزراء إسرائيل

وثائق التصديق الاسرائيلية

معاهدة سلام

بين

دولة اسرائيل و جمهورية مصر العربية

وثيقة تصديق

حيث أن : الكنيسة وافق في الثاني والعشرين من مارس ، ١٩٧٩ ، على معاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية :

وحيث أن : المعاهدة المذكورة أبرمت بواشنطن ، مقاطعة كولومبيا ، في السادس والعشرين من مارس ، ١٩٧٩ ، ووقع عليها في اليوم نفسه رئيس الوزراء مناحم بييجين عن حكومة اسرائيل ، والرئيس محمد أنور السادات ، عن حكومة جمهورية مصر العربية ، وجيمي كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بصفتها شاهدا :

وحيث أن : المادة التاسعة من المعاهدة المذكورة تنص على أن توضع موضع التنفيذ بمجرد تبادل وثائق التصديق عليها :

وحيث أن : حكومة اسرائيل قررت في الأول من أبريل ، سنة ١٩٧٩ ، بمقتضى السلطة التي يخولها لها القانون ، أن تصدق على معاهدة السلام المذكورة :

وحيث أن : النص الحرفي لمعاهدة السلام المذكورة مرفق بهذه الوثيقة :

بناء عليه : تعلن بموجب هذه الوثيقة أن حكومة اسرائيل تصدق على معاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية :

وكشاهد على ذلك : وقعت انا اسحاق نافون ، رئيس دولة اسرائيل
بامضائي على هذه الوثيقة ، وأمرت بالتصديق عليها بختم دولة اسرائيل ،
ويتم ذلك في القدس في الثالث والعشرين في نيسان ، عام خمسة آلاف
وسبعمائة وتسع وثلاثون ، الموافق العشرين من ابريل ، عام ألف وتسعمائة
وتسع وسبعون •

امضاء

(اسحاق نافون)

امضاء مصدق

(موسى ديان)

وزير الخارجية

وثيقة التصديق الاسرائيلية بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩٧٩ على الوثائق
المصاحبة لمعاهدة السلام الموقع عليها بواشنطن يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩
والمسلمة الى الجانب المصرى يوم ٢٥ ابريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء،
الميدانية فى سيناء .

وثائق مرافقة لمعاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية

وثيقة تصديق

وحيث أن : الكنيست وافق فى النانى والعشرين من مارس ١٩٧٩ ،
على الوثائق المرفقة لمعاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر
العربية التالى ذكرها :

١ - محضر متفق عليه للمادة الاولى والرابعة والخامسة والسادسة
والملاحق الاول والثالث لمعاهدة السلام .

٢ - خطاب من جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ،
لرئيس الوزراء مناحم بيجين بشأن تنفيذ معاهدة السلام .

٣ - خطابات متبادلة بين الرئيس جيمى كارتر ورئيس الوزراء
مناحم بيجين ، بشأن تبادل السفراء بين دولة اسرائيل وجمهورية
مصر العربية .

وحيث أن : المحضر المتفق عليه المذكور قد وقع عليه بواشنطن ،
مقاطعة كولومبيا فى السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩ ، من قبل رئيس
الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل ، والرئيس محمد أنور السادات
عن حكومة جمهورية مصر العربية ، والرئيس جيمى كارتر بصفته شاهداً .

وحيث أن : الخطابات المذكورة قد وقع عليها أيضا فى السادس
والعشرين من مارس ١٩٧٩ .

وحيث أن : حكومة اسرائيل قررت في الأول من ابريل ١٩٧٩ ،
بمقتضى السلطة التي يخولها لها القانون ، أن تصدق على الوثائق
المذكورة .

وحيث أن : النص الحرفي للوثائق المذكورة مرفق بهذه الوثيقة :
وبناء عليه : نعلن بموجب هذه الوثيقة أن حكومة اسرائيل تصدق
على الوثائق المذكورة المرافقة لمعاهدة السلام :

وكشاهد على ذلك : وقعت أنا اسحاق نافون ، رئيس دولة اسرائيل
بامضائي على هذه الوثيقة ، وأمرت بالتصديق عليها بختم دولة اسرائيل .

وتم ذلك في القدس في الثالث والعشرين من نيسان عام خمسة ألف
وسبعمائة وتسع وثلاثون ، الموافق للعشرين من أبريل عام ألف وتسعمائة
وتسع وسبعون .

امضاء

(اسحاق نافون)

امضاء

امضاء مصدق

(موشي ديان)

وزير الخارجية

الخطاب الموجه من السيد / مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل.
الى السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٧٩
بشأن موافقة حكومة اسرائيل على الخطاب الموجه الى الرئيس جيمي كارتر
والذى سبق أن وافق عليه الكنيست الاسرائيلي يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ .

القدس فى ١٩ ابريل ١٩٧٩

عزيزى الدكتور خليل

أود أن أؤكد أنه فى ١ ابريل ١٩٧٩ قامت حكومة اسرائيل بالموافقة
على الخطاب الموجه الى الرئيس جيمي كارتر والذى وافق عليه الكنيست
فى ٢٢ مارس ١٩٧٩ والموقع فى ٢٦ مارس من قبل رئيس الوزراء مناحم
بيجين عن حكومة اسرائيل والرئيس محمد أنور السادات عن حكومة
جمهورية مصر العربية والمتعلق بتطبيق نصوص الوثيقة المعنوية « اطار
السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » .

المخلص

مناحم بيجين

سعادة الدكتور مصطفى خليل

رئيس الوزراء ووزير الخارجية

جمهورية مصر العربية

الفصل الرابع

اقرار الحقوق المشروعة
للشعب الفلسطيني

الموقف المصرى

فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أقامت اسرائيل دولتها على أشلاء فلسطين العربية ، وتشرد الشعب الفلسطينى مطرودا من وطنه ، لتظهر أمام العالم ، مشكلة اللاجئين .

واحتججت الشعوب العربية ، وعلى رأسها مصر ، فاعدوا جيشا من المتطوعين . ثم نشبت حرب فلسطين .

وقد كان لمصر دور هام مؤثر فى تلك الحرب ، اذ اشترك الجيش المصرى فى تلك الحرب ، وحقق أولى خطوات النصر ، لولا مساعدات الدول التى اعترفت باسرائيل التى أمدتها بالأسلحة والمعدات بعد الهدنة الأولى ، بجانب الخيانات العربية ، التى أدت الى تصدع الجبهة العربية .

وظلت الحرب قائمة بين الدول العربية وبين اسرائيل ، أكثر من ثلاثين عاما لم تبخل مصر خلالها بإمكاناتها المادية والبشرية ، دون الدول العربية الأخرى ، من أجل الحقوق الفلسطينية ، التى كانت من الأسباب الرئيسية ، لنشوب حروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مع اسرائيل .

واستطاعت مصر ، بثقلها السياسى والدبلوماسى ، أن تجذب انتباه العالم ، الى أهداف حركة التحرير الفلسطينية ، وأن تنبت للمجتمع الدولى ، أن الشعب الفلسطينى لا يزال موجودا .

الى أن تعددت المنظمات الفلسطينية ، وتحركت من داخلها ، الأحزاب العربية ، فانقسم الفلسطينيون على أنفسهم ، وتصارعت أنظمتهم المتكاثرة فيما بينها ، حتى غطت أخبار صراعاتهم المستمرة ، على القضية نفسها . وتحول انتباه العالم الى صراع المنظمات وتاهت القضية الفلسطينية .

غير أن مصر ، لم تتخل قط عن ايمانها بحقوق شعب فلسطين ، وأصبحت قضيتهم من أهم المبادئ التى كانت مصر تتمسك بها ، بجانب مشاكلها السياسية الخاصة . واقترحت مصر فى عام ١٩٧٢ ، على الفلسطينيين ، أن يشكلوا حكومة مؤقتة فى المنفى ، تجسد كياناتهم وتعبّر عن ارادتهم فى المجتمع الدولى . الا أن تعدد آراء القوى المسيطرة على مصير شعب فلسطين ، حال دون التنفيذ .

وفى المخاطرة الكبرى التى قام بها الرئيس السادات بزيارة القدس •
أوضح فى خطابه أمام الكنيست الاسرائيلى (يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧) بكل
جرأة وثبات ، لحكومة وشعب اسرائيل ، أن القضية الفلسطينية هى لب
النزاع فى الشرق الأوسط وجوهر مشكلته •• وأنه لا يمكن أن تتم أية
تسوية للنزاع القائم فى هذه المنطقة ، قبل حل القضية الفلسطينية
حلا عادلا • يقوم على استعادة حقوق الشعب الفلسطينى الوطنية •

وقال السادات :

(ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة ، لم
تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد •

•• حتى الولايات المتحدة ، اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع ،
وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة ، وأن المشكلة
الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهرة ، وطالما بقيت معلقة دون حل ، فإن
النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادا جديدة •

وتبلغ مبادرات السادات من أجل السلام ذروتها ، عندما وجهت
الولايات المتحدة الدعوة ، لكل من مصر واسرائيل ، لعقد قمة كامب ديفيد
(من ٥ سبتمبر حتى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨) لمباحثة اقرار السلام فى
الشرق الأوسط بمشاركتها •

وقد ركز السادات خلال مباحثاته ، على موضوع الفلسطينيين الذين
يعيشون فى منطقة النزاع •

وعلى الرغم من ذلك ، أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية ، رفضها
للجهود التى تبذلها مصر من أجلهم • ونتيجة لهذا الرفض ، رفضت
اسرائيل بدورها ، الاعتراف بمنظمة التحرير ، أو التعامل معها ، وأظهرتها
أمام دول العالم ، على أنها منظمة ارهابية لا تهدف الى السلام •• ونجحت
اسرائيل ، فى جذب اهتمام المجتمع الدولى الى صفها على حساب الشعب
الفلسطينى ، بسبب رعونته ومثليه ورفضهم التدخل المصرى الذى يسعى
لايجاد تسوية سلمية شاملة لقضيتهم •

ولم تنظر مصر ، فى أى وقت ، الى المشكلة الفلسطينية على أنها
قضية انسانية ، تحتاج الى التأييد الأدبى والمادى فحسب ، انما كانت
تعتبرها قضية متشابكة الجذور مع قضايا الشعب المصرى ذاته •

كامب ديفيد والتسوية الفلسطينية

واستمرت مصر في مسيرة السلام الشامل ، لايمانها بالتزامها القومي
ازاء الإنسان الفلسطيني .

وتم التوقيع النهائي على اتفاقيتي كامب ديفيد للسلام . وبهما
التطبيق اللازم لتنفيذ نصوص ومبادئ القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ،
وفيها اعتراف اسرائيل بالحقوق الفلسطينية ، والنص على مرحلة انتقالية
تمهد لمرحلة تقرير مصير الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع
غزة . كما اتفق على فتح باب التعامل السلمي لتحقيق تعايش فلسطيني
اسرائيلي بعد الاعتراف المتبادل بينهما والذي سيتم بين الطرفين في نفس
الوقت .

ويرتكز القسم الفلسطيني بوثيقة كامب ديفيد ، على الأسس الآتية ،
لكي تكون أساسا لمفاوضات الحكم الذاتي الكامل :

- اعتراف اسرائيل بحقوق الشعب الفلسطيني وبضرورة
التفاوض معه .

- اقامة سلطة فلسطينية على مراحل ، تحل محل الادارة
الاسرائيلية ،

- اتخاذ ترتيبات انتقالية ، لبدء اجراءات انسحاب القوات
الاسرائيلية من الضفة الغربية وقطاع غزة .

- الأمن هو أمن جميع الأطراف .

كما نص في الخطابات المتبادلة بين مصر واسرائيل ، والموافقة ضمن
وثائق الاتفاقيتين ٠٠ على :

- تحديد واضح للقدس ، يؤكد على أن القدس العربية جزء
لا يتجزأ من الضفة الغربية ، ويجب احترام الحقوق الشرعية والتاريخية
للقدس .

- التأكيد على ضرورة اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المستوطنات .

- استعداد مصر للاضطلاع بدورها العربي ، لضمان تنفيذ البنود
المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة . ومن أجل حماية الحقوق الشرعية
للفلسطينيين وذلك بعد المشاورات مع الاردن وممثلي الشعب الفلسطيني .

الاتفاق التكميلي للحكم الذاتي

ومن الوثائق الهامة ، المرفقة بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ،
الاتفاق التكميلي والخطابات الخاصة بالحكم الذاتي الكامل .

وينص الاتفاق بين مصر واسرائيل على :

(٠٠) تشرع مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات ، خلال شهر من تبادل واثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا لاطار السلام فى الشرق الأوسط ، فان المملكة الأردنية الهاشمية ، مدعوة للاشتراك فى المفاوضات) .

وبدأت بالفعل مفاوضات الحكم الذاتي ، التى استمرت عاما كاملا (من مايو ١٩٧٩ حتى مايو ١٩٨٠) ثم تعثرت ٠٠ بسبب المواقف السلبية للمنظمات الفلسطينية ، التى تعددت القوى المتحكمة فيها ، تلك المنظمات الرافضة للجهود المصرية التى أثمرت تلك المفاوضات والاتفاقات ٠٠ بجانب عمليات العنف والارهاب من جانب الفدائيين الفلسطينيين ، التى كدرت صفو المجتمع الدولى ، وانعكست آثارها السيئة على السلطات الاسرائيلية ، فتعثرت المفاوضات وسرعان ما توقفت . وعادت المشكلة الفلسطينية ، الى اطار الدائرة المفرغة التى كانت عليه من قبل .

لماذا قاطعتم السلام ؟

قبل نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، بربع قرن من الزمان ، كان الانسان العربى يرى بكل حواسه ، صورته المهانة والملطخة بعار الهزيمة ، وهو يطرق جميع أبواب المجتمع الدولى ، متسولا استعادة أرضه المحتلة ، واسترداد كرامته الوطنية المنتهكة ٠٠ دون أن يظفر الا بقرارات التأييد وبيانات المساندة ، التى كانت تتكلم كلها ، تحت أقدام المقتصب الصهيونى ، بلا نتيجة .

وبعد احراز النصر ، عادت للانسان العربى ذاته غير مهانة .

ونجحت مصر فى مباحثات كامب ديفيد ، وتم التوقيع على اتفاقيتى السلام بين مصر واسرائيل ، بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية . وكان من أبرز بنودها تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، وهو ما كانت تصبو اليه الدول العربية وتقرره بمؤتمرات القمة العربية

العديدة ٠٠ تلك القرارات التي كانت مصر تحرص على التمسك بها ، ولم تخرج عنها في جميع مباحثاتها ٠

غير أن الدول العربية ، سارعت برفض اتفاقيتي السلام ، قبل الاطلاع على مضمونها ٠٠ وأعلنوا جميعا مقاطعتهم لمصر ٠

وكان يجب أن تكون المقاطعة مبنية على تقدير مدروس ، ونفهم دقيق لأهداف الاتفاقيتين ٠٠ فتجارب الحرب لا يعرف أهوالها الا من اکتوى بها ، ومعرفة الطبيعة البشرية ، التي تسير مع تطور التاريخ — هما الصفتان اللازمتان لتكوين حكم صحيح ٠٠ بيد أن الدول الراضة للسلام . مازالت سجيئة وراء أكوام الشعارات البالية ، الخالية من كل معنى ٠

نصوص وثائق السلام

كان من الضروري أن يتضمن هذا الباب ، بنصوص اتفاقيتي كامب ديفيد للسلام ووثائقيهما المكمل لهما ٠٠ ومعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ووثائقيها المرفقة بها ، والتي منها تنظيم عملية الانسحاب الاسرائيلي من كل سيناء ، والخطاب التكميلي لاتفاق الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

وذلك حتى يعيها ويتفهمها الشعب العربى — خاصة بعد أن طبقتها مصر — عسى أن تدرك حكوماته الراضة لكل انجاز ايجابي تقوم به مصر ، حقيقة مضمونها ، ويطابقونه على جميع قرارات مؤتمرات القمة العربية . ليستردوا ادراكهم ووعيهم ، ويعودوا الى رشدهم السياسى ، قبل أن يفوتهم قطار السلام ٠

الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل
في الضفة الغربية وقطاع غزة والوثائق المتعلقة به

(١) الاتفاق التكميل والخطابات المتعلقة بالحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة •

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزى السيد الرئيس

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على ما يلى :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل انهما قد اتفقتا فى كامب دافيد ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٩ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب دافيد » و « اطار لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » •

وبغية التوصل الى تسوية سلمية شاملة وفقا للاطارين المشار اليهما آنفا تشرع مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة • وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام • ووفقا لـ « اطار السلام فى الشرق الأوسط » فإن المملكة الأردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك فى المفاوضات • ولكل من وفدى مصر والأردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك •

وهذه المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات على الترتيبات الخاصة باقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة (المجلس الادارى) ، وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى • وفى حالة اذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك فى المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل •

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن • كما تتفق الحكومتان على أن الغرض من المفاوضات هو اقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان •

الرئيس

البيت الأبيض

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفا للانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد بحيث يتم اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الاطراف قد توصلوا الى اتفاق • وتنشأ سلطة الحكم الذاتي المشار اليها في « اطار السلام في الشرق الأوسط » وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية • ويتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتي محلها كما هو منصوص عليه في « اطار السلام في الشرق الأوسط » • وحينئذ يتم انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية في مواقع أمن محددة •

ويؤكد هذا الخطاب أيضا مفهومنا بأن حكومة الولايات المتحدة ستشارك اشتركا كاملا في كافة مراحل المفاوضات •

مع خالص التحية ،،،

عن حكومة
اسرائيل
مناحم بييجين

عن حكومة
جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

٢ - خطاب السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الموجه الى وزير خارجية الولايات بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٧٩ بشأن المستوطنات التي أقامتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة .

جمهورية مصر العربية

رئيس الوزراء

٢٣ فبراير ١٩٧٩

عزيزى الوزير فانس :

انه فيما يتعلق بالمحادثات الراهنة بشأن أحكام « اطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد » الخاصة بمفاوضات الضفة الغربية وغزة ، أود أن أشير الى المذكرة التي تقدم بها وفد مصر اليكم يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، والمتضمنة خطوات ينبغي اتخاذها من جانب الحكومة الاسرائيلية بهدف خلق جو يؤدي الى التنفيذ السليم للأحكام المذكورة .

وأود أن أكرر أن حكومة مصر تعتبر مثل هذه الخطوات ذات أهمية بالغة في جهودنا المشتركة نحو المضي قدما لوضع أحكام الاطار المتعلقة بالضفة الغربية وغزة موضع التنفيذ .

وأود أيضا أن تحيطونى علما بنتيجة اتصالاتكم مع الجانب الاسرائيلي في هذا الصدد .

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

ووزير الخارجية

٣ - خطاب السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية
الموجه الى وزير خارجية الولايات المتحدة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٧٩
بشأن تقارير ومقترحات اللجنة التي شكلها مجلس الوزراء الاسرائيلي
لوضع المفهوم الاسرائيلي للحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع
غزة *

* * *

جمهورية مصر العربية

رئيس الوزراء

٢٤ فبراير ١٩٧٩

عزيزي الوزير فانس :

أود أن أشير الى المعلومات الخاصة بمفاهيم اسرائيلية معينة بشأن
الحكم الذاتي المقرر في اطار كامب ديفيد للضفة الغربية وقطاع غزة .
وأشير بصفة خاصة للمعلومات المتعلقة بتقارير ومقترحات لجنة شكلها
مجلس الوزراء الاسرائيلي *

وفي هذا الصدد ، أود أن أحيطكم علما أن حكومة مصر تعتبر مثل
هذه التقارير والمفاهيم كما نشرت أو أذيعت غير مقبولة كلية حيث أنها
تشكل خروجاً خطيراً عن نص وروح اطرار كامب ديفيد . وعلاوة على ذلك
تمثل هذه التقارير استفزازاً آخر للسكان الفلسطينيين بالضفة الغربية
وقطاع غزة ، بل وللشعب الفلسطيني ككل في الحقيقة . ومن المؤكد
أنها تشكل تهديداً خطيراً للغاية لعملية السلام برمتها .

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

وزير الخارجية

٤ - خطاب من وزير خارجية الولايات المتحدة الى السيد وزير الدوله للشئون الخارجية بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٧٩ يتضمن الرد على خطابات السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الخاصة بالقضايا المتعلقة بالمفاوضات المقبلة الخاصة باقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية وقطاع غزة .

القاهرة ، مصر

١٥ أبريل ١٩٧٩

عزيزى الدكتور بطرس

قام السفير ايلتس بابلاغى باقتراحكم بالرد على الخطابات المتعددة الموجهة لى من رئيس الوزراء فى خلال اجتماعنا فى كامب ديفيد فى فبراير فيما يتعلق بمواضيع خاصة بالمفاوضات .

ويتعلق عدد من هذه الخطابات بنقاط معينة كانت محل تفاوض وقت تحريرها الا أنها حلت بعد التوصل الى اتفاق على عناصر المعاهدة ككل . وأعتقد أنكم توافقوننى على أن هذه الخطابات تمت معالجتها فى اطار المفاوضات النهائية .

وفىما يتعلق بالخطابات التى تعالج موضوعات خاصة بالمرحلة القادمة من المفاوضات فأنتنى أود أن أؤكد لكم اننا سنولى آراء حكومتكم المعبر عنها فى تلك الخطابات كامل عنايتنا .

المخلص

سيروس فانس

سعادة الدكتور بطرس غالى

وزير الدولة للشئون الخارجية - القاهرة

القسم السادس

قناة السويس وسيناء

الفصل الأول

قناة السويس .. الهرم الرابع

قدماء المصريين وحفر القناة

من أشنع الغلطات ، التي يحتفظ بها التاريخ ، اعتبار فرديناند ديليسبس ، أول من فكر في حفر قناة تربط بين البحرين الأبيض والأحمر ٠٠ وواقع الأمر ، أن فكره لم يتعد إعادة حفر قناة السويس فلا يمكن مطلقاً أن يسبق فكره فكر قدماء المصريين ، الذين تم في عهدهم ربط هذين البحرين بقناة بحرية عبر الأراضي المصرية ٠

ففي عهد الملك سنوسرت الثالث ، أحد ملوك مصر الفرعونية ، شقت أول قناة صناعية عرفها التاريخ ، لتصل بين البحر الأبيض المتوسط (وكان يسمى بحر الشمال) وبين البحر الأحمر (وكان يسمى بحر أروتري) ، وذلك عن طريق نهر النيل وفروعه ٠٠ واقتتحت قناة سنوسرت (أو قناة سيزوستريس) عام ١٨٧٤ ق م ٠

ثم أهملت تلك القناة ، ثم أعيد فتحها عدة مرات ، وكان ذلك :

- عام ١٣١٠ ق م ، في عهد سيتى الأول ٠
- عام ٦١٠ ق م ، في عهد نخاو ٠
- عام ٥١٠ ق م ، في عهد دارا الأول ، وأطلق عليها قناة الفرس ٠
- عام ٢٨٥ ق م ، في عهد بطليموس الثاني ٠
- عام ١١٧ م ، في عهد الامبراطور الرومانى تراجان ، وأطلق عليها قناة الرومان ٠
- عام ٦٤٠ م ، في عهد القائد الاسلامى عمرو بن العاص ، وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين ٠

وأغلقت القناة نهائياً ، فى بداية عهد الدولة العباسية ٠

وفى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٦ م ، استطاع فرديناند ديليسبس ، الحصول على فرمان من والى مصر محمد سعيد باشا ، على حفر قناة السويس ٠

وبدأ الحفر فى ٢٥ ابريل ١٨٥٩ م ، بأيدى ٢٠ ألف عامل مصرى شهرياً ، واستشهد — خلال مدة الحفر — أكثر من ١٢٠ ألف مصرى ،

بسبب طغيان ديليسبس وتقصيره فى تغذية العمال المصريين ، حتى أصيبوا بأمراض الجوع (كان ديليسبس يصرف لكل عامل رغيفا واحدا من الخبز كل يوم) ، وإهماله فى توفير أماكن لايوائهم ، فأمااتهم العوامل الجوية الصحراوية صيفا وشتاء ٠٠ وكان ذلك خروجاً منه عما اتفق عليه مع والى مصر ٠

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م ، أفتتحت قناة السويس للملاحة الدولية، وكان عرضها ٢٢ مترا وعمقها نحو ١٣ مترا ، وكانت السفن تسير فيها ببطء حتى لا تضطرب المياه فتسبب انهيار جوانب القناة ٠

وكانت أول قافلة تعبر القناة فى يوم الافتتاح ، ٧٧ سفينة ، منها ٥٥ سفينة حربية ٠ وعلى رأس تلك القافلة ، كانت تسير السفينة الحربية المصرية ايجل (النسر) ، وعليها الخديوى اسماعيل وملوك أوروبا المدعوين ٠

وكانت مساحة القطاع المائى للقناة ٣٠٤ مترا مربعا ، وعمق مجراها الملاحي ٨ مترا ، وأقصى غاطس مسموح به للسفن ٢٢ قدما ، أى لا يسمح بمرور أية سفينة تزيد حمولتها عن ٤٤٠٠ طنا ٠

ووضح فكر فرديناند ديليسبس ، الهادف الى الاستعمار ، بتشكوين شركة قناة السويس الدولية ، بالأسهم التى كانت تمتلك أغلبها فرنسا وانجلترا ، واستطاعت بوسائلها وأساليبها الاستعمارية ، أن تنهب من مصر كل نصيبها من الأسهم ، بأبخس الأسعار ٠ ولم يكن مسموحا لأى مصرى ، مهما بلغت كفاءته البحرية ، باختراق حاجز المرشدين الأجانب ٠ وكانت الشركة – وهى وسط أراض مصرية صميمة – بمثابة دولة أخرى داخل الدولة المصرية ٠

وكان من المفروض أن تستمر الامتيازات التى اقتنصتها الشركة من دماء مصر ، لمدة ٩٩ عاما ، حتى نقضها (يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦) قرار رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر ، بتأميم شركة قناة السويس ، لصالح شعب مصر ٠ وفى لحظة اذاعة القرار ، كان المصريون يسيطرون على جميع ممتلكات الشركة ، وأصبحت قناة السويس مصرية فى كل شئ : موقعها ومياهها وادارتها ومرشديها ٠

وكان قد تم انسحاب جميع المرشدين الأجانب بأوامر من الشركة المنحلة . بهدف عرقلة الملاحة الدولية وتعطيلها ، حتى يتشفى العالم فى مصر ٠٠ ولكن الادارة المصرية سبقت نواياهم ، وقام رجال القوات البحرية المصرية ، بجميع عمليات الارشاد بكفاءة وجدارة ، حازت على اعجاب

المجتمع الدولي ، ولم يتعطل مرور قوافل السفن فى قناة السويس الحصرية وشهد العالم بقدرة المصريين فى الادارة الحكيمة والارشاد المحكم .

- وفى عام ١٩٥٦ ، تعطلت الملاحة فى قناة السويس بسبب العدوان الثلاثى على مصر ، الذى أشركت فيه اسرائيل ، انجلترا وفرنسا .
وبعد العدوان تم تطهير القناة ، بمعاونة الأمم المتحدة .

- وفى حرب ١٩٦٧ ، تعطلت الملاحة فى القناة ، وظلت مغلقة لمدة ٨ سنوات ، عانت فيها مصر ودول العالم ، من كثير من الظروف العصيبة ، اذ طالت رحلة السفن للتجارة الدولية ، وتباطأت حركة الملاحة بشكل ملحوظ ، لاضطرار السفن وناقلات البترول ، للسير فى الطريق البحرى القديم ، من أوروبا الى الشرق ، حول رأس الرجاء الصالح (وطوله ١١٣٣٣ ميلا) والذى كان قد أصبح بفضل قناة السويس (٦٠٦٩ ميلا) .

حتى جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، وسيطرت القوات المسلحة المصرية . على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وصدرت تعليمات الرئيس السادات ، بالبدا فى مشروعات تطهير القناة وتطهيرها ، وفقا لتطويع الناقلات ذات الحمولات الضخمة ، والتغيرات العلمية الهائلة ، بالنسبة لنوعيات السفن فظهرت سفن الحاويات ، وحاملات المركبات المتحركة ، وحاملات الصنادل البحرية والسيارات ، وسفن الدحرجة . هذا بالإضافة الى صدور اتفاقية تعديل خطوط الشحن (عام ١٩٦٨) ، حيث وجد أن الحجم الأمثل للناقلات هو ما بين ٢٥٠ ألف طن و ٣٠٠ ألف طن .

وقامت اليابان بالتنفيذ ، مستخدمة أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة .

واستعادت القناة سابق أهميتها :

وفى ٥ يونيو ١٩٧٥ ، أعيد فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، بالقدر الذى يسمح بمرور السفن المتوسطة الحمولات بكامل شحنتها ، أما السفن العملاقة فكانت تمر فى القناة وهى فارغة .

لقد فتحت القناة للملاحة والتجارة الدولية ، بالارادة المصرية الصميمة ، وأعادت الخير للعالم أجمع . وتم هذا الانجاز ، بما فرضته القوات المسلحة المصرية ، من ارادة أذهلت العالم ، وشارك المجتمع الدولى مصر ، وهى تمارس عملية من أهم آثار انتصار أكتوبر المجيد .

وكانت اسرائيل تزعم دائما ، بل وأشاعت في العالم كله ، أن قناة السويس قد فقدت أهميتها الى الأبد ، وأنه لن تمر فيها سفن بالقدر الذي كانت عليه قبل ١٩٦٧ • ووصل بها الأمر الى مجاهرة المسؤولين بها بالتصريح الآتي • اذا أرادت مصر أن تفتح القناة ، فعليها أن تتفاوض معنا لكي نسمح ، وحتى ندخل شركاء فيما سيعود من القناة •

وحطمت القوات المصرية كل ذلك ، وتحطمت الأسطورة ، وفرض الانسحاب على اسرائيل •

ومنذ معركة اكتوبر ، ومصر تسير بجدية الى الأمام في كل اتجاه • وكان العمل في مشروعات تطوير قناة السويس ، يجري على قدم وساق ، وتستخدم فيه أحدث ما أنتجه العصر من التكنولوجيا •

وكان افتتاح قناة السويس في ٥ يونيو ١٩٧٥ ، مثبتا للتاريخ ، أن يوم الهزيمة في عام ١٩٦٧ ، قد انمحي وولى الى الأبد ، وأن ٥ يونيو الجديد ، قد أصبح عيداً للقوات المسلحة ، التي أثبتت بكل المقاييس ، كفاءتها وجدارتها ، وقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء ، بروعة أداء القوات المصرية ، وبتضحيات رجالها الأبطال •

وشارك العالم في كل مكان ، مصر في احتفالاتها بيوم افتتاح القناة (٥ يونيو ١٩٧٥) وهو مولد الفتح الجديد ، بعد أن قوى الظن بالأعداء وبطانتهم ، بأن قناة السويس لن تستعيد مكانتها •• كما كان أيضا انتصارا عظيما على أفكار المغرورين وعلى أحلام الموهومين ، وبداية موفقة للصحوه الكبرى لشعب مصر وللامة العربية بأكملها •

واستعادت قناة السويس مكانتها وأهميتها ، أكثر من ذي قبل •• بل وعادت مزدهرة لتشارك في رخاء العالم •• ولم تفتح لتبقى على حالها السابق ، بل وضعت لها مشاريع التطوير ، لاضفاء تكنولوجيا العصر الحديث ، على جميع ما تشمله القناة من مرافق حيوية •

مشروع تطوير القناة

وفي عام ١٩٦٦ ، بدأت هيئة قناة السويس ، دراسة مشروع ضخم لتطوير القناة • وكانت الهيئة ، قد أنشأت (في عام ١٩٦١) ، مركزا للأبحاث ومركزه الاسماعيلية ، ليكون اداة فعالة في دراسة المشروعات اللازمة لتطوير القناة وفقا لأحدث الأساليب العلمية ، وليسائر ما يماثله من مراكز عالمية ، حتى تقابل القناة التطورات الهائلة في مجالات التكنولوجيا الحديثة ، ولتبقى القناة قادرة على الوفاء باحتياجات التطوير

العالمى فى أحجام وحمولات السفن ، ولمسايرة التصميمات المسمره على أنواع جديدة من السفن والناقلات ، لتتناسب مع أنواع البضائع المطلوب شحنها ، بما يحقق أقل مستوى لتكاليف الشحن ، مع رفع القدرة اللازمة لزيادة الحمولات ، وخضوع كل ذلك الى دراسات الجدوى الاقتصادية .

ويقوم المركز ، بعمل الدراسات النظرية والعملية والتجارب العملية واجراء البحوث الدقيقة الخاصة بالتربة المتعلقة بمواد البناء والانشاء ، وبحسين الكفاية الانتاجية ، للماكينات والأجهزة المختلفة والمهمات ومعدات القياس وتطويرها .

وبالمركز أقسام متخصصة فى كل نوع من الابحاث ، وهى :
الهيدروليكا ، المتعلقة بمشروعات المجرى الملاحي والقنوات الملاحية والشواطئ . . وأبحاث المواد ، اللازمة للبناء والانشاءات ، وتدريب الفنيين على أعمال الاشراف بالمواقع ، والعاملين بالتجارب المعملية والمشروعات الهندسية . . أبحاث التربة ، وهذا القسم مجهز بأحدث الأجهزة الدقيقة لدراسة أنواع التربة والأساسات والتنقيبات الاختبارية . . أبحاث الأجهزة لتحسين كفاءة الأجهزة والمكينات والمهمات الكهربائية وأجهزة القياس وتطويرها وإيجاد أنسب الطرق لصيانتها وتشغيلها . . الأرصاد الجوية ، ومهمة هذا القسم التنبؤ بحالة الجو التى تؤثر على الملاحة فى القناة . وقد أعدت محطات رصد على أعلى مستوى من الدقة تعمل ٢٤ ساعة يوميا . وبها أجهزة لقياس سرعة الرياح وغزارة المطر ، ودرجة حرارة الشمس . ويتبع هذا القسم ، محطة أرصاد رئيسية بالاسماعيلية ، وأخرى ببورسعيد ، وثلاث محطات فرعية فى الكاب وكبريت والفرسوار . . وأخيرا قسم الخدمات ، لخدمة العمل فى جميع الأقسام الأخرى ، ويشمل المكتبة العلمية وقاعة المحاضرات ومعمل للتصوير الفوتوغرافى .

وكان من أهم ما أنجزه المركز منذ انشائه :

- دراسة تطوير القناة .
- اجراء تجارب على عمليات التوقف الفجائى للناقلات العملاقة فى القناة .
- اختيار أنسب أنواع التكسيات لجوانب القناة .
- عمل دراسات الجدوى الاقتصادية لمشروعات الهيئة .
- عمل دراسات رسوم المرور فى القناة .

- عمل دراسات تحديد التلوث ومقاومته فى القناة والموانىء .
- عقد عدة مؤتمرات دولية .

وكان قد بدىء فعلا فى تنفيذ مشروع التطوير ، فى ٢٢ فبراير ١٩٦٧ ، ولكن حرب يونيو ١٩٦٧ عطلت عمليات التنفيذ ثم توقفت نهائيا ، بعد أن تعطلت الملاحة فى القناة .

وعقب عودة الملاحة فى القناة (فى ٥ يونيو ١٩٧٥) بدأت هيئة القناة ، فى تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع المعدل الجديد ، الذى ينواكب مع التطورات الهائلة فى أحجام وحمولات وأنوع السفن والناقلات وغيرها من أنواع السفن المستحدثة ، التى لم تكن موجودة قبل حرب ١٩٦٧ .

وكانت هيئة قناة السويس قد عهدت الى بيوت الخبرة العالمية ، بدراسة الجوانب الفنية والاقتصادية المتعلقة بمشروع تطوير القناة على ضوء كل جديد مستحدث ، ونتج عن ذلك تعديل مشروع التطوير القديم المقدم فى عام ١٩٦٦ ، حتى يسمح بعبور الناقلات التى حمولتها ٢٦٠ ألف طن بكامل شحنتها ، والناقلات حمولة ٣٠٠ ألف طن بشحنات جزئية ، والناقلات ذات الحمولات الأكبر فارغة وبغاطس حتى ٦٧ قدما .

وقد أكدت الدراسات ، أن تنفيذ مشروع التطوير ، سيحقق زيادة كبيرة فى إيرادات القناة ، كما أعلنت بيوت الخبرة الأجنبية ، أنه أحسن مشروع استثمارى فى مصر ، يحقق أرباحا تتراوح ما بين ٤٠ و ٣٠٪ سنويا .

وبدأت الخطوات التنفيذية ، وانطلقت أجهزة هيئة قناة السويس ، لتعمل بأقصى طاقاتها وقدراتها ، ولتسبق الزمن لسرعة انجاز أولى مراحل المشروع .

وتم ازالة ١٠٦ مليون متر مكعب من الرمال بالضفة الشرقية للقناة ، وازالة خط بارليف ونقاطه الحصينة ، وقام بالتنفيذ ٩ شركات مصرية متخصصة ، عملت فى ٢٩ موقعا للعمل . وتم ازالة ١٣١ كيلو مترا من الترسبات القديمة لجوانب القناة ، ونفذت ذلك ٣ شركات مصرية وشركة يابانية . وكذلك تم ازالة ٧٠٠ شعبة رباط قديمة ، وقد عاونت معدات الهيئة فى تنفيذ ذلك . ثم ازالة ٦٨ قيسونا قديمة ، فى مناطق الانتظار بمدخل القناة ، وقام بالتنفيذ شركة يابانية .

كما تم انشاء ١٥٤ كيلو مترا من التوكسيات الجديدة ، لحماية جوايب القناة ، وتم بناء ١٠٠٠ شمة رباط جديدة ، ونفذت ذلك ٥ شركات مصرية كما تم انشاء ٩٧ قيسونا جديدا ، ونفذت ذلك احدى شركات هيئة القناة .

وتمت أعمال التطهير بالحفر تحت الماء بالكراكات ، وبلغ حجم هذا العمل حوالى ٦٠٠ مليون متر مكعب ، ونفذت ذلك ٦ شركات أجنبية وأسطول كراكات الهيئة ، وعمل بالمشروع ٤٠ كراكة مصرية وعالمية .

كما تم بناء ٢٠ حوضا لترسيب ، على امتداد الجانب الشرقى للقناة ونفذت ذلك الشركات التى قامت بأعمال الحفر الجاف .

وقد استغرق تنفيذ هذا الجانب من التطوير ، ٤ سنوات ونصف ، انتهت فى ديسمبر ١٩٨٠ . وتم افتتاح هذه المرحلة فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٠ . وبذلك دخلت قناة السويس ، عصر عبور الناقلات العملاقة ٠٠ وأصبحت القناة تساوى ٤ أضعاف القناة عام ١٩٥٦ ، و ٢ ونصف ضعف القناة عام ١٩٧٥ . وقد تكلفت ما يعادل ١٢٧٠ مليون دولار .

كما تم تنفيذ الانشاءات الآتية :

- ٣ تفرعات جديدة : تفرعة بورسعيد وطولها ٣٧ كيلو مترا ٠٠ وتفرعة التمساح وطولها ٥ ونصف كيلو مترا ٠٠ وتفرعة الدفرسوار وطولها ١٠ كيلو مترا .
- تطوير وتحسين تفرعة البلاح وطولها ١٠ كيلومتر ، وتفرعة كبريت وطولها ٦ كيلومتر .
- أصبحت القناة مزدوجة لمسافات مجموعها ٦٨ كيلو مترا ، من مجموع طول قناة السويس الذى بلغ بعد التطوير ١٩٥ كيلو مترا .
- تطوير أسطول كراكات الهيئة وقاطراتها .

وبعد الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى لتطوير القناة ، قامت هيئة قناة السويس ، بتطوير مناطق انتظار السفن بالبحيرات المرة ، حيث بدأت احدى الشركات اليابانية (فى ٧ ديسمبر ١٩٨١) فى توسيع وتعميق مناطق الرباط الجديدة بالبحيرات المرة ، بحجم عمل بلغ ١٩ مليون مترا مكعبا . وقد انتهت الشركة اليابانية ، من تنفيذ هذا العمل فى مارس ١٩٨٣ .

ويستمر التطوير عاما بعد عام ، لتساير قناة السويس ، التدفق المستمر فى تطور أحجام وحمولات السفن ، مع التطوير الدائم لاعداد المجرى الملاحي وتفريعاته ، لاستقبال أضخم الناقلات العملاقة ، وعبورها القناة فى سهولة ويسر ، مما يحقق دخلا كبيرا لموارد مصر والتي تمثل فيه إيرادات هيئة قناة السويس ، المرتبة الثالثة •

ويوضح الجدول التالى تطور إيرادات قناة السويس ، منذ عودته الملاحة (عام ١٩٧٥) الى عام ١٩٨٠ الذى انتهى فيه تنفيذ المرحلة الأولى من التطوير :

السنة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
الإيرادات (بالمليون جنيه)	٩٩	٣٥٦	٤٢٧	٥١١	٥٨٧	٦٥٦

وتعتبر قناة السويس ، رافدا للسلام وشرينا للازدهار ، والتعاون بين البشر •

وقد حققت القناة منذ افتتاحها بعد نصر أكتوبر والعبور المجيد ، تقدما ملحوظا فى عدد السفن العابرة ، وتزايد مستمر فى الحمولات التى تعبر بها • مما يدل على قوة وقدرة قناة السويس ، فى خدمة الملاحة الدولية ، وتزايد الخدمات التى تيسرها هيئة القناة للسفن العابرة •

وبلغت إيرادات قناة السويس ، خلال العام المالى ٨٦ - ٨٧ ، مليارا و ١٠٦ مليون دولار ، مقابل ٩٨٠ مليون دولار فى العام السابق • ولا شك فى أن هذه الزيادة ، محصلة لسياسة مصر الحكيمة ، وروعة أداة هيئة القناة فى تشجيع وتطوير القناة ، لمرور السفن والناقلات فوق العملاقة • • وهكذا تستظل قناة السويس موردا أساسيا متزايدا من موارد الدخل القومى فى مصر

• مميزات قناة السويس •

تمتاز قناة السويس بموقعها الاستراتيجى الحيوى ، فهى تربط أربعة طرق بحرية عظيمة هى : المحيط الاطلسى والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندى •

وتعتبر قناة السويس ثالث وأطول الممرات البحرية العالمية ، بعد ممر لورانس البحرى فى أمريكا الشمالية ، والقناة البحرية عند بحر البلطيق فى الاتحاد السوفيتى .

كما تعتبر حلقة الاتصال بين مراكز الانتاج فى أوروبا الغربية وأسواق الاستهلاك فى جنوب وشرقى آسيا . وقد بلغ ما تم نقله عبر قناة السويس ١٤ ٪ من حجم التجارة الدولية ، و ٣٢ ٪ من البضائع المتداولة فى موانئ الخليج العربى ، و ٣٢ ٪ من البضائع المنقولة لموانئ جنوب آسيا .

وفيما يلى أهم الخصائص الأساسية للقناة :

الطول الكلى	١٩٥ كم
طول الاجزاء المزدوجة	٦٨ كم
عرض صفحة القناة	٣٦٥ مترا
عرض المجرى الملاحي	١٤٠ مترا
العرض عند ٦٦ مترا	١٦٠ مترا
مساحة القطاع المائى	٣٦٠٠ متر مربع
أقصى غاطس	٥٣ قدما
أقصى حمولة	١٥٠٠٠ طن
الطول من الشمندورات المضاءة الى ميناء بورسعيد	١٨ كيلو مترا
الطول من منطقة الوقوف الى مداخل القناة الجنوبي	١٥ كيلو مترا
الطول من بورسعيد الى الاسماعيلية	٧٨ كيلو مترا
الطول من الاسماعيلية الى بورتوفيق	٨٤ كيلو مترا

وتتم الملاحة فى قناة السويس ، ليلا ونهارا طول العام . وتعبى السفن فى ٣ قوافل يومية ، قافلتان من بور سعيد الى السويس ، وأخرى من السويس الى بور سعيد . ويبلغ متوسط زمن عبور كل سفينة بالقناة ١٥ ساعة . هذا وتوفر قناة السويس من ١٧ ٪ الى ٦٦ ٪ من المسافة البحرية بين الشرق والغرب . وبالتالى يؤدى هذا التوفير فى المسافات ، الى توفير الوقود المستخدم فى السفن بنسبة تتراوح من ٥٠ ٪ الى ٧٠ ٪ .

المراقبة الالكترونية للملاحة

تطلب مشروع تطوير القناة ، تنفيذ مشروع مراقبة الملاحة ، بأحدث الوسائل الالكترونية ، على امتداد القناة من مسافة ٣٠ كيلو مترا شمال بور سعيد فى البحر الأبيض المتوسط ، حتى مسافة ٣٠ كيلو مترا جنوب السويس فى خليج السويس .

ويهدف هذا المشروع الى زيادة الأمان أثناء عبورها ، والسماح بزيادة أعدادها . وقد بلغت تكلفة هذا المشروع ، ١٧ مليون دولار ، ويتكون من أربعة أجزاء :

- الشبكة الرادارية . لتحديد مواقع السفن ، بنقل الصورة الرادارية وتحويلها الى صورة تليفزيونية ملونة ، عن طريق ٣ محطات : فى بورفؤاد ، وفى بورتوفيق ، والأخيرة فى البحيرات المرة .
- الشبكة اللاسلكية لتحديد الموقع . وتتكون من ٣ محطات فى بورسعيد ، وفى مدينة العاشر من رمضان ، والأخيرة فى رأس سدر بسياء .
- شبكة أجهزة الحسابات الالكترونية . وتنقسم الى ثلاثة أقسام : الرئيسية فى بورسعيد ، والثانية فى بورتوفيق ، والأخيرة فى الاسماعيلية .
- شبكة الاتصالات اللاسلكية . وتقوم بالاتصال بجميع المسئولين عن الملاحة فى القناة .

القناة سنة ٢٠٠٠

من أهم مميزات قناة السويس ، امكان توسيعها وتعميقها فى أى وقت . ومن هنا ، قامت هيئة قناة السويس ، بواسطة خبراءها الفنيين ، بوضع خطة مستقبلية ، بإنشاء قناة جديدة موازية للقناة الحالية ، عن طريق التفريعات ، وذلك بطول ١٧٦ كيلو مترا كمرحلة أولى ، والذي تم تنفيذها فعلا فى ديسمبر ١٩٨٠ .

أما المرحلة الثانية ، فتمتد بطول ٦٣ كيلو مترا : من الكيلو ١٧ الى الكيلو ٥١ ، أى وصل تفريعة بورسعيد بتفريعة البلاح ، ومن الكيلو ١٣٣ الى الكيلو ١٦٢ ، أى وصل تفريعة البحيرات المرة الصغرى بالبحر الأحمر .

وتؤدي قناة السويس ، دورها المؤثر الفعال في مجالات التجارة الدولية * وذلك بفضل موقعها المميز بين قارات العالم الانتاجي والاستهلاكي * وقد استطاعت هيئة قناة السويس ، بمجهود وطاقة أبنائها المخلصين لمصر ، والمفعمين بحب القناة ذاتها ، استطاعت تنفيذ أكبر خطة للارتقاء بخدمات القناة الملاحية ، لاستقبال السفن وناقلات البترول العملاقة * كما حققت إيرادات مرتفعة من النقد الأجنبي ، لرفع مستوى الدخل القومي ، بهدف اعلاء شأن الانسان المصري ، الذي حمل الانسان أمانة تشغيل هذا المرفق العالمي بالقدرة والمقدرة الفائقة وبالعامل الشاق ، في صمت وحب ، لتبقى قناة السويس في تطوير دائم ، وعلمنا خفاها مرتفعاً نحو سماء الله جل جلاله ، ليعرف المجتمع العالمي ، أن قناة السويس ستبقى دائماً لمصر والمصريين ، ورمزا للخلود *

الفصل الثاني

سيناء .. أرض القمر والفيروز

المسح الجيولوجي

منذ بدأت مراحل تحرير سيناء ، قامت هيئة المساحة الجيولوجية ، بوضع خطط قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى ، لتخطيط استغلال خامات سيناء ، التي كانت موجودة قبل حرب ١٩٦٧ ، ولاكتشاف المزيد من هذه الخامات ، ووضع برامج فنية لعملية لحصر المواد التعدينية الفلزية واللافلزية ، الى جانب البترول ٠٠ ومواد البناء والانشاء والمياه الأرضية ، وغيرها من الأغراض الهامة التي كان يلزم معرفتها ضرورة سبر أغوارها ، بأحدث الوسائل التي هيأتها التكنولوجيا المتطورة ٠

وقام مشروع الاستشعار من بعد ، بعمل خريطة جديدة لشبه جزيرة سيناء والتي تغطي مساحة ٦٤ ألف كيلو متر مربع ، وذلك باستخدام الصور الفضائية المجمعة ، من القمر الصناعي « أرتس - ١ » ٠ وقد توصل البحث الى عدد من الحقائق والاستنتاجات والتوصيات العملية ٠

ونركز قيمة هذه الخريطة ، في بعض التطبيقات العملية للأغراض الآتية :

- حساب كمية المياه الأرضية المختزنة ، وبيان خطوط الصرف التي تجري فيها مياه الأمطار المتجمعة في الروافد الصغيرة ، والتي تنقلها بدورها في الوديان الكبيرة ٠٠ وبذلك أصبح التخطيط لمشروعات المياه الأرضية ، أكثر وضوحا ٠
- التقديرات الخاصة بمساحة الأراضي السهلية المنبسطة ، الممتدة على طول خطوط الصرف ، والتي يمكن القيام باستصلاحها ٠
- التعرف على مختلف المواقع في سيناء ، لايجاد الحل اللازم لمشكلة النقل ٠
- استخلاص الخريطة التركيبية لسيناء ، والتي تشير الى تحديد مواقع تجمعات أهم المواد الخام الرئيسية مثل : الغاز الطبيعي والبترول ورواسب الرمال السوداء ورواسب النحاس والمنجنيز والحديد والمعادن النادرة ، علاوة على تكوينات الحجر الرملي (أجود أنواع الجرانيت - الكاولين - الفوسفات - رواسب الرصاص والكبريت) والفحم الملح الصخري ٠

مزايا موقع شبه جزيرة سيناء

يقع شبه جزيرة سيناء قرب المركز الجغرافى للشرق الأوسط وغرب آسيا ، وهى منطقة من العالم ، ينمو فيها النشاط الاقتصادى بسرعة كبيرة . ونميز بالنسبة لموقعها بسميات نفوق بها على غيرها فى قربة من المملكة العربية السعودية والعراق ، أولى وثانية دول العالم البرولبة . كما أنها قربة جدا من الدول الأخرى ، كالمملكة الأردنية الهاشمية والدول الأفريقية الواقعة شرق أفريقيا وغيرها من الدول التى تمثل أسواقا كبيرة بالنسبة لمصر .

وسمع شبه جزيرة سيناء ، باحتوائها على أربعة شواطئ : البحر الأبيض المتوسط وخليج السويس والعقبة والبحر الأحمر علاوة على شاطئ قناة السويس ، مما يوفر لها فرصا فريدة للتجارة ، ويوفر مدى كبيرا لفرص النشاط السياحى .

ومما لا شك فيه . ان القدر الذى سيناله هذا الجزء الهام من مصر . من التنمية والتعمير والتطوير الصناعى والزراعى والسياحى ، سيفرب مصر كثيرا الى مركز الشرق الأوسط ، ويجعل سيناء منطقة حذب للسائحين الأوروبيين ، ويزيد الفرص التجارية ويؤدى الى اقتصاد قوى .

ونحيط سيناء بعض المواقع التاريخية والدينية والصحية والسياحية وتقع بين مناطق الاستجمام فى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى ولذلك ، فان موقع سيناء يجعلها فى وضع متميز ، يوفر للسائح النواحي الترفيهية الجبلية والشاطئية والدينية والصحية ، فاماكن مثل كاترين وسرابيط الخادم والبلوسيوم وعين الجديرات ، تقدم فرصا أوسع للسائحين ، الذين يستجمعون فى المناطق المجاورة لسيناء ، خاصة وأن الطائرات تقرب المسافات وتختصر الوقت . . . فمثلا : تستغرق المسافة بين الشاطئ المرجانى والتاريخى فى منطقة عيون موسى وبين مطار القاهرة أقل من ساعة من المدة التى تستغرقها الرحلة من مطار القاهرة الى الاسكندرية ، وكذلك الرحلة بين المطار والبحيرات المرة تقبل حوالى ساعتين عن تلك المدة التى تستغرقها الرحلة ما بين القاهرة والاسكندرية .

كما أن السياحة فى المنطقة الجنوبية الشرقية من سيناء ، تناسب السائحين الموسرين القادمين من السعودية واليابان وأوروبا ، بينما هى تناسب فى المنطقة الشمالية الغربية القادمين من القاهرة لقضاء أجازاتهم . أما السياحة فى شمال وجنوب هضبة سيناء ، فهى للباحثين

عن الآثار • أما على ساحل البحر الأبيض المتوسط فيناسب الاوروبيون الذين يهمهم انخفاض الأسعار ، من خلال الرحلات الجماعية •

موسوعة تنمية سيناء

وبدأت السلطات المصرية تمارس سيادتها ، عقب أولى مراحل تحرير سيناء (مايو ١٩٧٩) حتى تم التحرير الكامل لجميع أراضي سيناء (يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٢) ، حيث كانت مصر مستعدة بجميع الدراسات اللازمة للتنمية الشاملة لسيناء ، واعداد الخطط اللازمة للتنمية الاقتصادية والاستثمار من عام ١٩٨٣ حتى عام ٢٠٠٠ م •

وفي عام ١٩٨٢ ، صرح المهندس حسب الله الكفراوي وزير التعمير والاسكان والمجتمعات الجديدة ، لمجلة المهندسين •• بأن مشروعات تعمير سيناء ، بدأت فى خطين متوازيين : يستهدف الأول اعادة الحياة الطبيعية للمناطق المحررة كهدف عاجل ، والثانى التنمية الشاملة على أسس علمية سليمة لايجاد مجتمعات عمرانية جديدة ، ترتبط بمواقع المشروعات الانتاجية مثل : مشروعات التعدين والسياحة واسـصلاح الاراضى والثروة السمكية •

ولذلك ، قامت لجنة على مستوى عال ، من المختصين المحترفين ، تضم ممثلى الأجهزة المصرية على كافة المستويات الحكومية ، وعـدد من الشخصيات العامة الوثيقة الصلة بـسيناء ، من أجل اعداد التوصيات الخاصة ، باستراتيجيات التنمية ووضع البرامج اللازمة للتنفيذ •

ورخصت وزارة التعمير بالبـدء فى دراسة تعمير سيناء (المرحلة الأولى فى نوفمبر ١٩٨٠) • وركز فريق الدراسة على :

- تجميع ومراجعة وتقييم كافة المعلومات المتاحة من الموارد والأنشطة الاقتصادية والاحتياجات الاجتماعية والتحقق منها وصياغتها وتلخيصها •
- تحديد فرص ومتطلبات التنمية •
- تحليل المشروع من أجل التخطيط المستقبلى •
- تقييم كيفية تأثير المعلومات الجديدة الخاصة بالموارد ، على الاستراتيجيات والخطط المقترحة •
- وضع خطط مكانية واستراتيجيات تنمية بديلة •

اعداد اقتراحات عمل للاسراع بمشروعات التعمير والتنمية ذات الاولويات الكبيرة . وقد حظى موضوعان بالاهتمام المكثف خلال دراسة تعميم سيناء فى المرحلة الأولى :

١ - تحليل احتمالات المياه الجوفية والسطحية ، وتكلفة تنمية هذه الامكانيات وبدعيمها بمياه النيل أو باستخدام المياه المحلاة ، وتكلفة انظم البديلة من حيث نقل مياه السيل ومياه صرف الاراضى الزراعية فى الدلتا الى سيناء .

٢ - تحليل قدرات الأرض مع التركيز الخاص على تحديد الاراضى فى كثافة أنحاء سيناء ، التى تستجيب بدرجة كبيرة للرى . وتقدير المساحات المحتملة لهذه الاراضى فى مختلف المناطق الفرعية من شبه الجزيرة . كما تحددت الأماكن المناسبة للسياحة والصناعة ومختلف الاستخدامات الحضرية ، والسياسات المقترحة للحفاظ على الأماكن . كما درست الأسس التى يلزم توفرها لاقامة المستوطنات الجديدة أو التوسع فيها .

وقد استغرقت الدراسة ثلاث سنوات ونصف ، وأصدرت اللجنة بأبحاثها وأعمالها ، موسوعة دراسات تنمية سيناء فى سبع مجلدات .

- فيعرض المجلد الرئيسى من التقرير النهائى للدراسة الخاصة بتنمية سيناء (المرحلة الأولى) ما يلى :

١ - استراتيجية مقترحة لاستيطان وتنمية شبه جزيرة سيناء .

٢ - مجموعة مقترحة من المشروعات والبرامج .

٣ - صورة عامة للنتائج المتوقعة ، بحلول عام ٢٠٠٠ م ، فى حالة تنفيذ الاستراتيجية الموصى بها .

وكانت الأفكار البديلة التى تم وضعها وتقييمها بدقة ، والتى تم بحثها خلال المراحل الأولى لعملية التخطيط ، كما يلى :

- تركيز أكبر على الصناعة مع زراعة أقل .

- أدنى حد ممكن من استخدام المياه المنقولة .

- التركيز على التنمية فى الشمال الشرقى .

- تركيز أكبر على الشواطئ .

- التركيز المبكر على السياحة .

- التركيز على انشاء عدد قليل من المستوطنات الكبيرة .
- تركيز اكبر على الزراعة المتناثرة .
- تأثير اكبر للاتجاهات الماضية (قبل حرب ١٩٦٧) على الاعمال المستقبلية .
- وتقدم المجلدات الستة الاخرى ، علاوة على ما يزيد عن ٤٠ ورقة عمل ، سبل انجاز الاستراتيجية المقترحة .
- وقد قامت الحكومة المصرية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية .
- بتمويل الدراسة ، هذا كما اشترك فى الدراسات دندوبون من « معهد الصحراء بالقاهرة » و « مركز الاستشعار من البعد بالقاهرة » .

التنمية الشاملة

وقد عرضت الموسوعة ، تصورا لسياسة طويلة الأجل ، لوضع نخطيط شامل لسيناء بأكملها ، ووضحت الخطوط العريضة والضرورية لهذا التخطيط ، ليكون منطلقا لدراسات تفصيلية ، فى شتى المجالات من : زراعة — تعدين — بترول — صناعة سياحية — ثروة سمكية .

وبذلك ، تكون تلك الدراسات نواة أساسية للتنمية الشاملة ، وركيزة متينة بنيت عليها الشروط والمواصفات الخاصة بالتخطيط الشامل الاقليمي الجارى تنفيذه ، على أسس سليمة مع الاستفادة الكاملة من التكنولوجيا الحديثة فى مجالات التنمية والتعمير . بجانب الاستفادة الكاملة من جميع موارد سيناء ، بما يتبع إقامة مجتمعات متكاملة جديدة ، وتنمية المجتمعات الموجودة فعلا ، مع التركيز على مجالات الطاقة والصناعات والثروة المعدنية والثروة السمكية والتنمية الزراعية والحيوانية والخدمات ومشروعات البيئة الأساسية والمشروعات السياحية .

وسيناء صحراء ، يتطلب تنميتها الى كميات ضخمة من المياه . وقد اقترحت الاستراتيجية الموصى بها ، نقل مياه النيل بما فى ذلك مياه الصرف من الدلتا الى مناطق عديدة فى كل أنحاء شبه الجزيرة . ومع ذلك فانه من الممكن استخدام المياه الجوفية (ومعظمها قليل الملوحة) على نطاق أوسع من ذى قبل .

وعدد السكان فى سيناء قليل ، وتدعو الحاجة الى وجود عدد اكبر من السكان لتحقيق التنمية الكاملة فى هذه المنطقة المترامية الأطراف . وقد خلصت الدراسات الى ضرورة تعمير سيناء بعدد من السكان ، يقدر بحوالى مليون نسمة ، بحلول عام ٢٠٠٠ م . ولذلك ، بات من الضرورى

النجاح فى توفير بيئة مناسبة للمعيشة ، تساعد على جذب المهاجرين من الدلتا والوادي . وتهدف الحكومة المصرية الى اقامة حوالى اثنى عشر مدينة جديدة لتوطين السكان الجدد ، فى مواقع ذات امكانيات طيبة للتنمية الاقتصادية . حتى يمكن تطوير سيناء ، لتكون بمثابة معبر برى الى الشرق الأوسط ، ومنطقة تصدير لمصر .

كما أوضحت الدراسات ، تقديرات حجم الاستثمارات للمقطنين العام والخاص حتى عام ٢٠٠٠ م .

وعلى ضوء دراسة الموارد الطبيعية المتاحة فى سيناء ، أمكن وضع التصور التالى :

١ - قيام مركز كبير للتجمع السكانى فى منطقة العريش ، وفى السهل الساحلى حتى رفح ، بحيث يتضمن نشاط السكان ما يتصل بالنواحي الزراعية والصناعية والسياحية .

٢ - انتشار مراكز التجمع السكانى ، على محور العريش / القنطرة شرق ، ليقوم السكان بنشاط الصيد والزراعة والسياحة .

٣ - قيام صناعات فى منطقة القنطرة شرق ، ونشاط استزراع فى منطقة شرق البحيرات المرة ، وصناعات تعدينية فى غرب سيناء .

٤ - تنمية زراعية فى سهل القاع ، مع اعتبار مدينة الطور مركزاً لهذا النشاط .

٥ - قيام نشاط سياحي كبير على الشاطئ الغربى لخليج العقبة .

٦ - قيام نشاط زراعى فى وسط سيناء .

خطوات التنفيذ

وتم تقسيم مشروعات تعمير سيناء ، وفقاً لخطوات تنفيذها ، الى المجموعات الآتية :

١ - مشروعات تحتاج الى اجراءات ادارية ، منها تنظيم عبور القناة ، وتأسيس شركة استثمارية للثروة السمكية فى بحيرة البردويل

٢ - مشروعات تحتاج الى دراسات حقلية وتجميع بيانات أولية، مثل عمل احصاء سكانى للتعرف على خصائص سكان سيناء ، والراغبين فى العودة اليها .

٣ - مشروعات تحتاج الى تجميع بيانات مكثفة ، لوضع برامج حفر الآبار والمياه الجوفية وتحليل جودتها .

٤ - مشروعات تحتاج الى أعمال انشائية بسيطة ، كحماية المناطق من مخاطر السيول وتعميم مداخل بحيرة البردويل .

٥ - مشروعات دراسات ما قبل الجدوى ، ذات الأعمال الانشائية البسيطة منها : انشاء رصيد للصيد بمنطقة الطور والعريش . وتشغيل تربينات الغاز لتوليد الكهرباء واستخدام الطاقة الشمسية .

٦ - مشروعات دراسات ما قبل الجدوى ، ذات الأعمال الانشائية الكبيرة منها : تقييم وعمل خرائط لتحديد كميات الرمل الزجاجي والكاولين ، والحصول على الفيرومنجنيز لاستخدامه فى صناعة الصلب محليا وتصديره للخارج ، واستغلال مناجم الفحم فى المغارة ، وانشاء مواد البناء فى العريش .

٧ - مشروعات تحتاج الى دراسة تخطيطية فى مجال التنمية الاقليمية منها :

دراسات تجميع مياه الأمطار ، والتنمية السمكية فى بحيرة البردويل ، واقامة شبكة للأرصاء الجوية ، وتثبيت الكتبان الرملية .

٨ - مشروعات جارية ، يلزم نهوها طبقا للبرامج الزمنية المحددة لها منها :

تركيب المضخات على الآبار الموجودة ، واستكمال خطوط المياه العذبة ، وتمهيد طريق السويس الساحلى لجنوب سيناء وطرف وادى تيران ومطار العريش .

٩ - مشروعات تحتاج الى سرعة الانجاز ، كاعادة طريق الحج القديم الموصل بين الشط أمام نفق الشهيد أحمد حمدي ، الى نخل ثم طابا على خليج العقبة ، وطوله ٢٢٥ كيلو مترا منها ١١٠ كيلو مترا مرصوفة حتى نخل والباقي مدقات صحراوية ، وهو يربط بين مصر والسعودية ، بطريق برى لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام ، كما يساعد على انشاء المجتمعات العمرانية على محور هذا الطريق .

نهاية عزلة سيناء

نفق الشهيد أحمد حمدي

ولربط سيناء بالدلتا ووادي النيل ، تم انشاء نفق الشهيد احمد حمدي (١) ، الذي يعتبر احدى المعجزات الهندسية ، لينتهي عزلة سيناء عن باقي الوطن ، ويكون شريان الحياة اليها ، متملا في طريق المواصلات ، وشبكات تغذية للمياه ، وخطوط الكهرباء ، وليجعل العبور من أفريقيا الى قارة آسيا في ثلاث دقائق .

وقد افتتح النفق عام ١٩٨١ ، وهو أكبر نفق دائري في العالم ، وطوله ١٦٤ كيلو متر ، ويبلغ قطره الخارجى ١١٨ مترا والداخلى ١٠٤٠ متر ، ويبلغ طوله الشامل (النفق ومداخله) ٤٢٠ كيلو مترا وقد بنى هيكله الخارجى من الميلا من ، وهو مزود بمجموعة من الأجهزة الميكانيكية الحديثة .

ويتكون النفق من حلقات من الخرسانة المسلحة ، سمكها ٦٠٠ ملمتر ، وتصل قدرة تحملها للضغط الى ٤٥ مترا ، وعدد هذه الحلقات ١٥ حلقة طول كل منها ١٢٠ متر بزنة ٣ أطنان .

وبالنفق طريقان كبيران لمرور العربات ، وهو يمتد تحت قناة السويس في منطقة الشلوفة ، على بعد ١٧ كيلو مترا من شمال مدينة السويس .

ويوجد بالمداخل الغربى للنفق ، مركز تحكم رئيسى مزود بأربعة أجهزة لضمان المراقبة ، وبأجهزة تليفزيونية وأجهزة تكييف وأجهزة تحكم ضوئى داخل وخارج النفق ، وأجهزة تحديد درجة اتجاه الريح فى داخل النفق . وقد روى عند تصميم نظام التهوية فى داخل النفق ، تلافى الأخطار التى يمكن أن تنجم عن أى تدمير أو تخريب . وبلغت تكاليف النفق ١٠٥ مليون جنيه .

اقامة المعديات

وتم انشاء معديّة مزدوجة عند القنطرة شرق ، بالإضافة الى معديّة الاسماعيلية تم معديّة الدفرسوار ، ومعدّة للأحمال الثقيلة بالقرب من الفردان . هذا علاوة على معديات عبر خليج السويس .

(١) اللواء المهندس وفائد سلاح المهندسين ، الذى استشهد فى حرب العبور عام ١٩٧٣ ، أثناء إشرافه على أقامه الكبارى على قناة السويس لتعبر من عليها القوات المسلحة المصرية .

وبذلك لم تعد سيناء منعزلة ، ولكنها ترتبط ارتباطا وثيقا ببغية
أنحاء مصر ، عن طريق المعديات وعن طريق النفق ، وسحارات المياه
والطرق وخطوط الكهرباء وأنابيب الغاز الطبيعي والموصلات الالكترونية
والخطوط الجوية . . . وبذلك تستطيع سيناء أن تجذب المصريين
القاطنين حول نهر النيل ، للاستجمام والدراسة والعمل ، وللسفر
عن طريق سيناء الى شبه الجزيرة العربية والمملكة الأردنية الهاشمية . .
وكل ذلك من العوامل والتسهيلات التي تساعد على تكامل سيناء مع باقى
أجزاء مصر .

هذا ومن الضروري معاملة سيناء معاملة مميزة فى كافة النواحي ،
لتوفير الحافز والدفع لباقى أبناء الوطن على التوجه اليها ، وتوطين
مشروعاتهم فيها .

محافظتى شمال سيناء وجنوب سيناء

وكان الهدف من صدور القرار الجمهورى رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩ ،
انهاء عزلة سيناء ، بتقسيمها الى محافظتين هما شمال سيناء وجنوب
سيناء . مع ضم مساحات منها الى محافظات بورسعيد والإسماعيلية
والسويس ، لتعزيز الروابط بين المناطق الغربية من سيناء وبين
المحافظات المجاورة لها كمحافظة السويس ومحافظة الإسماعيلية ومحافظة
بورسعيد من ناحية الغرب ، وكذلك محافظات شرق الدلتا والبحر
الأحمر ، والشرقية والقاهرة . . وكلها تعتبر منطقة تأثير حيوية ،
ولسوف تصبح سيناء جزءا متكاملًا من التنمية التى تشهدها منطقة
التأثير الأكبر .

وأهم المدن فى سيناء الشمالية : العريش - بالوطة - رمانة -
رابعة - نجيلة - الخربة - الثلول - سلمانة - الروضة - سبيكة -
الخروبة - قبر عمير - الشيخ زويد - أبو طويلة - أبو شتار - رفح .

أما أهم المدن فى سيناء الجنوبية : الطور - شرم الشيخ -
أبو رديس - أبو زنيمة - نويبع - قرية طابا (آخر حدود مصر الدولية) .

وقد لعبت سيناء أدوارا دفاعية خالدة فى الماضى ، الا أن فراغها
العمرائى كان دائما يشجع الطامعين على غزوها . وقد آن الوقت - بعد
تحرير جميع أراضي سيناء - الى ضرورة فض عزلتها بتعميرها ، والعمل
الجدى على تسخير عجلة تنميتها ، لتجذب الكثير من السكان الجدد ،
بجانب انشاء العديد من المشروعات الانتاجية بالاستفادة التامة من

مواردها الغنية المتوفرة ، وإقامة ما يخصها من مجتمعات سكانية ، لتكون حافزا على تشجيع هجرة السكان من الدلتا والوادي ، ليندمجوا مع أهل سيناء الأصليين ٠٠ حتى تعوض سيناء عن الإهمال والتخلف الذي عانت منه زمنا طويلا ، وحتى تصبح خطا دفاعيا محكما أمام أى عدوان عبر حدودها الشرقية .

توفير المياه العذبة

وفى مقال نشرته مجلة المهندسين ، ينادى المهندس محمد عبد الهادى سماحة ، أنه صار من الضروري توفير المياه العذبة اللازمة للشرب أو لأغراض التنمية المختلفة ، سواء للزراعة والرى والصناعة أو لغيرها من الاستخدامات الحيوية المختلفة ، حتى تكون سيناء امتدادا طبيعيا للدلتا .

ومنذ مئات السنين ، كانت مياه النيل تصل الى سيناء ٠٠ فقد كان لنهر النيل عند دخوله فى منطقة الدلتا ، سبعة أفرع يدخل منها فرعان الى سيناء : فرع النيل البيولوزى ، الذى كان يمتد حتى قرب البحر الأبيض المتوسط ، ليصب فى بحيرة البردويل عند مدينة بلوز (الطينة) ، حيث يوجد الآن سهل الطينة الذى يتكون من طبقات رسوبية من طمي فرع النيل القديم ٠٠ وفرع التنتيك الذى كان يصب فى البحر الأبيض المتوسط عبر سيناء .

الا أن ظروفًا مورفولوجية ، أدت الى أن يصبح للنيل فرعان فقط هما : فرعى دمياط ورشيد ٠٠ وذلك نتيجة للتحكم البشرى فى تنظيم مياه النيل ، وإقامة العديد من المبانى عليه .

وننحصر موارد المياه بسيناء فى مياه الأمطار والمياه الجوفية ، والتي ينتج عنها كميات من المياه لا تفى بأغراض التوسع والتنمية المطلوبة . ولهذا السبب كانت المياه على الدوام ، من أهم معوقات التنمية وإقامة التكامل فى الماضى ، بين سيناء وبين الدلتا ووادي النيل .

الا أن وزارة الرى ، قد وضعت خططها لرى ٧٣٥ ألف فدان بسيناء .

- ٥٥ ألف فدان سيتم ريها عن طريق خط مواسير لنقل المياه من المعادى الى مدينة السويس ثم الى سيناء .
- ٢٥٠ ألف فدان سيتم ريها من ترعة الاسماعيلية ، بعد توسيعها وتعميقها ، ثم تنقل الى سيناء عبر سحارة تحت قنا السويس .

٣٠ ألف فدان سيتم ريها عن طريق سحارة تم تنفيذها عام ١٩٦٦ ، وأغلقت ليعاد تصميمها بعد حرب ١٩٧٣ ، لتتناسب مع توسيع وتعميق قناة السويس . وتم تنفيذها عام ١٩٧٩ لتنقل مليون ونصف متر مكعب من المياه يوميا لاستخدامات جنود القوات المصرية ، ولزراعة المساحة المقررة .

٤٠٠ ألف فدان ، ستروى عن طريق ترعة السلام التي ستمتد تحت قناة السويس عبر سحارة ضخمة . وفي نوفمبر عام ١٩٧٩ بدأ العمل في هذه التربة . وكان من المقرر انهاء المرحلة الأولى لرى ٢٠٠ ألف فدان غرب قناة السويس عام ١٩٨٥ . الا أن الرئيس محمد حسنى مبارك حثهم على تقصير مدة التنفيذ الى النصف . وسيزود أكثر من ٦٠٪ من هذه المياه ، من مصرفى حادوس والسرو الأسفل بشرق الدلتا ، والباقي من مياه النيل من فرع دمياط التي تنساب هدرا الى البحر الأبيض المتوسط .

ويحتاج رى ال ٧٣٥ ألف فدان ، الى نحو ٤ مليار متر مكعب من المياه سنويا ، سيتوفر نصفها من مياه المصارف الذى سيعاد استخدامها ، والباقي من حصة مصر من مياه النيل . وتبلغ التكلفة نحو ٦٠٠ مليون جنيه بخلاف تكاليف شبكات الرى والصرف الفرعية داخل سيناء .

هذا وقد تم الانتهاء من المرحلة الأولى لتوصيل مياه النيل الى مدينة أبو رديس بمحافظة جنوب سيناء ، عبر سحارة ثمر فى نفق الشهيد أحمد حمدي . وسيبدأ تشغيل خط المياه مع نهاية ديسمبر ١٩٨٧ ، بطول ١٧٠ كيلومترا وبقطر ٦٠ مترا ، من خلال محطة ضخ غرب النفق ، الى محطات تقوية (روافع) بطول الطريق ، نظرا لتضاريس المنطقة المرتفعة ، حتى تصل الى أبو رديس ، وتكفى لضخ ٢٢ ألفا و ٥٠٠ مترا مكعبا .

وقد وضع التخطيط اللازم لتصل المياه - فى مرحلة لاحقة - الى باقى مراكز ومدن محافظة جنوب سيناء ٠٠٠ هذا بالإضافة الى اصلاح وحدات تحلية المياه التي كانت معطلة ، لتعطى ١٧٥٠ مترا مكعبا من المياه يوميا . كما تم اضافة بئرين جديدين الى ال ٦ آبار الرئيسية ، لتصل الى ٨ آبار تغذى منطقتى الطور وشرم الشيخ .

أما فى منطقة دهب ، التي تعتمد على مياه الآبار ، فقد تم اقامة محطة تحلية رئيسية ، طاقتها ٥٠٠ مترا مكعبا يوميا . أما منطقة كاترين ، تعتمد على مياه الآبار بشكل منتظم .

وبذلك يكون قد تم حل مشكلة المياه على مستوى محافظة جنوب سيناء ، بنسبة ٨٠٪ .

سيناء أرض المستقبل

والتنمية الشاملة فى سيناء هى هدف المرحلة القادمة ، لأن سيناء هى محافظة المواجهة عسكريا وحضاريا ، وتستهدف استراتيجية التنمية الشاملة ، التركيز على الأهداف الآتية :

- إقامة مستوطنات دائمة فى جميع أجزاء سيناء .
- تحقيق تكامل تام لسيناء مع باقى أجزاء مصر .
- الاستغلال الأمثل لموارد سيناء الطبيعية والبشرية .
- تتولى السلطات الحكومية ، اجراء استثمارات استراتيجية ، من شأنها جذب الاستثمار العام والخاص والدولى ، حتى يبدأ المسار للتنمية الكاملة . على أن يوجه الاستثمار ليشمل مجال تحسين البيئة والأنشطة المرتبطة به ، والاستثمار على نطاق واسع فى مجال السياحة الداخلية والدولية ، وفى مشروعات الرى والمياه ، وفى مجالات الصناعات الثقيلة والتعدين وصناعات انتاج السلع ، وصناعات البتروكيماويات والمواد المعدنية الأخرى .
- الاسراع فى فتح المناجم .
- تطوير حياة البدو وتوفير أسباب الراحة لهم ، والتى تشمل التعليم والرعاية الصحية والتأمينات الاجتماعية ، علاوة على أبواب العمل وفتحها لتشجيعهم على التكامل والاستيطان .
- دفع المصريين القاطنين حول نهر النيل ، على التعود على نظام الحياة الملازم لمناخ الصحراء والسواحل والجبال .
- تصميم وبناء مجتمعات جديدة تناسب البيئة الصحراوية وتلائم أساليب المستوطنين .
- استكمال شبكات النقل والمواصلات .
- الاعتماد على دراسات عملية للجدوى الاقتصادية لمشروعات التنمية ، تقوم بها محافظتا سيناء الشمالية والجنوبية ، باسهم الجامعات الاقليمية وبيوت الخبرة .

- تنفيذ مشروعات البنية الأساسية من الكهرباء والمياه والمرافق العامة والنقل والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية والموانئ والمطارات ، باعتبارها كلها الدعامة الأساسية في قيام المشروعات الانتاجية والخدمية .
- الاستغلال الأمثل للظروف المناخية والطبيعية لمنطقة خليج العقبة ، من الناحية السياحية التي تعتبر موردا اقتصاديا هاما .
- الاستغلال الأمثل للموارد المعدنية والبتروولية ، الموجودة بوفرة في سيناء ، والتي تعتبر موردا اقتصاديا هاما على المستوى القومي .
- الاهتمام بنشر مراكز التدريب المهني ، لتوفير العمالة الحرفية المدربة في المشروعات ، خاصة الصناعات منها ، سواء الصناعات الاسنخرجية أو التحويلية ، واعتبار التدريب هدفا اقليميا ، لتحقيق الانتعاش الاقتصادي .
- الخروج من أنماط الاستغلال والانتاج التقليدية ، في مشروعات التنمية ، أو تطويرها في صورة تتناسب مشروعات تنمية سيناء ، مثل : الري بالرش أو التثقيط في الزراعة ، وعدم اللجوء الى زراعة المحاصيل التقليدية ، واستخدام خامات البيئة المتوفرة ، من مواد البناء في مشروعات التعمير المختلفة ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة في المشروعات الصناعية .
- استغلال المياه الجوفية الوفيرة في الزراعة . وكذا ترشيد استخدام مياه النيل التي تمر الى سيناء ، عبر قناة السويس من خلال أنابيب مياه داخل نفق الشهيد أحمد حمدي .
- وعلى ضوء ما تقدم ذكره ، استلزم الأمر وضع خريطة لمشروعات التنمية ، في كل من محافظتي سيناء الجنوبية وسيناء الشمالية ، تحدد محاور التنمية ، على ضوء الاستراتيجية المستهدفة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

الثروة المعدنية والبتروول

كانت نقطة البدء في مسح سيناء ، من أجل التوصل الى الامكانات البتروولية والاحتمالات التعدينية ، هو المسح الاقليمي الشامل ، باستخدام صور القمر الصناعي « لاندسات » والذي وضحت بعد دراسة تفاصيل الصور ، الى تأكيد احتمالات ثلاث :

٢ - موارد طبيعية يمكن استثمارها بالمجهود الذاتى - سواء بمعرفة القطاع الخاص أو القطاع العام ، وبدون تدخل من الأجهزة الحكومية .

٣ - موارد طبيعية ذات امكانات ملموسة ، ولكنها تحتاج الى بحوث نصف اقليمية للنظر فى وضعها النهائى .

٤ - موارد طبيعية تبدو امكاناتها محدودة ، أو أن هناك بديلا لها مستغلا فعلا فى الأراضى المصرية الأخرى (خامات الحديد) .

ومما لاشك فيه ، أن نتائج المسح ، تشير الى اختيار أنسب الوسائل للاستغلال الأمثل لموارد سيناء المعدنية والبتروولية .

البتترول والغاز الطبيعى

بدأ اكتشاف البترول فى شبه جزيرة سيناء عام ١٩١٨ م ، فى منطقة « أبو دربة » التى تقع فى الجزء الأول من المنطقة الساحلية الغربية ، وكان ذلك الاكتشاف بمعرفة المساحة الجيولوجية المصرية . ثم توالى الاكتشافات طول هذا القرن ، بمعرفة عدد من شركات البترول الأجنبية . التى حصلت على امتيازات البحث من مصر ، وذلك فى مناطق متفرقة من سيناء . وقد أسفر نشاط تلك الشركات ، عن اكتشاف ثلاثة حقول صغيرة هى : سدر (عام ١٩٤٦) ، وعسل (عام ١٩٤٧) ، ومطارنه (١٩٤٨) .

وكان النشاط الاستكشافى فى سيناء ، مركز فى المنطقة الساحلية الغربية ، ويرجع ذلك ، الى أن حوض خليج السويس يعتبر الحوض البترولى الأول فى مصر . واكتشف بعد ذلك حقول : فيران (١٩٤٩) ، وبلاعيم الأرضى (١٩٥٥) ، وأبو رديس (١٩٥٧) ، وبلاعيم بحرى (١٩٦١) . ومرجان (١٩٦٥) . ومنذ يونيو عام ١٩٦٧ ، توقف نشاط البحث عن البترول ، الا أن حقل « الطور » قد اكتشف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلى .

وتم استرداد المنطقة الأولى من سيناء ، بعد اتفاقية فك الاشتباك الأول والثانى . ثم مرحلتى الانسحاب الأخيرتين ، طبقا لمعاهدة السلام ، وعادت سيناء الى وطنها الأم . . . حيث ابتدأ نشاط البحث والتنقيب ، بمعرفة شركات مصرية وعالمية ، وانتقل معظم نشاطها الى قطاعات أخرى (لأن معظم حقول البترول ، فى القطاع الجنوبى الغربى من سيناء بمحاذاة خليج السويس) ، وتم تغطية قطاعات عديدة فى السهل

الساحلى الغربى ، ومنطقتى سهل القاع والطور ٠٠ وترتب على هذا النشاط اكتشاف البترول فى تركيب طينة البحرى فى الشمال الشرقى لبورسعيد ٠ وفى عام ١٩٧٨ ، اكتشف حقل أكتوبر البحرى فى عروص حقل أبو رديس ٠ وفى عام ١٩٧٩ ، اكتشف حقل ١٩٥ غرب أبو رديس فى ناحية سيناء ، وكذلك حقل علما الذى عاد الى مصر ٠ وفى عام ١٩٨٢ ٠ بدأ الانتاج فى حقل رأس بدران البحرى ، الذى يقع شمال بلاعيم ، وتم توصيله الى ساحل سيناء عن طريق الأنابيب ٠ ويبلغ معدل انتاجه ١٥ ألف برميل يوميا ٠ كما اكتشف البترول على بعد ٣٩ ميلا جنوب شرق الطور داخل خليج السويس ٠

ويقدر احتياطي البترول فى حقول سيناء ، بنحو ٣٦ مليون طن ، موزعة على العديد من الحقول التى تستغل حاليا بمعدلات لاتخل بهذا الاحتياطي وتحافظ على ثروتنا من البترول ٠ ويبلغ متوسط انتاج حقول سيناء ١٠٨٢٠٠ برميل يوميا ، وهو ما يمثل حوال ٢٠٪ من اجمالى الانتاج المصرى ٠

هذا وتشير الدراسات المستقاة من صور الأقمار الصناعية والاستشعار عن بعد ، الى ترجيح احتمالات وجود البترول والغاز الطبيعى فى منطقتى المثلث الجنوبي ، وشمال سيناء ٠

وقد اكتشفت عدة آبار للغاز الطبيعى ، بمنطقة « جوز أبو رعد » جنوب رفح ، وافتح ذلك آفاقا جديدة لتأمين الوقود والطاقة اللازمة لتشغيل محطات الكهرباء التى تغذى المنطقة ٠

مناطق سيناء التعدينية

ويمكن تقسيم سيناء الى أربع مناطق تعدينية ، هى :

١ - منطقة المثلث الجنوبي ٠

★ النحاس ٠٠ كان يستغل منذ العصور القديمة ، من جنوب سيناء قرب دير سانت كاترين (سهل السند والرقيطية) ، كما يوجد فى وادى أبى طليحات ، بالقرب من رأس النقب وجبل الحمراء ، وكذلك فى وادى سمر ٠

★ المنجنيز ٠٠ يوجد فى بعض طبقات الصخور الرسوبية ، فى منطقة شرم الشيخ ، وفى منطقة حويط ؛ وجرى دراسة جدوى استغلاله اقتصاديا ٠

★ التنجستين والفلسبار ٠٠ وقد اكتشفت خامات الولفرام (التنجستين) ومعادن الفلسبار ، فى الجبال المتاخمة لخليج العقبة .

٢ - منطقة هضبات وسط سيناء .

★ المنجنيز ٠٠ ويوجد شرق أبى رينمه فى « أم بجمة » وما حولها ويعتبر هذا المنجنيز من أنقى الأنواع الموجودة فى العالم ، كما تعتبر كميات مناجمة من أضخم المخزون على مستوى العالم أجمع . وكان الانتاج يشحن لمسافة ٣٠ كيلومترا بالخط الهوائى، الى ميناء التصدير فى أبو زنيمة حيث يوجد مصنع « الفيرومنجنيز » اللازم لصناعة الصلب . وقد تم اسناد هذا المصنع الى شركة سيناء للمنجنيز ، لانتاج ١٤ ألف سبيكة الفيرومنجنيز ، بالإضافة الى ١٢ ألف طن حديد غفل . وقد بدأ بالفعل التشغيل لانتاج ١٨٠ ألف طن من خام المنجنيز سنويا .

ومن أهم مناطق مناجم المنجنيز أيضا : أبو حماطة - وادى الشلال وادى نصب الحسينين - الركايز - أم السيلالات . ويقدر الاحتياطى بحوالى ٥٠ مليون طن .

★ طبقات الكاولين ٠٠ تعتبر منطقة جبل سبع سلامة ، مصدر الخام الوحيد لمصانع الخزف والصينى ، اذ يبلغ انتاجه السنوى حوالى ٤٥ ألف طن . كما يستخدم فى صناعات أخرى مثل : الطوب الحرارى - المواسير - الأسمنت - المنسوجات - الورق - المطاط .

★ الرمال البيضاء (رمل الزجاج) ٠٠ ويوجد بمناطق أبو قفص ونش و منطقة ما حول بير النصب الغربى . وقد بلغ الانتاج السنوى حوالى ٣٠ ألف طن ، تستخدم فى صناعة الزجاج والحراريات .

★ الطفلة الكربونية والمواد الفحمية ٠٠ وتوجد بمناطق : بدعة وثورة (شرق أبو زنيمة) . ويقدر الاحتياطى بحوالى ٧٥ مليون طن تصلح كوقود فى أفران توليد البخار وكمادة أساسية لانتاج بعض أنواع الكيماويات .

★ الحديد ٠٠ يوجد بمناطق قرب وادى نصيب وأم بجمة . وهو مازال تحت دراسة جدوى كميته الاقتصادية . وكان قد تم اكتشاف طبقة من الحديد الهيماتينى (أنقى أنواع الحديد) تم

تقدير احتياطيهما بحوالى ٣ مليون طن . هذا وقد ظهرت بعض
الكشوف المشجعة فى جبل الحلال بجانب الفحم .

★ الفوسفات ٠٠ تم العثور على طبقة من الفوسفات الفقير نوعا ،
ولكنها تحتوى على آثار لخامات اليورانيوم والتوريوم . وينتشر
الفوسفات بكثرة حول هضبة العجمة .

★ البنتونيت ٠٠ ويتواجد بكثرة فى وسط سيناء ، وهو يستخدم
فى الزراعة والصناعة . وغير أن مصر تقوم باستيراده لاستخدامه
فى ماكينات الحفر للبحث عن البترول ، ولذلك فقد قامت
السلطات الحكومية بدراسة امكانات استغلاله .

★ كبريتات الصوديوم ٠٠ وقد اكتشف تواجد طفح كبريتات
الصوديوم ، فى أماكن تواجد خامات الفوسفات والبنتونيت .
ويدخل فى الصناعات الكيماوية والدوائية . ويوجد بكميات تحقق
استغلاله فى وسط سيناء جنوب نخل والشم .

★ الجبس والانهيدرايت ٠٠ ويوجدان فى مناطق وادى الرينة
(شرق السويس) ، ورأس ملعب (شمال حمات فرعون) ،
ومنطقة الشبط . وهو يصدر الى أسواق الشرق الأقصى . ويبلغ
متوسط انتاجه السنوى ، حوالى ٧٥ ألف طن .

★ الفيروز ٠٠ ويوجد فى مناطق شرقى أبو زنيمة (بوديان مغارة
وقنى وسراييط) . وكان يستغل منذ عهد قدماء المصريين الى
الوقت الحاضر . وتقوم السلطات الحكومية بدراسة أفضل الطرق
لاستغلاله بأسلوب اقتصادى مثمر .

★ الكبريت ٠٠ تشير الدلائل الى وجوده فى منطقة أبو دريه على
خليج السويس ، كما تظهر عدسات الكبريت أيضا ، فى وسط
سيناء قرب جبل بضيع وهضبة العجمة . وجارى دراسة جدوى
استغلاله اقتصاديا .

★ الفحم ٠٠ ويتوزع وجوده بين كثير من المواقع فى سيناء ، ولذلك
فانه يعتبر أكثر المصادر استغلالا . ويبلغ رصيد رواسب الفحم
فى ثلاث مناطق ، بنحو ١٠٠ مليون طن مؤكدة و ١٠٠ مليون أخرى
محتملة فى الصدارة كما وكيفا . أما فى منطقة جبل المغارة فقد
قدرت الاحتياطيات القابلة للاستغلال بحوالى ٥١٨ مليون طن
مؤكدة ٣٥٨ مليوناً قابلة للاستخراج ، يضاف إليها ٣٦ مليوناً

محتملة • ويوجد الحقل الثانى فى منطقة بدعة وتور ويحق
استغلال ١٥ مليون طن مؤكدة ، و ٦٠ مليوناً محتملة • كم
اكتشف أخيراً منجم فى عيون موسى ، ويأتى بنحو ٤٠ مليوناً
ونوعية الفحم المستخرج من المغارة و عيون موسى ، تصلح لتشغيل
محطات القوى الكهربائية ومجمعات الحديد والصلب • أما فد
بدعة وتور فيصلح كمنتج للغاز بطاقة حرارية عالية جداً ، كم
يستخدم فى الصناعات الكيماوية •

★ الزلط •• اللازم لصناعة البناء • ويوجد فى كل المتسعات
الرحبة ، بين جبال سيناء الشمالية ، خاصة بمنطقة السر (السهل
الممتد بين ريان وعنيزة وجبال الحلال وبلق) •

★ الأحجار البيرية •• الصالحة لصناعة الجير فى القمائن ، وهى موجود
فى جميع الجبال الرسوبية فى شمال سيناء •

★ خامات الأسمنت •• وهى الطفلة والأحجار الجيرية النقية أو
المخلوطة ، وتوجد فى كل مناطق شمال سيناء ، وقد ثبت
صلاحيتها لصناعة الأسمنت • ونظراً للتطورات الحديثة على
صناعة الأسمنت ، فقد ثبت صلاحية رواسب وادى العريش
الطينية التى تجرفها السيول من أواسط سيناء ، لصناء
الأسمنت •

★ الرخام •• وتوجد نوعيات جيدة وبكميات ضخمة ، صالحة
للاستغلال ، فى منطقة وادى الخمارات • كما توجد أنواع من
الأحجار الجيرية الطحلبية القابلة للصقل والتلميع ، لاستخدامها
كأحجار للزينة ، وذلك فى جبل المغارة وريان وبلق •

★ الدولوميت •• ويوجد بكثرة فى حواف جبل المغارة الشرقى
والجنوبية ، وعند مدخل وادى العريش وجبل الحلال •

★ الألوانيت •• وهو من الخامات الحرارية المستخدمة كخامات
للألومنيوم والبوتاسيوم • وقد تم العثور عليه فى منطقة اللجمة
وجارى عمل الدراسات اللازمة لتأكيد انتشاره •

★ الرصاص •• وقد عثر على خامات الرصاص فى جبل خرم ، بصور
تبشر باحتمال انتشاره فى شرق سيناء ، الأمر الذى يلزمه عمل
مزيد من الأبحاث والدراسات •

٤ - المناطق الساحلية الشمالية .

- ★ الرمال السوداء . . التي تحوى الكثير من العناصر المشعة ، وتعتبر أيضا خامات للحديد والتيتانيوم ومواد صنع الطوب الحرارى وأوراق الصنفرة . وقد ثبت وجود ملايين من الأطنان منها ، فى المنطقة الساحلية بين العريش وبور فؤاد ، وفيما بين العريش ورفح .
- ★ حجر الخفاف . . يترسب طبقات وأكواما على الساحل الجنوبى فى شمال سيناء ، من نواتج البراكين فى جنوب أوروبا خاصة ايطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط . ويعتبر الحجر الخفاف ذا أهمية بانفة فى صناعة مواد البناء ، وجارى بالفعل بحث واستقصاء هذا الأمر .
- ★ الرمل . . اللازم لعمليات البناء والتعمير ، ويوجد بكميات كبيرة جدا حول العريش .
- ★ ملح الطعام . . ويوجد بالملاحات الموجودة حول صبخة البردويل وجنوب شرق بور فؤاد ، بجانب احتمال وجود أملاح البوروق . وغالبا يوجد الملح مغطى بطبقة من الأنهدريت وكبريتات الكالسيوم .

لم تنل سيناء ، منذ أجيال طويلة ، حظها من جهود التنمية ، مثل ما نالته باقى مناطق مصر الأخرى . وحتى تتكامل سيناء مع باقى مناطق مصر ، فانه يلزم أن تكون هناك عدالة كاملة ، فى توفير كافة الخدمات الاساسية لسيناء مثل : الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية والسياحية ورعاية الشباب والرياضة ، علاوة على خدمات التعمير والاسكان .

وبذلك ، نحقق الهدف المرتقب ، لما تتيحه سيناء من الفرص الاقتصادية العديدة ، التى تزيد من رخاء مصر . . ومن أهم تلك الفرص :

- القرب من أسواق الشرق الأوسط .
- احتياطات البترول ووفرة المعادن المختلفة ، وما يترتب عليها من انشاء الصناعات اللازمة لها ، وتشغيل الأيدى العاملة وتنشيط انشاء المستوطنات حولها .
- زيادة العائد من توافد السائحين على مواقع سيناء الجذابة للسياحة .

الثروة السمكية

تأتى حرفة صيد الأسماك ، فى المرتبة التالية بعد الزراعة والرعى ، لأنها حرفة يمارسها السكان طوال العام •

وتحيط البحار بسيناء من ثلاثة جوانب ، وتبلغ فى مجموعها ما يزيد عن ٧٥٠ كيلو مترا - علاوة على ما تضمه فى مصادر هامة للثروة السمكية - ممثلة فى بحيرة البردويل الطينية وقناة السويس وخليج السويس وبحيرة ملاحه بور فؤاد ٠٠ وكلها مساحات رحبة لانتاج الثروة السمكية •

ويعتبر هذا النوع من الانتاج الغذائى ، احدى ركائز التنمية الشاملة ، التى تساهم الى درجة كبيرة ، فى سد النقص البروتينى ، لا فى سيناء وحدها ، بل وفى باقى أنحاء مصر •

علاوة على أن هذه الثروة ، تقوم أساسا على حرفة الصيد ، سواء فى البحر بعد استكمال ، ميناء العريش أو فى بحيرة البردويل ، وتهدف خطط التنمية ، الى تطوير انتاج صيد الأسماك ، واستقرار العاملين فى مجاله ، بإنشاء قرى الصيادين كقرى التلول الجديدة ، واقامة المراسى المختلفة والثلاجات وكافة الامكانيات اللازمة لعملية الصيد والصيادين • ومن المنتظر عند تطبيق نظام الاستزراع السمكى ، وتوصيل مياه الصرف للمناطق المزمع التوسع فيها والمتاخمة للبحيرات ، أن يرتفع معدل انتاج الفدان الى ما يزيد عن الطن من الأسماك ، نظرا لتوفر البيئة البحرية المناسبة للأنواع المختلفة من الأسماك والقشريات (الجمبرى) مما قد يتيح توفير الكميات اللازمة للاستهلاك المحلى علاوة على كميات للتصدير • علما بأن جملة المساحة المقدرة لهذه البحيرات ، تبلغ حوالى ١٦٠ ألف فدان •

بحيرة البردويل •

وقد اقترنت الثروة السمكية بسيناء ، ببحيرة البردويل التى تعتبر فعلا من أهم البحيرات المنتجة للأسماك ، حيث يوجد لها امتداد

فى بحيرة أخرى تسمى الزرائيق • وتعتبر البردويل ثانى البحيرات المصرية بعد بحيرة المنزلة ، حيث تشغل مساحة ١٦٤ ألف فدان تقريبا ، وتتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بوغازين : بوغاز رقم ١ وبوغاز رقم ٢ ، ولهذين البوغازين فائدة عظيمة ، اذ أنهما يشكلان مصدر الثروة السمكية للبحيرة ، فعن طريقهما يدخل مياه البحر الى البحيرة وتجدد باستمرار عن طريق المد والجزر • وتحدث دورة المد والجزر ٤ مرات كل ٢٤ ساعة ، وعن طريقها تدخل زريعة صغار الأسماك من البحر الى البحيرة •

وتقع البحيرة فى أقصى الشمال لشبه جزيرة سيناء ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتمتد على الساحل بمسافة ٨٣ كيلومترا ويعرض يتراوح بين ٢ و ٥ كيلومترا ، ويصل أقصى عرض لها ٣٠ كيلومترا عند مصفوق •

وفصل البحيرة عن البحر ، برزخ رملى يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ مترا ، عند منطقة القلس ، ويرتفع عن سطح البحر فيما بين ٢٠ و ٦٠ مترا • ومن أشهر ألسنتها : لسان التلول والعفرة وماط وبليس ومحيسن • ومن معالم البحيرة وجود ٥١ جزيرة مساحتها حوالى ٣١٧ فدانا ، ومن أشهرها : جزيرة المحاسنة والوطواط والروميات والقلس •

وتنتج البحيرة أكثر من ٣٠٠٠ طنا سنويا ، من أجود الأسماك البحرية خاصة البورى والطوبان والجران والدنيس والوقار والقاروس • وقد تم تمويل مشروع الاستزراع البحرى لمنطقة بحيرة البردويل بطاقة انتاجية قدرها ٥ مليون أصبعية وزريعة جمبرية سنويا •

وللمحافظة على كفاءة البحيرة ، تم انشاء محطة أبحاث لبحيرة البردويل بالتلول (فى ابريل ١٩٨٥) لتخدم متطلبات البحث العلمى •

وقد أثبتت نتائج الأبحاث الأولية ، أن المخزون السمكى بالبحر الأبيض المتوسط ومنطقة شمال سيناء ، يقدر بحوالى ٢٠ ألف طن سردين على أعماق بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا ، و ٥٠٠٠ طن من سمك التونة على أعماق من ٥٠ و ١٠٠ مترا و ١٠ كيلو جرام / ساعة قشريات بحرية على أعماق ٥٠ مترا •

وجارى العمل حاليا ، لتوفير سفن صيد ، بطاقة انتاجية كبيرة تلائم الصيد بالبحر على أعماق كبيرة •

مصايد أخرى بسيناء

توجد بحيرة ملاحية بور فؤاد التي تبلغ مساحتها ١٢ فدانا ،
ومعظم مسطحاتها ضحلة • وتتصل البحيرة بالبحر عن طريق بوغاز ،
كما تتصل عن طريق قناة الملح المتفرعة من قناة السويس ببوغاز
المواسير •

وقد وصل الانتاج السمكى لمحافظة سيناء الشمالية أكثر من
٤٠٠٠ طن ، كما وصل انتاج محافظة سيناء الجنوبية الى حوالى ١٦٠٠
طن سنويا •

كما يتم استغلال الثروة السمكية بالمناطق التالية :

- رأس سدر ورأس مطامر بطاقة انتاجية ١٠٠٠ طن خلال الموسم
سنويا •

- قطاع خليج السويس بطاقة انتاجية تتراوح بين ١٨٠ و ٤٠٠ طن
سنويا •

- خليج العقبة بطاقة انتاجية قدرها حوالى ٤٠٠ طن سنويا •

وتأتى مصايد خليجى السويس والعقبة ، فى المرتبة التالية
للبحيرات ، نظرا لضعف استغلالها •

وتعتبر الطور ، من أشهر مراكز الصيد على سواحل سيناء
الجنوبية ، حيث يعمل أسطول صيد صغير ، يمتد نشاطه الى العمق
ويمتد الى خليج العقبة والى قرب سواحل السعودية والسودان •

السياحة في سيناء

تعد سيناء مركزا عالميا للسياحة بمختلف أنواعها .

والسياحة مصدر حيوى فى اقتصاد البلاد ، وكلما ازدادت الخدمات السياحية والطاقة الفندقية وتعددت التسهيلات السياحية ، تحقت للدولة نموا كبيرا فى الدخل والموارد بالعملات الأجنبية .

ولكثرة الآثار وتناثرها فى أرجاء شبه جزيرة سيناء ، أصبح من الضرورى وضع الخطة المتكاملة للتنمية السياحية لسيناء ، وإجراء حصر للثروة السياحية ، والمناطق الواجب تنميتها سياحيا ، وإعداد دليل شامل لتسجيل الآثار والمنشآت السياحية ، مع الاهتمام بالطرق والمطارات والاتصالات السلكية واللاسلكية لتيسير سبل الراحة للسائحين .

ويشير تقرير المجالس القومية المتخصصة عن ، الخطوط العامة للتنمية فى سيناء حتى سنة ٢٠٠٠ ، بأنه من المهم - من وجهة النظر السياحية - التركيز على الوثائق ، التى تثبت للسائح عراقة هذا الاقليم المصرى ، وأصالة ثروته السياحية وتنوعها ، وتميزها بسمات خاصة تنفرد بها دون سائر المناطق السياحية الأخرى .

وتشمل سيناء العناصر السياحية الآتية :

- السياحة الدينية الثقافية .
- السياحة التاريخية .
- السياحة العلاجية الاستشفائية .
- السياحة الترفيهية .
- السياحة العسكرية .
- سياحة الصحارى والواحات .
- المحميات النباتية والحيوانية .
- السياحة الرياضية .

ولايضاح تفاصيل ومنشآت كل عنصر سياحي ، رأى تقرير المجالس القومية المتخصصة ، أن يقسم سيناء الى منطقتين سياحيتين :

المنطقة السياحية الجنوبية :

ـ منطقة المغارة :

فى وادى سيدر (شرق خليج السويس) • وتعتبر النقوش الفرعونية بها ، أقدم وثائق للسياحة الثقافية بـسيناء ، وتبلغ : ٤٥ نقشا ، منها ٢٢ من الدولة القديمة ، ٢٠ من الدولة الوسطى ، ٢ من الأسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة • ولكن من هذه النقوش طبعت محفوظة بالمتحف البريطانى •

وقد تحطم نصف هذه النقوش تقريبا ، على يد شركة انجليزية ، كانت تستخرج الفيروز من هذه المنطقة فى أوائل القرن العشرين • أما النصف الآخر فقد نقل الى المتحف المصرى منذ عام ١٩٠٥ م •

وفى وادى مكتب • توجد آلاف من النقوش النبطية واليونانية والعبرية والعربية ، تعود الى فجر التاريخ المسيحى •

وتؤكد النقوش النبطية صلات مصر العربية، لأن الأنباط عرب هاجروا من وسط شبه الجزيرة العربية حوالى عام ٥٠٠ ق م ، واستوطنوا المنطقة التى تفصل بين الشام وشبه الجزيرة العربية وتمتد من الفرات الى البحر الأحمر • واستمرت الدولة النبطية حتى عام ١٠٦ م •

ـ منطقة سرابيط الخادم :

بها الكثير من النقوش والآثار والمعابد التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة ، ويبلغ عددها ٣٨٧ نقشا من الدولتين الوسطى والحديثة •

كما يوجد معبد سنوسرت الأول وملحق به هيكل « سبد » منحوت فى الصخر ، وهيكل للآلهة « حتحور » (منذ عهد أمنمحات الثالث والرابع) • كما يوجد هيكل للملوك منفصل عن المعبد •

ومن أهم مايميز هذه المنطقة الأثرية ، اكتشاف الكتابات المعروفة بالنقوش السينائية التى تعتبر أصل كل الأبجديات • وقد نقشها العمال الآسبويون الذين كانوا يعملون فى سيناء ، وذلك عن طريق اختزال المقاطع الهيروغليفية والاكتفاء بالحروف الأولى من أسماء الصور ، التى تعبر عن المعنى ، ومن مجموع تلك الحروف تكونت الأبجدية

السينائية من ٢٢ حرفا . ثم انتقلت تلك الأبجدية الى الشرق ، ومنها نشأت الكتابة الفينيقية التى هى أصل الأبجدية اليونانية ، وهى أصل جميع الأبجديات الأوروبية . كما تعبر النقوش السينائية ، أصل الكتابة الآرمية وأصل الخط العربى .

ومن المقترحات المفيدة ، التى طرحت فى تقرير المجالس المتخصصة ، اقامة متحف الهواء الطلق لآثار الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والثانية عشرة والثانية عشرة والثامنة عشرة . وذلك بمنطقة المغارة .

علاوة على اقامة متحف فى المنطقة نفسها ، تعاد اليه آثارها التى نقلت الى المتحف المصرى ، وتلحق به مكتبة تضم نسخا من الصور التى ألتقطت لآثار المنطقة الموجودة بالمتحف البريطانى .

وكذا انشاء متحف الهواء الطلق فى سربيط الخادم ، المهّد أول أبجدية عرفها الانسان ، ولآثار الأسرتين الثانية عشر والثامنة عشرة .

— جبل موسى وجبل سريال :

ويشترك الجبلان فى القداسة ، لأن نبي الله موسى تلقى كلمات الله عز وجل فى تلك المنطقة . ومن المرجح أن يكون جبل سريال هو المقصود . ولذلك من الضرورى اعتماد أى الجبلين مرجحا ، اعـداده للاستغلال فى السياحة الدينية .

— طريق الخروج :

وهو الطريق الذى سلكه موسى عليه السلام ، فى المرحلة الأخيرة من رحلته ، حتى وصل الى جبل « حوريب » الذى عرف بجبل موسى .

ولتحقيق الاستغلال السياحى ، يتطلب الأمر الى تحديد الطريق بكل دقة .

— دير سانت كاترين :

بنى هذا الدير ، فى القرن السادس الميلادى . ويقع فى سفح قمة جبل طور سيناء ، على أحد فروع وادى الشيخ ، حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام . والذى جاء ذكره فى القرآن الكريم . وقد شيد فى عهد الامبراطور الرومانى جستينيان . ويرتفع الدير حوالى ٥٠١٢ قدما عن سطح البحر ، وله سور ضخـم طوله ٨٥ مترا وعرضه

٧٥ مترا ومتوسط ارتفاعه ١١ مترا ، وسماك الحائط ٢٢٥ متر .
وقد بنى داخل السور ، عدة كنائس صغيرة للعبادة ، وقد حدثت به
نرميمات على مدى العصور المختلفة .

وعلى القمة الأخرى للجبل ، يقع دير القديسة كاترين ، ابنة الشريف
السكندري « كوستوس » ، الذى فصل الامبراطور « ماكسيمينوس »
رأسها ، لأنها استطاعت أن تقنع ٥٠ من حكمائه باعتناق المسيحية . وقد
استشهدت ولهذا سمي الدير باسمها . ويحتوى الدير على :

★ المكتبة ٠٠ وهى تضم آلاف المخطوطات الأثرية العظيمة ، باللغات
السريانية واليونانية والعربية . وهى تقع فى الدور الثالث من بناء
قديم جنوب الكنيسة الكبرى . وتتكون من ثلاث غرف فى صف واحد ،
وتضم ٢٣١٩ من المخطوطات اليونانية (الهيلينية) ، و ٢٨٤ من
المخطوطات اللاتينية ، و ٨٦ مخطوطا بالسريانية والقبطية والأثيوبية
والسلافية والأمهرية والأرمينية والانجليزية والعربية والفرنسية والبولندية
وبها نحو ٦٠٠٠ مجلد من بينها مخطوطات تاريخية وجغرافية وفلسفية
علاوة على الكتب الدينية . وأكثر المخطوطات شهرة فى هذه المكتبة ،
كتاب « سيناء » الذى كتبه « أسبيوس » أسقف قيصرية تنفيذا لأمر
الامبراطور قسطنطين (عام ٣٣١ م) ، ثم أهده « جستنيان » الى الدير
(عام ٥٦٠ م) .

ويوجد أيضا كتاب « الانبياء » الذى كتب فى عهد الامبراطور
« تيودوسوس » الثالث (عام ٧١٦ م) وتحمل كل ورقة من أوراقه
الأربعمائة ، عمودين من الكتابة بماء الذهب .

ومن أهم الوثائق التاريخية المخطوطة ، والتي أتفق على أهميتها،
والموجودة بالدير هو « كتاب الأم » ، الذى يعد سجلا تاريخيا عظيما
بصور الحالة الاقتصادية والتجارية والاجتماعية ، فى قطاع الطور
وجنوب سيناء بوجه عام ، وذلك خلال العصر التركى . ويحتوى على
٥٦٧ ورقة ولغته العربية ، وفيه بعض النصوص بالتركية واليونانية .
ويسجل الكتاب بكل دقة ، الدعاوى والأحكام وصدوك المبيعات
والرهونات من النخيل والأراضى الزراعية ، سواء فى منطقة الطور أو فى
مدينة وادى فيران والمناطق الأخرى وضواحيها ، من أملاك الدير والربان
وأهل الطور .

كما يوجد عدد من الفرامانات التى أعطاها الخلفاء والولاة لرهبان
الدير .

وقد احتفظت المكتبة بعهد الأمان الذى اعطاه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، الى رهبان الدير لحماية أرواحهم وموالتهم فى ظل الدين الإسلامى وقد كتب العهد على بن أبى طالب ، وجاء فى نهايته : « شهد بهذا العهد ، على بن أبى طالب ، أبو بكر بن أبى قحافة ، طلحة ابن عبد الله ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، وغيرهم من الصحابة » ويقال أن العثمانيين نقلوا أصل هذه الوثيقة الى الأستانة ، بعد الفتح العثمانى لمصر ، بمعرفة السلطان سليم الأول وأعطى الرهبان صورة منها مع ترجمتها بالتركية .

كما يوجد خطاب حماية من نابليون منحه للبدو فى أوائل القرن ١٩ بعد غزوه مصر . وبالمكتبة أيضا : نسخة للانجيل باللغة السريانية من القرن الخامس الميلادى ، وأقدم مخطوط طبى عربى فى العالم وهو كتاب الطبيب « على بن على » فى طب العيون .

★ مكتبة الأيقونات . ويحتوى الدير ، على أندر وأعظم مجموعة من الأيقونات فى العالم أجمع ، والأيقونة عبارة عن صورة زيتية تعبر عن أهم الأحداث فى العهدين القديم والجديد . ويوجد منها حوالى ١٥٠ أيقونة ذات قيمة روحية وتاريخية وفنية ، وترجع الى القرن الثامن الميلادى ، ولم يمسها قرار « باولوس » بابا روما ، باحراق جميع الأيقونات الموجودة فى كنائس العالم .

ولذلك ظلت الأيقونات الموجودة بالدير هى النسخ الأصلية . وتعد أيقونة « العذراء » أقدم وأمن ما بالدير ، حيث صنعت فى القرن السادس الميلادى ، وأيقونة « موسى » وهو يتلقى الوصايا العشر من تجلى الله ، على قمة الجبل ، وأيقونة « القديسة كاترين » .

★ الكنيسة الكبرى . وهى من أقدم الآثار المسيحية فى صحراء سيناء ، وتعرف بكنيسة الاستمالة . وهى احدى كنائس العالم الهامة ، لما تحويه جدرانها من فسيفساء قديمة ، بالإضافة الى ما تحويه من التحف النادرة .

وبنيت فى عهد الامبراطور جستنيان (القرن السادس الميلادى) وتقع شمال شرق الدير ، ومبنية بالحجر ، وطولها حوالى ٣٨ مترا وعرضها ١٩ مترا وتقوم على اثنى عشر عامودا يرمز كل منها ، الى شهر من شهور السنة ، أو ترمز الى الاثنى عشر رسولا .

★ شجرة العليقة المقدسة . وتوجد بداخل الدير ، حيث المكان الذى كلم منه موسى عليه السلام ربه فى وادى « طوى » كما جاء فى القرآن الكريم .

★ كنيسة العليقة المقدسة (كنيسة هيلين) ٠٠ وهى أقدم مكان بالدير ، وتوجد خلف كنيسة الدير الرئيسية ٠ وتنمو العليقة بضعة أمتار خارج الكنيسة ٠

★ كنيسة الموتى (معرض الجماجم) ٠٠ ويوجد بالدير ، معرض لحفظ جماجم الموتى ويسمى كنيسة الموتى ٠ وللمعرض قبو متسع تعلوه كنيسة ، ورصت فيه الجماجم فوق بعضها ٠ كما يوجد بالدير ٦ مقابر خاصة بالرهبان والمطارنة ٠

★ مسجد الحاكم بأمر الله ٠٠ ويوجد على مسافة ١٠ متر أمام الكنيسة الكبرى فوق الجبل ٠ وهو مسجد صغير بنى بالحجر الجرانيتى فى عهد الخليفة الفاطمى الأمر (٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) ٠ وهو مكون من حجرة واحدة مساحتها حوالى ٧ × ١٠ أمتار ، ويحمل سقفها عمودين وله مئذنة بسيطة مربعة الشكل ٠ ويوجد بالمسجد قطعتان أثريتان : مقعد يوضع عليه المصحف الشريف ، والمنبر الذى يعتبر من الآثار الباقية من العصر الفاطمى ، ومحفور عليه « لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » ٠

★ أبنية الدير الأخرى ٠٠ ويوجد بداخل الدير ، معصرة للزيتون وأخرى للكروم ، ومخازن المؤن ، وطاحونتان وفرنان ومطبخ ومنازل للرهبان وحديقة بها أشجار الفاكهة ، و ٦ بئر هـى : بئر موسى (ويقال أنه البئر الذى سقى منها موسى عليه السلام ، غثم بنات شسعيب عند خروجه من مصر ٠٠ بئر اسطفانوس وماؤه عذب لشرب الرهبان ، وقد حفره اسطفانوس مهندس الدير ٠٠ بئر العليقة ٠٠ بئر مكاريوس ٠٠ بئر اللوزة ٠٠ وبئر مهجور ٠

كما يوجد أربعة ينابيع : ثلاثة منها أسفل الحديقة ، والرابع (بئر البركة) وهو نبع غزير يجرى ماؤه فى قناة تحت الأرض ، ليروى الجهة الشرقية من حديقة الدير ٠

— عيون موسى وحمامات فرعون :

وتوجد على بعد ٢٠ كيلو مترا شرق السويس فى وادى الغربندل ٠ وقد ورد ذكر عيون موسى فى القرآن الكريم : (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) ٠

(البقرة : آية ٦٠)

والكلام موجه من الله عز وجل الى سيدنا موسى عليه السلام ، حين
طلب منه بنو اسرائيل ماء ليرتوا به ويشرب منه دوابهم .

وتمتاز حمامات فرعون بمياهها الكبريتية . وقد انتهت بحروب
وزارة الصحة الى أن مياهها تفوق مياه حلوان في النتائج العلاجية .

وقد سجل علماء الحملة الفرنسية في كتاب « وصف مصر » ،
بيانات هامة عن تلك المنطقة وأن نابليون اكتشف بمنطقة العيون ترعة
كانت مغطاه ، وأن مياه العيون كانت تنقل حتى شاطئ خليج السويس
كما لاحظ أن المنطقة بين العيون والشط كانت مزروعة ، ومن المكن أن
المياه كانت تنقل اليها عن طريق قنوات مغطاة .

– طريق المحمل :

إذا كانت سيناء في التاريخ القديم هي الطريق الحربي ، وفي
التاريخ اليهودي هي طريق الخروج ، وفي التاريخ المسيحي هي الطريق
الذي سلكته الأسرة المقدسة عند قدومها الى مصر ، فإن بها في التاريخ
الاسلامي طريقا هو طريق المحمل ، وهو الطريق البري الذي كان يسلكه
الحجاج لعدة قرون .

ويبدأ هذا الطريق من العجروود (غرب السويس) الى النواطر
بمدخل صحراء صحراء التيه ، فيشر القرييض الى نقب دبة البغلة ثم نخل
فنقب العقبة ومن هناك الى أرض الحجاز .

وقد استخدم هذا الطريق للحج منذ سافرت شجرة الدر (عام
١٢٤٨م) مع قافلة الحجاج الى مكة عبر سيناء . وقد اهتم السلطان
قنصوه الغوري (١٥٠١ – ١٥١٦ م) بتمهيد ذلك الطريق ، وسجل
ذلك على أحد الآثار الموجودة في نقب دبة البغلة . وقد بنى السلطان
الغوري : قلعة بناها (عام ١٥١٦) قبل معركة « مرج دابق » التي انتصر
فيها العثمانيون عليه . وبنى قلعة أخرى في العقبة ، وتشير نقوشها
الى أن السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤ – ١٥٩٥) قام بترميمها .

وقد مهد سلاطين مصر ، في نهاية طريق الحج عبر سيناء ، طريقا
في الجبل المطل على العقبة ، وسمى الوادي الذي يصب في الخليج عدا
بعد ٢ كيلو متر من مصب طابا ، بالوادي المصري ، لأنه منفذ الحجاج
المصريين الى العقبة .

المنطقة السياحية الشمالية

- الطريق الحربى القديم (القنطرة - رفح) :

وهو أعرق الطرق التاريخية فى العالم ، ويسمى « طريق حورس » ، وقد شهد هذا الطريق ، من أحداث التاريخ ومعاركه ما لم يشهده أى طريق آخر ، كما سلكه الغزاة الذين دخلوا مصر خلال حقبة التاريخ المختلفة .

وسلكه تحتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٧٦ ق م) لتأمين حدود مصر الشرقية ، وقد سجلت تفاصيل حملته هذه ، على جدران معبد آمون بالكرنك . وهو نفس الطريق الذى سلكه الاسكندر الاكبر عند غزو مصر (عام ٣٣٣ ق م) . كما التقت جيوش كيلوبترا (عام ٤٨ ق م) مع أخيها بطليموس تاهبا للقتال ، على مشارف هذا الطريق عند «الفرما» (بالوظة حاليا) على بضعة كيلو مترات شرق بورسعيد . وهو طريق الفتح العربى الذى سلكته جيوش العرب المسلمين بقيادة القائد الاسلامى عمرو بن العاص ، عندما فتح مصر ، وقد سلمت قلعة الفرما (٢ يناير ٦٤٠ م) بعد حصار دام شهرا . ولما أرادت مصر ، تحقيق وحدة الشرق العربى ، اتخذت الجيوش المصرية (١٨٣١ - ١٨٣٣ م) نفس الطريق القنطرة - قطيعة - بير مزار - العريش - الشيخ زويد - رفح .

وعبر هذا الطريق أيضا ، قدمت الى مصر العائلة المقدسة (المسيح ابن مريم عليه السلام ومريم العذراء ويوسف النجار) من رفح الى الفرما . ويبدو أنها توقفت فى العريش ، وسلكت طريق الشاطئ شمال بحيرة البردويل . وقد أقيمت - فيما بعد - كنيسة بكل مكان توقفت فيه العائلة المقدسة .

وكان هذا الطريق ، يبدأ عند « سيل » (ومكانها الآن « تل أبو صيفة » على بعد ٣ كم شرق القنطرة) ، ثم يتجه شمالا الى «المجدول» جنوب الفرما مباشرة (ومكانها الآن « تل الحير ») ثم بير رمانة على مقربة من المحمدية ، ثم الحصن الذى كان منسوباً الى « سیتی » وأبدلت نسبته الى ابنه « رمسيس الثانى » (ومكانه الآن « قطيعة ») ، ثم بير العبد (جنوب بحيرة البردويل) ثم يتجه الى العريش ومنها الى الشيخ زويد ثم الى رفح .

ويزخر الأدب السياسى الأوروبى والعربى ، بمواد كثيرة عن هذا الطريق .

★ آثار ما قبل العصر الحجري في أبي عويجلة ، وآثار العصر
الحجري في بير الحسنة : وقد عثر في منطقة أبي عويجلة ، على أدوات
من العصر السابق على العصر القديم ، وأدوات أخرى أقدم من عصر رجل
الكهف الذي وجدت آثار من العصر الحجري المتوسط والأعلى بصحراء
النهج ، وسط سيناء .

أما منطقة بير الحسنة ، فقد اكتشف بها موقع ، يعود إلى العصر
الحجري الحديث .

★ مبادئ معارك الحروب الحديثة : وتشمل المواقع التي دارت
بها الحروب الحديثة ، وبصفة خاصة ميادين حرب أكتوبر ١٩٧٣ .
وبعض المعارك السابقة عليها .

★★★

هذا ومن الضروري إقامة محميات طبيعية ، للعناصر النباتية (فلورا)
والحيوانية (فونا) ، وتتميز بها منطقة سيناء الجنوبية . وبذلك يمكن
خلق هذا النوع من السياحة ، التي تجذب السائحين خاصة من الخارج ،
للبحر والدراسة ، إذ أن بعض الحيوانات التي تعيش في سيناء ، لا وجود
لها في الدول المصدرة للسياح . كما أن الزهور والفواكه الجبلية
والصحراوية لها طابع خاص ، كما يمكن الاكثار منها حول مناطق الآبار
كعنصر جذب سياحي .

ثم من الممكن أن يقوم نوع جديد من السياحة هو « سياحة الصحاري
والواحات » والتي اهتمت به دول المغرب العربي . ويمكن أن يزور
السياح - خلال هذا النوع من الرحلات - مخيمات البدو ، حيث تقام
حفلات السمر ، وتعرض الفنون الشعبية لأهالي سيناء (كالرقص
والتمثيل والغناء البدوي) ، وكذلك حضور حفلات أفراح البدو .

وقد حبا الله شبه جزيرة سيناء بالشواطئ الجميلة والجبال المتعددة
الألوان والمياه المحيطة بها من ثلاثة جوانب . وكل هذه العناصر ، ذات
جاذبية لا يمكن أن يقاومها السائح خاصة وكلها عناصر تطلع عليها
شمس سيناء الدافئة والطبيعة الرائعة .

ومن كل ذلك تكون « السياحة الرياضية » ، التي تشمل سباق
اليخوت ، ومسابقات صيد السمك في الأماكن المناسبة على الشواطئ ،
ثم رياضة تسلق الجبال .

كما يمكن إنشاء مشتى عالمي بمدينة الطور ، لأن جوها شتاء من
« روع الأجواء وأصحبها » .

المراجع

أولا : مراجع حرب ٦ أكتوبر

صدر حتى الآن عديد من الكتب عن حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، تناولت آثارها الفعلية وأبعادها المختلفة ومضاعفاتها المتوقعة على الصراع العربى الاسرائيلى .

وفد فاقت هذه الكتب مثيلاتها ، التى صدرت فى أعقاب حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ . ولقد ضرب عدد الكتب عن الحرب الرابعة ، رقما قياسيا ، على الأخص بين دور النشر العربية ، وكان معظمها من تأليف واعداد كتاب عرب ، منهم طليعة المؤلفين العسكريين .

على عكس ما حدث فيما كتب عن حرب ٥ يونيو ، فقد ولدت الهزيمة ، فقدان الثقة الشامل بين المثقفين العرب ، بجانب ما سببه الدور المتخلف لوسائل الاعلام العربية ، فلم ينزل فى أسواق الكتب العربيه الا أقل القليل ، الذى لم يمس الا هوامش النكسة دون أى تعرض لأسباب النكبة . هذا فى الوقت الذى غمرت الأسواق العربية كميات هائلة من الكتب الأجنبية الصهيونية الاتجاه ، والتى تمجد أسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ، وتروج لعظمة وقدرات أجهزة المخابرات الاسرائيلية . وقد حاولت الترجمات العربية التى صدرت لهذه الكتب ، وكلها من صنيعة وترجمة أقلام اسرائيلية ، ان تعمق الهزيمة فى الوعى الشعبى العربى وتضفى الوهن والضعف على نفسية الانسان العربى ، مثلما ورد فى كتب : « **وتحطمت الطائرات عند الفجر** » و « **لعبة الأمم** » و « **كيف ضاع الجولان** » وغيرها من الكتب التى اصدرها الغرب ، مشايخا ومتبينيا الرواية الاسرائيلية للحرب ، بما فيها التنديد بالعرب والسخرية من قوتهم وتداعى وحدتهم .

أما بعد حرب ٦ أكتوبر ، فالأمر جد مختلف ، فقد انعكست الآيه تماما ، فقد قلت الكتب التى صدرت عن الغرب ، فى حين زاد ما صدر منها من جانب الكتاب العرب . ولا شك أن فى ذلك ، دلالة واضحة على المشايعة المطلقة لاسرائيل ، واستجابة منهم لرغبة الصهيونية العالمية الى عدم الدعاية والترويج لانهايار أسطورة التفوق الاسرائيلى .

الا ان حقائق حرب اكتوبر ، قد فرضت موضوعيتها ، فاعترف معظم
الصدور من كتب اجنبية ، بتفوق العرب وقدرتهم وانتصارهم ، وأكدت
انهيار الأسطورة الاسرائيلية ، والاندحار الساحق لجيش مؤسستها
العسكرية وأجهزة مخابراتها .

حتى كتابهم « المجدال » أى « التقصير » . والذي صدر فى داخل
اسرائيل نفسها ، وقام بتأليفه سبعة من أشهر المراسلين الحربيين
الاسرائيليين العاملين فى صحف اسرائيل الرسمية ، والذين أصدروا
كتابهم هذا بعد الحرب مباشرة وعقب معاشيتهم الواقعية لتجربة النار .
حتى هذا الكتاب . الذى يعتبر عن لسانهم ، أول رواية كاملة وحقيقية عن
الحرب العربية الاسرائيلية ، فقد تمت مصادرتة بمجرد نزوله الى السوق .
فى تل أبيب . وأصبح هذا الكتاب الاسرائيلى ممنوعا من التداول فى
اسرائيل ذاتها ، لشموله شهادة اسرائيلية على الحقائق الاساسية التى
نسفت عنها حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، وأهمها كفاءة الجندى العربى وقدرته
القتالية ومهارته فى استعمال المعدات والأسلحة ، وسقوط ما أحاط
بالانسان العربى من تشويه بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وفد بولت المخابرات الاسرائيلية . ترجمة هذا الكتاب وكلفت
سنره وإصداره دار « هاشميت » الفرنسية تحت عنوان « كيمبور » أى
« القفران » بعد أن حذفت منه الكثير الذى يدين المؤسسة العسكرية
الاسرائيلية وأجهزتها . وبعد أن حورت ما يشير الى مصير اسرائيل الذى
كان مهددا بالزوال والفناء ، لولا الدعم الأمريكى الاستثنائى ثم وقف
إطلاق النار .

ومن الطريف أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت ، قد
حصلت على نسخة من الكتاب الأصيل وترجمته ونشرته ووزعته باغراق
على انحاء العالم العربى (١) .

ولا ريب فى أن هناك مزيدا من الكتب التى صدرت عن حرب
أكتوبر . فى مختلف الدول العربية والأوروبية والتى لم تصلنا حتى أعداد
كتابنا هذا للطبع .

وفيما يلى بيان بالكتب العربية والأجنبية التى حصلنا عليها ، فكانت
مرحعا لما ورد فى أبواب هذا الكتاب عن الجولة العربية الاسرائيلية
الرابعة .

(١) عن مجلة « جون أفريك » التى تصدر فى باريس ، قالت « المفاجأة الغربية
أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت سرعان ما حصلت على الكتاب وقامت بترجمته
الى العربية وتوزيعه بكميات ضخمة (٢٤٠٠٠ نسخة) فى الوطن العربى . . . بمعنى أنه
كتاب اسرائيل متنوع فى اسرائيل ، يوزع فى العالم العربى لمعرفة الفلسطينيين .

المراجع العربية

- حرب رمضان
لواء/حسن البدرى - لواء/طله المجدوب -
عميد أ.ح/ضياء الدين زهدى
- وثائق حرب أكتوبر
موسى صبرى
- التقصير (المجدال)
صحفيون اسراييليون (ترجمه مؤسسه
الدراسات الفلسطينية - بيروت)
- حرب الساعات الستة
(واحتمالات الحرب الخامسة)
عبد الستار الطويلة
- وتحطمت الاسطورة عند
الظهر
احمد بهاء الدين
- وانطلقت المدافع عند الظهر
لواء أ.ح/محمد عبد الحليم أبو غزالة
- الحرب العربية الاسرائيلية
الرابعة - وقائع وتفاعلات
مجموعة من الباحثين (مركز الأبحاث -
منظمة التحرير الفلسطينية -
بيروت)
- عيد الغفران
هيئة الاستعلامات المصرية
- ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية
العالمية
د. جمال حمدان
- حرب الساعات الست
د. عبد الكريم درويش - د. ليلي ت كلا .
- الشرارة طريق النصر
مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات -
دار الصياد - لبنان
- حرب أكتوبر (دراسات فى
الجوانب الاجتماعية
والسياسية)
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
ومركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية بالأهرام
- ماذا حدث فى تشرين ؟
(وقائع معارك التحرير)
حار الكسان (دمشق)

- وماذا بعد أكتوبر ؟ الفريق/صلاح الدين الحديدي
- حرب أكتوبر في الميزان الفريق/صلاح الدين الحديدي
- التسكيري
- أبطال الطيران في العقيد طيار/علي عثمان زيكو
- معارك رمضان
- خمسة فصول عن حرب السيد الشوربجي
- أكتوبر
- سرى جدا محمود عوض
- من حرب الأيام الستة الى (جاك كوبر) كمال السيد (بروب)
- حرب الساعات الستة
- صراع الجنرلات في اسرائيل محمد كعوش (بيروت)
- تقرير حرب تشرين المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي - القطر العراقي (بغداد)
- ماذا بعد تشرين ؟ كريم مروة (بيروت)
- الخلف المعري حرب أكتوبر محمد جبر
- ٦ تشرين بين التسوية والتهجير د.الياس فرج (بيروت)
- الساعة ١٤٠٥ صلاح قبضايا
- الأمن الأوروبي والشرق حسين فهمي
- عبور القناة وانتصار الارادة السيد فرج
- العربية
- اسرار حرب رمضان ابراهيم البرجاوي (بيروت)
- السويس مدينة تحت الحصار رياض سيف النصر
- ولاء العيد بعد العاشر من مصطفى بهجت بدوي
- رمضان
- حرب أكتوبر ١٩٧٣ محمد مصطفى الشعبيني
- واطارها الاجتماعي

- وتحطمت الطائرات في سماء دمشق
- يوميات مقاتل في الجيش الثالث
- اليوم السابع (يوميات مديع في جبهة القتال)
- ٦ أكتوبر « الحـرب الأليكترونية الأولى »
- حرب رمضان (أو حرب الغفران)
- حرب تشرين (في مواقف ومشاهد من خطوط النار)
- أدب المعركة (حرب ٦ تشرين ٧٣)
- ماذا بعد حرب رمضان ؟
- وعادت القنيطرة
- معركة العبور
- ملحمة الشرارة
- ملحمة العبور
- العبور
- الزجل والدين والمعركة
- حرب أكتوبر في الأعلام العالمي
- السلام في الشرق الأوسط
- دمة ديان (حرب تشرين على جميع التجهيزات)
- الحرب الرابعة والقصر السياسي
- حرب أكتوبر
- الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة
- عبد الله الأسدي (دمشق)
- أمام سيد مصطفى
- حمدي الكنيسي
- محمد عبد المنعم
- السيد جعفر شرف الدين (بيروت)
- حسن الزين (بيروت)
- أحمد عطية (بيروت)
- د . أحمد صدقي الدجاني (بيروت)
- عدنان الملوحي (بيروت)
- أحمد حسين
- عبد الفناح شلبي
- عبد الفتاح شلبي
- حسين طنطاوي
- محمد هاشم السمان
- د . حمدي الطاهري (بيروت)
- د . نعيم سومسكي (نيويورك)
- العميد الأول الركن / عزيز الأحمد
- مجلة « دراسات عربية » عدد خاص دار الطلبة (بيروت)
- مجلة « فضايا عربية » عدد خاص أكتوبر ١٩٧٤ (بيروت)
- مجلة « السياسة الدولية » عدد خاص - يناير ١٩٧٤ (دار الأهرام - القاهرة)

المراجع الأجنبية

- The Soviet Union And The Foy D. kohlet —
October 1973 Middle East Leon Gouve —
(The Implications For Deten- Mose L Harvey.
te).
- Insight on The Middle East The Insight Team of The Sun-
War. day Times Newspaper.
- The October War Riad N. Elrayyes Dunia
(Documents , Personalities Nahas (A'-Nahar Press Services..
Analyses And Maps). Lebanon).
- Ārmageddon in The Middle Dana Adams Schmidt
East.
- Confrontation , The Middle Walter Laquer.
East and World Politics.
- The Fourth Arab-Israeli War Col. B.K. Narayan.
- La Vraie Guerre du Kippour. Walter Laquer.
- Les Jours Terribles d'Isra- Jean Claude Guillebond.
el.
- La Guerre du Kippour. Envoyes Speciaux du Sunday
Times.
- Les Palestiniens et la Crise
Israelo - Arabe J. Berque
- Kippour. 7 Journalistes Israéliens.
- Israel La Mort en Face. Jacque Derougie and Gerjean.

ثانيا : المراجع العامة

العربية

- القرآن الكريم
- صحيح البخارى
- صفوة البيان لمعانى القرآن
- معجم ألفاظ القرآن الكريم
- المصحف الميسر
- الكتاب المقدس
- فقه السيرة
- معجم آيات القرآن
- بيانات واحاديث وخطب
- خطب وتصريحات واحاديث
- أسرار الثورة المصرية
- نحو بعث جديد
- فلسفة الثورة
- ميثاق العمل الوطنى
- بيان ٣٠ مارس
- ورقة أكتوبر
- رأى المسيحية فى اسرائيل
- أنور السادات (قصة ايمان
بالعسكرية المصرية)
- الشيخ/حسين محمد مخلوف
- مجمع اللغة العربية
- الشيخ/عبد الجليل عيسى
- د.محمد سعيد رمضان البوطى
- ترتيب : د. حسين نصار
- الرئيس/محمد حسنى مبارك
- الرئيس/محمد أنور السادات
- الرئيس/جمال عبد الناصر
- البابا شنودة الثالث
- حمدي لطفى

- عبد الناصر والقوات المسلحة
- دور القوات الجوية فى الجولة
- الدين والحياة
- معالم الطريق فى التطبيق
- مع المجاهدين
- تحت راية الاسلام
- مصر تحت السلاح
- فلسطين قلب العروبة
- نحن واسرائيل فى معركة المصير
- اسرار ١٩٤٨
- فلسطين والغزو الصهيونى
- هذا الحائط الشرقى العظيم
- يعود الى مصر من جديد
- التوسع الاسرائيلى (عوض وتحليل مشروعات السلام الاسرائيلى)
- التحلف الاستسلامى
- القوات المسلحة والسلام فى اليمن
- خطر اتيهودية العالمية على الاسلام والمسيحية
- كارثة فلسطين
- معركة النضال العربى
- مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية
- أيام وأيام
- عميد أ.ح/محمد جمال الدين محفوظ
- لواء مهندس/سعد شعبان
- د. عبد العزيز كامل
- مصطفى المستكاوى
- د. أحمد الشرباصى
- د. أحمد الحوفى
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- ابراهيم كروان
- أحمد كمال الطوبجى
- أحمد كمال الطوبجى
- عبد الله التل
- عبد الله التل
- أحمد يوسف القرعى
- د. حسين شريف (هنرى كيسنجر)
- محمد صبيح

- بطل لا ننسياه (عزيز محمد صبيح
المصري)
- كفاح شعب مصر محمد صبيح
- المعتنقون واليهود محمد صبيح
- يوم الكرامة امين سلامة
- الوحدة الوطنية د . سليمان محمد الطماوي
- الاسلام نظام انساني د . مصطفى الرافي
- هنا فلسطين حسين الثريكي
- فلسطين بين الحقائق عقيد / احمد عبد الوهاب
والباطيل
- هكذا ضاعت وهكذا تعود نقولا الدر
- يوميات هرتزل أنيس الصايغ (تيودور هيرتزل)
- التجربة والخطا د . حليم وايمان - مذكرات
- تجسيد الوهم (دراسة نفسية الشخصية الاسرائيلية) د . قدرى حقنى
- العرب في الحاضر دحمود حسين
- فلسطين تاريخا وعبرة سفيق أرشيدات
ومصيرا
- اليهود وفلسطين الشيخ / صبرى عابدين
- الولايات المتحدة الأمريكية د . كاهل أبو جابر
واسرائيل
- أمريكا مستعمرة صهيونية صلاح دسوقي
- دراسات استراتيجية اللواء / حسن عبد الخالق مطاوع
- عسكرية عن فلسطين
- بتروال الوطن العربى محمد الحسينى مصلحي
- النفط العربى عبد الله الطريقى

- حرب البترول فى العالم د ٠ راشد البراوى
العربى ١٩٦٧
- حرب البترول فى الشرق د ٠ راشد البراوى
الأوسط
- البترول العربى وأزمة
البترول د ٠ محمد طلعت الغنيمى
- اقتصادات البترول د ٠ حسين عبد الله
- البترول والسياسة العربية أمين شاكر - سعيد العريان - بوفيق مقار
- التسابق على البترول بيير فونتين
- التطور القومى فى أفريقيا د ٠ عبد العزيز الرفاعى
- خنجر اسرائيل كارانجيا
- الصهيونية والعنف حسين طنطاوى
- الصهيونية العالمية عباس محمود العقاد
- اسرائيل بين المسير والمصير صابر عبد الرحمن طعمة
- اليهود فى موكب التاريخ صابر عبد الرحمن طعمة
- فى مواجهة اسرائيل سامى منصور
- الحركة الصهيونية والعالم د ٠ جلال يحيى
العربى
- اسرائيل الحقيقة والمستقبل د ٠ محمود متولى
- اسرائيليات أحمد بهاء الدين
- دولة اسرائيل أحمد بهاء الدين
- طريقنا الى القدس عبد المنعم الصاوى
- سيناء الحرب والمكان عبد الحليم عويس
- الصابرا أنيس منصور
- اعتداءات اسرائيل عبد الخالق حسونة
- طريق النكبة سامى الحكيم
- نظام الحكم فى اسرائيل د ٠ عبد الحميد متولى

- المشكلة الاسرائيلية وهل
تحلها اسرائيل محمود نعناعة
- اضمواء على الصهيونية
مصطفى السعدني
- التاريخ الموحد للأمة العربية
د . علي حسني الخربوطلي
- العرب واليهود
د . علي حسني الخربوطلي
- الخطر اليهودي (بروتوكولات
حكما صهيون) محمد خليفة التونسي
- تاريخ الشعب اليهودي
هوارد مورلي ساشمار
- فلسطين بين عصبة الأمم
والأمم المتحدة تلي محمد علي
- موجز القضية الفلسطينية
تلي محمد علي
- الهجرة اليهودية الى فلسطين
ولم فهمي
- الاتهام العربي والاتهام
الصهيوني حاتم محمود
- ابحاث مثيرة في القومية
العربية ساطع الحصري
- العالم العربي
د . نجلاء عز الدين
- مصر الظاهرة
عبد الرحمن زكي
- معركة المنصورة واثرها في
الحروب الصليبية عبد الرحمن زكي
- ساجد على حرب ٦٧
الفريق/صلاح الدين الحديدي
- الشرق الاوسط في الميزان
اللواء/محمد كمال عبد الحميد
- يقظة العالم اليهودي
ايلى ليفى أبو عسل
- اليهود انتروبولوجيا
د . جمال حمدان
- اسرار العسكرية الاسرائيلية
معين أحمد محمود

- السباسبه بين الامم
- العرب تاريخ ومستقبل
- الطريق الى السويس
- الغنوجات العربية الكبرى
- اهداف الاستعمار فى عدن
- الاسعمار الجديد
- مقرر فى الميدان
- صور من البطولة
- تاريخ غزوات العرب
- مذكرتان
- مذكرات أحمد عرابى
- الزعيم أحمد عرابى
- تكتيك الحرب النفسية
- القواعد والقوانين المنظمة للحرب
- الفكر الدينى الاسرائيل
- اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة
- العدوان
- حرب السويس
- فتح السويس
- قصة الاستعمار فى أفريقيا
- شمال أفريقيا فى الحاضر والماضى والمستقبل
- أهداف اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية
- حبرى حماد (مورجنتاو)
- حبرى حماد
- حبرى حماد (شايندرر)
- حبرى حماد (حلوب)
- حبرى حماد (جبينان كنح)
- حبرى حماد (نكروما)
- أحمد عطية الله
- د. حسين مؤنس
- الامير شكيب أرسلان
- أمير اللواء/ محمد لبب الشاهد بلا
- أحمد عرابى
- عبد الرحمن الرافعى
- عميد أ.ح/ عبد الرحيم عجاج
- يوزباسى/ عدلى الشريف
- د. حسن ظاظا
- أبكار السقاف
- أمين سعد
- بول جونسون (مجموعة)
- محمود حسن ابراهيم
- د. شوقى الجمل
- أمين شاكر - سعيد العريان - مصطفى أمين
- اللواء الركن/ محمود شيت خطاب

- حقيقة اسرائيل اللواء الركن/محمود شيت خطاب
- فناة السويس (حقائق محمد أبو نصير - عبد القادر حاتم
محمود يونس - د. حسين مؤنس -
ووثائق
كمال عبد الحميد - مصطفى الحفناوى
- السيد محمود مدنى - عبد الرازق
حسن - محمد الخطيب - ابراهيم صقر
- عادل عامر
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات د. عبد الوهاب محمد المسيرى
الصهيونية
- سجل الارهاب اليهودى هيئة الاستعلامات المصرية
- نتائج التحقيق السرى فى جريدة الأهرام (نشرت مُسلسلة)
بريطانيا عن خبايا السويس
- الثورة فى ٢٠ عاما التوجيه المعنوى للقوات المسلحة
- الجهاد فى الاسلام جامعة الأزهر
- الكتب الرسمية الصادرة عن وزارة الخارجية المصرية
- سلسلة مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات
- سلسلة بيانات الولايات المتحدة السياسية (١٩٧٨)
- تقرير عن الخطوط العامة للتنمية فى سيناء المجالس القومية المتخصصة
حتى سنة ٢٠٠٠
- اعداد مجلة المهندسين
- مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
- المجلة المصرية للعلوم السياسية
- مجلة « السياسة الدولية » المصرية
- مجلة « الطليعة »
- مجلة « البترول » - المؤسسة المصرية العامة للبترول
- مجلة « الأهرام الاقتصادى »
- مجلة « نفط العرب »

- النشرة الاقتصادية - بنك مصر
- المجلة الاقتصادية - البنك المركزي المصرى
- مجلة « عالم الفكر » الكويتية
- نشرات هيئة قناة السويس
- سلسلة دراسات فلسطينية - مركز الأبحاث (بيروت)
- الجرائد والمجلات المصرية والعربية والأجنبية
- نشرة وثائق هيئة الاستعلامات المصرية
- « الطاقة » - المكتبة العلمية لمجلة لايف
- مجموعة مجلة القوات الجوية

الأجنبية

— What Price Israel ?	Lilienthal
— On both sides of the hill.	John and David Kimsh.
— The Suez War.	Paul Jonson.
— Suez.	Michel Bar-Zohar.
— The Road to Suez.	Erskine Childers.
— Peace and Opinion.	Evan Luard.
— How Nasser did it ?	R. K. Karanjia.
— A Solider With Arabs.	Sir. J.B. Glubb.
— Palestine Land of Promise.	Gollancz.
— World Dictatorship.	Hillary Cotter
— Free Masonry.	Arnold Leese.
— Gothic Ripples.	» »
— Palestine Portrayed.	S.W. Gentle-Cacket.
— Meses And Monotheism.	Sigmund Freud.
— The Jewish Problem.	Louis Golding.
— American Jewish Year book (1943 - 1944).	
— Encyclopaedia Britanica.	

المحتويات

تقديم : السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ٥

مقدمة المؤلفين ٩

القسم الأول

١١ - ٥٨ الجولات العربية - الاسرائيلية

١٣ - ٣٠ الباب الأول : مقدمة فلسطينية

الأطماع اليهودية - البحث عن وطن - وعد
« بلفور » الأسود - تحت الانتداب البريطانى -
متى شعر العرب بالخطر الصهيونى ؟ - تقسيم
الوطن العربى - اليهود وأمريكا - بوادر النكبة -
استعداد اليهود - فلسطين وهيئة الأمم المتحدة -
أنهار الدماء العربية - قيام دولة اسرائيل .

٣١ - ٣٦ الباب اثنانى : حرب فلسطين

الفدائيون المصريون - تحرك الجيوش العربية
النظامية .

٣٧ - ٤٦ الباب اثنالث : حرب السويس

أفشل عدوان فى التاريخ - رد فعل التأميم - بدء
العدوان .

٤٧ - ٥٨ الباب الرابع : حرب ٥ يونيو

التخطيط الاسرائيلى - أما العرب - التمهيد المعنوى
الاسرائيلى للعدوان - ماذا فعلت مصر ؟ نكسة
الهزيمة - النظرة الدوائية - مغام اليهود - عواقب
عربية - التوسع الاسرائيلى - الرفض العربى -
حقيقة التاريخ .

القسم الثانى

- الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة . . . ٥٩ - ١٧٦
- الباب الأول : مقومات النصر ٦١ - ٨٤
- الاصرار المصرى - الصبر والصمت - مقدمات
المعركة - جدية العمل العسكرى - الاستفادة من
حرب الاستنزاف والمواجهة - تطوير القوات المسلحة
المصرية - حى على القتال - مظاهر الهزيمة
الاسرائيلية - من نتائج حرب أكتوبر - ما بعد
الحرب - التقصير . . من أقوالهم .
- الباب الثانى : ٦ أكتوبر والمفاهيم العسكرية الجديدة . ٨٥ - ١٥٩
- فوق الأحداث - نظرة الى النتائج .
- الفصل الأول : التخطيط للمفاجأة ٩٣
- بين المفاجأة . . والخداع - على مستوى الدولة -
على مستوى القيادة - على مستوى الجبهة -
التخطيط لساعة الصفر - محصلة المفاجآت .
- الفصل الثانى : ملحمة العبور ١١٥
- الحرب عبر أوسع الموانع المائية - خط بارليف
وبيت العنكبوت - العبور واجتياح الخط - صناع
التاريخ .
- الفصل الثالث : ضربات الطيران ١٢٧
- تحقيق السيطرة الجوية - نظرة الى الورا -
التطوير كان الغاية - فى البدء . . كانت الضربة
المركزة - لغة الأرقام القياسية - ملحمة البطولات
- دروس لا تنسى - وسام شرف وفخار .
- الفصل الرابع : حرب المدرعات ١٤٥
- موجات الدبابات المصرية .
- الفصل الخامس : جدار الصواريخ ١٥٣
- غابة الصواريخ المصرية .
- الفصل السادس : معارك البحرية ١٥٩

- الباب الثالث: : الجبهة في الشرق** ١٦٥ - ١٧٦
- تخطيط مسبق - عوامل معنوية - أهمية هضبة
الجولان - المحاور الثلاثة - خصائص المعركة -
مراحل الصراع .

القسم الثالث

- الجولات العربية الاقتصادية** ١٧٧ - ٢٥٤

- الباب الأول : ضربة البترول** ١٧٩ - ٢١٨
- البترول والسياسة - البترول يحدد مواقف الدول
- البترول العربي والمصالح الأمريكية - الأهمية
الاستراتيجية للبترول العربي - الصهيونية
والبترول العربي - حقائق عن البترول -
الاستنزاف الاستراتيجي للبترول العربي - وقف
الاستنزاف - أهمية البترول للصناعة - سلاح
البترول - المقاطعة البترولية العربية - تحذير
للسياسة الأمريكية - تأثير سلاح البترول .

- الباب الثاني : راس المال العربي** ٢١٩ - ٢٣٩
- العائدات البترولية - مخاوف أمريكا . . من قوة
العرب المالية - الاستثمارات العربية - منافذ
الاستثمار - مصالح العرب الاقتصادية - الهجوم
على الدول المنتجة للبترول - شركات الاستثمارات
والخدمات البترولية - انساع صناعة التكرير -
حول استثمار الفائض - ضرورة دراسة المشاريع -
الأغنياء الجدد بين شعوب العالم .

- الباب الثالث : قناة السويس** ٢٣٩ - ٢٥٤
- لمحة تاريخية - الاحتلال عن طريق القناة - حرية
الملاحة لدولة في القناة - تأميم قناة السويس -
مشروع ناصر لتطوير القناة - الثقة في القناة . .
كسر مائي عالمي - الطين . . على رهوس الأعداء -
اعلاق القناة . . واثره على العالم - المستقبل للقناة .

القسم الرابع . . . ٢٥٥ - ٢٦٨

ثمار حرب أكتوبر

الباب الأول : بعث العسكرية المصرية . . . ٢٥٧ - ٢٨٨

جولة النصر - اتقوة السادسة - بعث العسكرية
المصرية - العسكرية المصرية فى الماضى - العسكرية
المصرية بعد عرابى - العسكرية المصرية بعد ثورة
يوليو ١٩٥٢ - العسكرية المصرية فى حجم جديد -
العسكرية المصرية فى اليمين أعباء على كاهل العسكرية
المصرية - عدوان يونيو ١٩٦٧ - العسكرية المصرية مع
السادات - وقفة مع الأبطال .

الباب الثانى : القيم الروحية . . . ٢٨٩ - ٣١٦

القيم الروحية بين الاصاله والاجتهاد - مهبط
الرسالات - محنة - الرجل بين الشعار والقذوة -
هنا . . . تجب انصلاة - الايمان والبطولات فى المعركة -
نوعية الحرب - أصوات ملحدة تعانق الهلال
والصليب - القيم الروحية فى ورقة أكتوبر .

الباب الثالث : التحول الأمريكى ووقف اطلاق النار . . . ٣١٧ - ٣٦٨

وقفة الحياض المصرية - أزمة هزيمة اسرائيل
عسكريا - جسر من الامداد العسكرى لاسرائيل -
مبادرة السادات للسلام - الثغرة أو قصة غزالة -
الفصل بين انقوات . . أول اختبار لنوايا أمريكا -
مباحثات الكيلو ١٠١ مباحثات جنيف العسكرية -
أزمة الوفاق الأمريكى السوفيتى - أزمة الرأى العام
الأمريكى - ما بعد نيكسون .

الباب الرابع : التعاون العربى الافريقى . . . ٣٦٩ - ٣٩٠

أفريقيا . . القارة السوداء - السلام وأفريقيا -
أفريقيا . . والتنظيم اندولى - اللقاء الافريقى
العاشر - مشاركة مصر فى حركات التحرر
الافريقية - التسلسل الصهيونى فى أفريقيا -
امكانيات القارة الافريقية - اسرائيل فى افريقيا -
تجارة اسرائيل مع أفريقيا - أفريقيا . . وحرب
أكتوبر - التعاون العربى الافريقى - العرب . .
وكسب السوق الافريقية .

الباب الخامس : العبور الاقتصادي ٣٩١ - ٤٠٤

الاقتصاد المصرى المجهد - السير . . نحو الانفتاح
- العبور الاقتصادي - مصانع الاقتصاد القومى
- التكامل العربى - الرخاء . . مستقبل الأجيال .

الباب السادس : التعمير . . وتطهير القناة . . ٤٠٥ - ٤٣٤

مدن القناة ودورها التاريخى - السويس . . المدخل
الجنوبى للقناة - بور سعيد . . المدخل الشمالى
للقناة - الشعب . . ومعركة التعمير - حول التمويل
والمساهمات الخارجية - تطهير القناة .

الباب السابع : ورقة أكتوبر ٤٣٥ - ٤٦٨

بين الميثاق وبينان ٣٠ مارس - ورقة أكتوبر
والمواثيق الأساسية - الطبيعة العامة لورقة أكتوبر
- ورقة أكتوبر والتنمية الاقتصادية - ورقة
أكتوبر والتنمية الاجتماعية - ورقة أكتوبر
والديمقراطية السياسية - ورقة أكتوبر وسيادة
القانون - ورقة أكتوبر وتطبيق المواثيق الأساسية .

القسم الخامس

على أبواب الجولة الخامسة ٤٦٩ - ٤٧٠

الفصل الأول : النضال السلمى ٤٧١ - ٤٨٨

حتى على السلام - استراتيجية السلام المصرية -
استقطاب القوة المؤثرة - مسيرة مبادرات السلام
- البيان الأمريكى / السوفيتى لعقد مؤتمر جنيف
السلام - عقد مؤتمر القاهرة التحضيرى لمباحثات
جنيف - مباحثات السادات / بيجين (الاسماعيلية)
- اجتماع كارتر والسادات (واشنطن) - اجتماع
ليدز ببريطانيا - مفاوضات كامب ديفيد .

الفصل الثانى : اتفاقيات كامب ديفيد ٤٨٩ - ٥٢٢

سلام الاتفاق - التوقيع النهائى على السلام -
ما حققه الاتفاقيتان - الموقف العربى - وثائق
مؤتمر كامب ديفيد :

الوثيقة الأولى : اطار السلام في الشرق الأوسط
الوثيقة الثانية : اطار عمل لعقد معاهدة سلام
 بين مصر واسرائيل - اطار الاتفاق لمعاهدة سلام
 بين مصر واسرائيل - نص الخطابات المتبادلة الملحقة
 بوثائق كامب ديفيد - قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢
 لسنة ١٩٦٧ - قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة
 ١٩٧٣ .

الفصل الثالث : معاهدة السلام بين مصر واسرائيل

٥٢٣ - ٦٠٦ والاتفاق التكميلي .
 المعاهدات من قدم التاريخ - معنى المعاهدة - أحلاف
 الجاهلية - المعاهدات في الاسلام - معاهدة السلام
 بين مصر واسرائيل - السلام العادل الدائم :
 بالنسبة لمصر . بالنسبة للشعب الفلسطيني .
 بالنسبة لعرب المواجهة - التصديق على المعاهدة -
 وأخيرا وليس آخرا - أهمية سيناء العسكرية -
 العسكرية - الطريق الحربي القديم - خطوط الدفاع
 الاستراتيجية في سيناء - قناة السويس خط
 الدفاع الأخير - وضع سيناء من حرب ١٩٦٧ حتى
 حرب ١٩٧٣ - معاهدة السلام بين مصر واسرائيل
 - الانسحاب الاسرائيلي من سيناء - منطقة طابا
 - معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة
 اسرائيل والملاحق والخرائط الملحقة بها والمحضر
 المتفق عليه - ملحق (١) البروتوكول الخاص
 بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن - مرفق
 الملحق (١) بشأن تنظيم الانسحاب من سيناء
 - ملحق (٢) الخرائط - ملحق (٣) بروتوكول
 بشأن علاقات الطرفين - الخطابات المصاحبة
 للمعاهدة - التصديق على معاهدة السلام - وثائق
 التصديق الاسرائيلية .

الفصل الرابع : اقرار الحقوق المشروعة للشعب

٦٠٧ - ٦٢٢ الفلسطيني
 الموقف المصري - كامب ديفيد والتسوية
 الفلسطينية - الاتفاق التكميلي للحكم الذاتي -

لماذا قاطعتم السلام ؟ - نصوص وثائق السلام -
التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى
الضفة الغربية وقطاع غزة والوثائق المتعلقة به .

القسم السادس

قناة السويس وسيناء ٦٢٣ - ٦٧٢

الفصل الأول : قناة السويس الهرم الرابع . . . ٦٢٥ - ٦٣٨
قدماء المصريين وحفر القناة - واستعدادات القناة
سابق أهميتها - مشروع تطوير القناة - مميزات
قناة السويس - المراقبة الالكترونية للملاحة -
القناة سنة ٢٠٠٠ .

الفصل الثانى : سيناء أرض القمر والفيروز . . . ٦٣٩
المسح الجيولوجى - مزايا موقع شبه جزيرة سيناء
- موسوعة تنمية سيناء - التنمية الشاملة -
خطوات التنفيذ - نهاية عزلة سيناء : نفق
الشهيد أحمد حمدي - اقامة المعديات - محافظتى
شمال سيناء وجنوب سيناء - توفير المياه العذبة
سيناء أرض المستقبل - الثروة المعدنية والبترو
- مناطق سيناء التعدينية - الثروة السمكية -
بحيرة البردويل - مصايد أخرى لسيناء - السياحة
فى سيناء .

المراجع ٦٧٥

أولا : مراجع حرب أكتوبر ٦٧٧

ثانيا : المراجع العامة ٦٨٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع ١٩٨٧/٨٥٠٣ بدار الكتب

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٦٢٥ - ٤

صدرت عدة كتب عن المعركة ، أشادت كلها بدور القوات الجوية فيها ، وتحدثت عن بطولات طيارها وابتكارات رجالها . غير أن كل مطلع ، يلتمس أن القوات المسلحة ، كان لها دور أعمق مما ذكرته تلك الكتب ، وأكثر ايجابية مما سجلته .

وفي هذا الكتاب ، سجل مؤلفوه دور القوات الجوية ، كأحد أجهزة القوات المسلحة الرئيسية ، بدقة وتفصيل . . كمثل لأدوار الأجهزة الأخرى . . وبحكم إدراك مؤلفيه لهذا الدور .

إن الإنصاف يقتضي القول ، بأن موضوع الكتاب ، لم يعن بالمعركة وحدها . بل تطرق إلى آثارها ، ورسم أبعاد ما فرضته المعركة من تحولات في ركب الحضارة في مصر .

. . لذلك فهو كتاب لكل وطني وكل مثقف .

محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية